سيرة

عنترة بن شداد



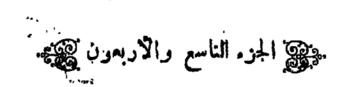
المجلد الثامن

التزام مكتبة الجمهورية العربية

سيرة

عنترة بن شداد

وهو الفارس المشهور والبطل الجسور . سيـــد الشجعان وقاهر الاقران عنترة بن شداد من شعراء الطبقة الأولى ــ وكان من أحسن الشعراء شيمة . وأعلاهم همة . وأعزهم نفسا . وأقواهم بطشا وفتكا . وكان مع هذه الشجاعة التى ضربت بها الأمثال لين العريكة سهل الأخلاق شديد النخوة . رقيق الشعر . وقد عمر تسعين سنة ومات مقتولا ــ وفى سيرته من آثار البطولة وآيات الشجاعة مالا يندثر بل يبقى على مر الأيام وتدوم سيرته مادامت العصور ــ وفيها يجد القارىء من الوقائع والحرب معارك مسترسلة فى ميادين القتال



الجزء التاسع والأربعون

يطلب من

مكتبة الجمهورية المصرية

لصاحبها : عبد الفتاح عبد الحميد مراد

شارع الصنادقية بجوار الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
(قال الراوى) والاعراب لم يسلم منهم الامن القى نفسه فى البحر من هول هذا الأمر وكذلك
قاتلت الروم قتالا غير مذموم وصبحوا الافرنج صباحا ميشوم وعنتر بن شداد فى شدة
القتال وهرقل ينادى يا أبا الفوارس قد ملكت المراكب بلا محال فالتفت اليهم وإذا معهم
دون الالف فارس رجال الافرنج كالاطواد ومن بقى من قوم عاد فعند ذلك انطبق عليهم
عنتر بن شداد وهو ينادى يا عبس الاجواد بيده سيفه الضامى الذى لو ضرب به جبل قده
هذا وقد طلبته الابطال وهجمت عليه الرجال وطلعت عليه طائفة أخرى وهم الف بطريق
بكل سيف ثقيل وترس وثيق هنالك عمل الحسام وانفلق الهام وكسرت العظام وانقطع
الكلام وعنتر وقد وقف وقفة كريم النسب من أشرف سادات العرب وطلب منهم القتال
والعمل وبطلت الحيل وطلع الزبد على أشداقه وصار يتساقط زبد فيه تقطيرا واحمرت أماقيه
وكثر العدد عليه وقصدوا الالاف بطريق بالسيوف إليه هذا والملك هرقل خاف من العطب
ومال من خوفه إلى آخر المركب والمركب يموج فى لجج البحر الزاخر كموجات الطائر فى جو
السحاب وعنتر يطوقهم بالدم الاحمر والدم من أجسادهم دافق على أقدامهم والمفارق وبعضهم
رمى نفسه فى البحر فصار غارق ولروحه مفارق وسيف عنتر فيهم ماحق ورمحه خارق وجنانه
منطلق دافق وما أتى آخر النهار وأقبل الليل باعتكار حتى رأت الجمع مفرق والعدد وقد
تمزق ونظرت باقى مراكب الليلدان إلى ذلك وما حل بها من المهالك فرجعوا إلى حول المراكب
من كل جانب (قال الأصمعى) ولقد سألت شيبوب بنفسى وقلت كم دخل إلى عنتر بهذه
المراكب من الرجال فقال وذمة العرب خمسة الاف وستين رجلا من الأبطال والذى قتلوا
ورموا أرواحهم إلى البحر من خوف سيف أخى عنتر كانوا مثلهم ثلاثة أمثال وصارت
المراكب تنظر إلى مركبنا حذرا وترمقها شذرا ولقد عاينت من أخى الهول المنكر هذا
وعنتر يجول على ظهر المراكب ويتذكر ما جرى عليه وما قد وصل إليه وتذكر عبلة والديار وما
جرى عليه من قيس من الأمور والأخطار فهزه الشوق فانشد يقول :

أيا طير أخبر لقيس وقل له ... بأنى ليث الحرب فى البر والبحر
وخبره فعلى بالقوم وقل له ... رفيقى سيفى والفرنج لحمى ظهرى
ويخبر أمواجا من المالحة ... وامواج دم فوق مركبنا تجرى

وأرديت أنا مائتين وألفين بعدهم ... وخلفتهم فى الحر صرعا إلى الحشر
ومن يك مثلى يحتمل سائر الأذى ... ويصبح فى أرض مهانا بلا شكر
ولا ذنب لى إلا بانى حافظ ... وارعاهم وجهدى ويسعون فى ضرى

(قال الراوى) فقال له الملك لافض الله فاك ولا كان من يشناك فلله درك من بطل همام خطير وفارس نحرير وصاحب المواقف المشهورة والمقامات المذكورة والخصائل المنشورة والأحاديث المخبورة وما أحوالك عن الخلق مستورة بل هى فى الآفاق منشورة فضحك عنتر من قول هرقل بن الملك قيصر من وصفه إليه وشكره وأثنى عليه هذا والملك هرقل قد تحير من عظم فعال عنتر وما عاين منه من ذلك الأمر ثم إن عنتر قال للملك هرقل والله يا ابن الملوك الكرام وحق الرب القديم العلام لو كنت على وجه الأرض وأنا على ظهر الجواد كنت نظرت ما أفعل بهؤلاء الأوغاد المحلقين اللحا أولاد اللئام كيف أحلق رؤسهم بالحسام فصدقه الملك هرقل فى مقاله لما شاهد أفعاله وزادت فرحته به وما قاله هذا وقد هجم الليل وراق وطبق بظلامه الآفاق وقد أوقدت النيران فى المراكب وتحارسوا وتصايحوا من كل جانب إلى إن مالت الكواكب إلى الزوال وطلع الفجر وزالت الغياهب وكان قتال المراكب فى هذه الثلاثة أيام من مشاهدة الملك الليلمان إلا أنه سمع عنتر لحنق عليه ومنه تكدر ولما أن رأى من عنتر ما أهاله تغيرت عند ذلك أحواله وعظمت عليه أموره وزاد بلباله فصاح فى رجاله وأبطاله وقد أمر أصحاب المراكب جميعها الحملة أمندها ضجت القسوس والرهبان بقرادة الإنجيل ورفعت الصلبان وانطبقت المراكب التى للملك الليلمان على مراكب الملك هرقل ابن الملك قيصر وضيقت عليهم من كل جانب هذا والبحر من تحتهم قد علا وايد فزادت المصائب وضرب الموج مراكب الإفرنج ففاض الماء إلى وسط المراكب هذا وقد زحزح عنتر بحسامه الجماجم والرقاب وقاتل قتال الكرام أولو الألباب وفعل من الأهوال ما رأى أحد مثله من الأهوال هذا وشيبوب قد حاروا نذهل والخذروف قد طاش عقله وتحبل ونادى بابيه شيبوب يا أبت ما النائذور ومثل الرحا وننتقل وقلبى خائف وقد ضاقت بى الحيل هذا والإفرنج قد بضعت الروم وقرب منهم الأجل واخرقت بقنطارياتها صدورها والمقل وقد ضربت بالسيوف وطعنت بالرمح ودنى المرتحل هذا وعنتر رمى رؤسهم مثل الحنظل وقد هتك ستر الملبوس وسل من الأجساد النفوس هذا كله يجرى وعنتر يقاتل قتال التحرير إلا ان الخلق عليه كثير والجمع غزير وقد صارت المراكب كلها محاطه بمركبة وصارت الأعداء من حوله كأنها الحلقة الدائرة وقد ضايقوه أشد مضايقة وصارت الأرواح للأجساد مفارقه وغربان المنايا عليهم ناعقة وطيور الحمام عليهم زاعقة وهو يحمى وينخى الرجال الذين معه فى المراكب ويتحسر بما قد عاين من قتال البحر هذا وقد

ملكت الافرنج من مراكب الملك قيصر ثلاثة مراكب قوة وقهرا وحرقوا بالنفط مركبا آخر ومركبين قد أشرفوا على الاسر هذا والملك الليلمان يحرض الأبطال على القتال وينخى الرجال فترمى أرواحها على الهلاك والوبال وقد داخلهم الطمع فى مركب هرقل بن قيصر وأرادوا أن ياخذوا الملك هرقل أسير وقد لاح لهم علائم النصر والظفر فقال الخدروف لأبيه شيبوب والله يا أبتاه إن قلبى قد خفق وما رأيت عمرى مثل هذا اليوم الذى اتفق لأن نفسى قد صارت مثل العلق فقال له أبوه وأنا والله ما بقى فى رلق دحفت على نفسى ألف مرة من الغرق فيا ليتنا كنا على البر ودع السماء على الأرض تنطبق حتى كنا فتسابق مع الريح حتى يعلم أينا أسبق فبينما هم على ما هم عليه من الحزن والقلق وإذا بالبحر قد هاج عليهم أعظم هياج وقد تلاطم بالأمواج وأظلم حتى كانه الليل الداج ولا بقى يبان من المراكب لا لوح ولا سياج فعندها احتاجوا الجميع إلى ضوء السراج وقد تباكت الروم والإفرنج الأعلاج وتخلوا عن الحرب والقتال وصاروا بين أمواج كأنها الجبال فعند ذلك تغيرت منهم الأحوال وخابت الآمال وقصرت الآجال وطال عليهم المطال ودلى عليهم البحر كغليان المرجل وبطل القتال والعمل وصار الظلام كانه السرادق وقد سربعه الأمواج المراكب ففرقتها عن بعضها بعض وصارت تلعب فى البحر طولا وعرض وقد اشتغل كل واحد منهم بنفسه عن أبناء جنسه ولم يزل الظلام دائم عليهم وموجات البحر زاخرة وواصلة إليهم مدة ثلاثة أيام بلياليها على التمام وشيبوب يقول لأخيه عنتر وحق خالق البشر رب الأواخر والاوائل يا ابن الام ما أظن إننا بقينا نسلم من هذا البلاء النازل ولا نرجع نرى الديار والمنازل ولا فعل أحد ما فعلنا بارواحنا وأنفسنا بمجيئنا إلى هذه الديار وحق خالق الخلق ورازق العباد وما تاسفى على روحى ولا على أولادى إلا كيف تموت فطايس فى الماء ويشتفوا منا بنى زياد والربيع وأخيه عمارة القواد فقال له عنتر وقد تنهد وتحرو أظهر الجلد لا تخاف ياشيبوب وكن جليد وخل عنك كلام كل بليد وان كان لك أجل مديد ما تعمل فى جسدك الصوارم الجديد ومازال الريح عليهم عمال وهو هو قائم والعقل منهم هائم تمام الثلاثة أيام فلما إن كان فى اليوم الرابع انجلى ذلك الظلام وسكن هيجان البحر والغليان اذن الله الواحد الديان المنان الذى لا يشغله شان عن شان وقد انكشف البحر وبان علم يرمى تلك البحر والاقارب بل إن الريح شتتهم وبعضهم ضربتهم أمواج البحر ففرقتهم وقد الصقوا عند ذلك بعض مراكبهم إلى البر وأنزلوا اخيولهم وأموالهم ورجالهم وأثقالهم ونزل عنتر وقد افتقد ما معه من المراكب فوجد قد عدم منهم ستين مركب بما فيها من الرجال والاموال والاهل والأقارب ومراكب سالمين من المعاطب وكذلك مراكب الخيل والجنائب فعند ذلك فرحوا وسرموا مراسيهم وأوثقوا حبالهم وقد ذلعوا الجميع على البر وضربت لهم

السرادقات والخيام ونشروا الرايات والأعلام وقد رفعت الصلبان وصليت القسس والرهبان وعظمت عندهم الفرحات ودقت الطبول حتى أزعجت البرور ورنت الكاسات ونعرت البوقات والزمور من انزعاج البحر والغلياز وقد أقاموا خمسة أيام بلياليهم ولما كان في اليوم السادس شاور الملك هرقل الأمير عنتر في الرحيل إلى ديار الأعداء اللئام فانعم بذلك وأجاب فدقت الطبول والكوسات ونشرت عليهم الأعلام وخفقت الجنود والرايات وصهلت الخيول الصافنات وتقدمت من الفرسان السادات وقد ساروا وعنتر سائر قدم القادات ومن لهم بالحروب عادت وقد ساروا وعنتر سائر وخلفوا الحفظ المراكب بعض الفرسان وسار عنتر في مقدمة الجيش وأخيه شيبوب وولده الخذروف بين يديه فعند ذلك تذكر عنتر ماجرى له من نوائب الزمان والضير وما فعل معه بنو عبس بعد ذلك الصنيع الذى صنعه فعندها تحسر في كياد بني فزاره يفكر فجرت دموعه على خدوده كالمطر وقد افتكر عبلة فزادت بلابله وأنشد يقول هذه الأبيات :

كم توردوني عتابا غير مسمعي	وأنفق العمر بين الناس والطمع
وكم أجد عد الأيام معترضا	مايحدث الدهر والأيام من فزع
ولست أحيد عن صبري وعن جلدي	لو داس من فوق أنفي الموت لم يدع
أقيل النقص والايام مقبلة	والبيت في دورة العلياء مرتفع
لاركبين من الاهوال أعظمها	وكلما يحفظ الرحمن لايضع
وكم أكون كمن يسعى وغايته	ومنتهى سعيه المردى والتبع
أيذهب العمر لا يزال معاندي	خصمي وجاري بقربي غير منقشع
وبين جنبي عزم يقتضي هما	لوضمها صدر هذا البحر لم يسع
فلا رعى الله أرضا لا أكون بها	وكم لمست بصبري من اسى وجع
كم عاين من ضميري مكتمل	وليس بوجد صفو العيش في الجزع
وكم سقا بي من كاس على ظما	أمر في الطمع مز سيري ومن شلع
وما رماني بسهم من نوائبه	الا ملكت بصبري هامة الدرع
سل الاخلاء عن صحبتهموا	يوما من الدهر إلا والوغا تبع
القا مسيئهم متبســما	حتى كان لم يخن دهري ولايضع
وسلهموا عن وفاء ثقاتهموا	ـر ولم بشر في عرضي ولم يبع
وقد تفكرت في شاني وشانهموا	فبان لي ذنبي عندهم ورع
فآه من ذفراني كلما صعدت	في الصدر كانت كوقد النار في الضلع
يسوقه آسفا قد بان من ندم	شيء على وصم المغبون في الطمع

وليس ذلك فى عام أقمت به حيا أفناه صرف الدهر والجزع
ولا على شدتى أخشى عواقبها والناس قسمان ذو بأس وذو ورع
لكن على درة تزهر جواهرها فى عقد كل نظام غير منقطع
كم لمت قومى لا بل كم أنذرهم من اقتراحى وأحلامى لمرتبع
فلم أجد باياس غير مرتحل عنهم لهم أسوة بالغير مبتدع

(قال الراوى) فلما فرغ الأمير عنتر من الانشاد والنظام طربت الرجال وقد شكره الملك هرقل ومن كان حوله من الأبطال وقد ساروا طالبين ديار الملك الليلمان وقد كانوا جدوا فى ذلك الاهتمام لاجل الحرب والصدام فهذا ما كان منهم من الكلام وأما ما كان من الليلمان نسل الحرام فانه لما قامت تلك الروابع عرق مراكبه شىء كثير من كثرة ما نالهم من الظلام والريح العسير وما سلم منهم إلا اليسير فعندها طلعوا من البحر وساروا إلى جزائرهم وقد كثر بينهم الكلام ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى جزيرة الكافور وقلعة البلور وقد التقى الملك الليلمان بولده سرجوان ولم يكن له ولد غيره فى ذلك الزمان فلما التقاه وقع فى صدره فعانقه وباس يده وهناه بالسلامه من غير ندامة ثم إن الملك دخل إلى قصره وجلس على تخت ملكه وقد جمع حواليه أرباب دولته وقص عليهم قصته وما جرى على مراكبه من الغرق وقتل رجاله وعدم أجناده وما لاقاه فى حربه مع عنتر ونزاله وكيف كانوا قد استظهروا عليه وأخذوا بعض مراكبه وكيف هاج عليهم البحر وابدى عجائبه وقد ظلم الجو وغابت كواكبه وكل منا قد آيس من الحياة وانقطعت مآربه وبعد ذلك يجب علينا أن نأخذ الحذر ونتأهب للمتقى لمداق الحرب والجلاد وكذلك الاسود عنتر بن شداد ومن معه من العشائر والاجناد إن كانوا أسلموا من الغرق وأتوا الى هذا المكان ثم بعد ذلك أمر الرجال بأخذ الاهبة للحرب والقتال وقد سير المراكب إلى سائر البلاد والقلاع وقد بعث ملوك تلك الأرض والبقاع أمرهم أن يكونوا على أهبة الحرب والقتال والقراع فما كان أكثر من ثلاثة أيام حتى أقبلت العشائر وانقادت العساكر وهم مثل السيل إذا سال وقد أمر الليلمان باخراج الاقامات والعلوفات وتجهز فى مائة ألف عنان لابسين الحديد مدرعين بالزرد النضيد وهم من فارس شديد وقدم عبيدهم بالسيوف الهندية والقنطاريات الافرنجية والبيض العادية والدروع الداودية وتحتهم الخيول العربية ورحلوا طالبين عشائر الملك قيصر وابنه هرقل وعنتر بن شداد فارس طائفة العبسية وقد ساروا ذلك اليوم والثانى والثالث وفى اليوم الرابع أشرفت عليهم غبائر وزوابع فتبينوهم وإذا هم أصحاب البلاد والقلاع التى حولهم وهم هاجين خائفين وجيوش الروم لهم طالبين فأخبروا الملك الليلمان بذلك فأمرهم بأخذ الاهبة للقتال وركوب الاهوال فتأهبوا

كأمرهم ونزلت الرجال للراحة وذلك بسبب الخيل لتعبهم وقت القتال فما لبثوا أكثر من ساعة حتى طلع عليهم الغبار وارتفع وثار وأظلمت منه الاقطار وانجلا ضوء النهار ساعة وقد بانت راية الملك قيصر واشتهر الامر وظهر وتقطع الغبار ومزق فى الاقطار وصهلت الصافنات وعملت الرياح عمائلها فى خفق البنود والرايات ودقت الطبول وضربت النقارات ونعرت البوقات ودقت الكؤسات وركب الملك الليلمان وحوله القسس والرهبان وتبادرت الفرسان والشجعان وضربت كؤساته ونعرت بوقاته ونشرت أعلامه وراياته وتقدمت حماته وكتائبه ولما وقعت العين وتقابلت الجيشين واصطدمت الفريقين وحان الحين وزعق عليهم غراب البين ودقت النواقيس من الطائفتين وضجت الرهبان وكل قسيس ومطران وقد ارتجت بهم الارض وجالوا طولا وعرض وصهلت الخيول ولمعت النصول وامتلأت الطلول وجالت الفحول واشتاقت إلى القتال والرجال وهمهمت الابطال وعلى الصياح وقلعت الأرواح وخافت من القتال الاشباح ولمع السلاح وأخذوا فى القتال والكفاح وتقدم الالمان وقوى قلوب الشجعان ورتبها فى الميدان وقل الكلام وقد أراد الليلمان أن يبرز إلى القتال والجولان فسبقه عنتر إلى ساحة الميدان وطلب براز الاقران فعندها برزت إليه الفرسان وصارت تخرج من تحت الاعلام والبنود وعنتر يفترسهم افتراس الاسود ويطعن فيهم بطعن لا تدركه الاوهام ولا يعرفه أحد من أهل هذا الزمان ولم يزل فى الميدان ينهب أرواح الفرسان من الابدان حتى صارت الشمس فى قبة الفلك وهو قد لاقى الاهوال والأخطار وقد أهلك مائة فارس كرار وأرى ملك الافرنج عنتر ليثا مغوارا وأسدا هدارا فلما رأى ذلك غضب وصارت عيناه مثل النار وصرخ صرخة أرجف بها قلوب الحضار وأزعج خواطر النظار وعزم على البراز فى بقية ذلك النهار إلا أن عنتر الليث الكرار لم تمهل عليه الافرنج دون أن حملت بحملتها وأقبلت بقططاليتها وهم طالبين المجال كأنهم قلل الجبال وجردوا مشرفياتهم فصرخ عند ذلك هرقل فى أجناد الروم فارتجت تلك الأرض وانزعجت سكان تلك التخوم وكان ذلك اليوم يوما ميشوم وقدحت الخيل شرار النار وأظلم الجو وأسودت الاقطار وطلب الجبان الفرار وخاف الشجاع من النار والفضيحة والشار وندمت الرجال على فوات الأعمار وجرت الدماء شبه الانهار وباحث القلوب بالأسرار وتهتكت الاستار وقل الاصطبار وهانت المنية على الأحرار وولى منذل من خوف البوار وعميت الابصار وتكدرت الاقطار واشتدت الاخطار وأقبل آخر النهار وشيبوب وولاة الخدروف يحمون جواده من الأضرار وهم كأنهم شعل النار وقد تمنوا أن ذلك اليوم يدوم ولا يشاهدوا أمواج البحار ولم يزالوا يدورون حوله ويحمون ظهره كيف ما مال ودار حتى ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد خسرت خيالة الافرنج وتضعضعت وتأخرت وقد عاينوا من

عنتر العبوس ماشيب منهم الرؤس لأنهم بلوا بفارس لا كالفرسان وشجاع قد فاق على الشجعان وكانت طعناته تهد الاساس وضرباته تضيق الانفاس وما ولى النهار وأقبل الليل حتى فعل عنتر فعال تحيرت منه الأبصار وجرى له من الافرنج يوم يذكر ما بقيت الشمس والقمر وقتل من خيالة الافرنج خلق لبس عليهم من عيار ولولا عنتر كانت عشائر الروم طلبت الفرار وهربت إلى سائر الأقطار وقد انفصلت الطوائف عند أقبال الظلام ونزلت فى مضاربها والخيام وقد حل الليلمان من عنتر مالا تحمله الجبال وأطلق فى قلبه نار الاشتعال وعلم أنه ويل من الاقيال لأنه كان يقول إذا ما أحد من سائر الأبطال يقدر يتقدم ويقف قدامه فى قتال ولا فى نزال فاقسم بالصليب والانجيل وما فيه من التحريم والتحليل لأحد يفتح باب الحرب غيره باكر النهار ولا يبرز لعنتر شواه ليأخذ الفرسان منه بالثار ثم أنه بات فى تلك الليلة وهو متفكر فى الحرب والكفاح وهو لا يصدق أن يصبح الصباح ومازال على ذلك الافتكار حتى بان ضياء النهار وركبت الجموع ولمت الدرع واصطفت المواكب فرق ولمع صارم الحسام وبرق وهم الليلمان بالخروج إلى الميدان من شدة الغيظ والحنق وإذا بعنتر إليه قد سبق وجال وصال وطلب القتال وسال البراز وطلب الانجاز واتكا على رمحه فى وسط الميدان وقد رمقته أعين الفرسان وأنشد يقول هذه الأبيات الحسان :

الايا كلاب اليوم دونكم حربى	سأفنيكموا بالاسمر المران والعضب
فدونكموا الليث الذى لا يرى له	مثل ليوم الحرب والطعن والضرب
أنا عنتر المعروف فى كل موقف	إذا أنفرت نفس الجبان من الحرب
رضيت ورب البيت أن يبرز لى	الوف بطعن الرمح من الشرق والغرب
وانى فى الميدان كفؤ لجمعكم	ملى وأن النصر من فارج الكرب

(قال الراوى) فما أتم عنتر هذه الأبيات برز اليه فارس كأنه الاسد الغضبان على جواد شديد الجريان أشقر اللون مليح الكون بصاص الشعرة سابل الغرة وعلى الفارس درع مكوكب ذهب وفى صدره مراية من الجوهر نورها يأخذ بالبصر وكان فوقها ثوب أطلس أصفر مليح المنظر محشوا بالمسك والعنبر تغلب من حسن وصفه البشر وأكمامه قد عقدها إلى وراه بشراريب إبريسم أخضر وقد أخرج الفارس يده من جلباب درعه وبقى فى ذلك الزى المنظر وعلى صدره صليب عجيب بالذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وله عينان كأنهما عيون غزلان وعلى رأسه وأكتافه خمس لؤلؤات كبار كل واحدة قدر مثقال تساوى كل واحدة ألف دينار من الذهب كل من رآهم يأخذ لنفسه العجب وكان هذا الفارس هو الملك الليلمان فتوسط الميدان ونادى يا أسود الجلد وبالون القطران ويا ولد الزنا ويا ابن الاما لقد أكثرت الكلام وأطلت المقام يا ولد الحرام دونك وضرب الحسام لاسقيك كاس

الحمام وأفصل لحمك من العظام فلما سمع عنتر هذا الكلام وماذكره الليلمان لم يخاطبه بلسان بل حمل عليه حملة الأسد الغضبان والنمر الحردان فالتقاه الملك الليلمان بقوة قلب وجنان إلا انهما لما تصادما ضرخا صرختين رفعت لهما الخيل رؤسها ولعبت باذنابها وارتجفت أجسادها وقد ارتعدت قلوب ركابها وظنت الطائفتين أن السماء قد فتحت أبوابها ونزلت عليهم عذابها ثم انفسحا بعد ذلك الصراخ والصياح كما تنفسح الكباش للبطاح وعادوا قد جردوا على الأرض عوامل الرماح وتكافحا أشد كفاح وقد تحير من فعالهم العقول الصحاح وكان لهما ساعة تذهل منها الأرواح إلا أن الملك الليلمان قد عاين من عنتر أنه فارس ليس كالفرسان وشجاع لا يقاس بالشجعان وبطل لا يمل من الجولان ونظر من نفسه التقصير وعرف عنتر منه ذلك معرفة خبير فجد معه فى المطاوله والمطابقة وأخذ فى الكر والفر واحتك الركاب بالركاب وبطل الخطاب وقل الجواب فقام عنتر فى مداده وتمطى فى ركابه وضربه بصارمه المهند ضربة بطل امجد طير رأسه عن الجسد فمال عن الجواد ممفرا فى السبسب فلما نظرت الافرنج إلى ملكها قتيل وهو على الأرض منطرح جديل حملت على عنتر بجملتها وقد أظهرت شدتها فامرهرقل الروم بالحملة والتقى حدتها هذا وعنتر انطبق على الافرنج وطعن فيهم طعنا أقوى من الصخر وجنان احرى من تيار البحر فما طلع فارس ارداه ولا شجاع إلا اعدمه الحياة وما أدرك بطلا إلا وعجل فناه فعندها ارتخت الافرنج وحملت وضربت طبولها وازعجت من البر نلواتها وإلى المعمعة طلبت وعلى الهلاك عولت ولكاسات الحمام نهلت وللسيوف ولرسل المنايا أرسلت وللاعلام انشرت والأسنة طرقت والرماح تحطمت والصدور تحسفت والدروع تمزقت وفرت والنّسر ضجت والوحوش هجت والافرنج خسرت وعلى أنفاسها تجسرت وحملت الروم عليها بكليتها وصلبت على وجوهها من حنقها واتهملت سحائب الموت على الأفرنج فاتها ودخلت عين الزوايا عليها فارغمتها وحمل عنتر على الفرسان وهجم على الشجعان وصدمها بصدره وقت القتال وهاج فيهم كما تهيج فحرل الجمال ونادى بأخيه شيبوب وهو فى أوائل المعمعة وقد تصور بهم ملك الموت بصورته الرائعة وكان عنتر ما لقى فارسا إلا وقعه ولا شجاعا إلا وصرعه ولا رجل مذكور إلا رقى الحياة أفجعه ولا بطل همام إلا وبالحسام بضعه لأنه كان فى ذلك الزمان وسالف العصر والاوان لارجل أشجع منه ولا أجلد منه ولا أنجب ولا أفصح ولا أنجع ولا أفرس ولا أعبس من عنتر بن شداد لأنه كان يقتل الفارس والمائة والالاف من القادات ويرجع سالما من الجراحات فلما كان ذلك اليوم لم يزل يقبض الأرواح حتى تأخرت الافرنج وطلبت الرواح ورأت لانفسها الفرج من ذلك المضيق والحرج فلله در عنتر وما فعل لأنه أخرج الصفوف وسقى الأفرنج كاسات الحتوف وقطع منها الأجساد والكفوف وقد تكردست عليه المائة والالوف

وما تأخر الافرنج عن موضع الحرب والضرب وقد تخلصت من البلاء والكرب وكان تأخرها سبب نجاتها فحملت اموالها وأثقالها واتبعت الهرب ورأت سلامة أرواحها أوفى طلب وتبعها عنتر الجحجاح وكذلك الملك هرقل بعشائر الروم وهم يطعنون فى ظهورهم بالرماح الذابلات أوفى من ثلاث ساعات وعادوا وقد التقى هرقل بعنتر بن شداد فقبل صدره واثنى عليه وقد تذكر عنتر ملاقاة الابطال وقتاله للاقران وكيف قتل الملك الليلمان فانشد يقول هذه الابيات :

أنا العبسى قتـــال اللئام ... ولى فى الحرب أوقات كرام
ذكرت عبيلة فى وقت حرب ... فاصبح حبها بقلبى يرام
وها أنا عاشق إذا اشتعلت ... غداة البين عاودنى غرام
فتكسر أملها من نصل سبق ... بقبضته مقاليد الحســام
لقد كذبت نفسك فاصدقيها ... لها مثلى يـــدوم بها مقام
وفى حربى رددت الخيل عنها ... وهمت بها والقيت الزمام
فقلت لها أقصرى عنها وسيرى ... فقد تظم الركائب بالحزام
غداة الروع حين سمت الينا ... كتائب تبتغى رســـل الحمام
بأيديهم مهندات وسمر ... علوج حول رى ملك همام
فخلوا وتركوا حرب عون ... قلائـــدة سباسب كالخـــزام
ويكن كل صوت غير صوق ... بوادرهـــا تشاريـــح السهام
وخيل سقتها بالرمح قسرا ... وبعضهموا معضض باللجام
تركت نساءهم تبكى عليهم ... أخوة وأمه من نسل حام
كتائب جيش افرنج وروم ... كان جبينهـــا حجر الظـــلام
يكر عليهموا مهر كريم ... غـــداة الروع أمثال النعام
وان وقوف مرجع مرتقيـــه ... تثير النقع بالموت الزؤام
يقدم وهو مضرب صروم ... حماة الروع فى رهـــج القتام
وراكبـه ينادى بالعبس ... كان ضياها شعل الضرام
عجوز من بنى حام بن نوح ... حريق فى حريق ضرام
وخيل تحمل الأبطال شعثا ... وصوت مهندى عند الزحام
عناجيج تخب على رباها ... على طرف كبير حان الظلام
وهى خيل مسومة عليها ... يردن التفجع وهو دام

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من أبياته طربت الشجعان غاية الطرب وقال له شيبوب لارد

الله مالك ولا كان من يشناك ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى الخيام وقد انسدل الظلام هذا وهرقل يقبل صدر عنتر الهمام ويهنيه بالسلامة من القتال والصدام فأثنى عليه وشكره ونزلوا فى المضارب والخيام وأخذوا الراحة وأكلوا الطعام وعزموا على المنام بعدما أقاموا لهم حرسا من الأعداء اللئام ورقدوا إلى أن طلع الفجر وقد أقاموا ذلك اليوم كله يجمعون فى الأسلاب والخيل والذهاب وكل مال جسيم وملك عظيم وحولوا الجميع ثم أنفذوه إلى مواكب وعزموا على الرحيل طالبين جزيرة الكافور وقلعة البلور وقد أنجزت العشائر والفرسان طالبين أثر الليلمان وقد أمر عنتر الناس بالرحيل فدقت كوسات الرحيل وأزعجت الخيل الأرض بالصهيل وانشرت الرايات ونعرب البوقات وضربت الكوسات ورفعت الأعلام على رأس الملك هرقل وعنتر سائر فى المقدمه وبين يديه كبار الجحافل فجاشت عبلة بخاطره فزادت بلابله فأنشد يقول هذه الأبيات

طلل لعبلة بالحجاز مقيم	فيظنها بالانعمين رسوم
وسارعت نحو الديار تعاقد	أفراح خيل فى الزحام قشور
وإنى فارس جلد على الأبطال	الناطق يالمبروم والمجذوم
وكان ظعن الحى لمــــا أقبلت	على والحى ارتفعت لهن جروم
ككرام عظم فى خليج لجم	دخلت وفيها موقد مكتوم
وعشية فى الجيس أسلم جيشه	الليلمان معفـــر مكدوم
ولقد أتى فى جحل ومثاله	قد كان ذا رأى له وحريم
بلغت بهم أحلامهم ومعالهم	والضرب بالهامات والتقديم
وهما حماة البحر حين توعدت	روم وإفرنج للقتال تروم
مازلت أضرب ايهموا بمهند	والمهر تحتى فى الدماء يعوم
حتى استقاموا فى الفرار هزائما	وخيولهم بهم تقع وتقوم
هذا هو الشرف الذى من ناله	بلغ العلا من ذاهب ومقيم

(قال الراوى) وسار عنتر والملك هرقل فى عشائر الروم طالبين جزيرة الكافور وقلعة البلور فهذا ما كان منهم وما جرى لهم وأما ما كان من عشائر الملك الليلمان فإنها لم تزل فى هزيمتها إلى أن وصلت إلى جزيرة الكافور وأعنوا بالويل والثبور وعظائم الأمور ودخلوا على سرجوان بن الملك الليلمان ونعوا إليه وأكابر قومه وذويه وكان شرجوان هذا شيطان فى صورة إنسان عهو ولى عهد أبيه وصاحب حله وعقده والموصى له بالملك من بعده والحاكم على عشيرته وجنده فلما أن نعوا له أبيه بين تلك الأجناد وأخبروه بأن الذى قتله عنتر بن شداد فعند غشى عليه واسودت الدنيا فى عينيه ونادى ياويلكم أخبرونى

بأمركم وما الذى تم لكم فقالوا يا ملك قتلت الرجال ونهبت الأموال والملك تركناه ملقى على وجه الارض والرمال فدع عنك السؤال وانتخ نخوة الرجال أصحاب المنازل العوال فقال لهم ويلكم أنتم سرتم فى مائتى ألف عنان والملك بشجاعته ورأيه الصائب كان فيكم وفى كم كانوا أعداكم فقالوا له يا ملك ما نظن أنهم يصلون إلى عشرين ألفا من الرجال ولا قتل الملك وكسرنا إلا فارس أسود على جواد أدهم وفى يده صارم مهند إلا أنه ما حمل على جمع إلا تبدد وصارت الرجال بين يديه تشرد مثل الغنم قدام الأسد ومعه رجلين مثل العارضين يحمون جواده بالنبال ولم تخطىء نبالهم عن الأكباد وهذا آخر حديثنا والمقال فدبر نفسك واعتد للقتال فالقوم لك قاصدين وإليك واردين وبعد يومين تراهم على جزيرتنا نازلين فلما سمع سرجوان مقال الفرسان علم أنه قد داخلهم الفزع والخذلان فنهض من وقته وساعته مثل الأسد الغضبان وقال وحق الصلبان وبيعة نجران ويوحنا والراهب شمعان وصلاة القديسين وما أنزل فى القربان من البركة والبرهان ما بقيت أرجع حتى ما أبقى من هذا الجيش من يركب على حصان وأفرى رؤسهم والابدان وأفودهم أسارى فى حبال الذل والهوان بعد قتلى لهذا الاسود الكشحان وأصلبه على قلعة البلور بعد ما أقطع منه اليدان وأتركه حتى تأكل محاجر عينيه النسور والعقبان وبعد ذلك أسر إلى القسطنطينية وأقتل الملك قيصر المهان وبعد ذلك يبان الملة النصرانية وأينا أعظم وأقدر شجاعة وأعلا مكان وبعد هذا المقال أمر العشائر بأخذ الأهبة للقتال وكان قد وصل إليه بعد مسير أبيه عشائر بعدد الرمال لانهم قد اجتمعوا فى الجزائر وأتوا إليه على استعجال فرأوه وقد قتل وعلى الأرض مجندل وقد وقع ما سمعتموه من الأقوال فعزوه فى أبيه وهنوه بالملك الذى صار فيه فاعرضوا العشائر ذلك اليوم عليه وكانوا مائة ألف جبار من الجبابرة الأعيان ففتح خزائن السلاح وفرق عليهم آلة الحرب والكفاح وخفقت الرايات ونعرت البوقات ودقت الكؤسات والطبول ورفعت الصلبان وظهرت البطارقة والقسوس وأمر البطرق بدق الناقوس بعد ما صلى عليهم صلاة الأموات وحرضهم على القتال والثبات وبرزت العشائر بعد ما أجلس كوبرت على كرسى البلد وترك عنده عشرة آلاف فارس من الفرسان القناعس وقد أوصاه بحفظ البلد وعلى ما فيها من النساء والصبيان ومن الغد عول على الرحيل وقطع ذلك البر الطويل ولم يزل سائرا إلى وقت الزوال فنزل هو ومن معه من الرجال لأجل الراحة والمنام ليريحوا نفوسهم والخيل لأجل ما تعينهم وقت الحرب والقتال وباتوا تلك الليلة وأصبح راحل طالب عشائر الملك هرقل ابن الملك قيصر وابن شداد عنتر ولم يزل فى جد السير إلى أن تضاحى النهار فثار من بين أيديهم غبار الأعداء فامر عشائره بالنزول فى البيداء وقد اعجبه ذلك المكان وقال هذا يصلح للجولان وضربت السرادقات والاعلام والخيام وأركزت البيارق وركبوا ظهور الخيل

وتقدمت السادات والملك سرجوان راكب وقد اشتبكت حوله البطارقة وعلى رأسه الصلبان والرايات وانكشفوا لبعضهم الطائفتين وحققوا بعضهم بعض برأى العين فعند ذلك لم يجدوا الجيشين ثبات لسبب الحقد والكسرات فحملت طائفة الافرنج بقلوب ونيات وعزمات صافيات والتقتها جيوش الملك هرقل بشدتها وأظهرت حدتها وسطوتها فقويت قلوبها بعنتر لأنه سيف نقمتها وشجيع مملكتها واصطدمت الجيشان وتقاتلت الفريقان ورفعت على رؤسهم الصلبان وضجت القسس والرهبان من كل جانب ومكان وأجرت الأرض بالدماء وفارت كالغدران تقابضت الرجال باللحا وتعلت الفرسان فما كنت ترى فى ذلك اليوم إلا رأس طائر ودماء فائر وحصان بصحابه غائر وشيخ مطروح وغلام مذبوح وفارس مجروح وفؤاد مقروح ودم مسفوح وهذا يغدو ويروح وهذا يبكى على نفسه وينوح هذا وعنتر قد اخرق الصفوف واورد الافرنج موارد الحتوف وطير بضرباته الجماجم والقحوف وطلب عنتر الملك سرجوان والرايات والاعلام عكوف وشيبوب بين يديه والخذروف وهم يرمون الاعداء بالنبال ويصيبون بها لبات الرجال ويحامون عن الابجر يمينا وشمال وعنتر طالب العلم الاخضر والصليب الجوهر ليقتل حامله وينال ماهو مؤمله وكان هذا وأى شيبوب فارتفعت عليهم الاصوات إلى العنان وخروا للاذقان وأشاروا إليه الافرنج بالدعاء والتبجيل والقوم يضجون من كل جانب وحملت الكتائب وتكردست المواكب وعزت المطالب وقاتل الملك سرجوان وقتل الابطال وجندل الفرسان وقد دارت به القسوس والرهبان والشمامسة والمطران والبخور قد عقد كالدخان بتلاوة الانجيل والتوراة ولم يزالوا سائرين سير هادىء قليل حتى جاء البطريق وقرب القربان وتوجل إلى الملك سرجوان وملس على رأسه وصلى عليه صلاة الموت وتلا عليه من الانجيل بعد ما بخره بقطعة من رجيعة صغيرة وبخره ثلاث مرات ونهاه ذلك اليوم عن القتال وأمره بتبطل الحرب النزال فاجابه إلى ذلك وسمع منه المقال وافترق الخلق بعد ماوقع الانفصال ورجع عنتر وقد نما غيظه وزاد بسبب أنه ما نال مراده ولا شفى له فؤاده وشيبوب يهون عليه الأمور وعشائر الملك هرقل نزلت ودارت من حوله من كل مكان والمقسس قد نفرت ودقت نواقيسها وتلت تقديسها فقال عنتر الشيبوب ويلك يا ابن الام اخبرنى عن اصحابنا وما جرى على عشائر الافرنج مع الروم فقال يا ابا الفوارس قد عزم البترق أن يصلى عليهم صلاة الموت الميشوم لأنها صلاة قد اخترعها آباؤهم وهم متبعين ذلك الفعل المذموم فقال عنتر ويلك من يصلى عليهم صلاة الموت الميشوم ما يرجع يفلح ولا يقوم وحق والذى ملكه يدوم وما اظنه عليهم صلاة ميشوم على الافرنج لاعلى الروم أذل الله سبالهم على قبيح فعالهم (قال الراوى) ولم يزالوا فى الخيام وتناول

الطعام حتى أقبل عليهم الظلام وقد عزموا على المنام وقد أضرموا الفريقين النيران إلى وقت الصباح فلما أضاء الفجر ولاح ركبت الابطال الجرد القداح وأشهروا فى أيديهم الصفاح وتفاخروا فى لبس السلاح ومدوا عوالى الرماح وطلبوا الحرب والكفاح فاختلطت العشائر وارتفعت الغبائر وتقابلت الفرسان والجنود وصار الغبار مثل الرواق الممدود وتصادمت الافرنج والعلوج والروم قد حملت من كل فج وأظهرت العجائب وطعنت فى الصدور والجوائب وغاصت الاسنة فى الاحشاء والترائب وكلت الزنود والسواعد والمناكب وقاتلت الافرنج ذلك اليوم قتال من كره طول الاعمار وحمل القتال إلى أن صار نصف النهار وعنتر يجول فيهم عرضا وطولا وإذا به التقى ببطريق الملك سرجوان فى وسط المعمعة يجول ويحرض أصحابه على القتال فحمل عليه عنتر حملة أسد قسور ليث غضنفر ووقع بينهم ضرب يعمى البصر ويحير النظر حتى حل بالبطريق العبر والعب والخذلان والضجر فعندها صاح عنتر عليه صيحة هائلة وزعق عليه بصوت يفزع الأموات وحمل عليه حملة رجل جبار وطعنه بالرمح فى جانبه الايسر أطلع السنان يلمع من جانبه الأيمن فال عن الجواد كأنه طود من الاطواد وصار يخبط على المهاد (قال الراوى) ولما نظرت إليه الافرنج وهو قتيل وعلى وجه الأرض جديل ماجت عند ذلك وأضطربت وعلى وجوهها صلبت وانطبقت على عنتر بن شداد واقتحمت وعليه هجمت وقد بطل المجال وجرى الدم وسال وحل بالجميع الوبال وزادت نيران الحرب اشتعال وكان حطبها أجساد الرجال والرماح وسرارها بريق السيوف الصقال ودخانها عبار المجال وقد انعقد لضيق المجال وما معه أسنة تسبق الاجال قال الراوى وأنه ما جلا ذلك اليوم غبار وأجرى الدماء كالغيث الهطال إلا أبا الفوارس عنتر الريبال لانه أعطى بذلك النهار السيف حقه والرمح صدقه ولم يزل الطعن فى صدور الافرنج بالسنان وجندل الابطال فى وسط المجال وقد حير بفعله عقول الرجال حتى قربت الشمس على الزوال وقد افترقت الطائفتين عن القتال وقد تحارسوا الفريقان وأوقدوا النيران وصاروا الافرنج يشكون حالهم إلى الملك سرجوان ابن الملك الليلمان أن وقد صاروا حيازى مما حل بهم من الخسارة فلرار سرجوان بعدم بالنصر على أعدائهم لأنه عند الصباح يبرز إلى الميدان ويقتل عنتر الجحجاح ويأخذ منه بالثار ويكشف عنهم العار وشكره البطارقة والقسس والرهبان وعلقوا عليه ثلاثة صلبان الواحد من الذهب الوهاج والثانى من خاص العاج والثالث مرصع بالدر والجواهر لم يوجد مثله عند قيصر وقد صلوا عليه صلاة الموت وداروا عليه القسس والرهبان من كل جانب ومكان وصاروا يبخروه ويقرؤا عليه البدس الاكبر وكل ذلك خوفا من أبا الفوارس عنتر وهم يتلون الانجيل وما زالوا على ذلك الرواح حتى أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح

فعند ذلك ركبت الفرسان على الجرد القداح واعتقلوا بعوامل الرماح وتقلدوا بالبيض الصفاح واصطفت الفريقان ورتبوا جيوشهم يمينا وشمال فعند ذلك خرج من عشائر الافرنج فارس على الحديد غاطس وعليه زرديه تردأسباب المنيه بالذهب مطليه وهو راكب على جواد أشهب إذا صهل كاد أن يتكلم وله غرة كالدرهم فعند ذلك صال وجال حير عقول الابطال وصير يتقلب على ظهر الجواد وحارت من فعله سائر الاجناد حتى توسط الميدان وصار بين الصفان ونظرت إليه الطائفتان فأعاذوه والنصارى من نظر الاعيان وقد سأل البراز وطلب الانجاز ونادى بلسان عربى فصيح ولفظ مهذب مليح يا عشائر الروم هل مبارز هل من مناجز من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفا أنا الملك سرجوان بن الملك الليلمان الذى قتل أبى عبدشداد ولا بد أفنيكم وآخذ منكم بالثار وإذا كشف عنى العار فما أتم كلامه حتى برز عنتر إليه وصار قدامه وحمل عليه من غير شعور ولا انظام وتجاولا مع بعضهما فى الاكام وقد احتارت من فعلهما سائر الشجعان وشخصت لها الاعيان ومازالا فى كر وفر حتى بان من سرجوان التقصير وعرف عنتر ذلك منه معرفة خبير وهجم عليه ولاصقه وضايقه وطعنه بالرمح فى صدره خرج السنان يلمع من ظهره فوقع على الارض جديلا معفرا فلما رأت عشائر الافرنج إلى ابن ملكهم سرجوان صار على الارض والكثبان حملت على عنتر حملة رجل واحد وقالوا له شلت أنامك ياولد الزنا وتربية الامة اللخنا وعنتر لا يفهم كلامهم ومال عليهم وحملت من ورائه عشائر الروم فى أوائلهم الملك هرقل بن الملك قيصر فعند ذلك صلبت الافرنج على وجهها ومالت بكليتها ووقع الضرب وقل الخطاب ومازال السيف يعمل والرجال تقتل ونار الحرب تشتعل إلى أن دخل الظلام وتفرقت الافرنج فى هذا اليوم يمينا وشمال وتعجبوا من هذا المرام فلما أقبل عليهم الغيهب شكوا حالهم إلى أرباب المنصب فوقع بينهم الاتفاق ان يرحلوا تحت الغسق ويطلبوا بلد الكافور وقلعة البلور ويتحاربوا قدام المال والعيال وبذلك ينالوا ما يحبون ويختاروه فعندذلك رحلوا من ساعتهم فى وسيع المهاد من خوفهم من ابى الفوارس عنتر بن شداد فلما وصلوا إلى بلد الكافور وقلعة البلور التقاهم كوبرت بن الملك شهرمان وسألهم عن الشأن فعند ذلك أوضحوا له البيان وقالوا له قتل سرجوان ابن الملك الليلمان والذى قتله عبد أسود يسمى عنتر بن شداد فلما سمع كوبرت هذا الامر والعناد أمر العشائر بالخروج خارج البلد ورتب الصفوف وفرق آلات الحرب والسيوف لاجل أن ياخذ ثاره وانكشف عاره وبعد ذلك فى مدة قريبه غير بعيدة طلع عليهم غبار وثار وسد منافس الاقطار وانكشف الغبار عن أبى الروارس عنتر فلما رمقت بعضها بعض الطائفتان أبرز عنتر الخيام وصف عشائره وأجناده وجعل الملك هرقل تحت الرايات وبعد

ذلك برز إلى الميدان وطلب مبارزة الشجعان فما برز إليه أحد بل حملت الافرنج حملة واحدة وكوبرت يطعن الفرسان ويجندل الأقران وايضا عنتر حمل وخاض القسطل وكذلك الملك هرقل والروم قد حملت وما زال الدم يبذل والرجال تقتل وكان ذلك اليوم عنتر أظهر فروسيته وتعجبت الفرسان من فعاله ومراكب الافرنج كانت من أعماله وعملت على الانهزام والحصار من أبي الفوارس عنتر ولولا قدوم الظلام كانت جرت عليهم هذه الاحكام ولما تفرقوا اجتمعت الافرنج على الملك كوبرت بن شهربان وهم فى غاية الذل والهوان فعند ذلك وعدهم كوبرت بأخذ الثار وكشف العار وعند الصباح يبرز لعنتر الكشحان ويسقيه كاس الهوان ولما سمعوا الافرنج ذلك الكلام ثبتوا لتلك الاحكام وما زالوا على ذلك الايضاح حتى طلع الصباح فعند ذلك خرج من عشائر الافرنج فارس بالحديد غاطس راكب على جواد أبيض من الخيل الجياد ونادى لا يبرز لى الا عنتر بن شداد الذى قتل اخوتى وهم سوبرت ويوبرب وخليلجان وقد نشأت عند الملك قيصر برهة من الزمان وعرفتم ما اعطيت عنده من الرفعة وعلو الشأن فليبرز إلى فارسكم الأسود الذى طغى وتمرد (قال الراوى) فما أتم كلامه بذكر عنتر بن شداد حتى أنه قفز بجواده وصار قدامه وقطع عليه كلامه وأخفى غيظه وأظهر ابتسامه ولما رأى حسنه واعتدال قوامه استحى من صدامه وضحك خجلا وسال لعابه لما رأى جماله وحن اليه قلبه وانشد وقد انفرجت عنه الدبلة لما رآه يشبه فى حسنه إلى بنت عمه عبلة فانشد وجعل يقول :

جفانى البكرى منذ جفانى الحبيب ... فدمعى يفيض وقلبى مريب
وطرفى براعى نجوم السماء ... كأنى عليه يجينى رقيبه
وحبى كالبدر فى تمه ... وظبى عزيز وغصن رطيبه
له بالجفون مواضى السهام ... ومقصد ماجئت يرمى الكثيبه
اصاب فؤدى لما رانى ... وماهو فى هجره لى مصيبه
فيامن تكامل فى حسنه ... أجرنى فحالى حال عجيب
وقد سار نحو الفتى الليلمان ... عليك همام عزيز نجيب
فجندلته هاويا فى الثرى ... تهب عليه الصبا بالنجيبه
ترى السيف فى راحتى يجذب ... أقد به الهام قدا عجيبه
فيا وقعة شب فيها الوليد ... إذا ماتداعت لديه النحيبه
أنا اسد الحرب عند الهيجاء ... اذ لاح وسط العجاج القريب
وتنظر لعبس سراة الوغا ... وفعلهم نجم لا تغيب

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من شعره المطبق على كوبرت أسرع من الحام وتقاتلا الاثنان

وتضاربا بالسيفان ومازالا على هذا الشأن إلى أن كلت من كوبرت اليدان وضعفت منه الزندان ونظر منه عنتر حالته وقد ضعفت قوته فصار يترفق به ويلين له العنان ويزحزحه في الميدان ويعف كأنه بعض النسوان ثم طعنه بعد ماخرج من خلف لأنه صرخ فيه أذهله وحيرة وأضجره وأبهره وطلبه طلب شجاع قسور ثم أقلب سنان الرمح إلى ورائه وطعنه كما ذكرنا خلفه فى تلك الفلاة وقد طار من فوق سوجه إلى فوق ثلاثة أذرع وهمز عنتر وخطفه من الهواء التقاه على زندة فاخذه أسير وقاده ذليل حقير وسلمه إلى شيبوب فشده كتاف وبعد ذلك أخذه وأخرجه مع المعممة وهو مشرف على التلاف فعند ذلك ولت الجيوش متفرقين حتى وصلوا إلى البلد وأغلقوا الأبواب وصعدوا إلى الاسوار ونزلت عشائر الملك قيصر وعنتر حول الجزيرة وضربوا خيامهم هذا وعنتر فرحان بتسهيل الأمر إلا أن البلد عشرة أيام وفى ليلة الحادى عشرة أيام وفى ليلة الحادى عشر اخذ عنتر فى ذلك الواسواس حتى ضاقت منه الانفاس لاجل بعده عن الديار فقال له شيبوب ويلك يا ابن الام قدم لى جوادى الابجر فقد زاد على فؤادى الفكر فقدم له جواده وخرج بجرسهم والليل قد بدأ سواده وشيبوب وولده والفكر قد غلب عليه وهو يحدث أخيه فبينهما هما فى الكلام وإذ قد لاح لهما ضوء مصباح وهى نار بعيدة تارة تخفى وتارة تظهر فقال عنتر وذمة العرب الأخيار قد اشتغلت منى الأسرار لرؤيتى هذه النار لأن بلد أعدائنا حصين وها أنت ترى مافيهم من الحذر والسماع ما يغنى عن النظر والنار هذا الوقت تزيل الفكر فقال شيبوب وأى شىء هذا النار ونحن عربة فى هذه الديار ومن حصل أين لك افتكار فقال عنتر يامذلول الشارب نخاف من مكيدة أو حيلة أما تذكر ما جرى لنا فى بلاد اليمن على مياه عراعر وما الذى دبرت لنا الساحرة نسل الفواجر فقال شيبوب وحق الاله القادر الساعة تعرف أن مالك معاند فى هذه البلاد فاصرف هذا الهم عن قلبك فقال عنتر لا شك أن هذه النار لبعض السحرة وقد خفت أن يحصل لنا أمر يغيقنا فسر أنت ياشيبوب بين يدى الآن واطلب النار وأنا لابد لى ما اكشف ما عند هذه النار من الأخبار فعند ذلك سار شيبوب وابنه بين يديه وقد قطعا عليه الكلام وعنتر وراءهما حتى انتهى بهم المسير إلى أجمة مشتبكة بالشجر وقد سار وقت السحر فاذا هو بمرج واسع وذلك المرج قد فتح فيه عيون النرجس كأنه مقلة سكن القمر قد اشرق واضاء كما قال فيه الشاعر هذه الأبيات

انظر إليه كزورق من فضة ... قد أشغلته حمولة من عنبر
والروض منتظم النبات كأنه ... حل العقود وذروة كالاصفر
اما غيث قد تقاطر بله ... من لؤلؤ مثل العقيق الأحمر

(قال الراوى) ولم يزل شيبوب وابنه يسعيان فى الشجر وعنتر وراوهما فى الأثر حتى خرج من تلك الأشجار إلى مرج قد أشرفت جنباته وتكاملت صفاته وتمايلت أغصانه وقد فرشت أرضه بالبهار وقد حوى ذلك المرج ماحير الأبصار وفى وسطه نهر جار وعلى جانب النهر قصر عالى البنيان وله باب بمصراعين حديد وشباك ضيق العيون حديد فتقدم عنتر وأخوه إلى جانب النهر وإذا بجسر منصوب فترجل عنتر عن الابجر وربطه بعدما أنشد لسانه بشعره حتى لا يصهل ثم قال لأخيه أعبر يا أخى حتى أكون لك تابع ومحامى ففعل شيبوب ولم يتأخر وتبعه أخيه عنتر وقد حدثته أنه بقى وحده (قال الراوى) ثم أنهم دنوا من الشباك فسمعوا من داخله كلام عربى فصيح وهو يقول وحق المسيح والسيدة ذات الوجه المليح لقد اجتمع على قلبى هم عظيم وأصابنى خطب جسيم فلما سمع عنتر وأخيه ذلك الكلام والخطاب تقدما إلى عند الباب حتى يكشفا الخبر لأجل أن يعلم أن كان المتكلم أنثى أم ذكر وإذا بقائل يقول للمتكلم الأول يا ملكة نحن قد عرفنا أن قلبك مشغول لأجل الملك كوبرت وما جرى عليه من الأعداء فعلم عنتر أن المتكلمة امرأة تجاوبها فقالت لها وحق المسيح ماعندى من أمر الملك كوبرت لاهم ولا غم إلا أن وجدى زائد والهم إلى قلبى وارد وعائق من قبل الملك صافات صاحب جزيرة الواحات لا يغره الطمع فيناويروم أخذ الملك من أيدينا لأنه ملك عظيم وجبار رجيم وحاكم على جزائر وأقاليم من حد الاندلس الجزائر الخاليات إلى مقاطع بحر الظلمات وأما أسر الملك كاوبرت فما جلب لقلبى مضرة ولا آيست منه فى هذه المرة لأنى وحق المسيح قادرة أخلصه من يد قناصه قبل طلوع الفجر وتريه عندى فى داخل هذا القصر فقالت لها مجاوبتها فكيف تقدرين على ذلك وهو الآن فى قبضة هرقل بن الملك قيصر فقالت لها ويلك ومن هو هرقل ومن قيصر هذا حكمه فى يد فارس الحجاز عنتر بن شداد الذى لولاه ما رفعت رايه عل وأسر ابن الملك قيصر هذا وعنتر تحير وزادت به الفكر بما قد سمع وأبصر وكذلك شيبوب الآخر وولدة الخذروف واشتغلت منهم الخواطر وبقى كل منهما غائب غير حاضر إلا أن عنتر قال وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر ما بقيت ابرح من هذا المكان حتى يتضح لى الأمر عيان (قال الراوى) هذا والجارية قالت يا ملكة وهذا عنتر الذى لكوبرت أسره ما هو على دين المسيح وإنما هو رجل بدوى همام يعبد رب الانام ويعظم قدر البيت الحرام الذى يحجون إليه الناس فى كل عام وهو رجل أسود وله قلب أقوى من الجلمد فى صباه عاشق ابنة عمه وهى عبله بنت مالك وقد قاسى فى حبها شدائد وأهوال لأنها بديعة الجمال ومازال بها مستهام حتى بلغ منها المرام ولو أن لى من يوصلنى إليه ويقصنى عليه ويبلغه منى السلام ما أصبح علينا الصباح الا وكوبرت عندى فى هذا المقام فلما سمع شيبوب منها هذا الكلام فزاد به الغرام

وقال لأخيه عنتر البطل الهمام وحق الملك العلام ما بقيت أبرح من هذا المقام حتى أكشف عن باطن هذا الكلام فقال له عنتر أفعل ما بدا لك نجح الله أعمالك وبلغك الله آمالك ثم أن عنتر توارى هو وابن أخيه الخذروف وقلبه على هذا الأمر ملهوف وتقدم شيبوب الغضنفر ونادى بصوته الجهر وقال يا من هي زينة كل محضر فها أنا شيبوب أخو عنتر حملينى رسالتك واكشفي لي ظلامتك حتى أوصلها إليه واقص قصتك عليه فلما سمعت الجوار كلام شيبوب رجفت منهم القلوب وزادت بهم الكروب وسكتوا عن الكلام وقد التجمت كل واحدة منهم بلجام فقالت المتكلمة ويلكم أى شيء هذا الفزع وكيف أخذكم من هذا الصوت الجزع ونحن هنا آمنين وقصرنا عالى حصين ولا علينا لأحد طريق ولا سلم ولا نسلم ثم أنها نادت إلى جارية من بعض الجوار وقالت لها خذي بكفك شمعة وطلى بها من شباك وتأملى بين الأشجار واكشفي لنا الأخبار ولا تخافى من ضرار وانظرى إلى هذا المتكلم ولا تخشى من باس وأبصرى هو من أى الناس فان كان شيبوب أنا أعرفه من بين سائر الأجناد وإن كان الأمر صحيح وأرسله إلى المسيح وأطلع على نيتى وقضى لى حاجتى فان قلبى استريح فعند ذلك أخذت الشمعة بيدها وسارت كما أمرتها ستها والجوار من حولها والملكة من خلفهم والجميع خائفين وفى هذا الأمر متعجبين حتى وصلت الجارية إلى الشباك فنظرت إلى شيبوب الفتاك ولم يأخذها خوفا ولا ارتباك فنادته من أين أنت يا غلام وما سبب قدومك فى هذا الظلام وما قصدك وما مرامك لأنك أزعجتنا بكلامك فوحق المسيح ما لك فينا مطمع ولا لك إلينا مطلع فقال لها يا ستاه لا تخشى ضررا فانا شيبوب أخو عنتر وقد سمعتك فى هذا المحضر تقولين لمن عندك حاضر لو أن لى من يوصل خبرى إلى عنتر فأتيت إليك حتى تحمليني ما تريدى وتبلغى ما تشتهى فلما سمعت الجارية كلام شيبوب زالت عنها جميع الكروب وتقدمت إلى عند الشباك بسرعة وقالت لجاريتها هاتى ناولينى الشمعة حتى أنظر ما جرى وأفعل على قدر ما أرى ثم أن الجارية قدمت عليها وناولتها الشمعة التى كانت فى يدها فلما صارت فى يدها قوت على ذلك قلبها وفى عاجل الحال طلت وباعينها تاملت وإلى شيبوب قد نظرت فعرفته جيد المعرفـــة وهو على تلك الصفة ثم أنهـــا التفتت لجوارها وقالت لهم وحق المسيح والزنار أن هذا هو شيبوب العيار أخو ذلك الفارس الكرار ثم أنها نادت برفيع صوتها أيها الأسد القسور اكشف لنا عن صحة الخبر وانبئنا عن ولدك الخذروف وعن أخيك الامير عنتر وأقدم إلى ههنا يا ولد الزنا وأزل عن قلبنا الهم والعنا فقال لها شيبوب بعد أن تحير وزادت به الفكر يا وجه القمر أى شيء هذه الالفاظ المفرقة وانى أراك عارفة بنا جيد المعرفة فمن أين لك هذه الصفة فقالت له يا ويلك أخباركم عندى من مدة أعوام فدع عنك كثيرة الكلام وأتنى بعنتر إلى هذا المقام فقال لها

شيبوب يا ابنة السادات الأمجاد وحق من بسط المهاد ورفع السماء بلا عماد ها هو معى حاضر وإلى كلامك سامع وإلى وجهك ناظر فقولى ما شئت فانه يبلغك مرادك ويقهر اعاديكى وحسادك ثم أن شيبوب نادى يا ابن الام إذن منا وبادر واسمع ما تقول هذه الجارية بنت الاكابر من تلك الاخبار التى تذهل النواظر وتحير الخواطر وتبقى مثلا بين البوادى والحواضر فعند ذلك نادت الجارية يا أبا الفوارس بحياة عينين عبلة أجب أخاك وادن منى حتى أراك فعند ذلك أقبل عنتر وهو متيم ولما أتى إليها حياها وعليها وسلم قال لها وحق البيت الحرام وزمزم والمقام ما كانت هذه الجارية إلا خليلتى مريم التى هى بدر التمام فقالت له بلى وحق المسيح المعظم فقال لها عنتر ومن أوصلك إلى هذه الديار وجاء بك إلى جزائر البحار فقالت له حديثى عجيب وأمرى مطرب غريب وأن كنت تريد سماعة فامنن على بطلعتك وشرفنى فى هذه الساعة بنقل أقدامك حتى أننى أفتح لك الباب وأشرح لك سائر الامور والأسباب فقال لها عنتر أما الذمام فانت فى ذمامى وجميع من عندك لاجلك وأيضاً أهل الجزيرة كلهم فى أمان من حسامى الضامى فالك على من حق الصحبة والجود والكرم النامى وأمادخو لمن خلف هذا الجدار فيكون ذلك عند اقبال النهار (قال الراوى) فعند ذلك قالت الجارية يا أبا الفوارس أنا آتى اليك وأقبل يديك وأقص قصتى وما جرى لى عليك ثم أنها نزلت وفتحت الاقفال لما انتهت فى الكلام والمقال ثم تقدمت وقالت له أيها البطل الهمام نحن على العهد والذمام فقال لها عنتر وحق البيت الحرام وزمزم والمقام وذمة العرب الكرام لكى ولكل من معكى الذمام (قال الراوى) فلما سمعت الجارية من الامير عنتر هذه الاقسام خرجت معها الشمع والخدام إلى أن وقفت قدامه بعدما أبدت السلام وقبلت أقدامه ثم أنها أخذت الامير عنتر وسارت به إلى جانب النهر وجلست هى وإياه على روضة من رياض الزهر ووقف شيبوب والخذروف وأشهر كل واحد منهما فى يده خنجر اخوفا عليه من طارق وفى دون ساعة أحضر من الطعام شىء كثير وأتوا به الجوار والخدام وقدموه بين يدى عنتر البطل الهمام والأسد الضرغام فاكلا منه الكفايه وشربا بعده المدام وشيبوب والخذروف قيام ثم أن الجارية مريم ابتدأت تحدث أبا الفوارس عنتر وكيف كان أمرها وما جرى عليها من الأمر المنكر من قبل عنتر وكيف أخذها كوبرت ونزل بها البحر وجد فى المسير وما جرى من الأول إلى الاخر هذا وعنتر وشيبوب اليها باهتين ومن حديثها متعجبين وقد حدثته أيضاً أن كوبرت هو اليوم صاحب جزيرة الكافور وقلعة البلور وهو يا مولاى عندك أسير وهو ذليل حقير قال الراوى فلما سمع الامير عنتر كلامها طيب قلبها ووعدها باطلاقة وبات عندها بالافراح إلى أن أصبح الله بالصباح فنهضت عند ذلك مريم وقالت أنى أريد منك ما وعدتنى به من المسير قبل طلوع الفجر وتدخل معى القصر لازلت فى سعادة

ونصر فاجابها عنتر وقد أمر شيبوب بالعبور فقال له وحق الرب الغفور الذى عرفنا الايام والشهور وخلق الظلام والنور ما أخاطر بروحى وادخل خلف هذا الصور وأنا غريب من هذه الديار ولا أعرف أى شيء يجرى لى من الأمور فعندها قالت مريم لما سمعت هذا الكلام ادخل ياشيبوب إلى خلف الجدار فوحق دين المسيح والزنار ماينالك منا إلا ماتحب وتختار (قال الراوى) فعندذلك صاح فيه عنتر وقال له ادخل يانسل الأشرار ولا يكون عندك خوف ولا أحرار فعبر شيبوب معهم على مضض حتى ساروا داخل القصر خلف الجدران فنظروا إلى قصر مشيد نزهة لمن يراه وفيه برج عال غريب ونظروا إلى ستر عجيب ومن خلف تلك الستر من غرائب التصاوير من كل صورة غريب وقد رأوا من الشبابيك بستان فيه شقائق النعمان ونرجس وسوسان وفيه من كل فاكهة زوجان وفيه من غرائب الازهار وقد صفت فى جنباته ألوان الجلنار وهو نزهة للنظار وقد حوى من نرجس وياسمين ومن التفاح والرمان والعنب والجوز ومن السفرجل والخوخ ومن شجر اللوز والمشمش وغيره من الأقحوان وقد أنبع من الخضرة ألون والاترنج قد حان عليه الحول ونزهة الزمان وابتهج القرنفل والمنثور لما أشرفت عليه الأشجار وهذا مما يطول شرحه وقد اختصرنا فى وصف هذا البستان وهو كما قال فيه الشاعر هذه الأبيات :

جاء الربيع يقوده أشجارى ... واستبشرت فرحا به الأطيار
غنى الحمام مطربا فكانما ... دارت عليهن سائر الازهار
ورد وزهر قد يلوح ونرجس ... وبنفسج وشقائق وبهار
فكان أخضر الربيع زمردا ... وكان أصفره البديع نضار
ياصاحبى قل الملامة وأقتصر ... عنى فما يحسن بى الاقتصار

(قال الراوى) وذلك القصر واسع الفنا عالى البنا كانه قد سبك من اللجين تحير فى وصفه كل عين وعلى ذلك القصر تماثيل وأفنان له تاويل والمسرات به مجتمعة والأنوار به لامعة وهى عليه مشعشعة وطيور الهنا عليه حائمة وقد كتب عليه فيه قائمة هذه الأبيات

دام بك العز والاقبال يادار ... معزوزة فى فنون الايك أطيار
دمت بالعز والافضال فى دعة ... مامال نجم بأفق الجو سيار

(قال الراوى) هذا وخيام العز عليه خيمة وأصناف الطيور باختلاف اللغات على أركانه مترجمة وبغرائب جوهر الكلام معربة ومعجمة وفى ذلك المكان أيوان وعليه سدة منصوبة عالية مرفوعة فعندذلك تقدمت مريم إلى الأمير عنتر وأمرته بالجلوس على تلك السدة من غير حذر وقد حار مما عاين وأبصر ومارأى مثلها عند كسرى وقيصر إلا أن ما استقر

به المقام حتى أحضرت بين يديه مائدة من الطعام بصحف من الياقوت الأحمر مرصعة بفصوص من الجوهر ولما مريم أحضرت الطعام وصار قدام عنتر قامت قائمة على الأقدام وأنزلت الموائد من رؤس الخدام وقد شدت فى وسطها زنار من الابريسم الاخضر والأحمر ثم أنها قدمت المائدة قدام عنتر ولما قدمت المائدة وتلك النعمة تاخرت ووقفت فوق رأس عنتر لاجل الخدمة هى والجوار فقال لها عنتر لا وحق من أظلم الليل وأشرق النهار بل أنك تجلسين وتاكلين معنا الطعام وإلا فما لنا حاجة فى هذا الاكرام الذى فعلتيه معنا على التمام (قال الراوى) فلما سمعت مريم من عنتر ذلك الكلام أقبلت وقد بدأت الابتسام ولما هم عنتر أن يأكل من ذلك الطعام صرخ به الخذروف الايا ابن شداد احذر أن تتقرب إلى هذا الطعام فقال له عنتر ويلك يا ابن الاخ أى شىء سبب هذا الخوف من الطعام فقال له يا عم فيه من بعض السموم القاتلات فقال عنتر لأى شىء ما حصل لنا ذلك الأوهام عندما كلنا البارحة الطعام فقال الخذروف طعام البارحة انه كان قد أعد لهم ولا كان لهم علم أننا نحن إليهم واردين ولا عليهم قادمين والان قد عرفوا أننا معهم فى القصر حاضرين فاتونا بهذا الطعام عن يقين فعند ذلك قال عنتر لله درك يا خذروف أنت احذر من شيبوب أبيك وأخبر منه (قال الراوى) فلما سمعت مريم من الخذروف ذلك الكلام تغير وجهها وقالت لعنتر يا فارس الاقطار أنا أقسم بالسيدة أم النور والمسيح الذى ما ولد من أب مذكور ما أنت فى قلبي إلا أجل المرور فاترك عنك ما تخفى الصدور وأعلم أنى ما نويت لك أمرا من الامور وحق ما فى الانجيل من التحريم والتحليل ما أشغلت لك هذا الطعام ثم أنها مدت يدها إلى سائر الصحف وكانت من الفضة مطلية بالذهب الأحمر مرصعة بالفيروز الأخضر ثم أنها جاءت تاخذ من كل أناء غرفة وجمعت ذلك كله فى إناء واحد وبادرت إلى اكله جميعه ثم أنها طيبت خاطره وقالت له دونك يا فارس الجلاد والزاد وازل ما فى قلبك من الهم والانكاد فعند ذلك مد يده عنتر إلى الطعام وقد زال عنه الوسواس والاوهام وكذلك اخاه شيبوب والخذروف ولده أكلوا من ذلك الطعام ولم يخشوا خوفا فلما اكتفوا ارتفعت موائد الطعام والانعام وغسلوا أياديهم من الزاد قال الراوى ثم أن مريم أمرت جوارها باحضار المدام والكاسات والاباريق وقد روقت الخمر العتيق الذى له سنين وأعوام وقد فعلت معهم فى المدام كما فعلت و بعد شرابها ملات الكاس وقدمته إلى عنتر فتناوله منها وقد شربه وتناوله من يدها وكذلك شيبوب وولده الخذروف وهم قدام عنتر جلوس ولم يزل عنتر يشرب من المدام إلى أن شرب ما أحضرته على التمام ولما تحكمت معه الخمرة قلبه فى ذلك المقام وأعجبه ذلك الوقت شرب المدام ولما علمت مريم منه ذلك أمرت الجوار باحضار الملاهى فى ذلك المقام فاتوها بما طلبت وقد غنت وقد الجوار بصوت شجى وألحان فداخلهم الطرب والهيمان فخيل لهم أنهم فى منام هذا وقد دارت عليهم الاقداح

بالسرور والافراح وأن عنتر بهذا الحال فرحان مسرور وقد هانت عنده سائر الامور وهو يتناول كاسات الخمور وقال الراوى ولما نظر شيبوب إلى أخيه عنتر وقد أسرف فى الشراب وزاد به السرور وصار من كثرة الشراب عادم الصواب وما بقى بقدر على رد الجواب ولا القيام والذهاب ناداه يا ابن الامتان على نفسك ولا تملا من الخمر جوفك وأنت فى بلاد عدوك وكان شيبوب خائف من مكيدة تصل إليهم وعينيه تدور فى القصر يمينا لشمال وحذرا على أخيه خوفا من الوبال هذا وقد عرفت مريم منه ماهو فيه فارسلت بعض تلك الجوار وكلمتها بلغتها فى الحال من غير أن يفهم عنتر وشيبوب فمضت الجارية وغابت قليل وعادت ومعها حق من الذهب الاحمر عليه قفل من الفضة البيضاء الحجر فاخذت مريم الحق وفتحته وأخرجت منه ثلاث خرزات كبار كل واحدة كانها بيضة اليمام وقالت له يا أبا الفوارس اعلم أنك ما بقيت تلتذ عندنا بطعام ولا تشرب مدام ما بقى الوهم الذى دخل على قلبك من كلام الخذروف لكن خذ هذه الخرزة واعلم أن لها منفعة ولا عنه الملوك مثلها ولا يوجد عند السلاطين شكلها وذلك وإنها كانت فى يدك وحضر طعام عندك وتوهمت أنه مسموم فهذه الخرزة تدور فى يدك ثم إنها تعرق ويسيل منها ما يتقاطر فتعرف من ذلك أن الطعام مشغول يعمى النواظر وإذا بقيت على حالها فاعلم أنه غير مشغول فكل منه وأنت طيب الخاطر (قال الراوى) فلما سمع عنتر من مريم هذا الكلام زال عنه الشك والاوهام وقد شكر مريم وأثنى عليها وحياها فى ذلك المقام ثم إنها بعد ذلك أتت بشريط من الذهب وضعته فى الخرزة وقالت لعنتر لا تدع هذه الخرزه من عنقك لا فى سفر ولا فى حضر ففرح عنتر بذلك فرحا شديدا فاخذها منها ووضعها فى الجيد وقد أعطت الخرزة الثانية إلى الخذروف فرفعها فى عنقه من غير فزع ولا خوف ثم إنها وضعت الثالثه فى الحق وقفلت عليها القفل كما كان فقال لها شيبوب يا مولاتى لم لا أعطيتنى الخرزة الثالثة حتى أكون أنا الآخرة فى أمان فقالت له أنت وولدك واحد وأنك يا شيبوب ما يخاف عليك من الحدثان لانك شيطان فى صورة إنسان (قال الراوى) ثم إنهم عادوا إلى ما كانوا عليه من تناول الاقداح واللعب واللهو والإنشراح والمحادثة والطرب والمزاح إلى أن كان آخر النهار طلب منها الامير عنتر الإذن فى الإنفساح والمسير إلى العشائر بعد ما قال لها ياست الملاح اعلمى بان الملك هرقل بن الملك قيصر الساعة من أجلى هموم واتراح لان ما عنده عنى خبر ولا علم بمسيرى لهذا المرج الاخضر وأنا خائف عليه أن يبقى على قلق وهو فى انتظار وقد عولت على المسير اليه والقدوم فى هذه الساعة عليه وإنى أريد من إحسانك أن تنعمى لى بالمسير فى هذا الوقت والساعة فقالت له مريم وقد نهضت على الاقدام أفارس بنى عبس الكرام اعلم أن حق الضيافة ثلاثة أيام فلاشىء كرهت عندنا المقام فقال لها عنتر وحق البيت الحرام وزمزم

المقام وخالق الضياء والظلام إنى أعود إليك عن قريب إن شاء رب الانام ويكون بعد ذلك عندك المقام أكثر من عشرة أيام (قال الراوى) ثم إن عنتر بعد ذلك الكلام أمر أخيه شيبوب أن يقدم إليه الجواد فقدم له الابجر عن غير ملام فوثب على ظهره وساق الجواد باهتمام وشيبوب وولده الخذووف بين يديه كأنهما فروخ النعام هذا ومريم حواليه لأجل علو قدره والشان ولما خرج من ذلك المكان وأبعد عن البستان ووقف وأمر مريم بالرجوع فقالت له يا هل ترى لهذا الفراق رجوع واهتمام عن قريب وتلاقى فى الرجوع فقال لها أى وحق رافع السموات غدا يكون ههنا اجتماعنا على هذه الزهورات فعند ذلك غمضت عينيها وفتحتها وأشارت إليه مودعة بدموع غزار وهى تقول صلوا على طه الرسول :

سر فى أمان الله يا من يرتجى ... وأجل من ركب الجواد وإسرجا
فالقلب من بعد الفراق معذب ... والنار تشعل فى الحشا متاججا
أنت الذى نرجى لكل ملمة ... أنت المفرج هم كل قلب مزعجا
أنت الهنا أنت المنا أنت السخا ... أنت الرجا والمرتجى والمرهقا
فلئن رحلت فانت غير دموع ... ولئن رجعت لنا أنا لك مرتجى

(قال الراوى) فلما فرغت مريم من شعرها وسمع عنتر من مقالها وقد نظر إلى تغيير أحوالها وضمها إلى صدرة ووعدها بسرعة العودة إليها وخلاص الملك كوبرت وفكاكه من الاسر والاعتقال ثم إنه سار شيبوب بين يديه وهو أخف من النسيم إذا سرى وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى العشائر ودخل على هرقل بن قيصر فلما رآه فرح به واستبشر وقام له على الاقدام وأجلسه بجانبه وسأله عن حاله وما كان سبب غربته فحدثه عنتر بقصته من وقت مسيرة إلى حين عودته وأخبره أيضا بحديث الجارية مريم وما فعلت فى حقه من الكرامه والنعم وما منها من الاحكام وما أودها من الابرام (قال الراوى) فلما سمع الملك هرقل من عنتر هذا الكلام زاد به الفرح والابتسام وقال له يا فارس عبس الكرام كيف طاب لك عنا المقام هنا عيش وطعام ولعب وشرب وطرب وشرب مدام وأنا ما كنت معك فى ذلك المقام فقال له عنتر يا مولاى وحق البيت الحرام ومنى وزمزم والمقام وما لك فى عنتر من الاكرام والانعام وما شربت قد حامن المدام إلا وشخصك فى ضميرى من دون الانام فقال له الملك هرقل يا حامية عبس وحق المسيح الذى أتى من غير بشر أنك شوقتنى إلى هذا القصر وحسنه والمرج الاخضر والنظر إلى تلك الجارية مريم فقال له عنتر وقد تبسم اعلم يا مولاى بان الجارية قد أخذت على العهد والميثاق إنى لا أتاخر عنها ولا أتعاق فقال له الملك هرقل وحق المسيح لابد لى من السير فى صحبتك وأكون شريكك فى لذتك فقال له عنتر يا مولاى هذا من أسعد أيامى إذا سار مثلك أمامى (قال الراوى) ثم إن عنتر

تمض وقد طلب المنام وهرقل قد زاد له فى الاكرام وباتوا فى هناء وأفراح حتى ابتلج ضوء الصباح فركب الملك هرقل وهو زائد الأفراح وطلب خيام عنتر ودخل عليه وأبدأه بالسلام فزاده عنتر تحية وإكرام وجلسوا يتحادثون فيما يرام ولما انبسطا فى الكلام قال له الملك هرقل يا أبا الفوارس البارحه ماذقت منام بما حصل عندى من الأوهام فما تعول بنا على الرواح حتى تغتنم السرور والأفراح فأجابه عنتر إلى ما يقول وقد قاموا وركبوا على الخيول وتقلدوا بالنصول وقد أظهروا للعشائر أنهم سائرين يكشفون لهم الأخبار ثم أنهم ساروا على حالة الانفراد من العشائر والأجناد هذا وشيبوب والخذروف بين أيديهم سائرين إلى أن وصلوا إلى قريب المرج المتقدم ذكره ورأوه رأى العين فأرسل عنتر شيبوب والخذروف فساروا إلى أن وصلوا إلى المرج والقصر ولما رأتهم الجارية استدعت بالخذروف وقالت له أعلمنى ما الخبر فقال لها قد وصل عمى عنتر ومعه الملك هرقل بن الملك قيصر وهم نزول على المرج الأخضر (قال الراوى) فلما سمعت الجارية مريم من الخذروف ذلك القول تبسمت وقالت له دعهم يأتوا على الرحب والسعة والكرامة والدعة فعند ذلك رجع الخذروف وجد عنتر قارب المرج فأعلمه بذلك فساروا إلى أن وصلوا إلى الروضة والشجر فعند ذلك تلقتهم مريم بالأفراح وقد جلسوا عندها فى تلك البطاح وقد انبسطوا فى الحديث والكلام ثم أنها غمزت الجوار أن يمضوا ويهيئوا الطعام ويفرشوا المقامات ويحضروا المدام فمضوا الجوار وجلست هى وإياهم ساعة من النها وإذا بالجوار قد أتوا إليها وأخبروها أنهم قضوا الأشغال فعند ذلك نهضت مريم قائمة على الأقدام وقالت أنعموا لنا يا موالينا إلى مكان أعدته لكم ولخدمتكم حتى نتشرف برؤيتكم فعندها نهض عنتر هو والملك هرقل بن قيصر بين الشجر وجوذا الملك هرقل مع الخذروف وشيبوب يقودجوادأخيه عنتر ومازالوا سائرين حتى خرجوا من تلك المكان وهذا البستان الأخضر وقد كسى بالزهروات والأثمار شىء تحير فيه الفكر والجارية إلى جانبهم تمشى قدميها وجوارها بين يديها ومازالوا سائرون حتى لاح لهم فى ذلك المكان قلعة عاليه البناء مشيدة الأركان لا يعلوها الطير الطائر ويعجز عن إدراكها الناظر صخرها أنعم من الأجوان وهو لو العقيق والمرجان والماء من تحتها يشفى النفوس ويزيل عن قلب الصب العكوس فلما نظر عنتر إلى ذلك المكان البديع والبناء الرفيع وسار طالبها وعنتر ينشد ويقول هذه الأبيات :

عليها الظل ممدود السرادق   والزهر مفروش النمارق

أشجارها وأثمارها   وقطوفها مثل اليخانق

والزهر قد نشرت على   وجناته إظرف الشقائق

مرجا يزيل به الشقا ... لحسن أنواع الحقائـــق
قـــد . غردت أطيـــاره ... فى نغمة تحيي الخـــلائق
مــا بين قمرى يصيح ... قد أمنت خطف البواشق
بلابـــل قـــد بلبلت ... الحانهن لكــل عاشـــق
والأقحـــوان غصـــونــه ... بين السوالف والمفــارق
وموارد الأمـطار قـــد ... كحلت بها عين الحدائق
والقلعــة العليــا حــكت ... علو السماء على الخلائق

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات تقدمت إليه الجارية مريم وقبلت يديه وشكرته على هذه الصفات وقالت لله درك يا أبا الفوارس فما أفصح لسانك وأنفذ سنانك واطلق عنانك هذا ولم تزل سائرة بين أيديهم فى ذلك المرج والجدران إلى أن وصلوا إلى آخر ذلك المكان فرأوا فيه دارا عالية فادخلتهم وكانت تلك الدار طيبة المعانى مبشرة لسانها بالامانى موزورة بالسياج والعاج وهى بالذهب الوهاج على ترتيب الحصن بابدان وأبراج وفى وسطها بحر عجاج متلاطم بالأمواج (قال الراوى) وقد اندهل الملك هرقل مما عاينوا وأبصروا من ذلك القصر فقال عنتر لهرقل يا ملك الزمان ما ملك الافرنج إلا ملك عظيم لأنهم أكثرت العالم أموال وأحسنهم أحوال فما حصلوا القصر وقربهم القرار حتى نصبت لكل واحد منهم كرسيا من الذهب الأحمر الوهاج هذا وقد بسطت فى الديار فرش من الحرير ألوان حتى بقى ذلك المكان كأنه روضة من رياض الجنان وصفت أوانى الذهب والفضة وأوقدت مجامر العود والعنبر وما استقر بهم القرار أو المقام حتى أحضروا لهم الطعام على رؤس الخدام فقالت ياموى إذا حضر الطعام بطل الكلام فعند ذلك تقدم كل واحد منهم وأكلوا إلى أن اكتفوا وشالوا أياديهم من الطعام وأمرت الجوارى بعد ذلك باحضار الأوانى والأباريق وأحضرت وهى ملائة من الخمر العتيق الصافى مما عتق فى الزمان وضعته مشايخ القسوس والرهبان وحفظته من إختلاف فصول الزمان وهو يصلح لدفع السقم من الأبدان كما قيل فيه هذه الأبيات .

أدر الكاس أيها القمر الساقى ... وقل هـــذه سلافة خمر
وأحلها فى غلائل من لجين ... يلبس الشاربين ثياب حمر
فهى صفرات فى الكاسات شهبا ... وهى بيضاء فى الكئوس وحمر
تأمل لى واسقنى وقل هاك أنسا ... واعطف راجعا من غير قهرى
مع ندماء وجوهم تشبه البدر ... وقوامهم مشبوهة السمر
فنهبنا خمرا ونظما ونثرا ... ولكل منهما لطائف خصر

خمرة تجعـــل النفوس مكلا   وتزيد العقول جواهر سر
إن فى الكاس لجـــة فى نهر   قـــد طفى نورها مصابيح در
فترى لؤلؤا يسير على المـــاء   يحـــكى اللؤلؤ الذى فى البحر
كل كاس يدور تطلع شمس   منه حتى تغيب فى فم بدر

(قال الراوى) هذا وقد انبسطوا فى الكلام وانتشوا من شرب كاس المدام فقال عنتر يا مريم إنى أريد أن أسألك عن حال فلا تخفيه عنى يا وجه الهلال فقالت له اسأل يا فارس الزمان ويا حامى بنى عبس وعدنان حتى أجيبك بالصدق وأنطق معك بالحق فقال لها عنتر يا مريم إن هذه الجزيرة قد درناها وما خلينا فيها مكان فما وجدنا إلى هذه القلعة من سبيل ولا مكان ولا رأينا فيها مسلك لإنسان إلا إن كان معه دلائل وعرفان فقالت مريم وقد تبسمت من هذا الكلام والشان يا فارس عدنان تصعد فوق هذا الباب الذى فى البستان لأنه سرداب طالع إلى القلعة معقود من فوقه أزج مصنوعة نقر فى الصخر صنعه اليونان الكهنة من قديم الزمان وهو بأدراج عراض صنعت لبلوغ الأغراض يصعد منها الفارس الوثاب لكن هالك سرداب له ثلاثة أبواب فيها مهالك قواتل صنعة الحكماء والعقلاء أولى الألباب فلما سمع كلامها تحير وبقى فى فكر فقال لها عنتر من يوصلنى إلى ذلك يا وجه القمر (قال الراوى) ثم أنهم بعد ذلك الخطاب عادوا إلى ما كانوا عليه وصاروا يتناولون كؤس الشراب فبينما هم على ذلك الايضاح وإذا بالباب المقدم ذكره يتحرك فكان من داخله من يريد أن يفتحه بلا مفتاح فعند ذلك نهض عنتر على قدميه وقد اسودت الدنيا فى عينيه وجذب سيفه وصاح فى أخيه شيبوب وقال له ويلك انهض وقدم الأبجر واسرع وعلى نفسك احذر فنهض شيبوب وأتاه بالأبجر وأسرع فقام عاجلا وقد سار على ظهره هذا وشيبوب وولده الخذروف قد سحبوا الخناجر والسيوف وقبهم هرقل بن الملك قيصر وشيبوب يقول يا ابن الأم أما قلت لك أولادى فزعان وخائف من هؤلاء النسوان فقال له عنتر يا شيبوب سر قدامى ولا تتأخر وتتفرج على قتال لا يبقى ولا يذر ويبقى من بعدى يؤرخ ويذكر ثم أن عنتر نظر إلى الملك هرقل فوجد لونه تغير فقال له يا مولاى تخاف وأنت معك ابن شداد عنتر ثبت جنانك ولا تحذر فوحق الركن والحجر والبيت الحرام المطهر لو خرج من هذا الباب عدد أمه ربيعة ومضر للقيتهم بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرى من تيار البحر إذا ذخر ونثرت جماجمهم نثر أوراق الشجر وأترك دماءهم بسيل مثل هطل المطر وسط هذا المرج الاخضر ولا أترك أحد يصل إليك ببؤس ولا ضرر فشكره هرقل بن قيصر (قال الراوى) هذا ولما رأت الجارية مريم إلى ذلك تغيرت أحوالها وتقطعت أوقامت مسرعة قائمة على أقدامها وسارت إلى نحو عنتر وهى فى أذيالها تتعثر ونادته يا أبا الفوارس ما هذه الفعال وما الذى تغير عليك من

الأحوال أما سبق إلينا منك الذمام عندما أكلت معك الطعام فلاى شىء سللت سيف الحمام فقال لها عنتر وحق البيت الحرام ما أنا إلا مقيم على العهد والذمام لك ولمن عندك من الرفاق إن لم ننظر منك غدر ولا ضيقة صدر فقالت له مريم يا فارس العرب والعجم فوحق المسيح ابن مريم الذى أتى من غير ذكر أنى على العهد مقيمة يا أمير عنتر فقال لها اعلمى أن ما وقع عندى من الارتياب إلا من حيث تحرك هذا الباب فقالت يا أبا الفوارس هذا أمر ما يحصل منه مضره بل يأتيك منه الفرح والمسرة واعلم يا مولاى أن عندنا فى هذه القلعة جوار نهد أبكار وكنت قد وصفت لهن صفاتك فى حال اجتماعك وقد اشتاقوا إلى مشاهدتك فإذا أنعم أذنت لهن بذلك وإلا رجعوا من حيث أتوا وأقم أنت على مسرتك (قال الراوى) فلما سمع كلامها الأمير عنتر سكن ما به من الغيظ والضرر وقال إن كان الأمر على هذا المعنى فأمريهم بالخروج إلى ههنا معنا وبشريهم منا السرور والهنا والمنى ثم أن عنتر أثنى رجله من على ظهر جواده الأبجر وكذلك ابن قيصر وهم يطلبون النظر إلى نحو الباب وإذا به قد فتح وخرج منه عشر بنات نهد أبكار كأنهن الأقمار وفى أوساطهن جاريه كأنها البدر بين الكواكب وهى كأنها الشمس الضاحية فى السماء الصاحية قد كسفت حسن الجميع بغرائب جمالها البديع وعلى رأسها تاج ملوكى مكلل بالجواهر لبس ملوك الافرنج وقد شدت وسطها بمنديل أخضر مكلل باللؤلؤ الرطب على ردف كأنه خارج من صور وذلك الجوار عن يمينها وعن يسارها ولما نظر عنتر إلى هذا الجمال طاش عقله وزال لبه هذا والجارية قد أقبلت وهى تمشى فى حلل البهاء والكمال وتنقل أقدامها بتعجيب ودلال والجوار بين يديها وخلفها عند القدوم وهى بينهن كأنها القمر بين النجوم وما زالت تمشى وتتمختر فى ذلك المرج الأخضر حتى قربت من عنتر فلما رآها أندهش وتحير لأنه نظر قمر الا كل الأقمار وكان يغلب ضوء وجهها على ضوء النهار وعلى تلك الجوار الثياب الملونة مقلدين بعقود الجوار المثمنة والكلاليب الذهب بأيديهم يرفعن أذيالها وهى بينهم كأنها البدر إذا بدو ولما وصلت إلى عند الملك هرقل بن قيصر وأبى الفوارس عنتر ولها وجه كأنه البدر التمام إذا انجلى عنه الغمام ثم أنها لما وقفت بين أيديهم سلمت وعلى وجهها صلبت فردوا عليها السلام وزادوا لها فى التحية والاكرام فعندها نهضت إليها الملكة مريم على الأقدام (قال الراوى) ولما حققها عنتر تاه عقله وتحير من حسنها وهام ثم أنها جلست بين السادات الكرام فلأ لها الكاس عنتر من صافى المدام وقد غلب عليه السرور والأفراح وناولها بيده الراح ثم أنشد وجعل يقول :

قلبى إلى من يحب يختاج ودمع عينى كأنه لجج

قال ولما سمعت الجارية من عنتر هذا البيت النفيس قبلت يديه والاقدام وأخذت قدح المدام وجلست إلى جانبه وجوارها بين يديه قيام هذا وعنتر قد حار من حسنها وجمالها وانبهر من

قدها واعتدالها ومن حسن صورتها وبهائها وكمالها وأما الملك هرقل فإنه غاب عن الوجود وبقي حاضرا في صفة مفقود وقد نسي العشائر والجنود ولا يبقى له عقل موجود ثم أن الأمير عنتر أخذ القدح من يدها وملأها ثانى وثالث وهو يناولها وهي تتناول منه وتشرب وهو يلتذ ويطرب وأما الملك هرقل فإنه في محبتها قد هام وغرق في بحور الاوهام وما بقي يقدر يرد كلام وقد انعجم لسانه عن الخطاب والمرام وعنتر يقول للجارية شرفتينا بنقل أقدامك الينا يا بدر التمام وقد صار لك المنة علينا والفضل لدينا والسلام وان هذا اليوم علينا أبرك الأيام (قال الراوى) فلما سمعت الجارية من عنتر هذا الكلام نهضت قائمة على الأقدام وصارت تتمايل كأنها قضيب بان أو غزال عطشان أو حورية خرجت من الجنان وقد غفل عنها رضوان ثم انها تقدمت وخدمت وقالت بلسان عربي فصيح ولفظ مهذب صريح وحق السيده أم النور والمسيح وما أعتقد من الدين القديم الصحيح لقد شرفت بكم الديار ورقينا من السعادة أعظم منار هذا وعنتر قد تعجب من فصاحة لسانها وعذوبة خطابها وبيانها لأن الافرنج وغيرهم من الملوك كانوا يعلمون أولادهم اللغات لأجل هذه الحالات فقال عنتر في نفسه وحق الواحد المنان الذي كل يوم هو شان ولا يشغله شان عن شان ما لهذه الجارية مثيل في هذا الزمان ولا أفصح منها لسان ولا أثبت جنان ثم أنه قال لمريم من يقال لهذه الجارية ست النسوان وما هو أبوها من الملوك والفرسان فقالت له يا فارس الزمان هذه الملكة مريمان بنت الملك اليلمان الذي قتلته في الميدان وهي أخت الملك سرجوان الذي جندلته في حومة الميدان قال فلما سمع عنتر من مريم هذا الكلام وعرف أنها بنت ملك همام وقد علم ما لهذه الجاريه الا الكرامة والانعام فعندذلك نهض اليها قائما على الاقدام وقد زادها في الأعظام وكذلك الملك هرقل ابن الملك قيصر عرف أنها من أهل السيادة والمقام فتقدم اليها وزاد لها في الاكرام وقد غرق في بحر الهوى والهيام وقد تعلق به مرض ما له دوى غير الوصال ولا التمام وبعد ذلك شرعوا في تناول الكاسات من المدام هذا وقد غنت لهم سائر البنات وترنموا بأصواتهم الحنكيات ورفعت الجوار الافرنجيات وقد صفت لهم الأوقات بتناول الكاسات وطيب اللذات وأخذهم الفرح والطرب والمسرات وعنتر قد طاب قلبه وتملى في هذه الاوقات وشرب من صافي العقار البكر المفرحات وهو يصيح من الفرح بلسان العربيات وقلب الملك هرقل قد التهب وقد وقع من حب الجارية في بحار الهوى والعطب قال ولم يزالوا على مثل هذه الحالات إلى أن بقي من النهار ثلاث ساعات فقال عنتر للملك هرقل أيها الملك الهمام ما تعول بنا على المسير من هذا المقام من قبل أن يدركنا الظلام ويغلب علينا السكر فلا نقدر على المسير ولا القيام فقال هذا هو الصواب والرأى الذى لا يعاب ثم إنه الأمير عنتر التفت إلى شيبوب وامره بحضور الخيل ثم قال لمريم بازنية الملاح وكوكب

الصباح عن اذنك نسير ونطلب الرواح فقالت له يا أبا الفوارس الامر فى ذلك اليك وما هنا أحد يتحكم عليك فعند ذلك تقدمت الملكة مريمان إلى عند الملك هرقل وقد سقته من كاسها وشمت فمها بعصابة راسها وقالت له ياملك النصرانية وسيد أهل ماء العمودية بهذا اسبق اليك من السيد المسيح الوصية فى حق الملكة الرعية حتى تخربون بلاد النصرانية وتهلكون ملوكهم بالكلية ولو فعل بنا غيركم هذه الفعال كنا استنصرنا بكم على الضلال وبعد هذا ياملك النصرانية اسألك فى اطلاق الملك كوبرت من الهوان حتى يكون لكم من بعض الغلمان ولا يخرج من حكمك مدى الأزمان فلما سمع الملك هرقل هذا الكلام تقدم إلى عندها وضمها إلى صدره وقبلها بين عينيها وقال لها ياروح الأرواح وحياة اشراق نور وجهك الوضاح وجمالك ياروح الارواح مالى فى اسر كوبرت لا قليل ولا كثير بل أن أمره إلى هذا الفارس الجراد الأمير عنتر بن شداد وأنا لأجلك اسأله فى إطلاقه من أسره ووثاقه فإن أجاب إلى هذا الأمر العسير والاعتذار اليك من قلة الحيلة والقبول من ذلك التقصير (قال الراوى) فلما سمع عنتر من الملك هرقل ذلك الكلام نهض قائما على الأقدام له يامولاى وحق رب البيت الباقى على الدوام الذى لا تدركه الاوهام لو أن فى قبضتى كل من تحت السماء من الرجال الأبطال وسألتينى فيهم كنت أطلقتهم لك من الاعتقال اكراما لك ولهذه الملكة وجه الهلال وصاحبة هذا القوام الميال ثم أنه قال يا ملكة طيبى نفسا وقرى عينا فقد قبلنا سؤالك واجبناك إلى مقالك وغدا يكون الملك كوبرت هنا إن شاء رب الأرض والسماء ثم أنهم ركبوا وساروا وقد ذهبت الملكة مريمان وفى قلبها من الملك هرقل وما بيهما من عاد الاوقد ترك عند صاحبه قلبه والفؤاد وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى العشاء ونزل الملك هرقل فى مضاربه وأجلس إلى جانبه الأمير عنتر (قال الراوى) ولما استقر بهم الجلوس وقد اطابت النفوس قال عنتر لاخيه شيبوب ويلك ائتينا بكوبرت إلى هذا المكان فاكان بأسرع ما حضر بين أيديهم فى ساعة الحال ولما حضر قبل الأرض بين يدى الاثنين وسلم على الملك هرقل وعنتر بافصح لسان واعتذر اليهما من فعله الذى قد كان فقال له الأمير مراد نطلقك فقال كوبرت يافارس عدنان وحاوى قصب الرهان أنا من لا يضيع عنده الاحسان وأنا أقسم بحق مكور الاكوان الذى خلف بين الليل والنهار وبين الملك والاديان أن هذه يدى لك بالوفاء على عمر الدهور والازمان واتخذنى من بعض أصحابك والاخوان حتى اسير فى ركابك أنا وجميع أهل مملكتى وأرباب دولتى وعشيرتى ولا أخرج لك من خلاف وأنت تكون عونى فى أمورى وشدتى (قال الراوى) فلما عنتر من الملك كوبرت هذا المقال علم أنه صادق فى جميع الاحوال فقال له الامير عنتر يا كوبرت اعلم أن هذه المدينة مدينتك وهذه القلعة قلعتك وهى تحت أمرك ونهيك وطاعتك لكن

استحلفك بأعظم الايمان الشداد أن تكون من تحت طاعة الملك قيصر ولا تخرج من حكمه ولا يكون عندك عناد وتحمل إليه الخراج والعداد من سائر الأقاليم والبلاد وإلا وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر ضربتك بهذا الحسام على وريدك طيرت به رأسك من بين كتفيك فقال كوبرت يا أبا الفوارس اذكر اليمين الذى تريده حتى إنى أنطق به من غير تعنيد فقال شيبوب يا ابن الآم أنا الذى أحلفه فقال له عنتر افعل ما بدالك فتقدم فتقدم شيبوب إلى الملك كوبرت وأجلسه فى ساعة الحال وقال له يا ملك احلف ، قل هذه الأقوال وحق الذى أتى من غير ذكر وبيعة قامة والدم المصور والاسلخة البطرق فى عيد الشعانين ولعنت الشمامس والمطران وطحنت لحم الجمال فى بيت قامة وأحرقت من على رأس شلخا الجاثين القمامة وكسر الابريق الذى يجمع فيه البطرق الشخاخ والرجيع وأغضبت مريم وعيسى الحواريين الجميع قال الراوى فلما سمع الملك كوبرت من شيبوب هذه الايمان قال وحق المسيح إن هذه أيمان لا أستطيع اسمعها من إنسان ولا تدخل لى فى آذان فكيف أتغصص واتجرع عليها وأذكرها بلسان لحلفونى بغير هذه الايمان فقال له الملك هرقل وعنتر ما نرضى إلا بهذه الايمان ومازالوا به حتى أنه حلف بتلك الايمان التى ذكرها شيبوب قد صفت منه القلوب فعند ذلك أطلقه عنتر من القيود والوثاق وقد أنعم عليه وجاد له بالاطلاق وأكرمه بعد الاسر والهوان هذا والملك كوبرت قد فرح بما جرى واستبشر وعلى فعالهم حمد وشكر ثم أركبه الملك هرقل على جواد أشقر عال من الخيل مضمر بمركب من الذهب احمر من خيار جنائب أبيه الملك قيصر فركبه كوبرت وسار طالب المرج الاخضر وما عنده مما جرى خبر خبر إلا أنه فرحان بما حصل له من الخلاص والفكاك بعد ما كان فى ضيق الخناق ووقعوة فى الاشراك وما زال يجد المسير إلى أن أتى إلى باب القصر وهو فرحان بالخلاص والنصر وقد فتحت له الأبواب وقد اجتمعت عليه الأهل والأصحاب وعات الضجة من جميع الاقطار بالفرح الكامل والاستبشار هذا ولما جلس الملك كوبرت على سرير مملكته وقص قصته على أرباب دولته وأخبرهم بكل ما جرى له مع عنتر فى حال غيبته ثم إن مريم صارت تحدثه بما جرى لهم من عنتر فى ذلك المكان وكيف قد سالت فيه المملكة مريمان ثم إنه صعد إلى القلعة وأرسل أحضر دولته ومدبرين مملكته ومن يلوذ به من أهله وعشيرته فما كانت إلا ساعة حتى حضروا الجميع من كل جانب ومكان وبصحبتهم البطريق والرهبان والقسوس والبطارق والمطران ولما إن حضر الجميع فى ذلك المحضر عرفهم بالصلح الذى وقع بينه وبين عنتر وقد وقف عليهم الخبر فما منهم إلا من فرح واستبشر وزال عنهم الهم والغم والضرر وفى دون ساعة شاع فى القلعة الخبر وبان الامر وظهر وما زالوا فى سرور وأفراح إلى أن طلعت غرة الصباح ودقت إليه ذلك الكوسات

ونعرت البوقات هذا ولما سمع الملك هرقل وعنتر صوت البوقات والطبول وعرفوا الحال والمامول (قال الراوى) وكان الملك كوبرت قد ركب عند الصباح الخيول الجرد القداح وركب معه سائر الفرسان من أكابر عشيرته والشجعان وخرجت معه القسوس والبطارق والرهبان والمطران وقد أخرج من قدامه الإقامات والعلوفات وسار طالبا الملك هرقل وعنتر ومن معه أكابر الافرنج والملوك والسادات هذا ولما أقبل تلقاه الملك هرقل وعنتر بالرحب والسعة والانعام وأنزلوه فى سرادق الملك هرقل وعنتر بالرحب والسعة والانعام وأنزلوه فى سرادق الملك هرقل والخيام وقد زادوا له فى الاكرام وحبوه باحسن تحية واعظام ثم أحضروا ما راج من الطعام وأكلوا ومدوا أوانى المدام وأقام الملك كوبرت عندهم ذلك اليوم فى أرغد عيش وأهنا مقام ولما كان فى اليوم الثانى نقلهم الملك هرقل إلى القصر وزادهم فى الكرامات وقد صفت لهم الاوقات ونهبوها باللذات عشرة أيام متواليات وبعد ذلك شكا الملك هرقل حب الملكة مريمان إلى عنتر وباح إليه سره والكتمان وهم على خلوه ذلك المكان فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام استدعى بالملك كوبرت فى عاجل الحال فلما استشاره فى الخطبة الجارية والاتصال قال له يامولاى لابد من مشاورتها فى المقال فان رضيت وأجابت كان ذلك عنايه من السيد المسيح وإن أبت فانت لنا صليح قال الراوى ثم إن الملك كوبرت نهض من وقته وساعته وصار إلى أن دخل على الملكة مريمان وشرح لها أمر الزواج من غير حرد ولا انزعاج فكانت هى إلى هذا المقال أشهى من العطشان إلى الماء الزلال فاجابت بالسمع والطاعة وكان عندها من قومها جماعة فخرج من عندها وأتى عنتر وأطلعه على الخبر فنهض عند ذلك الامير عنتر وبشر الملك هرقل بن الملك قيصر بذلك الخبر ففرح واستبشر (قال الراوى) وقد حضر الملك كوبرت فى ذلك المكان وأحضروا البطارق والمطران وأمروا بزواج الملكة مريمان بالملك هرقل بن قيصر مالك عبدة الصلبان فعقدوا من ذلك الوقت عقدة النكاح على قاعدة شريعتهم والايضاح وقد زاد سرورهم والافراح وقد دخلوا عليها فى تلك الليلة من غير مطال وقد شاهد الملك هرقل من اللطافة والحسن والجمال حتى سكر ومال وقد هاج كما تهيج فحول الجمال لانه رأى عنده صورة القمر الزاهر وقد بقيت الملاح عنده مثل الليل العاكر لان خالقها قد أفرغها من قالب الجمال فصار هرقل كانه فى منام أو أضغاث أحلام وهو فى أمور تشرح وأحوال تفرح وفى تناول كاسات المدام وشرب الراح إلى إن أصبح الله بالصباح فخرج الملك هرقل من عند الملكة مريمان وأتى إلى عند الامير عنتر فالفت إلى الجارية مريم التى هى السبب فى هذه النعم وقال لها إسمعينا الساعة شيا من الحانك وحسن لفظك وإنعامك وقد اشتقنا إلى سماع كلامك فعند هادقت الجنكيات ولعبت العيدان ورقصت الجوار

الاوزخيات وزاد وفى الطرب ذلك اليوم وتلك الليلة ثم أن مريم أنفذت عودا محكوك مبرود صنعته أبناء الهنود وحكمت أوتاره ووضعته فى حجرها ومرت عليه بأناملها وتمكنت عليه بجوز نهود صنعة مدبر الوجود . ضربت عليه طرائق حتى حيرت من الحاضرين الافكار وطارت منهم القلوب وغابوا عن الوجود فأنشدت مريم تقول :

شجتك بالتغريب فى تغريدها ... فظنت سعدا كان بعض عبيدها
وكان نغمة صوتها فى فمها ... وكان رقه صوتها فى عودها
ففتت الأكباد من حسن صوتها ... والقد بين قريبها وبعيدها
كات صنائع وصفها فكأنها ... ورثت أصول العلم من داودها
تسبى العقول فصاحة وصباحة ... فيحير بين طريفها وتليدها
من بهجة مكسوبة منسوبة ... تفنى لعين الحاسدين عيونها
وأغار من لثم الكؤس لثغرها ... وأذوب من لمس الحرير لجلدها

(قال الراوى) فلما فرغت الملكة مريم من هذه الألفاظ الحسان طرب كل من كان فى ذلك المكان ثم أنها غيرت الايقاع وأشارت أيضا بهذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات

تحدر أدمع العين من أعين السحب ... وقهقهة صوت الرعد من سحب الحجب
ولاحت بأرجاء السماء بوارق ... من الشرق تبدو تارة ومن الغرب
إلى أن بدا جيش من الصبح مسفرا ... ولاح بأنوار مطرزة الذهب
وغردت الأشجار من فوق فرعها ... فهيج أشواق المحب إلى الحب
وقد أبدت الأرواح نفحات عطرها ... إلينا وقد جاء السرور بذى القرب
فتى مجده من أين يقاس بغيره ... على قمة الجوزاء والمرتقى الصعب
وتفهم من ألفاظه كل نغمة ... تلذ بها الأسماع من منطق عذب
وإن كنت قد قصرت فى وصف مدحه ... فان لسان الحال جوده ينب
فلو كانت الأيام من طيب نشره ... به نشرت بين الترائب والصلب

(قال الراوى) ولما فرغت الجارية مريم من أبياتها دنت من الأمير عنتر وقالت له بسم الله يا فارس العرب من غير سوء الأدب فقال عنتر يا شيبوب قدم الجواد الأبجر فقدمه اليه فركب وسار والملك كوبرت وجميع الجوار مع مريم فى خدمة عنتر والملك هرقل بن قيصر وفى أيدى الجوار الشموع وهى فى مناور من الذهب الأحمر وهو الشمع المكوفر الذى فيه السر وهو إذا انطفت الشمعة من يد الذى يكون ماسكها يهزها فيعود ضوؤها كما كان فى سرعة ولا يتأخر (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا منازلهم بسلام وقد انصرفوا

الجماعة واضطجع عنتر بعد ذلك ونام واختلى الملك هرقل بالملكة مريمان بدر التمام وتمنى أنه لا يفارقها مدى الأيام وقضى ليلته معها بالبوس والعناق والالتثام وقل عنه العنا والسكلام وجرى بينهما العتاب والملام وبعد ذلك دخلوا إلى درا السلام وما أدرى بعد ذلك كيف جرى بينهما من الكلام وعند الصباح أقبل إليه الأمير عنتر وهناه بعرسه وسأله عن ليلته وأنسه فقال له وحق المسيح ما كانت إلا ليلة تعدل الليالى وبهمتك أيها بلغت المرام ففرح عنتر بذلك وقال له يا ملك ما أنا إلا من بعض غلمانك ثم أقبلت إليهم أكابر البلد بالهدايا والتحف وشىء يعجز عنه الواصف إذا وصف ثم أنهم أولموا الولائم عشرة أيام متواليات وهم فى أفراح ومسرات وخلعوا على المقدمين والسادات من أحسن الخام والملابس الملونات وصفت لهم الأوقات فعند ذلك تقدم كوبرت إلى هرقل والأمير عنتر وقال لهم يا موالى هل تنعمون إلى بالصعود إلى القلعة وتتشرفون على ما فيها من الخزائن والأموال والتحف الغوال فأجابوه إلى هذا المقال وقد رأوه تبين الصواب فعندها نهض عنتر وهرقل وأكابر الروم مثل الحجاب والنواب وأصحاب الرأى الصائب وبين أيديهم الغلمان بالسيوف والحراب حتى وصلوا الدار التى خرجت منها الجوار وهو باب من الفولاذ بقنطرة معقوده على عواميد من الرخام معدودة مختلفة الألوان فتقدم كوبرت وقد فتح الباب ودخل قدامهم فى هذا المكان (قال الأصمعى) حدثنى من أدركته فى زمانى عن معمر بن بنى عبس وحكى لى ما سمعه من شيبوب أخو عنتر وقد قال لما فتح الباب وحصلنا من داخله نظرنا إلى درج نقر فى حجر أحمر وهو مرتفع بعضه فوق بعض لا يكاد أن يطوله إنسان إذا كان على ظهر الحصان وبيده رمح من الرماح الطوال وقد بنى سلم عريض قد أحكمتها الصناع وعرض السلم عشرون ذراع وطوله ثلاثون ذراع بالاتساع وقد أحكموه لأجل طلوع الخيل قال شيبوب فسرنا عن يمين الباب مقدار مائتين ذراع فرأينا باب ثانى أعظم من الأول بغاية التركيب وأحسن ولكنه مع هذا التركيب والصناعة المحكمة من خشب القاقلى والقمارى والمسامير من الفضة والذهب وهذا الباب أعجب من كل عجب وهى قد صنعتها الكهان فلما فتح الباب رأينا فارس طويل كأنه من أولاد قابيل وبيده سيف صقيل إذا ضرب جبل هده وهو مائل بكليته إلينا ومقبل بصدره علينا تخيل إلينا أنه إنسان حامل علينا بغير ارتياب عند دخولنا من هذا الباب وهو طويل عريض شجاع وقرم مناع فلله در تلك الصناع الذين أتقنوا تلك الايقاع وهذا الفارس راكب على جواد من أفخر الجياد فصاح أخى عنتر عند نظره إلى كوبرت وقال ما هذا الفارس الواقف فى طريقنا وما له حامل علينا وقصده يعيقنا فقال كوبرت يا أبا الفوارس ما هذا بطل من الأبطال وما هذه إلا صورة من النحاس الاصفر قد أحكمته حكماء اليونان من قبل هذا

الزمان فقال عنتر إذا كان هذا التمثال كيف حمايته لهذا المكان فقال كوبرت اعلم يا أبا الفوارس أو هذا التمثال إذا وصل إليه إنسان يدور بسيفه مثل ريح الشمال فلو صادف سيفه هذا الجبل لقده قطعتين فقال عنتر وحق من لا تراه العين إن هذا التمثال أعجب ما يكون ثم أنه قال لكوبرت تقدم إليه وارجع حتى ينظر ماذا يصنع فسار كوبرت قليل حتى تقرب من الملك وإذا بالتمثال قد دار كالولب وانقض مثل الكواكب فحار عنتر وقد أخذه العجب وقال لكوبرت وأى شىء يكون طلوعنا من هذا المكان وقد حصل لنا مثل هذا الشيطان ووقف لنا فى الطريق ومنعنا عن التوفيق فقال كوبرت أنا أبطل حركته ولا أدعه يتحرك ولا يفعل شيئا من صناعته فقال عنتر أفعل ما بدا لك وأرنا ما تصنع من أعمالك وفرجنا على أفعالك فتقدم كوبرت إلى التمثال ومد يده إلى طاقه بالقرب من هناك ومن داخلها سائر الحركات والأعمال وفى وسط تلك الطاقه درة وفى فم الدرة حلقة موصولة فى طابق من الرخام بصناعة وهندام فتقدم كوبرت ومسك الحلقة وأقام اللوح الرخام فبان من داخل اللوح سلسلة من الذهب الاحمر متصلة بساقية على البحر بقواديس من الفضة الحجر تحمل الماء وتصب فى حيضان من المرمر بمجار من النحاس الأصفر تصب فى مساقى من الرخام الأحمر والأصفر والأبيض وتلك القساقى بوسط القلعة المقدم ذكرها بمجارى أخرى من الرصاص متصلة إلى بستان ملآن من الأزهار النبات والأشجار والنخيل والأثمار وفى جانب تلك السلسلة سلسلة أخرى متصلة بساقية أخرى بقواديس من الذهب تملا من الزئبق متصلة بذلك التمثال المقدم ذكره الذى فى يده هذا الحسام الفصال فاذا دارت الساقية وصبت من الزيبق فتبطل حركة هذا التمثال ويجرى فى هذا المكان فيقوى هذا التمثال على قتال الرجال وإذا أراد إبطاله الذى يعرف بحاله فيتقدم إلى السلسلة ويسحبها ويلتقوا بها الساقية المتقدم ذكرها وتبطل دورانها فيقف الزيبق فتبطل حركة هذا التمثال عبر الملك هرقل وعنتر والجماعة فى أسرع حال صنع كوبرت أما صنع من إبطال حركة التمثال عبر الملك هرقل وعنتر والجماعة فى أسرع حال وكان آخر من عبر شيبوب وولده الخذروف ولماعبروا وتقدم كوبرت وعنتر ينظرون إلى ذلك وإذا به قد عبر إلى طابقة أخرى ورفعها بيده فنزلت تلقى الطابقه المقدم ذكرها وحصلت فى مستقرها فجرى الزيبق فى هذا المكان ودار القتال كما كان هما وعنتر قد انبهر وحار بما عاين وأبصر من تلك الأحوال والصور ثم أنهم بعد ذلك الأمر الذى يذهل العقول قد صعدوا من المراقى إلى باب حديد آخر غير الأول عندها دخلا منه إلى وسط القلعة فنظر عنتر إلى قلعة عالية البناء شاهقه فى الهواء فقال عنتر وحق من خلق الخلائق من الماء وجعل البيت الحرام آمنا وحمى ماهذه المكان إلا قريب عهد من السماء ثم أنه نظر بعد ذلك فرآها مبنية من

الصخر الاحمر مركب حجارتها نقر محكمة بأبراج عالية وسيعة أمينة وأركان عالية منيعة وهي حصينة وكانت هذه القلعة بين مدائن أربع وكانوا إلى ملك من ملوك الافرنج يقال له الملك صافات وكانت كل مدينة منهم حولها أربع جزائر وكانوا هؤلاء الجزائر يقال لها الواحات وما كان أحد من ملوك الافرنج له سبيل وكانت الملك يقال له جنطيانيل ملك الاندلس لانه كان بطل صميدع وكان الملك صافات من تحت أمره ويحمل إليه الخراج والمداد في كل عام وكان الملك صافات أحب ما إليه من هذه المدائن الاربع إلا جزيرة الواحات لانه كان يقيم بها أكثر الاوقات لانه منها خرج وفتح المدائن الاربع فكان أولهم قلعة البلور ورومة المدائن الكبرى التي ما مثلها في سائر القرى ومنها قد اشتهر الاسكندر على سائر الورى وكان فيها قصره الاعظم الذي فيه سائر النعم وكان طوله خمسة فراسخ وعرضه اثنين تحيرت في وصفه الناظرين وكانت أرض القلعة مفروسة بالرخام الاحمر والاصفر وحيطانها من حجارة الرمر ولها أربع صوامع كبار وكان عليها رجال لاجل المنع والحصار فيها بستان قد اجتمع فيه من سائر الاشجار وفيه من غرائب الاثمار والماء يدور فيه دائر يدور من اسفل الاصوار وفيه قصور عاليات وأركانها مشيدات وعلى حيطانها تصاوير ونقوش ترد البصر المدهوش وتشتاق لرؤيتها النفوس وأكثر أشجارها من الفواكه والازهار (قال الراوي) وكان الملك صافات كلما رأى هذه المدينة وما حوت من الاصناف المختلفات ما يهون عليه الخروج منها بل يخشى الكلام من أكابر البلدان يروه بين العجز والهوان فكان يخرج في كل وقت إلى ظهر المدينة وينصب الخيام والسرادقات ويأمر باحضار العشائر من سائر الجهات وقد ذكرنا أن هذه المدائن الاربع تحت حكمه أولهم قلعة البلور والثانيا رومة المدائن الكبرى والثالثة قلعة الصنم والرابعة مدينة كيروبة فلما كان في هذه الايام بلغه خبر قتال الافرنج مع الارورام ومجيء هرقل بن قيصر في هذه العشائر التي لا ترام وكيف أتى معه عنتر بن شداد البطل الهمام وكيف قتل الملك الايذاز وابنه سرجوان وملكوا قلعة البلور وجزائر الكافور وما حوته من البساتين والقصور والاماكن والنهور وبلغه أن الملك كوروت صادقهم بعد الحرب الشديد وصاروا بعد المعاهدة في عيش لذيذ والذي أتى له بالخبر قال احذر على نفسك واجمع العشائر والاجناد من قبل أن يأتيك الملك هرقل والامير عنتر ابن شداد (قال الراوي) فخرج في هذه وجمع العشائر من الخاص والعام وما حوته يده الدساكر والالزام فأقبلت إليه الافرنج هي مثل البحار الزواخر مالها أول من آخر وهي مقبلة إلى طاعته وسائرة إلى خدمته ولما تكاملت الفرسان فاعرضهم عليه فكانوا مائة ألف وسبعين ألفا من الافرنج المجربات وهم راكبون على الخيول العربيات لابسين للدروع والزرد الماديات بأيديهم الحراب الخطيات والقنطاريات والخلنجيات والدرق المركبات

ومتقلدين بالسيوف المشرفيات الهنديات وهم كأنهم السباع الضاريات إذا خرجوا من الغابات وفى سروجهم الدبابيس الأندلسيات وعزم على الرحيل بعد أن استخلف بعده ابن عم له يقال له ميخائيل وترك عنده خمسين ألف بطل من كل فارس نبيل وأمره باليقظة والاحتراز وسار بعد ذلك يطلب جزائر الكافور وهو مثل الأسد المصور فى تلك الساعة وجمع ذلك القسيس الذى أنفذ الملك كوبرت وأخبره بقدوم هذه العشائر كاشر حنا وسمع ذلك عنتر فازور منه البصر وهو ذو بحر فعند ذلك أمر عنتر للملك هرقل بالرحيل فدق كاس التحويل ورحل معهم كوبرت فكان عدة الجيش ثلاثمائة ألف فارس من كل دارع ولابس هذا والأمير عنتر قد سار فى المقدمة على جواده الأبجر معتقل برمحه الأسمر وشيبوب بين يديه وولده الغضنفر والجميع يتقربون بالخدمة إليه فعند ذلك جاش الشعر فى خاطره فأنشد يقول :

تعلق القلب عبلة غير تعليق وأنت معها رهين غير موثوق

(قال الراوى) سار الجيش سيراً عنيفاً ثلاثة أيام حتى أتوا إلى مرج فسيح ومائه يسرح وزهره قد فتح فقال كوبرت لعنتر يا أبا الفوارس انزل بنا فى هذا المكان لأجل راحة الخيل والرجال للحرب (قال الراوى) فأمر العشائر فى ذلك الصحصحان ونزلت العشائر والفرسان ونصبت السرادقات وضربوا المضارب والخيام وقد أقام على أكل طعام وشرب مدام وأراحوا واستراحوا يومين تمام ولما كان فى اليوم الثالث استشوروا فى الكلاب ورحلوا طالبين جزائر الوحات وقد سارت من خلفهم الفرسان والشجعان من سائر الجهات والأمير عنتر سائر فى أول الأبطال وهو مثل الأسد الريبال وقد أخرج من جلباب درعه وهو يهمز همزات الأسد من شدة الغيظ والحرد ولما اتسعت عليه القيعان تذكر الأهل والأوطان والأصحاب والخلان وقد جالت عبلة فى خاطره فباح بما أكنت عليه ضمائره فأنشد يقول .

من حاكم بينى وبين عذولى	الشجو شجوى والنحول نحولى
أصبحت فى بحر الهوى متفرداً	وأنا أخاف عقوبة التعطيل
عجب لقوم لا تلين قلوبهم	لحريق دلبى فى الهوى ونحول
فى أى جارحة أصون حبيبتى	سلمت من التعذيل والتنكيل
إن قلت فى عينى أصون مدامعى	أو قلت فى كبدى ثم عليل
والشيب لما إن سكن فى بمفارق	فعلمت أن نزوله لرحيل
إن كنت تركت الحى لا عزلى	وبدت برأسى حجة التشكيل
حتى إذا ما العين عن اللحظة	أرمى يقاربه عن كل سبيل

شيب تبدى مثل صبح طالع   وفراق أحبابى وقرط نحول
ولقد سريت إلى العـــدا جحفل   قد حصنوا بذوابل ونصول
لى قلبى يحكى العـاج مفضضا   فى غرة فيه وفية تحجيل
يعلو بتحليل اللجام كما زهى   ملك محل الرأس فى التعديل
حتى إذا سمع العداة سهيله   ولوا وقد خابوا بكل سبيل
فرت جيوشهما تجد كأنها   أسد تجد وراء كل هزيل
يا عبلة إنى عاشق فتحكمى   فى مهجتى يا غاية المأمول
يا عبلة ما زال الزمان معاندى   وأنا الحور لزمانه لحول

(قال الراوى) فلما فرغ الأمير عنتر من إنشاده وتربح الملك هرقل بن قيصر على ظهر جواده وحق المسيح ماهده إلا فصاحه وافرة وشجاعة باهره فلله درك يا أبا الفوارس فما لك فى هذا الزمان مقايس ولا منافس لا فى الفصاحة ولا فى البيان ولا أجرأ منك جنان ولا أثبت منك قلب فى الميدان فالله يبلغك آمالك ويصلح صدرك وشأنك وينصرك على كل ما تؤمل من العدى والحسا . فدعا له عنتر وله شكر وترجل إليه وقبل وجنتيه فقبله هرقل بين عينيه ولم يزالا سائرين وهما يقطعان السهول ومكثبان ويتحادثان فيما يقول وما كان (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء . وأما ما كان من أخبار الملك صافات فإنه لما رحل بعشائره والأجناد وخرج من أرضه وبلاده طالب الملك هرقل وعنتر بن شداد وما زال كذلك حتى تقاربت العشائر من بعضها البعض وطلعت عبايرها واسودت منها أقطار الأرض وكان اجتماعهم فى مكان يقال له وادى الاس فعلا منهم الضجيج لأجل اختلاف الأجناس ونعت بوقاتهم مع دق الكؤسات فهربت الوحوش من الغابات وارتجت سائر الجبات ولمعت برق الصوارم مع سحائب الغبائر المرتفعات وصهلت الخيول العربيات فشوقت إلى الحرب قلوب السادات وهان على الابطال شرب كاس المنيات وقد جرت لهم فى الحرب عادات وما فيهم إلا من لاح له وجه الطمع والنصر بعلامات لما خفقت البنود والرايات فكانوا كما قيل فيهم هذه الابيات :

جيش بدا عند الصباح المسفر   والخيل تركض عند الرياض العنبر
والطل من فوق الشقيق كلؤلؤ   رطب على فص عقيق أحمر
والاس فى إرجائها كزبرجد   والياسمين معبق ومعنبر
والأرض قد كسيت بحلائل وعرائس   ناهيك عن ذهب يصاغ بجوهر
وكتائب قد أقبلت وعساكر   ومقادم أكرم بها من عنصر
والبيض تلمع فى العجاج كأنها   برق تلالا فى سحاب ممطر

وليوث غاب مثل آجام الفلا	يسمون فى حرب السكى الأحمر
متقلدين صوارما مصقولة	خضر من اتصاع الحديد الأخضر
والأرض ترجف من زلازل ركضها	من وقع حافرها وسط الحجر
والوحش قد جفلت كذا من كرها	والطير محجوب الغبار الاكدر
والموت قد نسج الغبار سرادقا	أطنابهن من الوشيح الأسمر

(قال الراوى) وفى تلك الساعة أشارت الطوائف إلى بعضهما البعض من غير إطالة ولا مراسلات بل انطبقوا عليهم مثل البحار الزواخرات وكانت لهم ساعة عظيمه لا تشبه الساعات ومدت القناة والقطاريات ولمعت أسنة الرماح السمهريات وطارت الرقاب بمضارب السيوف المشرفيات وسقطت الجماجم على أغصان هياكل القامات وجرت الدماء مثل السحائب الممطرات وزمجرت الافرنج بلغات مختلفات واستغاثت بالقسوس والرهبان وارتفعت على رؤس الطائفتين الصلبان وصاروا بالمسيح ومارى حنا المعمدان وزعقت الروم باسم عيسى ومريم وطعنت باسنة الرماح فى الأجساد وودعت الأرواح الأجسام توديع الفراق وصعدت الغبار حتى أظلمت الآفاق ونزلت عليهم الأقدار والأحكام بانقطاع الآجال وبالأرزاق ولسعتهم اسنة الرماح الدقاق وعجلت لهم المنون والمحاق وء ت عن ذلك ألسن الحذاق وفى آخر النهار ترجل الملك صافات وقاتل مع أجناده قتالا حارت منه الناظرات وسطا على الفرسان سطوه الغضب وخطف أرواحهم ونهب أموالهم وفرق المراكب سرب ونظر عنتر إلى فعاله فخاف على رجاله فصدمه صدمة الأسد الضرغام وجرى بينهما حرب تحيرت منه الأوهام وتشيب منه الأطفال قبل الفطام ومافرق بينهما إلا الظلام وعادت الطوائف إلى الخيام وقد بحت الروم على الافرنج التمام بقتال عنتر الفارس الكرار وخسرت عساكر الملك صافات وظهر عليها علائم الانكسار ولولا خوفها الملك صافات لكانت طلبت الفرار ولكن صبرت على البلاء خوفا من العار وسكنت دساكر الروم بعض خيام الافرنج والرجال ولكن رجعت وهى تشكوا إلى عنتر مالاقت من القتال إلا أنها صارت تشكره وتثنى عليه وتشير بالدعاء إليه فهذا ما كان منهم (قال الراوى) وأما ما كان من الملك صافات فانه رجع هو فى أعظم البليات وجميع أرباب دولته ومن يعتمد عليه من بطارقته وقد استشارهم فيما يفعل فى دفع هذا البلاء الذى عليه قد نزل وهل يقيم قدام الاعداء أو يرحل لانه نظر منهم ذلك اليوم فى القتال ماحير منه البصر ويذهل النظر فقال له أرباب دولته ومن يعتمد عليه من رؤساء علمكته أيها الملك ما فى هذا الأمر إلا أننا نصبر على قتال الاعداء ولو جرعونا كؤس الرداء فان رزقنا عليهم النصر فى غد وإلى التجأنا إلى ذلك الجبل الطويل وتطاولهم فى القتال ونرسل إلى ابن الدير

والشاهد ونسأله أن يكون عونا لنا على هؤلاء الاعداء ومساعد ومتى وصل إلينا هان أمر هؤلاء الأعداء إلينا فقال الملك صافات وحق المسيح لقد أشرتم بالصواب وما هؤلاء الكلاب إلا هذا الأسد الوثاب وكان هذا الفارس الذى ذكروه الافرنج فى نفسه شيطان من صورة إنسان ما كانه إلا من عفاريت سيدنا سليمان وله حديث عجيب وأمر طرب غريب لأن أمه كانت من بنات الافرنج الكبار وكان أبوها ملك يحكم على أقاليم وأمصار وعشائر وانفار فى جزائر البحار وكان عاش عمرا طويلا حتى كبر سنه ودق عظمه ولم يرزق من ظهره ولد ذكر يجعله عهده ويرث الملك من بعده فعندها جمع أرباب دولته ورؤساء مملكته الذين يعتمد عليهم فى شدته وقص عليهم قصته وعظم بليته من ضعف قوته وزيادة حسرته وانقضاء مدته وما رزق ولدا من زوجته وقد آن أوان رحلته وقال فى آخر كلامه وكنت أطلب من المسيح أن يرزقنى بولد مليح حتى يكون ولى عهدى ويرث الملك من بعدى فقال الحاضرون أيها الملك الرأى أن تنفذ إلى الدور والصوامع النذور وأكسى الصوامع والكنائس من المعظة والستائر واطلب من المسيح هذا الولد ولا تكن من رحمته ايس فأجابهم إلى ماذكروا وفتح خزائن أمواله وفرقها عن الرهبان وأهل الديورة والقسوس والمطران وزاد الكنائس والديورة والصوامع واجتهد وتعبد وطلب من المسيح هذا الولد فرزق من زوجته هذا العام بنت مليحة جميلة صبيحة فاغتم لذلك غما شديدا وكان مؤملا أن يرزق ولدا رشيدا حتى يدوم ملكه بذكر إلا أنه لما رزق هذا البنت هبة المسيح وطاف بها الكنائس والديورة والصوامع وسائر المواضع وطاف بها معابد الرهبان والقسوس والمطران ولم يزل يحسن فى تربيتها ويجتهد كل الاجتهاد حتى كبرت وبلغت الارشاد فطالعت على زيارة الديورة والصوامع وسارت بين الرهبان القساسة وكل مطران زاهد ولم تزل على ماهى عليه أياما وليالى وهى تكثر من زيارة دير كان قريبا من مدينتها وكان به راهب من الرهبان يقال له الراهب سمعان فاحبته تلك البنت حبا شديدا ما عليه من مزيد حتى صارت من محبته فى هيمان ومن محبتها له ظهرت الرهب وصارت منفردة لوحدها وهى ملازمة هذا الراهب صاحب الدير وتفعل مع الرهبان والقسوس فعل الخير وتنفق عليهم المال الكثير وفرح أبوها بذلك وأمها وأجابوها إلى ما طلبت من فعلها إلى إن وجدت الخلوة بالراهب وحدثته بقصته وطلبته إلى نفسها فعند ذلك أجابها ولم يعرض عنها ولم تزل فى صحبته مدة يسيرة وكان أبوها وأمها يقدمان إليها فى رأس كل شهر ويقصدون زيارتها ولا مضى على ذلك الأيام قلائل حتى مات ذلك الراهب وكانت قبل موته حملت منه وقد كبرت بطنها وبان عليها حملها وقل نشاطها وزاد بها الكسل فسألها عن ذلك وقد

تغيرت أحوالها فقالت لها أماه ما أعلم لذلك سبب إلا أنى أحدثك بحديث عجيب وهو أنى كنت فى بعض الليالى راقدة فى ظلمة الديور وكان قلبى بايت فرحان مسرور وإذا نا بشاهد والراهب الكبير قد أقبل إلى وهو مذعور وضربنى من وسطه بعامود النور وهذا الذى جرى لى من الأمور وحق العذراء أم النور فعلمت منه من ليلتى وهذا تمام كلامى وقصتى (قال الراوى) فلما سمعت أمها كلامها فرحت وزاد ابتسامها وأعلمت أباها بالخبر ففرح بذلك واستبشر وأتى إليها وصار يلمس على بطنها بيده ويتبرك بها وقال لها الآن يا بنيه من بقى يفاخرك من بنات الافرنجيه وقد حملت من راهب الدير والرهبان (قال الراوى) ولما انقضت مدة الحمل أتاها الطلق كما أراد خالق ووضعت مولود ذكرا كأنه فلقة القمر فقالت لابيها يا أبتاه بماذا نسمى هذا الغلام فقال سموه ابن الشاهد والديرلان وجهه فيه علامات الخير (قال الراوى) فسموه بذلك الاسم وانتشى هذا الغلام وخرج فارس همام وأسد ضرغام وتفرس على أقرانه وكمل علاه وفرحت به أهله وأصدقاه حتى ملك سائر البلاد وزلت له رقاب العباد وصارت ملوك الجزائر تهاديه وبالتحف والاموال تداريه وكان شجاع بلاد الاندلس وفارسها وحاميها وكان من جملة من يتحفه بالاموال والهدايا والتحف الغوال هذا الملك صافات ملك جزائر الواحات ويطلب بذلك كف أذاه عن بلاده ودفع شره عن عساكره وأجناده وكان بينهما مودة قديمة ومحبة عظيمة وكان الملك صافات له عنده قدر وقيمة ولما جرى له مع عنتر ما جرى وشاور أرباب دولته فيما ترى فأشاروا عليه أن ينفذ إلى هذا الفارس ويسأله أن ينجدهم بشجاعته فى الصدام فأجابهم إلى هذا الخطاب وقد رآه عين الصواب فانفذ إليه جماعة من الحجاب وأقام ينتظر رد الجواب وهم فى هموم واكتئاب فهذا ما كان منهم (قال الراوى) وأما ما كان من عنتر وعشائر الملك هرقل ابن الملك قيصر فانهم نزلوا فى الخيام وهم فى فرح زائد وابتسام وقد عولوا أن ما بقى لأعدائهم ثبات ولا مقام (قال مجد بن هشام) ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت الفرسان على ظهور خيولها وقد اشتهرت مضاربها وطارت على الخيل ديولها وطلبت عنتر بن شداد حمى العشائر والاجناد وكان عنتر فى أوائل الجيش راكبا على ظهر جواده الابجر مثل ملك الموت إذا تصور وهذا وقد طلبت الافرنج عنتر بن شداد فحملت عليها الروم وعنتر فى أوائلها وعمل فى ذلك اليوم عمل صناديد الشجعان ودحرج الرؤس كالأكر ولم يزل معهم فى القتال بالصارم الذكر مدة سبعة أيام وثمان ليال دارت الحرب بينهم قائمة على ساق وقدم والرؤس تتناثر من على قامات الابدان إلى عاشر الايام فى اليوم الحادى عشر ضعفت الافرنج وقل نشاطها وظهر عليها الانكسار وعولت تطلب الهرب والفرار فبينما هم كذلك وإذا بغبار قد ثار واسودت منه الاقطار واحدقوا إليه بالابصار وقد علموا أنهم أنصار وأما الفرسان

القادمة لما رأوا الطوائف فى المعركة والرماح بينهم مشتبكة ورأوا طائفة الروم على الافرنج فائقة فاكبت رؤسها وحملت مثل الابالس وفى مقدمتها الفارس المغوار والبطل الكرار وهو ابن الدير والشاهد لانه لما وصل إليه رسل الملك صافات فاوجد القرار ولا ثبات بل سار فى هذا الدساكر الجرار ولما وصل بهذه الفرسان كما ذكرنا فى هذا الديوان ونظر عنتر إلى عظم همته صدمه صدمة أعظم من صدمته ولما رأى الملك صافات إلى تلك الحالات زعق على الافرنج فحملت وعلى القتال عولت ولنار الحرب أشعلت وعنتر يشجع فرسان الروم ويحمل حملات تزعزع الجن من تحت التخوم وينثر بسيفه الجسوم ويترك الرجال تقع وتقوم حتى انسدل الظلام وقد طلبوا الانفصال من الحرب فامكنه ابن الدير والشاهد بل قوى عزمهم على الأهوال والشدائد هنا لك حقت الحقائق وعمل السيف الماحق والرمح الخارق وعلم عنتر مراد الافرنج اللئام فبذل فيهم الحسام واجرى دماءهم من الاجسام ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل وهى تغلى كغليان المرجل حتى صار قريب السحر وبان لهم ملك الموت وظهر الرؤس كالاكر وضاق الميدان وانحدر وتصادمت الشجعان والتقى الجمعان وخرق السنان الامعاء والمصران وعمل الحسام اليمان فى الجماجم والابدان حتى سار كيوان وأدبر الدبران ومالت كفة الميزان وسط السرطان واشترى المشترى الأرواح بابخس الأثمان وانحط سقاء الدلو بمدار ارتفاعه إلى محل الزبرقان وحار الحوت عند ما حق بحر الحيوان وفارقته الثريا والخلان وزحزح زحل عن موضعه وطلب الامان وطبقت الافاق من الاشرار صنعة الملك الديان الذى لا يشغله شأن عن شأن فسبحان من يخضع له كل سلطان وكانوا كما وصف فيهم بعض فضلاء الزمان حيث يقول .

أكرم بذورز يار فراح المى	مستصغرا ولعذرها مسيكبرا
أمست تعاذلى الغزالة والدجى	متلاطم الامواج جياش القرا
والبدر فى أفق السماء كانه	فلك قد اتخذ النجوم معسكرا
وكانما الزبرقان يقدم صحبة	بطل اتى بكتيبة متقاطرا
وكانما الجوزاء حين تفرقت	أجصادها عقد لهـا متفترا
والليث قد مد الذراع كانه	يبغى الوثاب مقدما ومؤخرا
وترى السهام كانه الجاسوس فى	جنب الجبين حاذرا أن يظهر
والقلب مكسور الخطا فكانه	عان لواقان قيده مستاسرا
ويخال ميزان حمله من جدية	خل المريخ ضم خال أحمرا
وسهيل يخفق دائما فكانه	قلب الجبان رأى الوغا فتاخرا
وتقابل النسران هـذا راقع	وأخاه طار محلقا وعذرا

حتى إذا برز السماك مصمصما | وغدا يكر برمحه متدبرا
وافا أخوه الاعذلى المشهور فى | طلب النزال بلاصلاح بذكرا
ودنا خميس من خميس يرتمى | غار الصباح على الصباح فاسفرا

(قال الراوى) ومازال القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل وماء الفرسان تبذل من الجراح والأبطال تتأسف على فراق الأرواح وتتناهل من شرب الموت أقداح من سمر الرماح وحدود بيض الصفاح حتى جرى الدم وساح على الروابى والبطاح وازورت المقل الصحاح وعدم القوم الفلاح وخاف الشجاع الافتضاح وولى الجبان وطلب الرواح وقد سمحوا القوم بالارواح من بعدما كانوا بها شحاح إلى أن أنار ضوء الصباح وقد تكسرت من الضرب الصفاح وتقصفت من الطعن الرماح الا عنتر فانه ما استراح إلى أن قفز إلى الميدان وجال بين الصفين واشتهر بين الفريقين ولعب برمحه بين العسكرين وسل سيفه الابتر وهدأ مرج جراده الابجر وجاشت عبلة فى خاطره فحن إلى قربها والنظر إلى وجهها فانشد وجعل يقول

طربت وهاجنى صوت الصوائح | غداة ثار منها سفوح ونازح
ومالت بى الاعداء حتى كاننى | تردد فى صدرى من الوجد قازح
يذكر قلبى عبيله حيث دونها | صحاسيح يبيد بقتلى صفائح
لعمرى لقد أعذرت لو تعذرينى | وميزان صدقى بعد ذاك راجح
عبيله كم من يوم صعب شدته | له منظر بادى النواجذ كالح
وبكر فلاة لم تخف واستظامت | ولا اقتصها من قبل مهرى ناكح
كشفت خمار الصون عن خروجها | صح اللثام الشرف فى الحرب جائح
انكحتها يقظان من نسل لاحق | فامست به من عمقها وهى لاقح
من الشهب فى إدراكه الشهب طامع | فناظرة نحو الكواكب طامح
أخوض به بحر العجاج لدى الوغا | واورده حوض الردا وهو طامح
وقومى منسوج الجديد عليهموا | بكانحهم فيه العدو المكافح
وأن مشوا فى السابقين حيتهم | بمسلول وقد هاجت بين النوائح
تواحف زحفا إذ تراع كتيبة | تطاعنها أو يذعر القوم طابح
ولما التقينا بالجزائر تصففت | وطاحت بهم فى السابغات الطوابح
ودرنا كما دارت على قطبها الرحا | وجارت على هام الرجال الصفائح
ودمنا على ضرب النصال ولم يزل | تسيل الدما حتى بدا الصبح كاشح

تداعت بنو عبس بكل مهند ... صقيل يهد الهام والموت لائح
وكم بطـــل كان سنانه ... شهاب بدا فى ظلمه الليل واضح
تركتهمو مابين أنين ومزبد ... وبين قتيل عابت عنه النوائح

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من إنشاد هذه الأبيات نادى بصوت سمعه جميع السادات أبرزوا يا أرباب الزينات فانا أسمع براوع السمريات العالم بما مضى وما هو آت المانع عن البنين والبنات ما أرجع إلى وطنى ويكون بيكم عزمات إلا بعد قتل ملككم صافات وأخذ جزيرة الواحات فدونكم الآن والبراز وسرعة الانجاز وكان عنتر يشير إليهم بالكلام والملك صافات وابن الدير الشاهد قيام ما يعلمون مايقول بل نظروه يجول ويأخذ الميدان عرضا وطولا فعرفوا أنه يريد البراز كما جرت عادة أبطال الحجاز فهم الملك صافات أن يحمل عليه فنزل ابن الدير والشاهد عن الجواد وتقدم إليه وصلب على وجهه وقبل يديه وقال وحق المسيح لاسبقنى اليوم أحد إلى البراز حتى أتيك برأس هذا الأسود فارس الحجاز فلما سمع الملك صافات هذا الكلام زاد فرحا وابتسام وخلع عليه وخرج بعدها إلى الميدان وهو راكب على ظهر حصان يسبق البرق فى اللمعان وعليه درع مضىء وعلى رأسه بيضة لامعة مشرقة ساطعة معتقل برمح أسمر له سنان يطير كما قال الشاعر حيث يقول

مرقت فى معرج الهيجا شموذها ... فى مارق يوم بيض البيض ممزق
بكل أبيض ماسى الحدين تحسبه ... صبحا عليه من دماء الأبطال كالشفق
إلا على غمده أن لايراجعه ... إلا إذا عاد محمرا من العلق

(قال الراوى) وكان تحته جواد أدهم مجتمع ململم بحافر كالدرهم إذا صهل كاذان يتكلم كلون العندم (قال الاصمعى) ولما برز إلى الميدان فى تلك العده وهذا الشان صاح على الحصان فخرج من تحته مثل هبوب الرياح أو البرق إذا برق ولاح فالتقاه عنتر بقلب لايخف ولا يرعب وقد اعتركا فى الميدان ساعة من الزمان وقد ثار على الاثنين الغبار وتسردق برداء الضرب واختلف وكثر الضجر والاسف وخشى عليهما من التلف وقد نظر ابن الدير والشاهد أنه فارس ثقيل العياد وبحر لا يدرك له قرار قد إليه القنطاريه ورمى وحه عليه وطلب الانجاز فصبر عنتر عليها إلى أن قاربته وقد ثوت إلى أن حاذته وضربه طيرها من يده وقد أذهله وأبهره وبعدها صاح عليه واستقبله بسنان أصلب من الحجر وابن الدير قد حار وانبهر وأراد أن يلوى عنان جواده ويرجع فضربه عنتر بالضامى الابتر على قمته وقد أستتر بطارقة فقطعها السيف نصفين ونزل إلى البيضة قدها ووصل إلى رأسه شقها شطرتين وإلى جسده تركه قطعتين ورماه على الارض دلوين وبعد ذلك أشار عنتر إلى الروم برأس السنان فحملت من كل فج مكان وقد

حملت على طوائف الافرنج وهى تصيح بفرد لسان وصارت تستغيث بالذبيح والناظر هرقل ابن قيصر إلى فعال عنتر حمل إلى نحوه بباقى رجاله وقد جردوا البيض الرقاق وشرعوا أسنة الرماح الدقاق وخاضوا فى بطون الفلا بالخيل العتاق وقد نشر عنتر برأس السنان الأبطال ومددها وهتك بسيفه الدروع وبددها ولعب بمهج الفرسان وقطع بسيفه المفارق والأوصال ولما نظرت الافرنج ملكهم قتيلا وعلى وجه الأرض جديل فعولوا على الهرب وقد وعاينوا من عنتر الموت والعطب فثبتهم الملك صافات وتحامتها المقادم والقادات حتى طيب خواطرها على القتال ومن افتحمت واشتعلت نار الحرب واضطرمت وجارت الخواطر واندهلت والدماء من الجوارح انهلت والرماح الطوال وانحطمت الرجال تقطرت والعزائم وهنت والانذال تأخرت والأبطال تقدمت والصدور تخسفت والأعلام انكست والخيول ارتجالها تقنطرت والحبال اهتزت والأرواح راحت والدماء ساحت والرؤوس طاحت ولم يزل السيف يعمل إلى أن قارب الظلام وخيفت مواضع الأقدام فعند ذلك رجعت كل طائفة تطالب مضاربها والخيام والدماء تسيل فى الأجسام وهم يتأسفون على من قتل من السادات والأجناد والملك هرقل وعنتر قد نزلوا فى السرادق الكبير وكان من الديباج والحرير وقد تركوا أمر القتال وتدبير الحرب والنزال فقال عنتر لهرقل يا مولانا وحق خالق العباد ورافع السبع طباق لا بد عن قتل الملك صافات نسل الأوغاد وأفنى من معه الأجناد وأجعلهم عبرة بين العباد وتدوس أجسادهم الخيل الجياد لأنى علمت لولا ثبات هذا القرنان كانت الافرنج قد انصرفت إلى ديارها من زمان خوفا على أولادها والنسوان ففرح الملك هرقل بكلام عنتر وقد انشرح بهذا القول صدره واستبشر وقام طالب خيامه وقد زالت عنه أوهامه فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) وأما من كان من الملك صافات فإنه رجع إلى خيامه وجمع أكابر قومه وشكا لهم حاله وما عاين من عنتر وقتاله فقالت له أرباب دولته وأكابر مملكته وحق المسيح الموجود والرب القديم المعبود ما قتل اليوم فرساننا وأباد أبطالنا إلا هذا العبد الأسود والحجر الجلمد لأنه فتك فينا بسنانه العسال وحسامه النضال فقال الملك صافات لما سمع هذا المقال إن كان خوفكم من هذا العبد الأسود فأنا غدا أتركه قتيل عددا أو آتى به أسيرا مقيدا وقد هان الأمر وتدبر وانقضت الأشغال وانكسر هذا الجيش ومال فطاب قلب الرجال لما سمعوا من ملكهم هذا الكلام ورتب الحرس بعد ذلك إلى أن بان ضوء الصباح فركبت الأبطال الجرد القداح وقد جردوا الصفاح وتبادروا للحرب والكفاح ولما ترتبت صفوفها واعتدلت ألوفها كان أول من طلب الحرب واعتدل للطعن والضرب الأمير عنتر بن شداد وقد ركب الجواد إلى أن سار بين الفريقين واشتهر بين الطائفتين ولعب بسيفه بين الجيشين حتى حير العقول والأذهان وطلب براز الأبطال والشجعان

وقد أخذ الميدان عرضا وطول وأشار ينشد ويقول هذه الابيات :

أرى كبدى من لوعه البين محرق ... وجفنى من ماء الصبابة غارق
فلادمع جفنى مطفئا نار لوعتى ... وقلبى وأحشائى تذاب وتحرق
لحا الله من يلجأ محبا إلى الهوى ... وأحشاؤه من لوعة البين تخفق
سيقى الله أياما نعمنا بقربها ... من السحب هطالا يسيح ويدفق
عبلة فى قلبي من البين لوعة ... وقلبي من حر الصبابة مشفق
فمن مخبر عنى العداة باننى ... أصول بعزم صادق ليس يفرق
وكان صحبتى ابناء معد وغالب ... وراياتهم فوق الرؤس تحقق
كأن هبوب الريح فوق فروعها ... صواعق رعد للاعادى تحرق
وحولى من أبطال عبس فوارس ... وجوههم مثل الأهلة تشرق
لهم يوم كسرى والأعارب وقعة ... سال الدما على الأرض يدفق
رجال غطاريف اسود غوالب ... ليوث لهم قلب الأعادى تحرق
لهم صولة صوله يوم الهياج بعزمة ... يقصر عن ادراكها كل حاذق
ولو قصدتهم عند اللقاء رايتهم ... اسود عبس فى الغبار المسردق
ن ساروا اهتزت الأرض من تحتهم ... إذا ماجت الفرسان فوق السوابق
هم بنو عمى وذخرى ومعشرى ... علوت بهم على كل خصم مسابق
تراهم فرسن المنايا وكم لهم ... وقائع مشهورة بغرب ومشرق
لا أيها الافرنج والعلج فاسمعوا ... نظامى ولا تتعرضوا للمطابق
ن استقام الحرب والضرب منهموا ... إذا سار الفرسان فالحرب زاهق
دونكم الكاس الذى قد نهلتموا ... تزودها لكم ملائه بلا تدافق

(قال الراوى) ومافرغ عنتر من شعره حتى تمخضت جيوش الافرنج وترجل منهم أوفى من الفين فاوس و بينهم فارس راكب على حصان شجاع طويل القامة والباع ثابت الذراع وعليه درع ضيق العددوله لعاز وبريق مليح وشيق يردسنة الرماح والمزاريق كأنه ملك الموت لايبقى على عدو ولا صديق (قال الراوى) وعلى رأسه بيضة عادية مدلمة مجلية ترد مضارب السيوف الهندية وبيده نطارية خلنجية بالذهب مطلية وتحته جواد من خيول البحر الجياد يصلح ليوم الطراد ملسح الثبات وكان هذا الفارس الملك صافات صاحب هزائرا لواحات ثم أنه صار وجال ولعب فى الميدان عرضا وطول وزعق زعقة عظيمة ونادى بلسان الافرنج هل من مبارز هل من سناجز اليوم يوم المزهر فلايبرز الا عنتر فارس الحجاز فلما تم كلامه حتى انقض عليه عنتر انقضاض الباز ولكن جواده بالمهماز ولاصقه بلافزع ولا

ارتجاج ونادى دونك والفارس الكرار والبطل المغوار لير يك عجبك والاعتبار فعند ذلك تقدم الملك صافات ودمدم وسب عنتر وشتم وكان جبار لا يلتقى بشجاعته عند اللقا شديد القلب صبور على الطعن والضرب وحمل على أبى الفوارس وصال عليه وجال وطلبه ومال بكليته لديه وصرخ صرختين رفعت الخيل لهما وسهام أشار إلى عنتر وقال له دونك يا أسود والقتال حتى تذوق من سنان رمحى الوبال فمال عنتر إليه وجال وجرى بينهما حرب وطعن كفاح ونظر عنتر أنه فارس جحجاح فزعق بنفسه وصاح ورقى نفسه على البلاء وخاطر فى طلب العلا وقارب خصمه ودنا ولم يزل الا كذلك حتى خلك الركاب والتقا بضربتين أخف من نظر العين إلا أن عنتر كان السابق فصادف سيفه قلب الملك صافات خرج من فقارة ظهره ولما حلت بالملك صافات هذه النكبة والغلبة صلبت الروم على وجوههما من عظم تلك الصرخة وخامر قلبها الفزع إلا أنها لما رأت ملكها قتيل وعلى وجه الأرض جديل فصاحوا صيحات عاليات وحملت الفرسان من سائر الجهات وضجت الطوائف من كل مكان وحملت عشائر قيصر مثل النيران وفى مقدمتها فارس عبس وعدنان وقد اختلط الجمعان وكذلك المشايخ والشبان ولشط من كان كسلان وضاق بالفريقين وسيع المكان وقال عنتر لأخيه وولده ويلكم أحموا انتم ظهرى حتى أفرجكم على كرى وفرى وانظروا ما يجرى من فعلى ثم جعل يصدم تلك الامم وينكس علما بعد علم ويضرب بسيفه القمم ويخترق الصفوف ويجزع الانوف حتى أنه لحق حامل العلم الأخضر والصليب الجوهر وطعنه طعنه ليث قشور فمال العلم وانكسر ولما رأت الافرنج علمها والكسر وملكهم مجندل معفر وضربات عنتر لا تبقى ولا تذر ولت الخيل برؤسها وطلبت الهرب وعنتر لهم فى الطلب وقد غاصوا فى الفلوا على ظهور الصافنات وما ساروا غير قليل حتى وصلوا إلى بحر عجاج متلاطم بالأمواج فوقفت الفرسان على ذلك النهر وقد منع عنتر واجناده عن بلوغ مرامه والعبور فى تلك البلاد واسودت فى وجوههم المذاهب وعظمت عليهم المصائب إلا أن عنتر نزل فى ذلك المكان وحوله تلك الجيوش والفرسان وضربوا الخيام والمضارب ونزلوا فى الخيام وقد زادت بهم الاوهام فعند ذلك قال عنتر يا قوم الذين هربوا من قدامنا من عشائر الملك صافات كيف دخلوا فى هذا الماء ونجوا من الآفات ولهم مراكب فى المكان حتى نقول أنهم دخلوا بهم إلى ديارهم والاوطان وما كانت اشتهى أن أعرف اخبارهم لكن اسألونى ببعض هؤلاء الاسرى من أقارب الملك صافات واسألهم عن ذلك الماء وكيف عبروا عليه وكيف كان جيشهم لما أتوا إلى قتال الملك قيصر بالفرسان فعند ذلك احضر عنتر بطريق وسأله فقال البطريق يا مولاى وحق المسيح ما أقول لك إلا الصحيح لا ننا قصدناكم وعدنا من هنا ما كان فى هذا الوادى قطرة الن الماء وأنا ههنا ربيت وانتشيت فما رأيت ولا سمعت أن هذا الوادى

كان فيه ماء أبدا فضاق صدر المتقدمين واشتغل قلب هرقل و عنتر بن شداد لأنهم قد ارادوا أن يرجعوا إلى ارضهم وبلادهم ما تاهم شيء لا كان لهم فى حساب وحصل لهم مثل هذه الأسباب واقاموا فى ذلك الوادى عشرة أيام وهم فى هموم وأوهام فقال عنتر للملك هرقل يا مولاى هذا الماء لابد له من مدخل ومن مخرج وأنا اريد غدا اركب واقصد راس الماء وانظر من اين يأتى والى اين يتلقى فقال له هرقل ما هذا الاراى جيد يا أبا الفوارس إلا أنه ما يهون علينا أن تفارق أصحابنا وحاميتنا بل نحن ننفذ خمسة من تحت الماء وخمسة من فوق الماء حتى يحققوا خبر الودى والماء من اين ياتى والى أين هو عادى ويبين لنا صحة الاخبار وبعد ذلك نعمل على قدر ما نرى ونعرف الآثار فقال عنتر أفعل ما بدالك حتى نتابع رأيك وافعالك ولما انفصل الحال قال شيبوب يا أخى أنا أسير مع أحد الرجال وولدى الخذروف ايضا يمضى مع الفرقة الاخرى بلا مطال وقدراه عين الصواب وما زالوا حتى طلع الفجر وعاد الملك هرقل ودعا بعشرة من أبطاله وفرسانه الشداد وأمرهم بالسير خمسة انحدار وخمسة أصعاد ويكشفون خبر هذا الماء الجرار ولا يعودون الا بحقيقة الاثار وأقاموا بعد رواحهم فى الانتظار مدة سبعة أيام فحصل لهم من ذلك أوهام ولا طلع لهم خبر ولا بان فضاق لذلك صدر عنتر ولعبت به الهموم والفكر وخاف على أخيه وولده من صروف القضاء والقدر وكذلك هرقل بن قيصر (قال الراوى) فبينما هم فى الكلام وإذا بشيبوب قد ظهر من بين الأركام وهو كانه ذكر النعام وهو أشعث أغبر من قطع ذلك البر الاقفر وفى دون ساعة صار بين يدى اخيه عنتر بن شداد ففرح به واستبشر وقال له هات يا شيبوب ما عندك من الخبر (قال الراوى) واعجب من هذا الكلام أن عنتر سأل اخاه شيبوب عن الخبر وإذا بغبار الخذروف قد ارتفع وظهر من تحته مثل البرق إذا لمع وما زالوا سائرين حتى أن الخذروف صار قدام عنتر وسلم وترجم وبالغ فى السلام لابن الملك قيصر هذا وشيبوب يقول له يا مولاى لما سرت مع أصحابك سر نا سبعة أيام حتى أدركنا آخر هذا الماء فنظرته يخرج من ذيل جبل لاحق بعنان السماء نعم من حجر المسن لا يتعلق عليه النمل ولا يدرك علوه ناظر ولا يلحق به الطائر ولما حققت هذا الخاطر تركت أصحابى ورجعت على الأثر وهذا ما عندى من القول والخبر فقال له الملك هرقل بن قيصر لما انتهى فى الكلام وما تصل البطارقة إلى هذا المكان فقال له يا مولاى بعد ستة أيام أن كان عليهم خير وسلامة فتبسم هرقل من كلامه وقد تعجب من قوة اهتمامه وجريه على اقدامه ثم قال للخذروف أنت متى فارقت أصحابك والخيل فقال له يا مولاى من أول الليل فقال عنتر تفارق الخيل من الليل وتصل آخر النهار وتقول ما يصلون الا بعد ستة أيام فقال الخذروف أى وحق البيت الحرام ولو انهم على ظهور الغمام فاشتغل سر عنتر بذلك الكلام وخشى أن يطول عليه المقام .

(تم الجزء التاسع والاربعون ويليه الخمسون)

الجزء الخمسون

من سيرة عنتر بن شداد

(قال الراوى) وما زالوا مقيمين خمسة أيام وهم يسألون لايحققون عن أحد خبر ولا بان لهم أثر فلما كان فى اليوم السادس أقبلت بطارقة الروم ومعهم ثلاث رهبان وقد أتوا بهم من بعض الديورة وذلك المكان فلما حضروا قدام هرقل وعنتر سألهم عن الماء الذى فيه هل هو محدث أو قديم فقالوا وحق المسيح هذا شىء ماعرفه أحد من الجماعة إلا فى هذه الساعة وما رأيناه إلا بعد قتله الملك صافات فلما سمع هرقل هذا الخبر ضاق صدره وتحير وقال لعنتر كيف يكون التدبير فى هذا الأمر العسير فقال له عنتر يامولاى مافى الأمر إلا أننا نعود على آثارنا ونطلب أرضنا وبلادنا فقال هرقل ياأباالفوارس نحن نمضى ولم تحتوى على هذه الجزيرة وقد وقعنا والله فى حيرة لأنه بعدنا يخرج منها جيوش وأجناد وينهبون القرى ويقتلون كل من فيها من العباد وربما قتل الملك كوبرت ويبلغوا منه المرام وأخذوا منه بالثار عوضا عن قتل منهم فى هذه الديار ويضيع تعبنا ياأباالفرسان وياحامى بلاد عدنان ولانكن قد عملنا شيئا من الاحسان (قال الراوى) فبينما هم فى الكلام وإذا بأحد الرهبان تقدم وكان أكبرهم سن وأيام وقد مضى عليه مائة وسبعون عام وقد أشار على عنتر وهرقل بالسلام وقال لهم إن أردتم معرفة هذا الوادى وهذا الماء الذى فيه من أين قادم أحضروا بالراهب الذى على دير الصنم وهو على جنب قلعة العلم فانه يامولاى راهب هذه الاقطار وأقدم كل راهب فى هذه الديار فقال له الملك ولم سمى هذا الدير الصنم والنصارى كلهم ماتعبد الأصنام وتخاف وتعتقد عقولهم الفاسدة التى تهلكهم يوم القيامة إلا فى عيسى بن مريم وأمه الطاهرة البتول فقال الراهب اعلم يامولاى أن هذا الصنم الذى فى هذا الدير فانه مايعبدونه وحق الواحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولد ولكن ياأمير هذا الدير له موسم فى كل عام هكذا على طول الدوام وهو لايفتح إلا فى يوم واحد من دون الأيام وأنه عندهم عيد ويجتمع فيه كل من كان فى هذه الاقاليم من الامم وأنهم يحملون إلى ذلك الدير فى صحبتهم النذور ويكون يوم فتحه بعد شهور ويحصل عندهم الفرح والسرور ويدخل إليه الاكابر والأنصار والملوك وكل فقير وفقيره وكل غنى وصعلوك ومالك ومملوك ويأتى إلى ذلك من سائر الاوديه والجبال والاقاليم والبلاد والفلالى والصوامع والاديرة والكنائس ثم أن الراهب الكبير يحرضهم قدام ذلك

الصنم ثم أنه يحدثهم ويحثهم على عبادة عيسى بن مريم ثم أنه يحدثهم بخبر الحواريين الاثنى عشر وذلك بعد ما يقرأ عليهم فصلا من الإنجيل المكرم المعظم ويفسر لهم ويقرأ لهم ويقر واله كلهم بالتبجيل والتكريم وإذا انقضى ذلك الموسم وفرغت أيام زيارة الصنم غلق ذلك الراهب باب الدير بعد ما يكون قد حصل له ما يكفيه عامة بالتمام والكمال ولا يفتح بعد ذلك إلى أحد من الأنام لا شيخ ولا غلام وهذا يا مولاى حديث الدير وما كان من الصنم وغير ذلك ما أعلم (قال الرواى) ولما سمع عنتر والملك هرقل والراهب تكلم أمر بالمسير مع ذلك الراهب إلى دير الصنم وأمرهم باحضار الراهب لهرقل يا مولاى إنه ما يرد علينا جواب وما يرضى يفتح لنا الباب وحق المسيح لأنه كلب مستكبر على البشر وما أحد منا يطلع على خبر فقال الملك هرقل لعنتر يا أبا الفوارس كيف يكون التدبير فى هذا الأمر الخطير فقال له شيبوب أنا الرأى عندى أن ترسلوا خمسمائة فارس تحط على هذا الدير وتطلب الراهب وتحاط به من كل جانب وتأمره بالحضور فان أجاب فهو عين الصواب وإن أبى يخربون الدير حجرا بعد حجر ويحضرونه إلى هذا المكان فقال عنتر وحق علام الغيوب لقد أصبت فى هذا الرأى ياشيبوب (قال الراوى) فعند ذلك أمر الملك هرقل الخمسمائة فارس من خواص الجيوش وسار معهم ذلك الراهب وتقدم وتنتخب الفرسان ولما اجتمعوا أمر بالمسير ولا أحد منهم يتأخر ويأمرون الراهب بالحضور وهو مبجل وإن لم يطلع أخربوا دير الصنم وسحبوه إلى ذلك المكان وهو ذليل مهان فاجابوا بالسمع والطاعه وقد ساروا من تلك الساعة طالبين الدير ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى أكمة ذات العلم وأتوا إلى باب الدير ووقفوا على الباب وتقدم ذلك الراهب وطرق الباب طرقا شنيعا فطل الراهب من طاقة الدير فنظر إلى ذلك الراهب والخيل معه وهم فى صحبته فقال لهم الذى تريدون وإلى أين أنتم سائرون فقال له الراهب يا أبا الرهبان شمشمون اعلم أنه قد نزل علينا ملك من ملوك النصرانية وهو الملك هرقل بن الملك قفصر صاحب القسطنطونية وهو الذى قد سيرنا إليك وهو يأمرك بالمسير إليه والحضور بين يديه فعجل فى المسير حتى أنه يسألك عن أمر هذه الديار واعلم أنك إذ لم تنزل وأنت مكرم هدمت هذه الفرسان الدير بالتوت وأخذوك معهم بعد أن تسحب وتلطم والرأى عندى أن تبادر إلى خدمة هذا الملك المكرم وارفع عن نفسك الملام وتتكلم وبعد ذلك أنت أخبر بشأنك فقال الراهب مالى سبيل إلى النزول ولا أقدر أخالف الصنم فيما يقول (قال الراوى) فلما سمعوا كلامه العنيد طلبوا باب الدير بالعواميد الجديد والتوت وقد تبادرت إليه الفرسان من قريب وبعيد ولما نظر الراهب إلى هذه الأسباب نادى يا قوم لا تكسروا الباب تمهلوا إلى أن أنزل إليكم وأرد إلى ملككم الجواب فوقفوا عند ذلك عن كسر الباب فقال لهم لا تعجلوا على فى النزول إليكم حتى أنى أدخل على الصنم وأسمع منه ما يقول

وما بتتكلم فقالوا الافعل ما تريد فما نحن لك فى الانتظار وأن أبطات علينا كسرنا الباب بهذه الأعمدة الحديد وجعلنا عاليها أسفلها فعند ذلك تقدم الراهب ونزل اليهم وقد عرف أن لابد له من الخروج اليهم وانى يهدمون دير الصنم وقال لهم ياقوم أعلموا أن الصنم قد أمرنى بالمسير إلى هذا الملك الكبير ثم أنه خرج إليهم وعاد غلق باب الدير وركب معهم وساروا به على الآثار وماز الوا سائرين به إلى أن وقفوه بين يدى الملك هرقل وعنتر (قال الراوى) ولما سار فى حضرتهم سلم الراهب وخدم وكان اسم الراهب متى بن يوحنا ويلقب بشعشونا هذا والسلم وترجم قال له الملك ما حاجتك منى أيها الملك المحتشم فقال له الملك هرقل يا أبونا أريد تخبرنا عن هذا الماء الذى هو فى هذا المكان هل من قديم الزمان أو انه حدث فى هذا الاوان فقال الراهب يا ملك الزمان أى شيء عرضك وهذا الشأن فقال له أنا قصدى أن أسير بهذه الجيوش الجرارة وأفتح جزيرة الواحات فقال الراهب أعلم أيها الملك الجليل مالك إلى هذا الامر من سبيل لأن عندنا منقول على الانجيل والتوراة بان هذه الجزيرة ما تفتح إلا بعد قتل الملك صافات وبهذا أخبرت القسس والرهبان وهو مؤرخ من قديم الزمان من عهد مارحنا المعمدان فلا تتعب نفسك فيما لا تصل إليه ولا تتمكن منه ولا تقدر عليه وأعرض عن هذا الامر واستريح فهذا رأى عليك مليح وحق المسيح فقال الملك هرقل لعنتر وقد اندهش وتحير أى شيء تقول يا حامية عبس فى هذا الامر الذى تعسر فعند ذلك التفت عنتر وقد ازورت عيناه وذبلت شفتاه وهمهم ودمدم وبربر وزمجر وطار من عينيه الشرار وصاح بالراهب ويلك يا ابن الانذال وراهب المحال وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر والاله الذى ماله ولد ولا زوجة ولا أحد ولا مستقر أن أخفيت عنى من سؤالى لفظة واحدة والا ذكرت لى حجة باردة بهذا الضامى ضربة أخمد أنفاسك وأهد أساسك فلما سمع الراهب ذلك الكلام التجم بلجام واجتمع بعضه البعض واشتبكت أضراسه وانزعجت حواسه واضطرب بدنه وغلط فى لباسه لما نظر الى الامير عنتر بن شداد ورأى قده وشكله وعرضه وطوله ولكن ثبت جنانه وأطلق لسانه وقال الامير عنتر يا فارس الزمان لا تعجل فقد صح الخبر وبان الامر وظهر وأنا أريد منك بحق القسم الذى قد أقسمت به وبالحديث الذى تكلمت به أنك تخبرنى من أين أتيت الى هذه الديار وأى أرضك من الاقطار فقال عنتر أنا من أرض الحجاز ومسكنى البر الاقفر وأتيت من أرضى وبلادى خدمة الى الملك قيصر فقال الراهب يا فارس دع عنك القطويل وأمهل على قليل حتى أنى أعود الى الدير من أجل أمر عندى قد ظهر وأعود إليك بصحة الخبر فقال الامير أجبتك الى ما تريد ولكن انقصد أن أنفذ معك جماعة من أصحابى العقود حتى أنك تسرع الى وتعود فاجابه الراهب الى ذلك المطلوب والمقصود فسار معه عشرة من الفرسان

وفي جملتهم شيبوب وأتى إلى الدير وفتح الباب ودخل وأخذ حاجته ورجع معهم من وقته وساعته حتى وصلوا إلى الأمير عنتر والملك هرقل بصحبته وجلس الراهب وأخرج كيسا من الأطلس الأبيض وأخرج منه كتاب مجلد وجعل ينظر فيه تارة وينظر فى الأمير عنتر تارة يحدث إليه بالنظر وبعد ذلك نظر إلى شيبوب وولده والخذروف والحجاب جميعهم ووقف ثم قال للامير عنتر ياحجازى بحق النبى الذى يظهر فى آخر الزمان الذى اسمه محمد الذى يأمر الناس بالإسلام ويرمى عن الكعبة الأصنام فقام الأمير عنتر يا راهب نعم فقال الراهب هل ظهر بوقعة ديقار بين الأمم ونصرت العرب على العجم فقال عنتر نعم وحق البيت الحرام تفرقت العجم فى كل سهل وجبل وقتل منها كل فارس بطل فقال الراهب أتعرف بأى اسم نادت العرب تحت الغبار الأسود قال الأمير عنتر نعم كان نداءهم يا آل محمد يا آل محمد وأنا والله ما كنت حاضر ولكن أسأل الله تعالى أن يعمنا ببركات هذا النبى الأمجد فقال الراهب سمعت أن إيوان كسرى انشق من على رأسه هل هو صحيح أم لا فقال عنتر بن شداد أى وحق الواحد الجواد فقيل الراهب بأى اسم تعرف أنت يافتى بين العباد فقال له أنا اسمى عنتر بن شداد ومقامى بأرض الحجاز وتلك البلاد فقال الراهب وحق الإله المنزه عن الصفات البشرية وعن اللغات إنك أنت الذى على يديك فتح جزائر الواحات بعد قتل الملك صافات فتبسم عنتر من هذه المقالات وقال أما الملك صافات فقد جندلته على الارض ومات فلما سمع الراهب هذه المقالات فقال يا فارس عدنان الآن أريد أن أعرفك ياولدى عن هذه الأمور الخفيات وهو أن على باب البلد الشرقى من قلعة ذات العلم أسد مصور على عامود درخام وعليه صورة صنم فارسل أنت من يقلع العامود ويرمى الاسد وقد غار هذا السما وبيان تلك الطريق وها أنا عرفتك بما عندى من الخبر وحق من أنبع الماء وأنبت الشجر (قال الراوى) ثم أن الراهب بعد ذلك رمق بطرفه إلى السماء لما انتهى من هذه الكلمات وقال اللهم يارب الارضين والسماء ويامن علم آدم الاسماء يامن أحاط بكل شيء علما يامن خلق إبراهيم وموسى ويامن رفع الجبال وأرساها يامن أحصى الخلق جميعا يامن أخرج من ظلمة الاحشاء نسعى بحق المولود الذى يظهر بين زمزم والصفا وهو نبيك المصطفى اقبضنى من هذه الساعة على دينه من غير رياء ياقادر على جميـــع الاشياء أشهد أنى على ملته مصدقا برسالته ثم أنه توجه إلى القبلة وشهق شهقة خرجت روحه ومات وقضى نحبه والحق بربه فعند ذلك اقشعرت الجلود من أقسامه لما شرب كأس حمامه وأمر عنتر ابن شداد بغسله ودفنه إلا أن الأمير عنتر طالت عليه حسرته وتمنى أن يطول الله فى مدته حتى يقاتل بين يدى هذا النبى بشجاعته وأن يموت على ملته ثم أن عنتر أرسل إلى القلعة ذات العلم وكانت خراب من زمان الاسكندر وأبو العباس عليهما السلام وكان أيضا سكانها أقوام من

الجان فغرق بهم الاسكندر واخرب هذه القلعة والاركان والذى أسلم على يديه بقى مقيم فى هذا المكان إلى الآن الامير عنتر بن شداد أرسل إلى أخيه شيبوب وجماعة من الرجال إلى القلعة وقد طلعوا إلى أعلى البرج فنظروا إلى ذلك الاسد الذى هو على ذلك العامود فرموا الاسد وصورة الصنم التى الى الماء فعند ذلك غار الماء فى سفح الآكام وبعد مدة ثلاثة أيام لم يبق من الماء فى الوادى ولا قطرة فرحوا ببلوغ المنى ونيل [illegible] (قال الراوى) وبعد ذلك أنفذ الملك [illegible] عنتر [illegible] جميع ما فى الدير من الاموال والستور والصلبان والرجال وأخذوا أيضا الصنم المذكور وهو من الذهب الاحمر وعيناه من الياقوت الاصفر ولما بانت الطرائق للسالكين ودخلت الجيوش البحار والزواخر طالبين جزيرة الواحات وزادت بهم الافراح والمسرات (قال الراوى) وكان سبب اجتماع الماء فى هذا الوادى سبب عجيب وأمر مطرب غريب ولا بد أن نذكره على الترتيب ولما قتل الملك صامات وولت جيوشه منهزمات وعساكره متفرقات وكان له ابن عم يقال له ميخائيل بن ساعات ويلقب بجبار المسيح بين الملوك والسادات وكان بطلا عظيما من الابطال خبيرا بالمكر والاحيال فاعتمدت الافرنج كلهم عليه ومالوا بكليتهم إليه فكان عارفا بطلسم الماء فطيب قلوب الافرنج ووعدهم بأن يبعد العدا عنهم وأنهم ما يمكنهم القدوم إلى تلك الاطلال والرسوم من غير حرب ولا قتال ففرحوا بهذا المقال وحلفوا كلهم بالمسيح والانجيل أنه هو الحاكم عليهم ولما وصلوا إلى هذا الوادى وعبروا إلى تلك الجزيرة سار جبار المسيح بنفسه إلى ذلك الجبل فرأى صومعة عليها فارس وفرسه منحوت من الحجر فاخذه واقتلعه وألقاه على وجه الأرض فخرج الماء من ذيل الجبل وتلاطمت أمواجه وثار عجاجه وما نجى منه إلا من كان على ظهر جواده وكان هذا الطلسم صنعه ملوك اليونان وقد ادخروه بذلك المكان وانقرضوا الملوك فى ذلك الزمان وقدم الاوان وتغيرت الحدثان وسكن الجبل والوادى قوم من الجان وصلت جيوش اسكندر إلى هناك فقطعت الجان الطريق فاهلكهم الخضر عليه السلام باسم الله الاعظم وقد خربت القلعة وبقى منهم جماعة مؤمنين على دين الاسكندر وما زالوا مقيمين وبها ساكنين (قال الراوى) وعدنا إلى سياقة الحديث والخبر وصار ذلك الجيش فى مقدمته الامير عنتر وبين يديه شيبوب والخذروف وعنترة تذكر الاوطان وما لقى من نوائب الزمان وتذكر عبلة ومشيب رأسه وبعد الديار ففاضت دموعه على خديه غزار وانهلت مثل الامطار فسار يترنم بهذه الاشعار :

طال الجفا عن رسوم المنزل	بين الغريب وبين ذات المحمل
إذا تحمل أهلها وتمايلت	فيها بدورا كالصباح المنجلى
لعبت بها الاهواء بعد نسيمها	والطامسات بكل حول مسبل

فوقفت فى غرامها متحيرا   أبكى الفراق كمثل من لم يعقل

ولقد شجتنى فى الطلول حمامة   تبكى بشجوى لا بدمع مهمل

وأثارت الشجعان من بالأسى   لما وجه المصطلى غير طائل

تبعى كشبه حمامة فى أيكة   فاضت دموعى فوق ظهر المحمل

من أجل واضحة الجمال عزيزة   تسبى العقول بعارض متهلل

أى عيش عيشى اذا كنت منه   بين خل وبين وشك راحل

ولقد رأيت الموت ثم لقيته   متسربلا والموت غير مسربل

وقحمت فى وسط العجاج مصمما   مالى مجير غير حد المنصل

ضحكت عبيلة من فتى متدرع   ماضى العزيمة ماجدا متفضل

وكم ضيغم جندلته بمهندى   وأقول لا شك يمين المنصل

ولقد سمعت نداء قومى قد علا   ومحكا يغون منه الاخيل

ناديت عبس فاستجابت بالقنا   وبكل أبيض ماض لم يمهل

بكل ممدود الكعوب مثقف   فى كف كل صميدع لم يجهل

فاتوا لعنتر والرماح شواجر   والخيل وتعثر فى رؤوس القتل

وأنا ابن شداد الكريم نجاده   من آل عبس طاعنين العنصل

ان المنية لو تصور شخصها   لى فى العجاج طعنها فى الأول

واذا دعيت الى الكريهة لم أقل   بعد الكريهة ليتنى لم أفعل

وبلاء النجع فى فؤادى مدة   زينا فاعمل بالأعز الاجمل

واحذر مصاحبة اللئام وقربهم   إن الكرام عن اللئام بمعزل

واحذر لجار السوء لاتأمن   وإذا كبا بك منزل فتحول

خير المنازل منزل تحظى به   إما تصاح به وإما تفضل

وإذا أردت مفارقا لمحلة   فاختر لك الجيران قبل المنزل

بئس النزول على الطريق مجيرا   يوما ولو كنت الأعز الأفضل

واعلم بأن الضيف يخبر أهله   بمبيت ليلته وإن لم يسأل

الجار احفظه وارعى حقه   واكرم صديقك بالفعال الاجمل

والق الضيوف بمرحب وتحية   وابسط لسانك للضيوف النزل

وإذا تولت الأمور فكن بها   واجتهد لقومك بالصيحة واجمل

وإذا أعمدت بفعل سوء فانثنى   وإذا هممت بفعل خير فافعل

ياعبلة كم من غبرة باكرتها   بالسيف كانت غمرها ما تنجلى

إنى لعنترة إذا اشتبك القنا | وترا موقفى العقول فتذهل
كل فج من البلاد كاننى | أسطو وأحمى ساعدى والمفصل
كم من بطل كتيبة جندلته | بالسيف ضربا مالفوق الجندل
لا تنكرى يا عبلة فعلى عادتى | ضرب الجماجم بالحسام الفصل
أشفيت نفسى من أعادى مهجتى | فقهرت كل متوج ومكلل
وبلغت كل فضيلة عجز الورى | عنها بحد مهند وبدابل
ما كل من طلب المعالى نالها | مالها إلا سعيدها فى الأول

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات قال له يا شجاع الزمان ويا حاوى قصب الرهان ويا قاهر الأبطال والشجعان قد أحسنت بهذه الأوزان ولم يزالوا سائرين على تلك الحالات حتى أنهم أشرفوا على مدينة الواحات فشاهدوا إلى جزيرة عظيمة تضج بسكانها وترتج بقطانها ونزلوا إلى مضارب وخيام وسرادقات ومراتب وخيل مسروجة وجنائب تحت السلاح والزرد وضجيج قد علا وانعقد (قال الراوى) وكان السبب فى هذه الحالات حار المسيح بن سامات كان ابن عم الملك صافات وكانت وصلت إليه الأخبار فى تلك الأيام أن الجيوش كسرت الطلسم الذى للباه وعبروا طالبين إليه فى جيش لا يرام فلما تحقق هذا الخبر أمر من كان عنده بالخروج إلى ظاهر البلد بجميع مالهم من السلاح والزرد وخرج فى عالم عظيم لا يحصى لهم عدد وهم يزيدون عن مائة ألف فارس مثل الأسود العوابس وأقبلت أيضاً عشائر الملك قيصر وفى مقدمتها الأمير عنتر وضاقت بهم تلك الأرض وامتلأت طولا وعرض وكثر الإبرام والنقض ودار الحرب الشديد الذى يذيب الجلاميد ويشيب من هوله الوليد وأظهر الأمير عنتر بن شداد فى ذلك اليوم بجميع الأهوال ومدد الرجال فى المجال وجندل الأبطال ورماهم على الرمال فعند ذلك عظمت الأهوال واهتزت الجبال من شدة القتال وقصرت الآجال وصارت العيون تدمع والقلوب تخشع والآناف تجزع والأرض للجبان تكرع والبيض على الرؤس تشعشع وأنفس حل بها الهلع والألسن خرست من الفزع والمرائر انفطرت من الجزع ورق حبل رجالها وتقطع وكان صياح الجميع لا يكاد أن يسمع وعاينوا من الأمير عنتر قتال لا يندفع وهو يفلق الجماجم ويقطع وطلب الجبان الهرب والفرار فما رأى للنجاة مطمع والشجاع خالطه الفزع وكان جواد الأمير عنتر يشب ويفزع فلله در الأمير عنتر بن شداد من ليث أروع وبطل صميدع وكان فعاله فى ذلك النقع مرتفع كما قال فيه الشاعر أسد بن أدرع هذه الأبيات الحسان .

ولرب نقع حكى شهب الرماح بها | نجوم أفق إلى غسق الدجى حجبت
قد حدث فيه الآثار ضوء علا | فأثرت فيه قدوم الدهر قد نفحت

جادت بطعن القنا فى الحرب أيديهم ... فكلما جودوا طعناتها سجدت
والخيل تغدو ثقالا من جماجمها ... تشكو الشكائم فيها كلما سرجت
حمل الاديم صقيلات ملابسها ... كانها فى دماء الأسد قد سبحت
تغدو غضابا إذا اسود العجاج بها ... حتى إذا شاهدت ريح الصبا فرحت
تحملت أسد الهيجاء مائة ... ثغورها فى وجوه الموت قد كلحت
لا يستشرون فى الهيجاء سوى خطب ... حتى إذا استبشر عدو فى معركة لجت

(قال الراوى) وما زالت الخيل تعض على شكائمها وتقطع شديد حزامها وعنتر غارق فى لحم الخلائق وعظمها وقد سقطت الأبطال عن ظهور الخيل وحل بعشائر الافرنج الحرب والويل وقطرت الدماء مثل السيل وثقل على الابدان الحديد ومله من الحرب الفرسان الصناديد وبانت أعلام ملوك الموت قريبا وبعيد وصار النهار مثل الليل وتسردق سرادق الويل والسيوف تقطع والرماح تخرق والنبال ترشق والدروع تتمزق والدماء تهرق والفرسان تزعق والبلاء عليهم قد احدق والحسام يقطع والرجال تصرع والبنود ترفع والسنان يلمع والعيون تدمع هذا وعنتر يجول ويصول ويلعب ويشتت الابطال عرضا وطولا وإذا به قد التقى بحمار المسيح فى وسط المعمعة وهو يفتك فى الرجال والابطال نصدمه عنتر صدمة الأسد الرئبال وذاب بينهما الاهوال وسطا عليه عنتر واستطال وكانت سطوته سطوة من لا يبالى بالنوازل وطعنه طعنة جبار خبير بالمقاتل نصادف السنان صدره وخرج يلمع من ظهره فانقلب عن جواده يختبط فى دمه ويضطرب فى عندمه ويبحث الارض بيديه وقدميه هذا ولما عاينت الافرنج أن حمار المسيح قد سقى كاسات العطب الموت رؤس خيلها وطلبت الهرب وتبعتها الروم أشد الطلب ودخلوا الإفرنج إلى البلد وأحاط فيهم الويل والنكد ومن عظم ما حل بهم من هذا المصاب غلقوا جميع الابواب وصعدوا فوق اسوار ورموا بالنبال والاحجار فتأخرت الروم إلى وراءها عن الجدار وأقاموا على الحصار مدة ثلاثين نهار وعنتر يقول طال علينا المطال واشتقنا إلى العيال فقال شيبوب ياابن الام تريد تفتح هذه الجزيرة وتتيسر هذه الامور العسيرة فقال عنتر ويلك ياابن الانذال والاقل أى شىء جئنا وقطعنا هذه الجبال ولقينا هذه الاهوال إلا لأجل فتحها على أن هذه البلد حصينة بالجيوش والاجناد وأنا أرى هذا الدير منيع والعالم فيه مثل الجراد وما أظن أننا نبلغ منهم مراد الا بالصبر وطول العماد فقال شيبوب وحق خالق العباد ورافع السماء بغير عماد إن قبلتم مشورتى تبلغون من الاعداء المراد فقال عنتر فكيف أخالف مشورتك وهى صلاح قل ما عندك ياأبا رياح ياجلب الافراح فما زال لنا فى رأيك الرباح فوحق الاله القديم ما فينا من يخالف مقالك فقال شيبوب ياابن الام تأمر هذه الجيوش أن تقطع هذه الاشجار وتجرهذه الرسوم الذى

فيها من الدور والقصور والاثار وبعد ذلك تصح لنا الاخبار فقال عنتر وإذا فعلنا ذلك أى شىء يصل إلى اعدائنا من الاضرار وأى شىء ينالنا نحن من المسرة والاستبشار فقال شيبوب إذا نظروا أهل هذه الجزيرة إلى تلك الفعال وقطع أشجارهم وخراب ديارهم والرسوم والأطلال ما يهون عليهم هذا الشأن وربما طلبوا منكم الامان وبهذه الفعال تبلغون الامان والرأى أن تبادروهم بالخطاب وتعرفوهم بالحال فان أجابوا إلى ما تريدون إلا فاقطعوا بذلك الاشجار قال فاستصوب عنتر هذا الكلام وأمر بعض الأسارى أن ينادوا بأهل الجزيرة ويعلمهم بما اتفقوا عليه وبعد ذلك أمر العشائر بالزحف إلى نحو البساتين والأسوار فزحفوا عليهم كأمواج البحار قاصدين الجدران والاشجار وفى أيديهم المعاول والمنوت من سائر الالات ولما نظرت أهل الجزيرة إلى زحف الرجال فظنوا أنهم طالبين القتال فحققوا فوجدوا العشائر طالبين البساتين والاشجار فالتهبت قلوبهم بالنار وسمعوا المنادى بلغة الافرنج يقول يا معاشر أهل الجزيرة ن أهل الوحات أن الأمير هرقل ملك البلاد وأمير الدولة عنتر بن شداد أهلك الأجناد فاذا سلمتم إليه البلد لكم ولاموالكم وأولادكم الامان وجميع النسوان فأزيلوا من رؤسكم الطمع والعصيان والجزع والا قطعنا أشجاركم ولا ينفعكم أرضكم ودياركم واخربنا ذلك الحصار وهذا الملك هرقل أقسم بحق المسيح والحواريون الاثنا عشر الذى كانوا له تبع وبكل فارس ربال أنه ما يرحل عنكم حتى يرمى صوركم ويقتل رجالكم ويسبى نساءكم وعيالكم وأن أبا الفوارس عنتر قد أقسم بالركن والحجر والبيت العتيق المطهر أنه لابد أن يمحقكم بالسيف الابتر ولا يترك منكم بشر وقد حذرتكم غاية الحذر (قال الراوى) فلما سمعوا أهل الجزيرة هذا النداء أيقنوا بالضرر والردا وتطايرت الارواح وقد طلبوا الأشجار وصياحهم قد أوهج الاقطار فنادوا عن لسان واحد الامان ثم نادوا يا ملك قيصر يا منصور كل من عاداه صار مقهور قال فعند ذلك دقت الكؤسات ونعرت البوقات دقوا الناقوسات وجاءت البشرى إلى الملك هرقل ففرح بذلك قلب الأمير عنتر واجابت الإفرنج إلى ما طلبوه وقد عزمت على العودة إلى ديارها وبلادها وفى دون ساعه فتحت الابواب الى المدينة وخرجت القسوس والرهبان والبترك الكبير والمطران ولا تخلف إنسان الا وقد أتوا إلى هذا المكان حتى أنهم يأخذون من الأمير عنتر والملك هرقل العهد والامان فلما وصلوا إلى السرادق أمر بملتقاهم بأحسن ملتقى فخدموا بعد ذلك وله دعوا بطول العمر والبقا وأخذوا عليهم العهد والميثاق وانصلح الامر والشان وجددوا على بعضهم بعض العهود وزالت من بينهم الحقود (قال الراوى) وكان الأمير شيبوب وأخيه الأمير عنير والخذروف حاضرين فعند ذلك دقت الكؤسات بعد خفق البنود وركب الملك هرقل فى عشائره والجنود والأمير

عنتر بن شداد إلى جانبه كأنه أسد من الأسود وقد دخلوا إلى البلد فى يوم مشهود ونثر عليهم مال ممدود وأخذت جميع العالم فى الدعاء وقد تعجبوا من الأمير عنتر بن شداد ومن عظم خلقته وكان عليه ذلك الوقت خلعة من ملابس الملك كسرى وعمامة خضراء وكأنها روضة من رياض الخضرة وبين يديه أخوه الأمير شيبوب وولده الخذروف وفى أيديهما الخناجر والسيوف والعالم وقوف ينظرون إلى الأمير عنتر وقد هان عليه الأمر وتيسر وقد دخلوا قصر الملك الغريب الصفات الذى كان للملك صافات وجلس الملك هرقل على سريره وقد صنعت لهم الولائم والدعوات وطابت لهم الأوقات مدة عشرة أيام وبعد ذلك استحضروا الرجال وفتحوا خزائن الأموال لحارت منهم النواظر من ذلك المال الباهر ثم قال الملك هرقل للأمير عنتر بن شداد ما هذا إلا ملك عظيم وإقليم لا يقاس بالأقاليم وكنا ذكرنا أن الملك صافات كان له أربع قصور مفروشة بالحرير فى كل قصر إيوان وتاج وبدلة وسرير فاحتوى الملك هرقل على الجميع وساروا إلى القصر الكبير فوجدوا هناك فرش عظيم وتاج يساوى ثلاثة أقاليم وهناك منطقة من الجوهر وبدلة مرصعة باليافوت والدار وفيها معلق خنجر وكانت هذه البدلة والمنطقة وتاج للملك الاسكندر وسرير من العاج قوائمه من الذهب الأحمر يطلع عليها بمراقى من الزبرجد الأخضر ولما أن سار القوم فى وسط هذا القصر نظروا إلى باب قصر من الحديد عال مقفول بأربعة أقفال فأمره الأمير عنتر بفتحه فتقدم واحد من الغلمان حتى أنه يفتحه وأراد أن يأخذ المفاتيح وكانت معلقة فما قدر وتقدم آخر وتأخر ثم تقدم بعد ذلك آخر وتأخر وما بقى أحد فى الملك الأرض إلا وتقدم حتى أنه يفتحه فمن الهيبة يرجع يعود بلا مقصود وبعد ذلك عجز الجميع فدنا الملك هرقل بعدهم بن قيصر فلم يستطع على ذلك وتأخر وكذلك شيبوب أخو عنتر وولده الخذروف وقد بقوا باهتين وقوف فبعد ذلك نادى شيبوب بأخيه عنتر وقد انذهل وتحير وقال ويلك يا ابن الأم تقطم وخلصنا من هذا الأمر الذى وقعنا فيه فان أنت عجزت من هذا الأمر رجعنا من هذا المكان بالخيبة والحرمان فعندها تقدم الامير عنتر وهمهم وزمجر وهو فى هموم وفكر وهم أن يأخذ المفاتيح فتخيل للقوم انها إليه نهضت فزاد واستبشر وركب المفتاح الاول فانفتح القفل سريع وما طول حتى أنها فتحت الجميع ولما تشرعت الأبواب دخل الامير عنتر وأخوه شيبوب وولده الخذروف وقاموا الغلمان وقوف ودخلوا إلى ذلك البيت فرأوا فيه سوى جواد أدهم كأنه الليل الادغم أو الغراب الاسحم وهو مشبوح فى سلسلة من الحديد وفى يده قيود وعلى القيود أسماء مكتوبة وطلاسم مرسومة مضروبة والجواد قائم عيناه مثل المشاعل فقال عنتر لشيبوب هذا من خيول البحر وأنا أريد آخذه وأركبه لاجل أريح جوادى الابجر لانه

كبر وثقلت جثته (قال الأصمعى) فلما سمع الجواد ذلك الكلام تكلم بلسان فصيح وقال يا ابن شداد ما أنا جواد أصلح للطراد بل أنا ملك من ملوك الجان الأمجاد وكنت أسرت على يد الخضر عليه السلام وكان سلمنى إلى الملك الاسكندر وكان التقائى عنده قلعة ذات العلم بعد أن جرى لنا معه أمور وخطوب تحير كل عاقل دروب وأشرفنا على شرب كاس النقم يا فارس العرب والعجم وحبسنى الخضر عليه السلام وكان قال لى بعد ذلك أنتم تقيم مسجون ههنا فى هذا المكان حتى يظهر عنتر بن شداد فارس عبس وعدنان ويفكك من القيود ويسيرك إلى عنده فرسان وجنود وهذا سبق فى علم الله المعبود والآن يا أبا الفوارس ما يقدر أحد يخلصنى سواك يا صاحب الجناب الرفيع والعز الكبير المنيع (قال الراوى) ولما سمع الأمير عنتر بن شداد هذا الكلام انذهل من ذلك وتحير وقال ويلك يا ابن القوم الكرام أنت من الجن والجان قد قتلوا ولدى الغضبان وقد أبلونى بالأحزان وأنا مرادى أن أقل مثلك وها أنا فى هذه الساعة أردت أن أتقدم إليك وأطير رأسك من بين كتفيك فقال له الجواد وأى شىء الفخر فى قتلى يا ابن شداد ولا بينى وبينك دم ولا ثار فقال له عنتر نعم الجان قتلوا ولدى الأمير الغضبان فى وادى صارخ وتلك القيعان فقال له الجواد اعلم يا أبا الفوارس أننى آتيك بقاتل ولدك وأضمن لك أن آخذك بالثار وإن أطلقتنى سلمتك قاتل ولدك إليك ويقر بهذا الفعل عينيك فقال الأمير عنتر بن شداد أريد منك أن تحلف لى برب العباد فحلف له بمثل ما اشتهى وأراد فرق قلب الأمير عنتر إليه لما رأى فيه من الأسر والضيق وأخذ عليه العهود والمواثيق فلما استوثق منه باليمين قال له يا أخا الجان كيف السبيل إلى فك القيود وفتحهم فقال له المفاتيح تحت بلاطة متركبة على طابقه من الجهة الشرقية فاترك لو لبد الطابق شمال تنظرهم من غير إهمال فعند ذلك بادر الأمير عنتر بن شداد وأخرجهم وجرد عنه سلاسله ومن قيوده أطلقه فقال الجواد أعلم يا فارس الجلاد الوعد بينى وبينك على رأس قلعة العامود المعروفة بذات العلم فقال له الأمير عنتر مر فى رعاية الله أيها القيل المحتشم فعند ذلك صفق الجواد بكميه فى الأرض وطار فى الهواء والأمير عنتر والملك هرقل قد ذهلوا مما جرى وما أقاموا فى تلك الجزيرة غير عشرة أيام ونقلوا الأموال إلى الخيام وتركوا رجلا من قبل الملك هرقل حاكما على تلك الجزيرة وعلى المقاطعات وخلفوه على طاعة الملك كوبرت وقد أمن من الكربات وأن لا تقطع الحل والرهبان ثم رفعوا الأحمال على ظهور البغال ورفعت على رأس الملك هرقل الرايات وخفقت البنود والصناجقات ولم يزالوا سائرين حتى تنصف النهار وأدركهم المساء وقد قاربوا مكان الميعاد الذى وعدهم به أخوهم الجان فبينما هم كذلك وإذا بغبرة مقبلة من صدر البرية عظيمة وتحته ملك الجان وكان اسمه سلهب بن عقهب وهو مقبل إلى عند الأمير عنتر ليوفى له الوعد وما وعده من أخذ الثار إلا أن الأمير

عنتر بن شداد المانزل بالخيام واستقر به القرار وإذا قد دخل عليه ملك الجان وسلم على الأمير عنتر وقال له يا فارس العصر وفريد فرسان البدو والحضر نرجو من إنعامك أن تشرف أرضنا بوطىء أقدامك لان المسافة بيننا قريبة وهذه قلعة ذات العلم غير بعيدة حتى أننا نأتيك بقاتل لدك الذى كان نزل عليك واستطالت يدهم إليك فإنهم أعدؤنا فإن الشرط الذى كان بيننا والايمان قد تهيأ الشغل فيه وتكمل وأنا أريد المسير أنا وابن عمى إلى عرصات وأعداك (قال الراوى) فعند ذلك أجابه عنتر إلى ذلك وقال له اعلم يا أخا الجان أنه قد خطر بقلبى أمر وإنى أريد أن أسألك فيه وإن كان فيه سوء أعلمنى فقال له قل يا أبا الفوارس ما تريد من السبب فقال له هذه الصورة صورتك فقال له صورتى غير هذه التى تراها وإن أردت ذلك فاركب جوادك وانظر ما نفعل من الاهوال بأعداك فعند ذلك ركب عنتر وشيبوب والخذروف فى ركابه فلم تكن غير ساعة إلا والجان قد أتت وهى تركض فى تلك البطاح وهى طالبة الحرب والكفاح فقال عنتر بعد أن ركب جواده الابجر وشيبوب والخذروف فسمعنا أصوات هائلات وضجات مرتفعات وزعقات متواليات من الجان العفاريت الغواصات تخيل لهم أن الأرض قد انطبقت على السموات ونرى لهم بأعيننا حركات فقال عنتر ياسلهب والله ما نحن إلا كأننا معكم فى الاسر فقال له ملك الجان أى شيء هذا الكلام يا ابن شداد إن أعداك هم الذين يكونون فى الاسر والاصفاد فقال عنتر وحق ذمة العرب الاجواد ما أنا إلا صادق فيما قلت لاننا ما نبصر بأعيننا لا أبيك ولا أسود بل نسمع ضجات وهياطات فقال له ملك الجان يا فارس الزمان وتحب أن تبصر بالعيان فقال له نعم يا ملك الجان فعند ذلك أخرج ملك الجان مكحلة وميلا من الذهب وكحل عنتر وشيبوب والخذروف (قال الراوى) ولما أنهم اكتحلوا الثلاثة فقال عنتر والله لقد رأينا خلائق غير قليل وجيوش كثيرة بخلاف الآدميين وأجناس مختلفات من طوائف الجان منهم أبدان بلا رؤس ورؤس بلا أبدان وبعضهم على صورة الطيور من النسور والعقبان وهم على سائر الالوان وبعضهم على صور الجمال والخيل والبغال وبعضهم على صورة الجاموس وبعضهم بأربع رؤس وبعضهم على صور القطط وعلى صور الحيات وشيء على صفة الكلاب وشيء على صفات السباع قال عنتر وقد رأيت فارسا راكبا على جواد قد علا فى الهواء وطلب القتال وهو على جواد أدهم كأنه الغراب الاسحم وعليه درع من الزرد مضاعف العدد كأنه عيون الجرد لا يعمل فيه الصارم المهند وقدميه تدق الأرض من طول قامته وكبر جثته وعظم هامته وما زال يكر فى الابطال ويسقيهم كاسات الوبال ويبترهم بالصارم النصال ولم تكن غير ساعه حتى ظهر غبار عالى المقدار وتحته من الجان جيش جرار وهم مثل الآدميين لكنهم عدد التراب وفى دون ساعة احتاط بعضهم ببعض وقد خالوا طولا وعرض ووقع بينهم القتال

وكثرت الاهوال فما كنت ترى إلا قتال شديد يلين له صم الجلاميد وكان أحدهم يأخذ النار من فاه يضرب الفارس الذى حداه فيحرقه فى عاجل الحال ويتركه ملقى على الرمال فلم تكن أكثر من ثلاث ساعات من النهار حتى انكسرت أعداء عنتر والملك سلهب فى أفقتهم هو وقومه وقد صارت أعداهم متفرقات فى الفلوات شاردات وفى أثرهم صيحات تذهل العقول وتترك من يسمعها مذهول وبعد ذلك عاد سلهب وهو على جواده ومعه خمسة مثل الأطواد وهم مقيدين مصفدين فى الأصفاد ولما وصل إلى عنتر قال له ياأبا الفوارس أعلم أن هؤلاء أعداك فيرد بقتلهم فؤادك واطفى نار حشاك وهم الذين قتلوا ولدك الغضبان وأحرقوا قلبك بالنيران فلما سمع عنتر منه هذا الامر والشان ما بقى يعرف اليمين من الشمال وقال عنتر يا اخا الجان اعلم أنى أشتهى أن أقتلهم بيدى لعل أن ينطفى ما بنا كبدى فقال له يافارس الزمان وياحامية عبس وعدنان أعلم أن حسامك ما يقطع فى الجان ولوكانت تقطع فينا كانت قطعت معك فى وادى صارخ وتلك القيمان يوم قتلوا ولدك الغضبان فقال له عنتر ياأعطينى سيفك حتى أنى آخذ ثارى بيدى وأكشف عنى عارى فناوله الملك سلهب الحسام فاخذه عنتر منه وقد أبدى الابتسام وتقدم عنتر إليهم وقد زادت بهم العبر والسيف فى يمينه مشتهر وكان هذا السيف مطلسم منقوش فتقدم عنتر إلى واحد منهم وضربه بذلك السيف قسمه نصفين وتركه دلوين وقد ضرب الآخر جعله شطرين وقد قرت منه العين وقد ضرب الباقى لى أعناقهم طير رؤسهم ولما فعل ذلك فتذكر ولده الغضبان فجرت دمعة من الأحقان وقد تذكر ما جرى له مع أعداء فى هذا المكان فانشد يقول

دار عبلة فوق المنصب العالى	ويجدها ساعد المشترى العالى
سقيا لدار كانت أخلاف بها قرت	فقدروواو أبرق سحب المزن هطال
وكم عبلة علمت أنى فارس شرس	ليس كمى وفى العزمات ريبال
وأخوض بحر المنايا وهو ملتطم	بكل أبيض فصال وعسال
وأقتحمها إذا ثارت ولها شرر	من نفخ حاميها زادت اشتعالا
وأورد الخيل علقم النقع من ظما	بحر الهلاك فتنهل بئس انهال
أسرت كل الفوارس عرب معا	ونجم سعدى من فوق السها عال
ياعبله إن كان قد وقع الفراق بنا	وحال من بيننا بحر وأجبال
وكان بين جسمى نيران مضرمة	ماتنطفى يامنى قلبى وآمالى
وقد سقم جلدى من بعد قوته	وغير البين بين الناس أحوال
وقل صبرى الذى أرجوه يعيننى	عدمته وتزايدت أفكار بلبال
والشيب فى مفرقى ياعبله ينذرنى	وهو الرسول يخبرنى بارتحال

يا عبيلة ماهد ركنى فى الزمان ولا ... أضنى فؤادى سوى فقد الأشبال
يا عبيله فقد غصوب زادنى حرقا ... لهفى دليه طريحا فى الثرى بال
ومصرع الفارس الغضبان أورثنى ... جوى ودمعى على الخدين سيال
من كان سيفى ورمحى فى الحروب إذا ... سطت على صنـــاديد وأقيال
لهفى عليه وقد رمـــوه مجدلا ... فى أرض صارح رهنا بين أحبال
جارت عليـه الليالى والزمان معا ... والدهر ما زال فى إدبار وإقبال
قتلته أسياف قـــوم لا شبيه لهم ... ولا مثـــال ولا شكل ولا حال
من معشر الجن أعظم الرحمن خلقتهم ... وصوروا من حـــيم ثم صلصال
أشباحهم كجـــذوع النخل هائلة ... ترتاع منهم أســـود ثم أشبال
لأنهم أضرموا للحرب موهجة ... يطير منهـــا شرار هائل عال
وصارت أشخاصهم بالليل ترشقنا ... حتى تفانوا بنى عمى وأخوال
تبكى عليه سيوف الهند معطلة ... تحت العجاج ويندب كل عسال
وينتحب كل قـــرم أجذ ولهم ... مضمر من جياد الخيل صهال
وقد عوات بأخذ الثأر يا والدى ... بأخـــذ ثارك يا سؤلى وآمالى
أخذت ثارك يا غضبان مقتدراً ... بحد سيف صقيل المتن فصال
وصرت أطعن فى لباتهم حنقا ... بأسمر من رماح الخط عسال
جرعت قاتلك كاس الموت يشربه ... بصارم الملك الشهـــير العال
لو كنت أوتر عن ثارى لما نسبت ... إلى آل عبس ولا السودان وأخوال
ضربت رؤسهم بالسيف مقتدراً ... فساح دمهمو على الأرض سيال
أنا الشجاع الذى ما رأيت منزلة ... إلا وأركبهـــا سعدى وإقبال

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من إنشاده وملك الجان شهلب يتعجب من فصاحته وقوة جنانه وقد شكر عنتر وأثنى عليه وقبله بين عينيه ثم أن عنتر أخذ منه الإذن فى المسير إلى الجيش وأن يمضى إلى ابن الملك قيصر فأذن له ملك الجان وقال له يافارس عدنان لو فعلنا مافعلنا ماجازيناك على ما أوليتنا من الإحسان * أخذ منه الأذن فى المسير وقد قبل عنتر فى الركاب قدميه فارمى عنتر روحه عليه وقبله بين عينيه وشكره وأثنى عليه وأمره بالرجوع إلى الأوطان وهو فرحان بأخذ ثأره واقتداره على الفرسان والشجعان وشيبوب والخذروف بين يديه يقطعون القيعان إلى أن وصلوا إلى الجيش وقد دخلوا إلى عند الملك هرقل ابن قيصر ففرح برؤياه واستبشر ونهض له قائماً على الأقدام وقد أخذه بالأحضان وأجلسه إلى جانبه وسأله عن عجائبه وما تم عليه من الجان وما لاقى من الأهوال فى ذلك المكان

فحدثه بجميع ما جرى وكيف أخذ ثاره من الجان وقد برد حر ناره فى ذلك الزمان فتعجب الملك هرقل من عظم سعادته وقوة عزيمته والإمكان وقد باتوا تلك الليلة فى ذلك المكان وقد فرحوا بالأمن والأمان وعلو الشأن وقد راح عنتر واستراح إلى أن بدت غرة الصباح فعند ذلك أمر الناس بالرحيل والرواح وقطع الروابى والبطاح فبينما هم على ذلك وإذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار والأرض منه تدكدكت والمياه قد تغيرت وتكدرت والزوابع قد ارتفعت وقد سمعوا دق كاسات ونعير بوقات وكان ذلك جيوش أفرنجية وعساكر أندلسية وفى دون ساعة انكشف ذلك الغبار وبان من تحته عشائر قد ملأت الأقطار والجميع يعبدون المسيح ويشدون الزنار وهم مثل قطع النار وهم يجدون المسير فى تلك القفار (قال الراوى) وأعجب ما فى هذه السيرة الحجازية أنه كان المقدم على هذه العشائر الافرنجية والجيوش الاندلسية ملك يسمى عنان بن الملك جنظيائيل صاحب مدينة الاندلس وقدامه القسس والشمامسة والمطران الكبير والراهب صافير والبطارقة الكبار والعمالقة الطوال وهم قد أتوا عازمين على الحرب والقتال قال الراوى وقد كان السبب فى هذه الاحاديث هو أمر أعجب من كل عجب يجب أن يؤرخ ويكتب بماء الذهب ليعتبر به أهل الذكاء والمعرفة لما فيه من الاقوال وذلك أنى ما جمعت هذه السيرة وألفتها الا على قاعدة الصدق والخبرة والاخبار المذكورة وذكرت ما جرى فيها من الامور المشهورة التى قد أخذت عن أصحاب التواريخ وتواريخهم وثقاة المحدثين من أهل السير وحديثهم وقد جمعت حديثا كأنه الدر والجوهر النفيس وسبائك الذهب لا يليق سماعه الا لذوى البصائر والعلماء والفضلاء والملوك الاكابر لانه نزهة للناظرين وانشراح للخاطر لم يجمع أحد مثلها من أهل السير لما فيها من الاحاديث والامثال والعبر وغرائب الإقوال وقوة الفصاحة والشجاعة وجودة الفكر وفنون الغرائب والكلام المعتبر وذلك بأننا قدمنا فى هذا الديوان من قبل هذا الكلام أن عنتر لما تمسك فى بلاد الشام وكانت مسكنة على يد شيخ بنى فزارة سنان لما كمن له فى رحيق الرمل وضيق ذلك المكان ورتب له هناك الروم والافرنج وجماعة من بنى غسان وقبضوا عليه وعلى من معه وكانوا أربعمائة فارس من بنى عبس وعدنان وكان السبب فى مسكنه من ذلك المكان ولده ميسرة وأخيه مازن الاسد الفاتك لما أتتهما الاوأخذا أسماء وهرب وهى زوجة مجيد بن مالك وكانت قد أكثرت البكاء والانين والاشتكاء وما هدأت لها لوعة ولا نشفت لها دمعة حتى سألها سنان شيخ بنى فزارة الطائفة الغدارة عن سبب ما هى فيه من تلك العبارة فقالت له أعلم أن هذا ميسرة بن عنتر وهذا أخيه مازن بن شداد وأنهما قد سرقانى من الخيام من عند بعلى وهربا بى إلى الشام وهذا ما ترى من الحال ثم إنها قد أسكت على جميع ما جرى لها فلما سمع سنان منها ذلك الكلام فرح وقد انشرح وقد زالت عنه الهموم والترح فمسكهما وقال لابد

لعنتر أن يلحقهما إلى هذا المكان ويأتي ومن معه جماعة من بني عبس وعدنان ولما عمد عنتر نحوهما أتى إليهما فسكنهم سنان وكان ما كان من أمر عنتر ولحق أخوه وجرى له ما جرى وأما عند الملك الحارث الغساني وقد فرح بقبض عنتر وبه استبشر وقد أرسل الحارث الملك قيصر يعلمه بأنه قد احتوى على عنتر ومعه أربعمائة فارس وقد يسأله هل يبقى عليهم أو يرحلهم أو أنه يهلكهم أو يكون الحال (قال الراوي) وأن من للقضاء والقدر ان في تلك الايام رأى الملك قيصر منام ورأى فيه ذات الذي جرى وقد ر أخبر بان المسيح لقد حضر وقال له أعلم أنه قد آن أوان رغزوات وهوان تخرج وتملك أرض مصر وملك أنوشروان والحجاز وتملك جميع تلك الامصار وتكون لك جماعة من أرض الحجاز انك أعوان وأنصار وفي تلك الايام قد وصلت إليه مراكب من جزائر البحر وفيهم ذات المعتدي الذي كان يسمى سبرون مكيد وكان ابن أخت ملك الاندلس جنطيائيل وكان فارس مليح زائد معزمات الثبات وقد كانوا يسمونه رجال الاندلس فارس الناسرد ولما وصل ذلك الفارس إلى الملك قيصر أرسله هو وجماعة من عنده إلى الملك الحارث وقد وصاه أن يبقى على عنتر وبعد ذلك جرى ما جرى وقتل الملك النعمان لما تحايل عليه الملك كسرى أنو شروان وطمعوا فيه الروم كأن النصارى قد طمعوا في دولته وقد جهزوا عشائرهم والجنود لما أنهم سمعوا أن عشائر العجم في يوم ديقار كان كسرها هانيء بن مسعود وكان في ذلك اليوم في ثمانية آلاف من الفرسان وقد كانت العجم في مائة ألف عنان فارادوا الروم وملك بني غسان أنهم يسيروا إلى العراق وتلك البلدان وبعد ذلك يسيروا إلى مدائن كسرى أنوشروان ويملكونها إلى أقصى خراسان فلما سمع الملك كسرى فارسل إليهم إياس بن قبيصة في كثير من الفرسان وصحبته رستم فارس الزمان وقد تقاتلوا الاعياء فقتل رستم فارس البحر بالعمد ولما ملك أبو الدوح البلد وقتله عنتر ومن معه من الفرسان لما أطلقوا عنتر النسوان ولما قتل فارس البحر هربوا أصحابه وطلبوا الفرار خوفا من العار ونزلوا من أنطاكية في المراكب وساروا طالبين الجزائر وما زالوا إلى أن وصلوا إلى الأندلس تلك البلدان والديار واعلموا الملك جنطيائيل بهذه الاخبار وقد نعوا إليه قتل ابن أخته الفارس الكرار ولما سمع جنطيائيل هذا الكلام ما هان عليه قتل ابن أخته وصعب عليه وكبر لديه وقام وقعد وارغى وأزبد وكفر وجحد وتمرد وقد حلف بدينه والمعبد الأكبر وما على الكنيسة من الصلبان والصور وبالمسيح ابن مريم وبكل من شد وسطه وزنر لاسار إلى هؤلاء إلا هو بنفسه وياخذ الثار قبل كل شيء من الملك قيصر ويمحق شافته ويبيد غابرته ويخرب دياره ويزيل عنه ويملك رومة الكبرى وقسطنطينة العظمى ويسير بعد ذلك إلى أرض الحجاز ويملكها ويخرب قلعتها ويأخذ العراق وخرسان ويقتل كسرى أنو شروان ويملك سائر البلدان إلى قزوقاشان

والنهر وماوراء النهر ويخرب بيوت النيران ويجدد ملة الصلبان ويبطل الاصنام وجميع الاوثان ويقتل هذا الذى ولد فى آخر الزمان وهو بارض الحجاز الذى يصير نبيا يعبد الدين القويم ويبطل الطريقة المسيحية والملة الدينية ومن شدة ما حصل له وتزايد به من غيظه على ابن اخته الذى قتل فى أرض الشام وقد حلف أنه يأخذ فى ثاره من سائر الانام (قال الراوى) وكان هذا الملك جنطيائيل ملك شديد وفارس جليد وبطل صنديد وليث عربيد وكان طويل القامه عريض الهامة كبير الجثة وافر البدن قوى الاطراف مليح الانعطاف واسع المحاجر طويل الاظافر وقد كان طوله اثنى عشر ذراع لا يفزع من الموت ولا يرتاع من الفوت ولا يمل من الحرب والفزاع وقد كان أبوه من نسل العمالقة يقال له الملك المطاع ابن الملك القعقاع وكان على ما ذكرنا طوله اثنى عشر ذراع بالهاشمى وقد عاش هذا القعقاع من العمر ستمائة عام فى زمان المسيح وقد تولى ابنه من بعده المطاع وقد عاش من العمر ثلثمائة عام على التمام الا أن ابنه جنطيائيل الفارس الضرغام كان عمره فى ذلك الزمان مائتين وسبعين عام الا أنه كان عظيم الخلقة واسع المنخر غليظ قبيح المنظر أصابعه تزيد عن شبر بن كبير اليدين طويل الرجلين واسع الجبهة مبحلق العينين وقد كانت له آذان كدور رحايتين وعنقه أطول من عنق البقر وكل من رأى صورته ينذعر وهو فارس عظيم وبطل جسيم وشيطان رجيم لا يقدر يقاومه فارس لان خلقته خلقة الجن والابالس عظامه صفح مافيها مخ بل أنها صم وهى عظام خلقة البارى ذو الجلال والاكرام ولا تحمله الخيول البحرية ولا العربية ولا الهجن البجاوية ولا تحمله إلا الافيال العتيقة لطول هامته وعرض منطقته لان عرض دور منطقته ثلاث أذرع من اذرع الرجال وكان من الافيال لانه آفة من الآفات وبليه من البليات وهو مصيبة عظمى كأنه صاعقة من السماء ولا يقاتل ولا يناضل بسيف ولا بسكين الا بعامود من الحديد الصينى ويقاتل بالحرب والمزاريق وقد كان وزن عاموده أربعمائة رطل وتسعة أمنان وطوله بالذراع الهاشمى تسعة وعرضه أربعة وقد كان بعد أبيه قد عار على البلاد وملك المهاد وقد كان ملكه إلى حد فلسطين إلى فاس إلى تونس إلى القيروان إلى الاسكندرية إلى دمياط إلى مدينة أسيوط إلى الاهواز وأسنا والمنصورية وقوص وبقارة واصواز وطوخ التراميس وصبوا وأم القصور وانصنة إلى الاشمونين إلى بلاد أخميم إلى بلاد النوبة وإلى بلاد السودان إلى كباجة إلى تكرور إلى دروة ومرواه وإلى قريطة إلى الواحات إلى الصعيد إلى مدينة البهنسة إلى أهنا من وكل هذه البلاد كانت تحت يده وطائعة لأمره وتخاف من شره ومن شجاعته وفروسته وعظيم براعته ويحمل إليه الخراج (قال الراوى) ولولا الإطالة لشرحت لكم ملك بعد ملك وجزيرة بعد جزيرة ومدينة بعد مدينة ومدائنه وبلاده وكم عدد أجناده

وجيوشه وقد كنت أذكر لكم الديار المصرية وجزائرها وسائر بلادها وأماكنها والجزائر الشرقية والبحرية والغربية والقبلية وأذكر لكم بلاد البجاه والسودان وأرض الصعيد وملك النوبة وتلك البيد وما اشتملت عليه تلك الأمصار والبلاد ولكن اقتصرنا على هذا الكلام كثرة التطويل وإلا خشيت على النفوس لا يحصل لها ملل من كثرة القال والقيل بل اقتصرت هذا المنهل القليل ولقد أتيت فى هذه السيرة الحجازية بكل نادرة عجيبة ولكل حكاية غريبة وهى كاملة المعانى والبيان عظيمة القدر والشان لا يسمعها إلا أهل البصائر والعرفان ومن لهم عقول حاضرة والباب لا يفهمها إلا أهل الخطاب ولا تقرأ إلا بين أهل المعرفة والافهام لأنها كالزهر فى الرياض (قال الراوى) إلا أن الملك جنطيائيل صاحب هذا الملك العظيم الجسيم لما حلف بدينه وتلك الايمان اقام مدة من الزمان إلى أن سمع بقتل الملك الليلمان وابنه سرجوان وقد سمع بأن عنتر بن شداد فارس الحجاز شجيع بنى عبس وعدنان ومعه جماعة من بنى غسان ومعه من أبطال الروم من كل فارس قسور وبصحبته الملك هرقل ابن الملك قيصر وأنه قد ملك جزيرة الكافور وقلعة البلور وأهدفها كورت وقد أطاعته سائر الجزائر التى تليها وسار وقد ملك مدينة لواحات وجزائرها وقتل الملك صافات ورتب عليهم دفع الخراج والمال والعداد وأنه قد فتح القصر وتلك البلاد والجزائر والمهاد وما هان عليه قتل الملك الليلمان وابنه سرجوان وقتل الملك صافات صاحب الواحات لأن تلك البلاد كانت تحت يده وخراجها يحمل إليه وقد كان له ولد يسمى عنان وقد كان فارس عظيم فى الميدان وشجيع الوقت والزمان إلا أنه لما سمع بذلك الشان وما أخذ عنتر من المدائن وسائر البلدان والجزائر صعب عليه ذلك وقد أرغى وأزبد وقد خرج الزبد على أشداقه وقد حلف بالمسيح والانجيل الصحيح أنه لا يترك من هذه الجيوش والعشائر لا أبيض ولا أسود ويقتل أبا الفوارس عنتر وكذلك هرقل بن الملك قيصر وبعد ذلك يسير إلى قيصر ويملك بلاده ويهلك عشائره وأجناده ويفنى منهم كل فارس همام ويملك انطاكية وأرض الشام ومن وقته وساعته استدعى بابنه عنان وقال له سر من وقتك وساعتك إلى هذا الرجل الأسود المسمى بعنتر واقتله وأيل هرقل بن قيصر واقتل جيوشه وامحق منهم الأثر ولا تترك لهم ذكرا يذكر ويكون المسيح فى عونك والمعبد الاكبر فلما سمع عنان من أبيه ذلك المقال أجاب بالسمع والطاعة وقال له أنا أسير فى هذه الساعة ثم أنه نادى فى جيوشه بالتجهيز وقد فرق على دساكره الأموال وفرق عليهم العدد والخود والبيض والدرق والسيف والرماح والخيول لما أكمل أمر بتجهيز المراكب واعتدات الفرسان وقد صار بعقد منهم وهم راكبين والزرد لابسين وقد تجهزوا فى المراكب وقد سارت تلك المراكب والكتائب الذين هم بعدد السيل وقد رفعت على رأس بن الملك جنطيائيل الصلبان والبيارق وسائر الاعلام وقد

دقت النواقيس، وتقدم كل مطران وقسيس ثم إن الملك ودع ولده وقد أمره أن يكون من أمره على حذر وإن هرقل هو ابن الملك قيصر وهذا الأسود الذي يسمى فارس عبس وعدنان عنتر وقد سارت المراكب في تلك البحار ولم يزالوا يجدون السير ليلا ونهار وقد طاب لهم الريح السيار إلى أن أشرفوا على جزائر الواحات وتلك الديار وقد لاح لهم البر ودخلوا الميناء ونزلوا من المراكب وركبوا الخيل وصار والليل ونهار إلى أن قابلوا عنتر وبان لهم ولأصحابهم الغبار وعلا وزاد إلى أن اسودت منه الأقطار وامتلأت بهم الأرض وتلك الديار ولم تكن غير ساعة من النهار حتى انكشف ذلك الغبار وبان للأبصار عن برق الزرد ولمعان الخود والرايات والصلبان والبيارق والأعلام والصناجق على رأس عنان فارس الزمان ابن الملك جنطيانيل وعباد المسيح والإنجيل وقد وقعت العين على العين وقد ناح عليهم غراب البين ولما رأى الملك هرقل إلى تلك الجيوش اصفر لونه وارتعد كونه وكذلك كوبرت خاف وانذعر وأما جيش الروم لولا الفضيحة والخوف من عنتر كانوا هربوا وإلى الفرار عولوا فقال لهم عنتر مالي أراكم قد انزعجتم وما الذي رأيتم حتى أنكم فزعتم من هؤلاء الطاجير المحلقين اللحاق وأي شيء يكونوا هؤلاء الأنذال المخرقين الآذان والأدبار فوحق الواحد المنان العظيم السلطان الدائم على الدوام الذي لا يشغله شأن عن شأن أنا وحدي أفنيهم بهذا الصارم الذكر ولو أنهم بعدد المطر وورق الشجر أو بعدد أمة ربيعة ومضر أصدمهم بصدر حصاني الأبجر وحسامي الضامي الأبتر ورمحي الأسمر وصوتي الأدعر واتركوا لي ولهم حديث يذكر تتحدث به الناس سيرا بعد سير وأدعهم عبرة لمن اعتبر وأنتم لا تباشروا حرب ولا قتال وانظروا كيف أبتر رؤسهم مثل وسق الشجر وأخلي الدماء تسيل في هذه الجزيرة مثل سيل المطر وأي شيء هؤلاء الطناجير يعدون مثل فرسان البشر فما بينكم وبينهم إلا صيحة من صيحاتي وحملة من حملاتي وقد أشتتهم في هذه الجزائر ولا أخلي الأول منهم يلحق الآخر فقالوا له يا أبا الفوارس نحن ما فزعنا من هؤلاء الأشرار وإنما فزعنا من ملكهم الغدر لأنه فارس مغوار ما يقع على فروسيته عيار وهو أسد كرار لا تحمله الخيول العربية ولا الخيول البحرية ولا الهجن إلا الأفيال العتيقة ولا يقاتل بمهند ولا يناضل إلا إن كان بالعمد وهو شديد البأس صعب المراس قوي الرأي أطول ما يكون من الناس وهو ملك الأندلس إلى أقصى بلاد فلسطين والجزائر البحرية والقبلية والغربية والشرقية والمصرية وهذه الأرض التي نحن فيها من تحت يده وتحمل إليه الخراج والعداد وابن الملك قيصر كان لا يتعرض لأجله إلى هذه الأرض لأن يا أبا الفوارس يخاف منه كل من في الأرض وإن له عشائر بعدد الرمال وأبطال له مثل السيل إذا سال وأما ابنه عنان فإنه فارس العصر والزمان وشجيع هذا الأوان إلا أنه أقصر باعا من أبيه في الميطان وكأنك به وقد أتى إلينا في الأبطال والأجناد وعشائره ومن له من الأقيال ولو كان علمنا بأن هذا يجري علينا

ما كنا أتينا ههنا ولا كنا سرنا ولا التقينا الملك الليلمان وكنا أقمنا فى أوطاننا وبلادنا وكانت عشائرنا كثيرة زأجنادنا غزيرة ولما سمع عنتر منهم هذا الكلام قال لهم لا تخافوا من هؤلاء الفرسان فانهم الاغنم ونعامات سارحات وها أنا بين أيديكم وسترو ا ما تقر به أعينكم وأما ماذكرتم من أمر هذا الفارس وملكهم جنظيائيل الذى ما يحمله إلا كل فيل فلا تفزع من طوله ولا من عرضه وسوف أفده بحسامى الذى لو ضربت به جبلا لهذه وأما فيله فلا تحمل همه فانى معود بقتل الأفيال ثم أنا فى القيود والأغلال لاسيما فى كل فائدة اسمى فيها باسم النبى المفضل فانى أسال الله تعالى بجاه محمد ﷺ أن يمدنى فى العمر حتى يبعث هذا النبى الكريم فأقاتل بين يديه كل جبار اثيم وشيطان رجيم ولا تفزع يا ملك الزمان ولو انطبق على خلق الشيطان فانهم بهم أملى وفى قتالهم أربى فلما سمع الملك هرقل من عنتر ذلك الكلام فرح واستبشر وأمل بالنصر والظفر وفى دون ساعة زعق وزجر وأمر أصحابه بالحملة على تلك الدساكر وكذلك الملك كوبرت زعق فى دساكره فجرت وإلى حروبها انتصبت وقد زعق فى تلك الدساكر وحمل ودعس فيهم بجواده الابحر وضرب بالعمد وما قصر وقد ترك الجماجم تتساقط كأنها الأكر لله دره من أسد قسور وليث أغبر وشجيع غضنفر وأما عشائر الاندلس فانها لما وقعت عينها على عشائر الملك هرقل فزعق فى أوائلهم عنان وحمل ذلك الجيش وقد ثار الغبار واعتكر وقد دقت النواقيس وصاح كل مطران وقسيس وحملت البطارقة والعمالقة وقطعت السيوف الخود البارقة وقد صارت النفوس زاهقة والأرواح من الاجساد مفارقه والفرسان باخصامها عالقه وسوق المنايا بعد الكساد نافقه وقد سالت الدماء على الحصى والجلمود وغاصت الاسنه فى العلائق والكبود وقد تنكست الاعلام والبنود وقد ركضت حوافر الخيل فوق الاضلاع ومزقت الجلود وتبدلوا بالعدم بعد الوجود وسارت الوجوه من شدة القتال سود وقد تضاربت الافرنج والروم باللات والعامود وسار الجبان مفقود وقد كانوا القوم بين فاقد ومفقود وشقى ومسعود وزادت زعقه الشجعان وساروا مثل الأسود واقشعرت الابدان وتمزقت الجلود وقد فاضت منهم المدامع على الخدود وانكسرت الصوارم ومالت البنود وأما عنتر فقد أشعل نار الحرب واصطلاها وضرب بسيفه الرقاب أبراها وأنزل الدم وأجراها وأطعم من لحومها بعد أن فراها وتلقى الابطال بالضرب وأجرى دماها وقد نثر بسيفه الضامى رقابها ومزق كلاهما وقد جالت الخيل بفرسانها ولعبت بابطالها وقد تصادمت أقيالها وتبدل نهارها بليلها وعشائر الروم قد انحصرت واخلصت إلى القتال نياتها وقد زعقت أصواتها بعيسى ومريم وقد علت زعقاتها وطعنت صدور الاعداء بقنطارياتها وفلقت جماجم بمشرفياتها وقد طحنت رجال الاندلس بسمرياتها واسودت الاقطار من سائر جنباتها وقد ركضت بخيلها وأخلصت أعناتها

وزاد بلبالها وقد حامت على أجسام ساداتها وكان ملك الموت قد دار عليهم من المنايا كاساتها وكان رسوله عنتر وقد أسقاهم علقم شرابها الله در عنتر بن شداد فانه كان كالنار المسعره ذات الشرر التي لا تبقى ولا تذر وقد جال فيهم بجواده الابجر وضرب فيهم بحسامة الضامي الابتر وشيبوب والخذروف بين يديه يحمون جواده الابجر وقد ترك الافرنج على الثرى عبرة لمن يرى واعتبروا اما الملك عنان لما رأى فعل عنتر في الميدان فحمل وخرج من تحت الاعلام وبرز وبان بعدأن كان تحت الصناجق والاعلام وقد صار يطلب الكفاح والصدام وقد كثر الصياح والزحام وعظم القتال واشتدت الاهوال وقد زاد الحرب اشتعال وكثر القيل والقال وهلكت الرجال وقد جاء الحق وزهق المحال ولما نظرت عشائر الاندلس إلى ذلك الحرب والقتال فلله در كوبرت ومافعل في ذلك اليوم من الفعال فانه فلق الهام وقد نثر الرؤس من الاقوام وخلا جماجم مدحرجة تحت الاقدام وقد جرى بينهم عجائب تشيب الاطفال وأحوال تحير الاوهام ولم يزالوا على هذا الحديث والكلام وهم في صدام ولزام وتجريع الموت الزؤام إلى أن ولى النهار وأقبل الظلام وعادوا إلى المضارب والخيام وقد استظهر الروم على عشائر عنان ولولا الخوف من العار كانت قد طلبت الهرب والفرار ولما رجعت عشائر الروم فما كان فيهم إلا من يثني على أبي الفوارس عنتر فاثنى عليهم ولهم قد شكر وعنتر لانه قد أوعدهم بالنصر والظفر ففرح الملك كوبرت واستبشر وكذلك الملك هوقل بن الملك قيصر وكل منهم لعنتر حمد وشكر فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من الملك عنان فانه لما عاد من الميدان فرأى الارض قد التمت من أصحابه فغاب صوابه وقد داخله الفزع وحل به الجزع وقد أوقدوا النيران وتحاسوا مفريقان فعند ذلك شكت أهل الاندلس إلى الملك عنان مالقيت من عنتر وما قاست من الموت الاحمر في ذلك اليوم الاغبر ومافعل فيهم من العبر وقد أخبروه بمن قتل ومن أسر فقال لهم لما سمع مقالهم وسمع شكواهم واذلالهم أقبل عليهم وقال لهم ما أفناكم وبدد شملكم وفرق جمعكم إلا هذا الاسود والبعل الانكد المسمى بعنتر وفي غداة غد أبارزه واقتله واقتل لكم من بعده هرقل بن الملك قيصر وكذلك كوبرت الغضنفر وكل من معهم من المشائر وهل أرسلني أبي ملك الزمان لاقتل هؤلاء الفرسان واقتل سرجوان بن الليلمان ولم أدع منهم إنسان ولم يزالوا على ذلك الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس من على الروابي والبطاح فعند ذلك ركبت العشائر واصطفت وترتبت الفرسان وقد همت الطوائف بالحلة على بعضها بعض وإذا بفارس قد برز من عشائر الاندلس راكبا على جواد أحر عال من الخيل مضمر اقبل أو أدبر افتن الناظر إذا نظر بين عينيه غرة تزهر كانها دائرة القمر جريه أسرع من لمح البصر واسبق من خيل ربيعة ومضر حديد النواظر

مدور الحوافر صنعه الملك القادر متسع الكفل لا يوصف بالتعب ولا بالملل ولا بالنصب ولا بالفشل وعلى جسده زرديه بالذهب مطليه لا تعمل فيها السيوف الهنديه ولا الرماح الخطيه وهو معتقل بقنطاريه خلنجيه متقلد بصفيحه هنديه وعلى رأسه بيضه ذهبيه عاديه وفى ظهره مرآة تخطف النظر ومن خلف ظهره صليب من الجوهر وهو كأنه الاسد العابس وقد ترجل فى ركابه أرفى من ألف فارس وما زال إلى أن توسط الميدان فرجعت من حوله تلك الفرسان ثم أنه أشار إلى طوائف الروم بالبراز وطلب الانجاز وطلب الملك هرقل والملك كوبرت وعنتر فارس الحجاز فلم تم كلامه حتى سار عنتر قدامه وهو راكب على ظهر جواده الابجر متقلد بسيفه الضامى الابتر معتقل برمحه الكعوب الاسمر وقد حمل عليه كأنه الاسد الغضنفر فتلقاه عنان كأنه النمر القسور فجال عليه عنتر بنية غير فاترة وقد طلعت على الاثنين الغبرة وقد كان لها وقعه عسره تذهل من الشجاع بصره وقد أبصروا الارض عليهما ضيقه منحصرة وقد نزلت عليهما من الله أقداره المقدرة وقد ضاقت منهما النفوس من أسباب المنا هذا كله والفارسان قد أظهرا أعجبا حتى كانت الخيل منهما تعبا وقد مشيت بعد الجرى خببا وقد صارت الانفس علقا وسالت الاجساد عرقا وقد جاءا الاثنين وعشطا وحاوا واندهشا وقد مضى النهار مندجا وقد صار البر ضيقا حرجا وقد طلب من شدة الظما فرجا وكان هول ذلك اليوم من أعجب العجب حرجا ولما رأى عنتر ذلك اليوم حاذاه وساواه وقد طعنه بالرمح فى أحشاه أطلع السنان يلمع من قفاه وقد مال عن الجواد فعند ذلك زعق عنتر ونادى يا لعبس الاجواد أنا عنتر بن شداد فانجدل صريعا يعج علقما ونجيعا ولما رأت الاعلاج إلى ابن ملكها قتيل وعلى وجه الارض جديل زعقت بالانجيل وا كبت رؤسها فى قرابيص سروجها وقد وطنت على الموت نفوسها وقد دقت نواقيسها وقد طمطمت على عنتر بالافرنجيه وزعمت أنها تسقيه كاس المنيه فعند ذلك نزل الحديد على الحديد وقد بان الضعيف من البطل الصنديد وقد حملت الابطال الاماجيد والبطارقه الصناديد وقد قدح الشرار من الجلاميد وقد جرى الدماء على الصعيد وبانت أعلام ملك الموت قريب وبعيد وقد عرف الشقى من السعيد والشجاع من الجبان البليد وقد جال فيهم عنتر وأطرحهم على الصعيد وقد أهلكهم وفرقهم ومزقهم وصلبوا على وجوههم وأمطرت سحائب الدماء على أهل الاندلس ودمدمت رعود المنايا على الاجساد فاهلكتهم وقد حمل عنتر بن شداد على الفرسان وهجم على الشجعان وأجرى أديمتهم على الارض فصبغ بها الميدان وقد أهلك الفتيان وقد هاج فى الحرب والقراع كتهيج السباع وشيبوب والخذروف يحمون جواده وظهره بالنبال فلله در عنتر ما فعل وكم أهلك فى ذلك اليوم وقتل لانه خرق الصفوف وسقى أهل الاندلس شراب الحتوف وقد مزق من عساكرهم أكثر الصفوف وقد وضعت أهل الروم فى أهل الاندلس

السيوف وقد قويت قلوبهم بعنتر شجيع المشارق والمغارب فلم تكن غير ساعة حتى أهل الأندلس الأدبار وركنوا إلى الفرار وقد تركوا أموالهم وأثقالهم وطلبوا الهرب وقد رأوا سلامة نفوسهم وغنائمهم أوفى مكسب فتبعهم عنتر وهو يطعن فى ظهورهم بالرماح المداد هو ومن معه من اليوم الشداد إلى آخر النهار وقد عادوا إلى أماكنهم والخيام وقد أهلك عنتر عالما لا يقع عليهم عيار وقد تذكر عنتر عودته ما قاسى من الأهوال وهجومه على المهمات الثقال فخطر على قلبه من الشعر ارتجاز فأنشد وجعل يقول هذه الأبيات

اعطنى رمح الخصامى فلقد طال مقامى وإذ نادى منادى
عنترة فرسان الأنام أين أبناء الكريهة أين أبناء الكرام
فترانى أطلب السوط لكل ليث صدام وعلى جسمى حديد
يكم عند العرام وألبست الجسم درعا صان لحمى والعظام
وصارت الخيل رفقا مثل سير الغمام وإذا لقيت جيشا
طاب لى شرب الحمام وتركت الروم صرعا فى الثرى مثل النيام
وأنا عنتر حقا بطل عند الصدام وترى النار تضرم من
بين سرجى ولجام هكذا العيش وإلا فعلى الدنيا السلام
أبلغوا جنطائيل عنى بالحروب غير مضام سوف أتركه صريعا
ثاوى الجنبين رام وأذقه كاس حتف من سنانى وحسام
لو رآنى الموت يوما فر من عظم صدام
لى عزم طول عمرى زائد فى كل عام

(قال الراوى) ولما سمع الحاضرين من عنتر هذا النظام لحقهم الطرب والهيام وأما هرقل بن الملك قيصر فانه ابتهج وقد مضت عنه الهموم وقال له لا فض الله فاك ولا كان من يشناك وجعلنى من الأسوا فداك ونشر المسيح عليك أعلام نصره وأمنك من حوادث دهره ثم أنه نهض فى عاجل الحال وقبل صدره وبين عينيه فقبل عنتر يديه وقد شكره وأثنى عليه ثم أمر من معهم من الرجال بلم الخيل الشاردة والأسلاب المبددة وحملوهم على البغال وقد عادوا بعد ذلك إلى الموضع الذى كانوا فيه (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من امر الملك جنطيائيل ملك الأندلس الكلب اللعين الغدار فانه كان قاعدا لابنه هناك فى الانتظار حتى أنه يأتيه بعنتر وهرقل وكوبرت ومن معهم فى الأسر والاضرار لأنه ابنه عنان كان بطل عظيم وعلج جسيم ولم يزل يطمن نفسه بهذا الكلام إلى أن كان فى يوم من بعض الأيام فلم يشعر إلا وقد أقبلت إليه المنهزمين وهم كلهم منهزمين وهم فى البرارى والجزائر صارخين متقطعين من عشرة وعشرين وهم كانهم فى يومهم كالبحر الزاخر

والاول منهم لا يلتفت إلى الآخر ولما وصلوا إلى المدينة أكثروا من البكاء والعويل وقد أعلنوا بالويل والتنكيل وقد أكثروا من الحزن الطويل فسمع الملك جنطيائيل الضجة فسأل عن ذلك الخبر فقالوا له أيها الملك قد وصلت الجيوش وهم مكسورين والفرسان متقطعين بعد ما كانوا مجتمعين وقد أخبروا الملك أن ابنك عنان قد قتل في الميدان وقد قتله فارس الفرسان وشجيع العصر والزمان فارس عبس وعدنان الذى قد ملك تلك البلدان والجزائر وهو عنتر بن شداد الذى أتى به الملك هرقل بن قيصر من أرض الحجاز لأنه فارس همام وبطل ضرغام (قال الراوى) فلما سمع جنطائيل منهم الكلام استوى عنده الضياء والظلام وقد غاب عنه الصواب لما سمع ذلك الخطاب وصار كأنه فى منام ساعة من الزمان وأفاق وتفل على الأرض من فمه وقد مد أسنانه كأنه الثعبان ونفخ وسال ريقه على تلك الكثبان فاحرق ما حوله من الحشيش الأخضر من شدة غيظه وما دخل على قلبه وأغم على عقله ولبه ثم أنه أدعى ببعض المنهزمين من تلك الأعلاج الفرسان ولما حضروا قال لهم كيف قد قتل ولدى عنان فى الميدان فقالوا له يا ملك الزمان أعلم أنه قد قتله فارس أسود وله قلب أقوى من الجلد وقد طعنه بالسنان فى صدره أطلع الرمح عشرة أنابيب من ظهره وبعد ذلك حمل علينا فى ساحة المجال وقد قتل الأبطال وجندل الأقيال وهو كأنه الجمل إذا هاج وقد سمعناه وهو بالعربية يقول ويلكم يا أوغاد غير أجواد أما علمتم أنى عنتر بن شداد فارس الأرض والبلاد وما دخلت إلى دياركم حتى أملك سائر بلادكم وأقتل ملككم جنطيائل هذا الكلب الطويل الهبيل وأملك بلاد الأندلس والغرب الكبير ثم كان يباطن الفارس العظيم ويقبضه ويخطفه من على الجواد ويضرب به الأرض يخلط بعضه فى بعض ثم أنه صار يضايق الناس فى المجال ويمسك فارسا بيده اليمين وفارسا بيده الشمال ويضربهما الاثنين فيقتل أربع رجال ويطلع الزبد على أشداقه فى الميدان وتحمر عينيه حتى تبقى كأنهما شرار النيران وما كأنه إلا مارد أو شيطان أو من عفاريت سيدنا سليمان لأنه أسود يشبه الآبنوس ولا يقدر عليه لا عاجز ولا فارس لأن ما مثله أحد فى هذا الزمان مقايس ولا يوجد مثله ممارس لأن صدماته تهد الجبال ويطعن طعنات تقرب الآجال وجواده إذا رأى الفرسان قد ازدحمت عليه يفتح فاه كأنه الغول أو الأسد المهول ويصدم الفارس فى الميدان فيكسره ويرميه عن ظهر الحصان فتدكه الخيل رأسه بين صاحبه على لقاء الشجاع ويبيد الفتيان ولا يصعب عليك أيها الملك من هذا الانسان فما مثله شيطان إلا أن يكون أنت يا ملك الزمان وليس له ضد ولا مقايس سواك ولا يقمعه فارس إلا أنت لأنك أقوى منه فى الميدان ولا فينا أحد يلقاه فلما سمع منهم ذلك المقال صعب عليه ولا بقى يعرف ما بين يديه ولا يمينه من الشمال ثم أنه بعد ذلك سحب عامود وبطش فى الرجال فقتل عشرة من الأبطال والباقى هربوا من قدامه فى عاجل الحال وقال لهم يا ويلكم يا أنذال لمثلى يقال

له يقال هذا المقال وتصفون هذا البدوي حلاب النوق وراعي الجمال ولو لا خوفي من المسيح ما أبقيت منكم بطريق صحيح إلا ملقى على الثرى طريح يا ويلكم أكون أنا الملك جنطيائيل ابن الجلاج بن القمقاع وتفزعون من هذا الاسود عند القراع وأي شيء يكون هذا الاسود المشوم ومن معه من العرب والروم وأنا الأسد الغشوم وسوف تنظرون كيف أخلي أنفهم مرغوم ولا مثلي يقاس بكل من في بلاد العرب وأنا ملك الشرق والغرب وسوف ترون ما أفعل بهم في الميدان وأنا على ظهر فيلي سيروان وسوف أقتل هذا معبد المسمى بعنتر أخو السودان وكوبرت ومن معه وكذلك هرقل بن قيصر ولما سمعوا كلامه الجميع سكتوا ولا عاد تكلم منهم لا وضيع ولا رفيع وقالوا له أيها الملك ها نحن كلنا بين يديك نقاتل معك وسوف ترى منا ما تقر به عينيك ثم أنه في ساعة الحال أمر بالتجهيز إلى ساحة المجال للحرب والقتال وأن يكونوا على أهبة النزال ففعلوا ما أمرهم به ملكهم جنطيائيل ولبسوا الزرد والخود بلا تطويل (قال الراوي) وزعقت البوقات السلطانية وعرض الملك عشائره فكانوا اسبعمائة ألف بطل فترك في المدينة مائة ألف فارس من كل مدرس ولابس وللحرب ممارس مكانه ولده الصغير عبد المسيح لأنه ذو عقل رجيح ولسان عربي فصيح هذا وقد ركب جنطيائيل على ظهر سيروان الفيل وقد رحل من مدينته طالب هلاك جيش الروم وفي مقدمة عشائره القسس والبطارقة والاعلاج والشمامسة والشجعان والراهب الكبير والمطران والملك جنطيائيل على رأسه الصلبان والأعلام عليها صورة مريم ابنة عمران (قال الراوي) فهذا ما كان من هؤلاء وأما كان من كوبرت وعنتر وهرقل ابن الملك قيصر فانهم لما كسروا ذلك الجيش أقبل عنتر على كوبرت وابن الملك قيصر وقال لهما ما عمودكما عن هذا الطنجير جنطيائيل ولم لا نسير إلى ديارهم ونخربها ونمحي آثارهم ونقتله ونسبي حريمه وعياله ونأخذ ذخائره وأمواله وأي شيء هو هذا الكلب الطويل حتى نتركه إلى هذه الديار يسير ولأي شيء لم نسير بجموعنا إليه ونقتل جيشه الكبير ولا نخلي منهم لا قليل ولا كثير ولا صغير ولا كبير ونملك بلاد الاندلس إلى أقصى الغرب الكبير فقالوا نعم يا أبا الفوارس ما به تشير ثم أنهم تجهزوا في ساعة الحال في مائة ألف عنان من الأبطال فقال عنتر ولو يكون عشائر الأندلس بعدد الحصى والرمال لأفنيتهم بعون الملك المتعال وأفنيهم بالحسام والقناة وسوف ترى أيها الملك مني ومن جيش الأندلس الكثير وما يجرى لي مع هذا الطويل بن الأندال جنطائيل ففرح ابن الملك قيصر بهذا المقال وعلم أنه يقدر على هذه الفعال ثم أنهم قسموا الجيش قسمين فانتخبوا مائة فارس من الاعلاج الشداد وقد ركب عنتر على ظهر جواده الابجر وشيبوب والخذرف بين يديه كأنهما ذكر النعام إذا انذعر هذا والامير عنتر قد تذكر دياره فتلهبت أحشائه وتأمل الشام فنظر برقا يلمع فتذكر عبلة ففاض دمعه وانهمع وزاد به الوجد والغرام فانشد

يقول هذه الابيات :

أبرق نجد أضاء ياسعد أم هتيا	أم نور عبلة بدى يا برق هنيتا
أم نورها قد أضاء يا برق في غسق	كما تشب على أيدى الصاليتا
فاق ذكر لها أول وآخرها	تعاونتها بنات الروم سميا
قد صاغها الله من حسن وقال لها	خوضى الممالك تركيا ونثبيتا
وسحر أجفانها قد زادنى سقما	أخلت فيهما كهاروت وماروتا
أيا عارضا رائحا يغدو بوارقه	أقصد لشام دمشق فهذا نجيتا
يابرق إن جزت أرض الشام لى رشأ	تحمل تحيتهــا عنى فحييتا
إن منك قد سألت عنى فقل لها	كان سيفى لو قد النار كبريتا
يا عبلة إنى إذا ما جلت فى رهج	تسمع له الأذن إرعادا وتصويتا
ساورى الروم ضرب السيف بتار	تخر له الأسد الضرغام مبهوتا

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره وإنشاده وإذا بهرقل بن الملك قيصر قد مال وترنح فوق جواده وقال له وحق المسيح مالك مثيل فى الفصاحة ولا فى الثبات فى الميدان فالله يبلغك أمانيك ويكمد حاسديك فدعا له عنتر وأثنى عليه وله شكر ثم أنهم ساروا بعد هذا الكلام وهم يقطعون البرارى والآكام مدة خمسة وثلاثين نهارا على التمام وهم يقطعون المهاد والأرض والبلاد وفى أوائلهم عنتر بن شداد حتى تقاربت العشائر من بعضها بعض وطلع غبارها فاسودت منه الاقطار وخفقت البنود والازدهارات فكان ملتقاهم ببعضهم البعض فى مكان عظيم يقال له وادى الرميم هذا وقد علا الضجيج لاختلاف اللغات ونعرت البوقات ودقت الكوسات وهجت الوحوش من الغابات وارتجت سائر الجنبات وخفقت الاعلام والروايات من هبوب الرياح العاصفات ولمعت بروق الصوارم المرهفات مع حلل سحائب الغبائر المرتفعات وصهلت الخيول الصافنات واشتاقت إلى الحرب قلوب السادات وهان عليهم شرب كاس المات وما فيهم إلا من لاح له وجه النصر بعلامات وخفقت البنود والرايات هذا وقد انكشفوا الطائفتين وحقق بعضهم بعض برأى العين ولم يجدوا الدساكر ثبات بسبب الحقد والكراهات والملك جنطيانيل فى مؤخرة الجيش راكب على فيله وسائر كأنه الاسد القسور ولان أكثر الخيل كانت منه تنفر فلأجل هذا ما تقدم أمام الجيش هذا وقد أمر عشائره بالحملة فحملوا على بعضهم البعض وجالوا طولا وعرض فارتجت من تحت حوافر خيولهم الأرض وعظمت الاهوال واهتزت الجبال وقد تقاربت الآجال وصدمت الرجال بالرجال واشتدت المخاوف والاوجال واختلف الطعن يمينا وشمالا ونزع الشجاع فى سرجه ومال وانقطعت من الجبال الآمال وعظم

الوبل والوبال وبان الصدق من المحال وتصادمت الشجعان واختلط الجمار وتقاتلوا الطائفتان وتطاعنوا الجيشان وعمل السيوف اليمان إلى أن غابت الثريا والزبرقان وأدبر السرطان ومالت كفة الميزان وانباع المشترى بابخس الاثمان وطار عقل عطارد الصباح فأخذه بعد الامان وسعى سهيل السماك وتفرقد الفرقدان وزاد على الثور فشمم الأسد فقطع منه مواصلة الابدان وضربت الجوزاء الجدى فانصدعت بعد أن كانت كالسندبان وهجم على المريخ سلطانه الضياء فخضع باسه وطلب الامان وخضعت السنبلة وتجارى على الجدى من النور كرأس العقبان وانحط سقاء الدلو بعد ارتفاعه محل كيوان وحارت النواظر والاذهان وكان يوماً من أيام الزمان أنباعت فيه الارواح بيع الهوان وقد صارت الأرض من دماء الفرسان كالارجوان وضجت عمار تلك الأرض والسكان وهمهمت أسود الحرب وزادت الزعقات وذهب عين الجبان وتمنى أنه لا كان وضاق الميدان وصحا السكران ولله در ذلك اليوم من يوم عظيم الشان زاد الكرب على الفرسان وحمى فيه الحديد على الابدان والامير عنتر بن شداد يجول فى الميدان أى جولان ولا يعفو عن قتل القسوس والرهبان ولا البطارقة ولا المطران ولا العلوج ولا العقبان ولا الشيوخ ولا الشبان وقد بلغ العرق إلى الاذقان والأمير عنتر ينثر الجماجم من على قامات الابدان ويزيد وقيد الحرب نيران ودمدم فارجف قلوب الشجعان وفرق شمل الافرنج اللئام عباد الصلبان بتواتر الطعان وجندل الاقران وصبغ بادميتهم الميدان ولم يزالوا على ذلك الشان إلى أن اذن الله تعالى للنهار بالارتحال وأقبل الليل بظلامه والانسدال هنالك افترقوا من الحرب والقتال والطعان والنزال وعادوا إلى الخيام وأكلوا شيئاً من الطعام وقد بحث الروم فى ذلك النهار تحت الغبار بقتال فارس عبس وعدنان البطل الكرار والاسد الهدار وحارت أهل الأندلس وظهر عليها الانكسار ولولا خوفها من الملك جنطيانيل لطلبت الهزيمة ورجعت إلى وسط الديار بل صبرت على الروم خوفاً من البوار ونهبت عشائر الملك هرقل بن قيصر بعض خيام الافرنج والرجاله ولكن رجعت عشائر قيصر وهى تشكو إلى الأمير عنتر مالاقت من القتال إلا أنها تشكره وتثنى عليه وتشير بالدعاء إليه (قال الراوى) وأما صاحب الفيل الملك جنطيانيل فانه جرد على عشائره ووبخهم على ماقد فعلوا وكيف أنهم تقهقروا وقت الحرب والقتال وقال لهم يا ويلكم أما أنتم رجال ولا فيكم نخوة الابطال أما تخشون من العار والقيل والقال حتى يكسركم هؤلاء الابدال فقالوا له أيها الملك جنطيانيل أنا جهلنا أمرهما حتى وصل إلينا شرهم وحق المسيح ما يقرأ والانجيل وزبور داود وذات التبجيل فى غداة غد ندهمهم ونحمل باجمعنا بعد ما يقرأ علينا الانجيل فلا نخلى منهم لا كبير ولا صغير ولا كثير ولا قليل وأول ما نقتل هذا الأسود المشهور المسمى بعنتر لانه مثل الموت الاحمر الذى لا يبقى ولا يذر ونقتل كوبرت وهرقل

ابن الملك قيصر ولا تخلى من هذه العشائر من يخبر بخبر ففرح جنطيائيل من مقالهم وأطمان لأعمالهم ثم أنهم قاموا للمنام بعد أن أكلوا الطعام ورتبوا لهم حرسا فى الظلام ولم يزالوا على هذا الروح الى أن أصبح الله بالصباح ركبوا الجراد القدح واعتقلوا بالرماح طلبوا الحرب والكفاح فعند ذلك دمت الكؤسات والنواقيس وزعق كل راهب وقسيس وشماس وبطريق ونعرت البوقات وخفقت الرايات هذا وقد حملت العشائر من سائر الجهات وطعنت بالرماح السمهريات وجردت السيوف المشرفيات وطاب لهم شرب كأس الممات وضاقت بهم الأرض والسموات والفاوات ودارت عليهم طاحون الآفات وحملت عشائر الروم على عشائر الأندلسيات وثبتت للطعان فى اللبات وحمل عنتر وزعق بين أذنى جواده الابجر زعقات عاليات وصاح صيحات مرتفعات حتى رجت الجبال والفلوات وشيبوب والخذروف بين يديه يرميان بالنبال فيصيبان بها نحور السادات وصبرت عشائر الروم صبرا ولاد للعربيات وعمت المصائب وأسودت الاماكن والجهات وخاضت الخيل بالدماء فتغيرت ألوانها المختلفات هذا السيف يعمل من سائر الجهات وتزلزت الأرض من ركض الصافنات وتهامروا مثل الصباع الضاريات وعملت الرماح والقنطاريات فى صدور السادات وارتعدت الأبدان من شدة الأهوال الحادثات وبدم الجبان على الثبات وأخذت الحيرة الشجاع والانبهات وطارت الجماجم بضرب المشرفيات وحارت المسامع من اختلاف اللغات وكان النهار قد ضاق عن مثل هذه الصفات وعظمت المصائب والآفات وأيقنت النفوس بالممات فيالها من ساعة لا تشبه الساعات ووقعة لا تشبه الوقعات واسودت فى أعينهم سائر الجهات وامتلات أبدانهم بالجراحات وقلت منهم الحركات هذا والامير عنتر يثب وثبات ويسوق عشائر الأندلس سوق الغنم السارحات وينشر الفرسان من على السروج بطعنات صادقات وجعل كل بطريق اثنين بضربات قاطعات وفتك فى البطارقة والشمامسة والقسيسة وهو يكثر الصرخات وزمزعقات فتولى الخيل من زعقاته لما تسمع تلك الأصوات ترمى ركابها إلى الأرض من شدة ما يدخل عليها النائبات لما تسمع من تلك الصيحات المعظمات هذه الوجال تظن من شدة زعقاته أن الأرض انطبقت عليها من السموات ولم يزالوا على هذا الأشياء الهائلات إلى أن أذن الله للنهار بالارتحال وأقبل الليل بالظلمات باذن رب البريات هنالك افترقوا من الحروب والكربات لما أمسى المساء وما فيهم من يعرف أحسن إليه الدهر أم أساء هذا وقد رجعت عشائر الأندلس خائفات من ضربات عنتر المسرعات فوبخهم الملك على هذه الفترات فقالوا وحق المسيح ما عمرنا رأينا مثل هذا الاسود لأنه داهية وبلية عظيمة وكانت زعقته كأنها الصاعقة من السماء أو سخطة نزلت على هذه البلاد فكلما نطلبه من كل جانب ونقول وأننا نمزقه بالقنا والقواضب فيصيح فى المواكب فيشتتها الخيل

من صيحاته باعتها وكان المسيح قد غضب علينا حتى أرسل هذا الشيطان إلينا وإلا لو كفينا أيها الملك شر هذا الأسود فى القتال الذى كأنه فحل من فحول الجمال فقال الملك أنا لولا أنى أخاف أن يعايرونى سائر ملوك البلاد ويقولون الملك جنطيائيل برز إلى عبد شداد وإلا كنت من أول ما وقعت عينى عليه أهلكته وضربته بعمدى هذا محقته ولكن لا بد لى منه فى ساحة المجال أقتله وآخذ بثأر أبى عنان الفارس الريبال لأنى أراكم فشلتم أنتم بكثرة تسكم عن قتاله ولا تقدرون على أهواله وحربه ونزاله ودع تقول الشجعان ملك الأندلس بارز عبدا أسود فى الميدان وأنا وحق المسيح أن ضربته بعمدى هذا أقضى عليه ولكن لا كلام حتى يطلع النهار وأبرز إلى الميدان وأقتل هذا الأسود ابن اللئام ثم أنه أمر بحضور عدته والحراب والمزاريق والعمد الذى يقاتل بهم وأن يحضروا له زرديته المذكورة الطويلة السواعد وأن يأتوا بفيله سيرون فهذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان فارس عبس وعدنان وليث الميدان وشجيع الزمان فإنه عاد بالربح لا بالخسران وأما كوبرت والروم فإنهم شكوا لعنتر ما يجدوه من الكثرة وقالوا له يا أبا الفوارس العشائر كثيرين ونحن قليل ولا يحصى لهم مدد فيا ليتك أن ترجع تلك الفرسان إلى المدينة فعند ذلك شجعهم عنتر وقال لهم لا تخشوا من أحد وأنا أعلم ما ثبات هذه العشائر الجزيل إلا بملكهم جنطيائيل هذا الكلب الذليل وأنا أن شاء الله الملك الجليل فى غداة غد أصرم عمره الطويل وأقتل فيله وإسحق عمره وأجعل طوله بعرضه لأن نفس هذا القرنان تكبر عليه أنه يبرز فى الميدان لأنه يقول فى نفسه أنه ملك الأرض فى طولها والعرض وسترون كيف أجندله فى هذه الأرض واخلط بعضه فى بعض وأن هو خرج إلى الميدان فرقت أنا هذه الأجناد ولا أزال أخرق الجيش حتى التقيه وانثر رؤس ما حوله من الأقران وأقتل بطارقته والرهبان إلى أن القى هذا القرنان وسيجرى بينى وبينه ما يريد الرب القديم رب زمزم والحطيم فإذا فرغت من هذا النذل ابن اللئام أفنى بعده هذه العشائر ولا أخلى منهم لا كثير ولا قليل واترك العالم تتحدث بفعالى جيلا بعد جيل (قال الراوى) فلما سمع الملك هرقل وكوبرت والعشائر من الأمير عنتر هذا الكلام فرحوا بما وعدهم من النصر والظفر وتقدم هرقل بن الملك قيصر وأثنى عليه وله شكر فقبل عنتر يديه ووعده بما تقر به عينيه وبعد ذلك بات الجيشان يتحارسان وباتت الروم فى أحسن ما يكون إلى أن أصبح الله بالصباح فهنا ركب الجيشان الجرد القداح وطلبا الحرب والكفاح وصف عنتر جيوشه ميمنة ورتبهم ميسرة وقلبا وجناحين وأمل وأن يسقى ملك الأندلس كاس الحين وينزل به الشين فلما تمخضت الصفوف وترتبت الألوف وإذا قد ترجل على التحقيق أو فى عشرة آلاف بطريق ويقدمهم فارس طويل راكب على فيل عظيم قال وكان الفيل مثل الجبل العظيم أعلاه جبل وأسفله جندل وهو مثل سواد الليل البهيم أكبر

ما يكون من الافيال يحمل عشرين من الرجال وكان له آذان مثل الدرق واسع العينين غليظ الرقبه كبير خرطوم طويل الزلوم فى مشافيره سيف يمانى ثقيل رزين شديد المعانى له أنياب كانها مدارى وكان الفارس لذى عليه لابس زرديه ترد أسباب الرزيه شغل العالقه بالذهب الاحمر بحليه مرصعه بالدر والجواهر المعدنيه وعلى عنقه صليب من الزمرد الاخضر وعلى رأسه خوذ عاديه مليله كسرويه فى قدر القبه المبنيه وعلى كتفه ذلك العمود الذى ذكرناه وعلى جانبه الخراب السمهريه ومن عظم هذا الفيل لايقع و جلده الحسام الصمصام ولاطعن الرمح اللهدام ولاتخرق جلده السهام إلاأن ذلك الفارس راكب عليه وهو يحرث الأرض برجليه قال وكان هذا الفارس هو ملك الاندلس جنطيائيل فلما توسط الميدان رجعت تلك الرهبان الى ؛ جلت فى خدمته والشجعان إلا أنه لما توسط الميدان ورمقته تلك الفرسان وعشائر الروم بمالهم من الرهبان ونظروا إلى كبر جثته وطول قامته فانشعرت منهم الابدان وتعجبت القساوسه التى للروم والرهبان والبطارق الكبير والمطران هذا ولما نظر عنتر إليه وإلى غلظه وطول يديه فقال والله ما هذا القرنان إلا أعظم الحلقه فى هذا الزمان ليكونن لى معه شان وأى شان تتحدث به الناس إلى آخر الزمان وأول ما أفجعه فى فيله هذه الذى يسمونه سيروان وبعد ذلك أنزل بصاحبه الشين وأسقيه كاس الحين وأضرب بسيفى هذا على وسطه أجعله دلوين وأتوسل كما سبق مع النبى محمد الذى يكون سيد الكونين ورسول الثقلين (قال الراوى) إلاأن جنطيائيل لما برز إلى الميدان لعب بعاموده حتى حير الفريقان وأذهل العينان وجعل يدمدم بالأفرنجيه واللغات الأندلسيه ويطلب البراز وسرعه الانجاز فلم يجسر أحد يبرز إليه ولا يدنو منه ولا يقف قدامه ولا بين يديه لعلمهم أن الخيل تنفر من الفيل ولا يطيقوا بالثبات قدام ركاب الملك جنطيائيل فلما رأى أن أحد لم يبرز إليه ولاقدم عليه صعب ذلك عليه وكبر لديه وجال بقبله وحمل على عشائر الروم فزلزل بحملته الأرض من تحت التخوم فشمت الخيل رائحه الفيل وإليه نظرت فهربت منه وشخرت ونخرت وتأخرت من بين يديه وتقهقرت قدامهم فضربهم بسيفه الصال ولم يزل فى حملته حتى قتل مائتين وخمسين من الرجال والابطال وبعد ذلك رجع إلى الميدان ونادى باللغات الاندلسيه بالثارات ولدى عنان وجعل يشتم بالافرنجيه ويطلب البراز وأول ما طلب عنتر فارس الحجاز وبعده يبرز إليه كوبرت ومن يكون تحت يديه من الفرسان وكذلك هرقل ابن الملك قيصر ومن معه من الشجعان وطلبهم كلهم أن يبرزوا إليه فى الميدان حتى يأخذ بثأر ولده عنان وصاح بصوت مثل الرعد القاصف وجعل يلعب فوق ظهر فيله مثل الريح العاصف وصار يشتم عنتر ويبربر عليه ويطلبه أن يبرز إلى بين يديه هذا وقد سمع كوبرت ما تكلم فاعلم أبا الفوارس عنتر وأخبره بما شتم وبما منه إليه قد جرى وصدر فلما سمع ذلك صعب عليه واحمرت

عينيه وقامت شعرات شاربيه وابيضت شفتيه وصار عبرة لمن ينظر إليه وأنه لم يجد على ذلك مصطبر دون أن قمز على ظهر جواده الابجر وجال فى ذلك الوقت جولانه المعروف وأنشد يقول :

احن إلى ضرب السيوف القواضب ... وأصبو إلى طعن الرماح الكواعب
واشتاق كاسات الموت إذا صفت ... ودارت على رؤوس السهام النوائب
ويطربنى والخيل تعثر بالقنا ... حداة المنايا وارتهاج المواكب
وضرب وطعن تحت ظل عجاجة ... كجنح الدجا عند امتداد السلاهب
تقاوز رؤس السمر وسط ظلامها ... وترهج منها كالنجوم الثواقب
وتلمع فيها البيض من كل جانب ... كلمع بروق فى ظلام الغياهب
لعمرى الفخر والمجد والعلا ... ونيل الأمانى مع بلوغ المآرب
لمن يتقى للحرب منه بهمة ... لها فى أعالى المجد أعلا المراتب
واهجم فى أبطالها وسراتها ... بقلب صبور عند وقع المضارب
واجرد غضباً باترا ومشققا ... بعزم جرى لا يخاف النوائب
وأبنى بحد السيف مجدا مشيداً ... على غيهب العلياء بين الكواعب
ومن لا يرى رمحه من دم العدا ... إذا اشتبكت سمر القنا والقواضب
ويعطى القنا الخطى فى الحرب حقها ... ويغزى بحد السيف عند المناكب
أعيش كما عاش الذميم بذلة ... وإن مات لا تندب عليه النوادب
ولا تندب البيض للجبان تأسفاً ... سوى الفارس المندوب بين المواكب
أنا البطل المعروف فى حومة الوغا ... وفارسها المقدام بين الأعارب
يهابه الأسد الحرين والضيغم الذى ... يكشر عن أنيابه والمخالب
الأسود الضاريات إذا سطت ... ومفترس الأشبال وسط السباسب
أنا عنتر العبسى ابن زبيبة ... أنا الأسد الموصوف بين الكتائب
ستنظر ما تلقى وأن كنت ناكرا ... ويصدق ظنى فيك يانسل كاذب
سأقسم بالمبعوث من نسل هاشم ... محمد المختار زين الأطايب
نبى حباه الله بالصدق والوفا ... وأيده بالمرتضى ليث غالب
وأن كنت لم أدرك أوان ظهوره ... فانى لهم من محب مناسب
وحبى لهم فى خاطرى وضمائرى ... قدفزنا بذكرة عن سطح بين الاعارب
فصلى عليك الله ما هب الهوى ... وما باح قمرى وسارت ركائب
بدونك يا جنطيانيل قد سميدغ ... سرى ذكره فى شرقها والمغارب
محب لآل المصطفى معدن الوفا ... مقيم على حسن الوفا غير كاذب

(قال الاصمعى وجهينة وحازم المكى) لما سمعوا هذه الابيات من عنتر بن شداد ولما فرغ الامير عنتر من هذا الشعر والنظام سل فى يده الحسام بريد الحرب والصدام بعد ذكره لسيدنا محمد رسول الله الملك العلام وهمز الابجر فيأخر به ويسخر وتخر وتقهقر قال فلما رأى عنتر جواده على ذلك الحال ترجل عن ظهره وقد حصل له انذهال وزاد به الغرام لما ذكر سيدنا محمدا بدر التمام ومصباح الظلام صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام قال وعما نقله الاصمعى المصنف لهذا الكلام أن الامير عنتر البطل الهمام قد استنجد بسيدنا محمد خمس مرات فى المهمات العظام كان الله يؤيده ويستجيب منه الدعوات حين يذكر سيد السادات وصاحب المعجزات الباهرات وسأذكرها لكم مع الاشيات فكانت المرة الاولى وهى أصح الاقوال لما قتل الفيل المجنون فيل كسرى وقطع السلاسل والاغلال ونادى يا آل محمد النبى المفضال وانكافى السلاسل فطارت قطع من يديه ورجليه فى عاجل الحال وفعل من قضاء تلك الاشغال وفى المرة الثانية لما قتل العبد زنجير الشرير الخنزير وأنشد الشعر بلا انكار وصاح يا آل محمد النبى المختار وذكر ابن عمه على الفارس الكرار وضرب العبد زنجير بحسامه الضامى البتار أطار رأسه عن جسده فى وسط مقفار والثالثة لما قتل الثعبان قدام الملك عبد هياف والرابعة لما قتل طود الاطواد واستنجد وصاح يا آل محمد سيد العباد ورسول الملك الجواد وكب يده ولكمه بين ثدييه فكسر لوح صدره وعجل منيته وقضى عليه والمرة الخامسة فى نوبة هذا الملك جنطيا ئيل لما قتله وقتل فيله قبله (قال الراوى) ورجعت إلى سياقة الحديث الاول بعد الصلاة والسلام على نبينا المرسل إلا أن لما ترجل عن جواده الابجر أخذ الطارقة بيده الشمال وجرد فى يمينه سيفه الضامى الابتر وخطعليه كانه الاسد اذا انذعر فعندها صاح فيه شيبوب أنت تجننت والا صرت مهبول وإلا يمكن لما كبرت ما بقى لك عقل رأسك ولا معقول أخبرنى ماذا تريد أو تصنع حتى إنك ترجلت إلى هذا الاسد الادرع والله لو أنك مر أو لادقا بيل ما كنت ترجلت لهذا الملك جنطيا ئيل الذى كأنه شيطان رجيم وتحته هذا الفيل العظيم وأنا أخشى عليك أنه يدوسك ويسقيك كاس منيتك ويعجل فى هذه البلاد رحلتك والا لو أنك ذو عقل أو تدرى ما تفعل ما كنت ترجلت إلى هذا الشجاع البطل فقال له عنتر ويلك يا أبا رياح أى شىء هذا الكلام الذى تقوله لى والملام هو أنت نسيت فعلى بالجبابرة العظام فانى وحق من له البقاء والدوام وهو الواحد العلام لا اقيبع هذ الفارس إلا بلا سلاح وترى ما أفعل به فى هذا البرارى والبطاح وتبقى تتحدث به الناس سير ويأخذوا منه عبر ويسمعون بفعلى ويتعجبون منه ومن ثم أنه خلع ما كان من عليه من لباس الزرد وقلع الخوذة من رأسه ورمى سائر الحديد المنضد ولبس حلة حمراء وتعمم بعمامة وتمنطق بمنطقة الملك كسرى ثم

أنه رفع أذياله فى دروع منطقته ووثب كأنه الأسد فلما رأت الروم إلى ذلك انبهرت وحارت منه وتعجبت وصلبت على وجوهها مما عاينت وتحدثت مع كوبرت وهرقل ابن الملك قيصر وقالوا لهما أما تنظروا إلى ما فعل فى هذا اليوم الأمير عنتر واحتقاره بالملك جنطيائيل الذى راكب على هذا الفيل الطويل فانى وحق المسيح خايف عليه ولا تقتل وينزل به التنكيل لأنه إن هلك عنتر ما تملح بعده ويحل بنا كل أمر وبيل وإلا يا ملك أى شىء هذا الفعل الذى يفعله وإعتقاره بالرجال فقال لهم الملك هرقل لا تفزعوا من هذا العمل لأننا قد سمعنا عنه وأيضا شاهدنا فعله أن عمره ما فزع من بطل لا من صغير ولا من كبير وإن هذا الملك ما هو عنده إلا إلا حقير وإنه بلغنى عنه من الأمور النفائس أنه عاش هذا العمر كله داقهره فارس ولا رأى له طول العمل فى الحرب مقايس واليوم يكون آخر عمر جنطيائيل ولو أن المسيح بيده قائد الفيل وستر ما فعل به هذا الفارس النبيل قال فبينما هم على ما هم فيه من ذلك الكلام وإذا بزعقة شديدة تزعزع منها البر الاقفر وكانت الخيل من شدتها تكاد أن تنفطر وظن الفريقان أن السماء قد انشقت وبان المواعيد قد حقت وصرت الخيل لها آذانها وارتعدت من الرجال أبدانها ونفرت الخيل من تحت ركابها وولت من هول تلك الزعقة أصحابها وإذا بها صرخة عنتر عند نزوله لجنطيائيل قرلى من تحته الفيل فصاح جنطيائيل بالفيل فضربه بسوط كان فى يده طويل فاضطرب الفيل فى بعضه البعض وأراد أن يهيج راكية فى جنبات الأرض فرده صاحبه بتلك العمد الذى فى يده وأخذ يجول به طولا وعرضا وهو على ذلك الحال والحال حتى قارب عنتر ووصل إليه وهو راجل وزعق ثانيا وهدر وزمجر فرآه جنطيائيل وهو كأنه الأسد إذا انذعر وقار به وحمل عليه ودرقته وحسامه بين يديه فصعب ذلك الأمر عليه وأنا خالى من السلاح وعليه تلك الثياب الحرير الملاح فعلم أنه قد احتقره فعند ذلك امتلأ قلبه حنق وفاض ثم أنه استلب من تحت فخذه حربة من تلك الحراب الفلاذ وزوجها إلى عنتر بعد إن صاح صوت يفلق الحجر نادى بالمسيح أنا قاتل اليوم عنتر (قال) فعند ذلك احترز عنتر عن حربته وسحبها على ظهر درقته وكسر حدتها بخبرته وحسن صنعته ومعرفته فلما رأى جنطيائيل إلى ذلك غضب ولطم قته حيث ما صابت لعنتر طعنته ثم أنه زج إليه حربة ثانية وقال فى نفسه لعل أن تكون لمنيته قاضية ورماها إليه بحيلة وقرته نقل الناقل عن أخيه شيبوب أنه قال رأيته بعنى وقد خطفها من الهواء وضرب بها جنطيائيل فجاءت بالتحرير والاشتوى فى وسط زلومة الفيل فلم يكن له منها سلامه ولا ادرى إلا أنها دخلت فى جبهته وخرجت تلمع من خاصرته قال فوقع الفيل وقد اختبط فى بعضه البعض فلما رأى الملك جنطيائيل إلى ذلك غاب عن الدنيا ولم يبق يعرف السماء من الأرض ولا الطول من العرض فلما وقع عليه فيلة خطف عموده ووضعه على عاتقه وجرى على

قد بيه حين قارب عنتر وحدثه بأنه يقتله ويعدمه مهجته فانحرف عنها عنتر بخفته ورشاقته فوقع العمود إلى الأرض غاب نصفها إلى نصفه وقد سلم منها عنتر وتعجب عجب عظيم من شدة حيل هذا الجبار الجسيم وفى عاجل الحال همز عنتر وهز فى يمينه حسامه الضامى الابتر وصاح فيه فتخبل واعتدى من زعقته واندهل وكان بزعقته قد استغاث واستنجد ونادى بأعلى صوته يا آل محمد سيد الانام ومصباح الظلام ورسول الملك العلام وضربه بالضامى بهمته وشدته فجاءت الضربة فى سرته قسمته نصفين ووقع إلى الأرض دلوين فعندها زعقت عشائر الروم من الرهبان والقساوسة لاشلت يداك يا أبا الفوارس وقدعلت منهم الضجات وكثر منهم الفرح والمسرات وصاحوا يا المسيح والانجيل من هذا الفارس النبيل وأما عشائر الاندلس فانها لما رأت ما حل بملكها تخلبت واندهلت وبربرت عند ذلك بلغاتها وحملت تريد الخلاص لانفسها مما نظرت فتلقاها عنتر بمن معه من عشائر الروم والاجناد وأعانه على ذلك كوبيت والملك هرقل بحث الفرسان على الحرب والطراد وحملت تلك الخلائق كأنها الجراد ورفعت أصواتها هذا وقد صاحت عشائر الافرنج وتدافقت مثل موجات البحار فتلقتها عشائر الروم مثل شعل النار فاهتزت الاطلال والدمن وعظمت المصائب والمحن وفارقت الرؤس البدن وتكسرت الطوائف على بعضها بعض وارتجت من تحتهم جنبات الأرض هذا والغبائر قد خيمت والجهات قد أظلمت والرجال تصادمت والجماجم انتثرت والبطون تفجعت والقنطاريات تحطمت والسيوف تكسرها والدماء انسكبت والارواح سلبت والروم والافرنج باختلاف لغاتها تجاوبت والمواكب من جميع الجهات قد تفرقت والقتلى قد صارت أكداس أكداس وضاقت فى ذلك اليوم الانفاس وزاد الامر عن حد القياس وكثر الخطب والبأس وزاد عليهم الوسواس وعاد من كثرة الغبار كالاغلاس وبطلت من الرجال الحواس ولمع السيف فى العجاج كالمقباس واشتعلت نار الحرب واشتد بالناس الخطب وزاد البلاء والكرب وكان ذلك اليوم يوم صعب على الناس فيه الطعن والضرب من الشرق إلى الغرب وغنت السيوف فى الرقاب ووقع الضرب خطا وصواب وقطعت لاعصاب ونزل على الطائفتين فى ذلك اليوم العذاب سكروا من غير شرب شراب ما ولى النهار وأقبل الغلس وما فى أحد من الفريقين نفس بل ضاع رسم الشجاع والندس ونظر ملك الموت فى وجوههم وعبس وما أشقى ذلك اليوم الطويل لافارس عبس الادهم وطرازها المعلم ولما رأت عشائر الاندلس منه ما حل بها من النقم صاحوا بالمسيح من قوة هذا الجبار الذى قتل ملكها وتركه مدود فى القفار ثم قالوا لبعضهم وحق المسيح إلى هذا ما هو انسان وإنما هو شيطان أو عفريت من عفاريت الجان فيا ويلكم أهربوا والا يفنيكم بسيفه والسنان ويلحقكم بملككم الكبير وبولده بنان وقد رأيتم ما فعل الملك من العبر وما هذه فعال بشر وحق المسيح دمر ماردا وإذا لم ترجوا من بين يديه فى القفار

وإلا ما يبقى منكم ديار ولا نافخ نار ثم أنهم نادوا على بعضهم بالهرب قبل أن يجد خلفكم فى الطلب لأنه إذ تبعكم لا يخلى منهم لا رأس ولا ذنب فعند ذلك ولوا الادبار وركنوا إلى الفرار فتبعهم عشائر الروم إلى آخر النهار ورجعوا من خلفهم وأخذوا المال والخيام والأنعام وجمعوا الخيل الشاردة من تلك البرىز والاكام ولما رجعوا واجتمعوا بعضهم البعض وترجلوا كلهم إلى وجه الأرض وقبلوا يدين أبا الفوارس عنتر فقبل صدورهم وبين أعينهم وقد فرحوا ودقوا الناقوس وتباشرت بذلك الرهبان والقسوس وبعد ذلك تشاوروا أهل ترجعون إلى منازلهم والديار وإلا يسيروا إلى مدينة الاندلس وتلك الجزائر والبحار ويملكوا ما حولها من البلاد والامصار فاتفق رأيهم على المسير إلى مدينة الاندلس يملكوها وكل العشائر التى تعصى عليهم يملكوها فعند ذلك استراحوا فى ذلك المقام عشرة أيام وبعدها ساروا فى تلك القفار طالبين جزائر الاندلس وتلك الديار قال الراوى هذا ما جرى لهؤلاء وما صاروا (وأما) ما كان من المنهزمين فانهم لما وصلوا إلى الديار وهم مشققين الثياب متقطعين حايرين يبكون بذلة وانتحاب وهم فى البرارى متفرقين عشرة وعشرين فلما وصلوا إلى بلادهم أعلنوا بالويل والثبور وعظائم الامور فلما سمع أهل المدينة ذلك النداء وشاع بينهم ذلك الفيل والقال فاجتمعوا إليهم وسألوهم عن سبب ذلك التنكيل وأين ملككم جنطيائيل فقالوا نحن نخبركم بالحال فقد فنيت الرجال وقتلت الابطال ولا بقى حال من الأحوال فقالوا لهم من فعل بكم هذه الفعال فقالوا فارس يسمى عنتر وهو لون القطران وهو شيطان فى صورة إنسان وشجيع ما يلتقى مثله فى هذا الزمان فانه أول ما لقى ملكنا جنطيائيل فقتل من تحته الفيل وتركه مجندل على الأرض عفير وقتل بعده ثانيا الملك جنطيائيل وضربه على وسطه بسيفه الصقيل جعله على الأرض شطرين وأرماه فى وسط القفار دلوين قال فلما سمع المقيمون من المنهزمين ذلك الكلام قالوا لهم كيف جرت عليكم هذه الأحكام لانكم رحلتم بعدد ورق الأشجار ومعكم الملك جنطيائيل الذى هو سلطان الاقطار ورجعتم وهذا الحال حالكم وقد حل بكم الدمار فحكوا لهم كيف جرت هذه الأحكام ولم يزالوا حتى وصلوا إلى الملك عبد المسيح ولد جنطيائيل وأعلموه بالخبر فقلق لذلك وتحير ثم سالهم عما جرى لهم وما حل بهم ونالهم وذكروا له كيف قتل أباه عنتر وكيف أتى من مكان معه من تلك العشائر فقال لهم البطريق من الذى فعل بكم هذه الفعال وأحل بكم الهوان هل عليه سحر أو معه مردة الجان فقالوا له وحق المسيح ما قاتلنا بسحر ولا معه مردة ولا أهلكنا إلا بسيفه والسنان ورأينا معه فى ركابه اثنان كانهما الجان يضربا بالسهام فيخرقا الصدور ويقطعان بها النحور ويقلعان وهما دائرين من حواليه بجانب جواده فى الميدان فلما سمع الملك ومن حوله من أهل الاندلس ذلك القول تقطعت ظهورهم وحاروا فى

هورهم وبعد ذلك استشوروا فى شىء يفعلوه هل يقيموا حتى يأتى اليهم أو يمضوا اليه ويقاتلوه ثم قالوا لهم وهذا الأسود ما سمعتم أى شىء فى نيته هو يرجع إلى دياره أو الينا يرجل فقالوا سمعنا أنه قاصد إلى ديارنا وبلادنا لانه قد أخذه الطمع فى عشائرنا واجنادنا هو ومن معه من العشائر والاجناد والرهبان والقسوس وكوبرت وهرقل فى أثرنا راحلين وقد حلف هذا الاسود بدينه والهه الذى يعبده لابد له من أخذ هذه البلاد ولو اقام عليها عشرة أعوام وبعد ذلك يسير إلى البلاد القريبة ويفتحها ويسير بعدها إلى الديار المضرية ويملك سائر البلاد وهذه الديار إلى أقصى الصعيد وتلك الامصار فقال لهم الملك وهذا الأسود يعبد المسيح ويقول بالدين الصحيح فقالوا له أيها الملك إنما هو رجل بدوى من سكان الصحرا والفدافد وما يعبد الا الاله الواحد ويزعم أن ليس له ولد ولا والد فقال لهم وأى شىء حمل هذا الأسود على هـذا الشأن هو يريد يعمل ملك وسلطان حتى انه يملك سائر البلدان واى شىء يكون للملك قيصر وليس هـــو من أهـل ملته ولا يسجد للصلبان ولا يعبـــد الصور ولا يزور الكنائس ولا يعتقـد فى المعبد ولا الديورة ولا الراهب الاكبر فقالوا له وحق المسيح لولا هذا البطل الأسود ما قدر هرقل بن الملك قيصر ولا كوبرت الآخر يفتحوا الاقلمة ولا بلد كانوا ملكوا جزيرة من هذه الجزائر ولا قدروا على ملك من هذه الملوك الاكابر وما كانوا اقتدروا على هذه الأمور ولو اقاموا عليها أعمار النسور وحق الانجيل والسيدة أم النور والراهب صافور وكنيسة الزرزور لو أن هذا الأسود عندنا وفعل معنا هذه الاشياء لكنا نملك به سائر الدنيا ثم أنهم قالوا والآن خذوا حذركم والا تر. ه قريبا عندكم يبيد اقصاكم وادناكم ويقتل رجالكم ويعجل فناكم (قال الراوى) فلما سمع الملك عبد المسيح ذلك الكلام ضاق صدره وحار فى أمره وزاد فكره وفى عاجل الحال أمر باحضار أكابر دولته ورؤوس مملكته وسائر وزرائه ورهبانه وقساوسنه وقال لهم انى قد ولانى عليكم برضاكم وأنتم تعرفوا ان لا اتولى عليكم الا بما يكون من أمركم وقضاءكم وانتم الان لأمرى سامعين وعلى ما آمركم به القولى طائعين فماذا تكونوا به على مشيرين (قال الراوى) فعند ذلك هاجوا فى بعضهم البعض والقوا رؤسهم ساعة إلى الأرض وقالوا كلهم على لسان واحد ها نحن بين يديك بجمعنا وأنت ملكنا وابن ملكنا ومهما أمرتنا به امتثلنا ولو امرتنا نخوض البحار لخضناها فقال لهم أنتم تعلموا أن هذا الأسود قتل الملك الليلان وابنه سرجوان وكيف انفقت له هذه الامور وفتح جزيرة البلور وكيف ملك جزيرة الواحات وقتل الملك صافات وقتل ابن الدبر والشاهد وكان ربه على ذلك كله مساعد وبعد ذلك ارسل أبى ذلك الجيش مع أخى عنان فلاكه هذا الأسود فى الميدان وافنى جيوشه ومن معه من الفرسان وبعد ذلك سار اليه أبى

جنطيائيل فقتله قبله وأحل بهم العذاب الوبيل وأخبرونا الذين كانوا حاضرين أنه من فرط ضربته جعله على الأرض قطعتين وسار فى ماجل الحلدلوين لولا عناية المسيح مع هذا الفارس الأسود ما كان قتل كل هذه الملوك وختم بابى السدد ولا كان فتح لاقلعة ولا بلد وانى قد عولت أن أقل أمرا فلا تهملوه وشاوروا أنفسكم إن رأيتموه صوابا فعلوه وإن كنتم ما تروه لائق لا تفعلوه فقالوا أخبرنا أيها الملك ماهو فقال لهم قد عولت على مصالحته وأترك قتاله ومعالجته وارد بالحسنى عن بلادنا لايهلك عشائرنا وأجنادنا ويحاصرنا ويملك بلادنا فقالوا له أيها الملك لقد قلت الصواب وأتيت بأمر لا يعاب فانه وحق المسيح وما مسح الذبيح كنا خائفين من هذا الأسود وشره لايدوس بلادنا فقالوا له أيها الملك هذا رأى سديد قال ولما دار بينهم الكلام بهذه العبارة فرحت سائر الرهبان وفى ساعة الحال دقت الكؤسات وجهزوا الاقامات والعلوفات وأقاموا على هذه الحالات ينظرون ما يأتى من تلك الاشارات إلى ان كان يوم من بعض الأيام وهم على ماهم عليه من الاتفاق وإذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار وبعد ساعة انكشف وبان للناظرين وإذا ببريق زرد ولمعان خودوعشائر ما اكثر تهاعددولم يزالوا فى سيرهم الى ان اشرفوا على البلاد وقداقبلت تلك العشائر كأنها الجراد يقدمها فارس عبس عنتر بن شداد وتلك الفرارس سائر كأنها العرائس المجليه وعلى رؤسهم البيارق والصناجق القسطنطونية فعند ذلك دقت الطبول الرمانية ونعرت البوقات النصرانية ولمعت الأسنة على رؤس القنطاريات وخفقت البنود والرايات واضاءت الطوارق ولعبت الأرباح فى الأعلام والبيارق (قال الراوى) واقبل الأمير عنتر ابن شداد فى مقدمة تلك العشائر كأنه برج مشيد اوجبل قد تسربل بالحديد غائص فى ثياب الورد النضيد وهو مقلد بالضامى الابتر معتقل برمحه الكعوب الأسمر راكب على ظهر حصانه الأبجر وشيبوب وولده الخذروف فى ركابه كأنهما ذكر نعام وكل واحد منهما كأنه أسد ضرغام وإلى جانبه اليمين هرقل بن قيصر والملك كوبرت الى جانبه لايسر ولما رات اهل مدينة الاندلس الى ذلك الحال قالوا الملكهم عبد المسيح الصلح هو غاية الآمال فقد زال عن قلوبنا الهم والوبال فعند ذلك خرج الملك من المدينة الى ملاقاتهم هو وارباب دولته وبين يديه رهبانه وقساوسته وفتح باب البلد من وقته وساعته وخرج لاستقبالهم البترك والكبير والراهب الذى يسمونه صنافير ولا بقى شماس ولا مطران الا وخرج ذلك اليوم من اجل ذلك الشان قال فهناك دقت كاسات الفرح والمسرات بالصلح والبشارات ونعرت البوقات ورفرت على راس الأعلام والرايات وفتحت سائر ابواب البلد وقد امنوا على انفسهم واخرجوا العلوفات والزاد والشئ الفاخر من اطعمة تلك البلاد قال الراوى هذا وقد ترحل الملك عبد المسيح من وقته وساعته وترجلت بين يديه اكابر دولته ورهبانه

وقساقسته وسعى على قدميه نحو ابن الملك قيصر فعند ذلك ترجل هرقل وكذلك أبو الفوارس عنتر وترجل معهم كوبرت الآخر فعند ذلك تقدم الملك عبد المسيح إلى الأمير عنتر وقبل يديه فقبل عنتر صدره وبين عينيه وكانت قد نصبت لهم الخيام فنزلوا فيها واستقر بهم المقام وأكلوا ما راج من الطعام ولم يزالوا إلى أن فرغوا من ذلك الاهتمام فاستأذنهم الملك عبد المسيح فى دخولهم البلد وكان ذلك طلبا للراحة من الهم والنكد ففرح هرقل وانشرح وزالت عن قلبه الهموم والترح وكذلك كوبرت الآخر فرح فرحا شديدا وقالوا كلما نحن فيه من سعادة عنتر الفارس الصنديد وكان فرحهم الذى أطاعهم ملك الاندلس من غير قتال ولا حرب ولا نزال هذا وقد أدخلهم الملك إلى البلد على حسب الطاعات وأنزلهم فى القصور والقاعات وقد مد لهم السماطات وعليها من أنخر الطعامات وزادت بينهم الافراح والمسرات وقد أتت الخدام بالمأكول والمشروب فى أوانى الذهب والفضة والجواهر والمعادن التى نورها قد أضاء وفيها من سائر ألوان الطعام فأكل منه الخاص والعام وبعد ذلك قدموا آنية المدام ودارت عليهم بالكاس والجام وكانوا قبل ذلك قد أحلوا العنتر وكوبرت وهرقل ابن الملك قيصر ومن معهم من أكابر العشائر دارا عظيمة واسعة البناء شاهقة فى الهواء هذا وقد أقام لهم الملك من عنده رجال يحفظون لهم خيامهم وما فيها من الأثاث والأثقال ولما أخلا لهم الملك تلك الدار وكان السعد بها قد دار فامر الخدام أن ينقلوا إليها من الفرش شيء ما عليه من الزينة والديباج والستور الحرير والتخوت والكراسى والاسرة والاوانى وغيرها مما يقوم عليه عشرين ألف دينار وأكثر من ذلك المقدار وبعد ذلك لما استقر بهم المقام وقد أكثر لهم من جزيل الانعام وبقى الملك كل يوم يركب ويركبوا معه تلك الجماعة ويفرجهم على مدينة اندلس وما حولها من بساتينها وأشجارها وأثمارها وجريان أنهارها ولم يزالوا يخرجوا من مكان ويدخلوا إلى مكان إلى ان أدخلهم إلى بستان عظيم القدر والشان ما مثله فى سائر الاقاليم كأنه جنة النعيم فيها أنهار جاريات وأشجار باسقات وأطيار زاعقات تسبح رب الأرض والسموات وقد اجتمع فى ذلك البستان من غرائب الصفات ولو شرحنا وصف ذلك البستان لطال الأمر وكل اللسان ومن التطويل كلت الهمم (قال الراوى) فتعجب الملك هرقل وعنتر وكوبرت ومن معهم فى ذلك المقام حضر من ذلك القصر والبستان الذى ما يجتمع فيه إلا كل حبيب لانهم ما شاهدوا مثله هذا وقد أجلسهم الملك عبد المسيح فى مكان عال فيه لواوين وشاذروان وهو قصر عظيم ما يوجد مثله فى ذلك الزمان منظم بانواع الفصوص الملونة الغالية الأثمان وهو ما بين فروشات مطرزات ومساند محشوة بريش النعام وأجلس هرقل فى الصدر كأنه بينهم عظيم المقدار وجلس عنتر بجانبه اليمين وجلس كوبرت بجانبه اليسار هذا وقد أمر الملك بمد السماط ووضعوا فيه من سائر الطعامات المفتخرات ومن

سائر أصناف الحلويات وتقدم الأمير عنتر وأكل من ذلك الطعام الذي ما رأى مثله إلا عند كسرى وقيصر وبعد أن فرغوا من أكل الطعام قدم إليهم آنية المدام ودارت عليهم الكاسات والطاسات وطالت لهم الأوقات وانبسطت السادات. ما بقوا هم فوقهم في أرض أم في سموات وغابت عيونهم عن إدراك الموجودات ولم يزالوا على تلك الحالات مدة ستة أيام مواليات وبعد ذلك قام ملك الأندلس وخدم ودعا لابن الملك قيصر بدوام دولته والنعم وسأله أن عليه خراج في كل عام يحملوا إليه بالرضا والإكرام ولم يزالوا على ذلك مدة شهرين تمام وبعد ذلك أحضر لهم الهدايا والأنعام من تحف تلك البلاد العظام وأعطاهم أموال ما تأكلها النيران فشكروه على فعاله وزادوا له من الثناء والإحسان وأرادوا أن يعودوا إلى ديارهم والأوطان فقد طالت غيبتهم عن الأهل والخلان فقال لهم الملك عبد المسيح أيها الملك الجليل أريد من إحسانك أن تصبروا على قليل حتى أني أكاتب ملوك البلاد التي تحت طاعتنا وننظر من يطيعنا ومن هو الذي يعصي علينا فمن أطاع فله ما لنا وعليه ما علينا ومن عصى أعلمنا كم فافعلوا فيه ما أردتم حتى يحمل الخراج إلينا قال فلما سمعوا منه هذا الكلام أطاعوه وسمعوا لقوله وأقاموا الليالي وأياما وقد فرح هرقل بما ملك من تلك البلاد والجزائر وعلم أن هذا كله بسعادة عنتر الأسد الكاسر هذا وقد كتب الملك عبد المسيح إلى سائر الجزائر والبلاد العربية والأقاليم البحرية القصية عنها والدنيا وهو يعلمهم بما جرى من الخبر وأنهم دخلوا تحت طاعة الملك قيصر وسارت بالكتب القساقسة والرهبان لأنهم عند الافرنج عظماء الشأن فلم تكن إلا مدة ليلة من الزمان حتى أطاع وأجاب صاحب برقا وصاحب تونس والقيروان وكذلك هرمس صاحب اسكندرية وحاكم الديار المصرية وكان أول من أقبل صاحب برقا ميخائيل بالطبول والأعلام والصناجق والصلبان فتلقوه وبجلوه وأنزلوه وأكرموه غاية الإكرام ثم أتى بعده الملكين صاحب تونس وصاحب القيروان بالطبول والزمور والكؤسات والبوقات فأنزلهم صاحب الأندلس بأعلى الأماكن وقد فرحوا جميعهم بهذا الشأن وكان صاحب تونس مطروس واسم صاحب القيروان كردوس ولم لبثوا إلا قليل حتى أقبل صاحب اسكندرية وكان يحكم على الديار المصرية وكان اسمه هرمس بن العرنوس وكان له ولد يسمى المقوقس وقد أتى طائعا لعبد المسيح بن جنطيائيل وأيضا إلى هرقل الملك النبيل وكان سبب إطاعتهم لما سمعوا ما فعل عنتر بالملك جنطيائيل وكيف قتله وقتل قبله وكسر عساكره وفعل بهم ذلك الفعل الوبيل (قال الراوي) وهؤلاء الملوك الذين ذكرناهم هم الذين أجابوا إلى طاعتهم والباقي عصوا عليه وعولوا على مخالفته وقد طمعوا في مملكته هذا وقد فرحت الملوك باجابتهم إلى بعضهم البعض وماجت العشائر التي أتت معهم حتى ملأوا تلك الأرض ودقوا الطبول الكؤسات ونعرت البوقات والزمور وفرحوا بهذا الأمر الملوك

والسادات وقد ذكرنا أن هؤلاء ماأتوا إلا خوفا من عنتر بن شداد الذى اشتهرت شجاعته فى سائر البلاد كيف علا على الشجعان وساد وسموا مافعل بالملك جنطائيل وقالوا لولا أن هذا الشيطان عظيم وشجاع جسيم ما كان قدر على هذه الأقاليم وخافوا منه على بلادهم وأن يسبى نساءهم ويأخذ أموالهم وأولادهم وتعجبوا أيضا كيف ملك جرائر الواحات وقتل الملك صافات فأتوا إليه خوفا من هذه النكبات ودفعوا عنهم بالصلح هذه النائبات واتفقوا على على وزن المال وبعد ذلك قدموا الطعامات المفتخرات وجلت الملوك والسادات وبعد المدام والأباريق والطاسات وهم فى فرح ومسرات والأمير عنتر طالت به الغيبات فصار يتحسر حسرات متتابعات ويتمنى الرجوع إلى بلاد الشام هذا وهم فى غاية الاكرام مدة من عشرين يوم على التمام وكانوا هؤلاء قد أتوا ومعهم الأموال والانعام شىء ما تاكله النيران من قماش إسكندرانى وتفاصيل مصرى وأيضا أتى من تحف القيروان وبرقا وتونس وسائر البلدان وبعد ذلك حلف عليهم صاحب برقا الملك ميخائيل بن مكحول أن ياخذهم معه إلى دياره ويتشرف بخدمتهم بنفسه فاجابوه الجميع بالسمع والطاعة ولم يتاخر أحد من الجماعة وساروا معه من تلك الساعة وفى مقدمتهم الأمير عنتر على ظهر جواده الابجر وقد ضاق لطول غيبته صدره وحار فى أمره وشيبوب والحذروف بين يديه وإلى جانبه الملك عبد المسيح وقد أحبه حبا شديد وصار ينادمه ويسأله عن أهله وبلاده وهو يحكى له على ما جرى له وهو يتعجب من أحواله وإلى جانبه الملك هرقل بن قيصر وإلى جانبه الملك كوبرت وهو كأنه الأسد القسور وهو يقول وحق خالق العباد كل ما فتح لنا من البلاد بسعادة أبى الفوارس الأمير عنتر بن شداد الذى كأنه نار خرجت من زناد

(قال الراوى) ولم يزالوا سائرين إلى أن قربوا من مدينة برقا فلاقتهم أهل المدينة بالفرح والمسرات ودقت الطبول بالفرح والبشارات وانتشرت على رؤسهم الاعلام والرايات وكان لدخولهم يوم ما رأوا مثله فى هذا الزمان وطلعت اهل المدينة ومن حولها من البلاد إلى ملتقاهم والفرجة عليهم وقد تجمعوا من سائر الجزائر والوهاد واخلوه فى زينة ما فرح بها ابن شداد عاد وزينت المدينة بالزينة الفاخرة وقد ترجل ملك المدينة ميخائيل وسار ماشى فى ركاب عنتر واراد ان يقبل فى الركاب قدميه فاستحى عنتر ورمى روحه عليه وكذلك فعل هرقل وكبرت وترجلوا كلهم إليه ومشوا الجميع حواليه حتى وصلوا إلى مرج فائح الزهر فى جنباته قد فتح وزاد فيه انحدار الانهار وتزاعقت الأطيار على سائر الاشجار وهذا ما كانه الا روضة من رياض الجنان وجلس عنتر وهرقل وكبرت فى صدر المجلس وجلسوا الملوك عن أيمانهم وشمالهم وهم ينظروا ويتاملون عنتر بن شداد ويتعايدوا حسن اوصافه ويتعجبون من خلقته وغلظ سواعده وكبر اطرافه ويتميزوا

إلى أعطافه ويناد موه ويستحكوا منه ما جرى له . هو يحكى لهم ما كان من مبتداه وما اتفق
له فى منشاه (قال) وقد أمر الملك ميخائيل بعد الساعات فمدوها وأتوا بالطعامات
ووضعوها عليها وكان لحومها من سائر الوحش والاطيار مما يحير النظار وقد وضعوا
فيها من جميع الألوان وهى فى أوانى الفضة والذهب فتقدموا وأكلوا هذا وعنتر قد أكل
من ذلك الطعام وتلك الألوان التى هى الدمن العالية فى الأبدان وهو قد برك على ركبتيه
وأطرق إلى الأرض بعينيه وصار يكش بالخمسة ويدفع بالراحة ولا يحرك فيه وقد أكلت
الملوك والوزراء وسائر الأكابر والأمراء وقد أكل من ذلك الطعام الخاص والعام وبعد أن
اكتفوا من ذلك رفعوا أيديهم من الموائد بعد ما أكل منهم القائم والقاعد وبعد ذلك
دخلوا اولاد البطارقة بآنية المدام فى طشوت الذهب واوانى الفضه واقداح البلور العظام
واباريق المعادن المدمكة التى ما توجد عند احد غيرهم من الأنام وصب الخمر فى الكؤوس
كانه اللهيب يحاكى وجنات الحبيب وتجاذبت الملاهى من سائر الجنبات ودارت اقداح
الشراب والكاسات حتى خامرت الخمر العقول ووجد سرور وليس له محصول إلا عنتر فانه كان
فى ذلك الحال وهو ما ينظر ذلك النعيم الاخيال لأن جسمه حاضر وقلبه غائب فى الديار
والاطلال وحوقه إلى عبلة قد طال هذا والملوك تباسطه وتمازحه وتحسن وداده ولم يزالوا فى
بسط وانشراح مدة عشرة ايام على التمام والملك ميخائيل يزيدهم فى الاكرام فعند ذلك
قامت الملوك على الاقدام وشكروا الملك ميخائيل على هذا الاكرام وقام من بينهم صاحب
تونس الملك المطرس وقال اشتهى ان تشرفوا اراضى بوطىء اقدامكم وان تجبروا خاطرى
تأكلوا ضيافتى فيسير واممه إلى تونس ويقيموا عنده عشرة ايام وهم فى اعظم ما يكون من
الانعام والاكرام وصاحب تونس افراح الخلق بالامير عنتر ومن صحبة من الملوك (قال
الراوى) ولما كان فى اليوم الحادى عشر قام ملك القيروان على الأقدام ووقف قدام الملوك
وترجم وتكلم وقرر عليه حمل فى كل عام بعد ان يمضوا إلى دياره ويأكلوا ضيافته ويجبروا
بخاطره كما عملوا مع أخوته (قال الراوى) فلما سمعت الملوك الكلام قاموا الكل على
الاقدام وأجابوه إلى ما أراد فاقبل هرقل بن الملك قيصر على أبى الفوارس عنتر وقال له يا فارس
عدنان قد بعدت عليك الأوطان وإن كنت أنت تحب عبلة وفى حبها ولهان فانا الاخر زائد
الاشجان ومنطلق فى نار أشعة لنيران وقد زاد بى الغرام لأجل الملكة مريمان وإلى رؤية
ديارها والاوطان ولكن يا أبا الفوارس لو أعطيناك كل ما لك من مال ونوال ما جازيناك
على بعض ما فعلته معنا من الفعال وكل طاعة هذه الملوك لنا من جملة سعادتك والاقبال وأن من
تمام جميلك والاحسان دعنا نمضى مع هذا الملك إلى مدينة القيروان ونرجع بعد ذلك نسير الى
ديارنا والأوطان فقال عنتر مهما تقوله يا ملك كان (قال الراوى) ولما فرغوا مما كانوا

فيهم ذلك لأمر والشأن ركبوا وساروا فى صحبة الملك كردوس صاحب القيروان ولما تكامل سيرهم سبعة أيام وصلوا إلى القيروان ودخلوا المدينة وأجلسهم الملك بقصر دار المملكة وأقاموا عنده أيام وهم فى أعظم ما يكون من الإكرام ولو شرحنا ذلك لطال الكلام وبعد ذلك أقام هرمس ملك اسكندرية والحاكم على الديار المصرية وقال له يا معاشر الملوك وسائر الاكابر والاصاغر ما بقى إلا أخاكم هرمس يريد من إحسانكم وانعامكم أن تشرفوا بلاده بوطىء أقدامكم لأنى أحظى بخدمتكم ويكون ذلك من تفضلاتكم ونعمكم وأفرح فارس عبس وعدنان فى مدينة اسكندرية وما حولها من البلدان فأجابوه الجميع إلى ذلك ثم أنهم جهزوا المراكب وزينوها بالبيارق والصناجق والبنود هذا وعنتر قد كره الحياة وبغض دنياه حيث أبعده هذا البعد عن محاربته عبلة وصار فى قلبه من ذلك دبلة هذا وهرقل وكوبرت وسائر الملوك يشكروه ويثنوا عليه وشيبوب والخذروف واقفين بين يديه وانزلوا بتلك المراكب ولم يتأخر من أجناد الملوك لا قسيس ولا راهب ولم يزالوا سائرين بهم الرؤساء حتى أشرفوا على مدينة اسكندرية هذا وقد علم بهم نائب المدينة فخرج إلى لقائهم وخرجت البنات من خباها وماجت المدينة بأسرها وكان لقدومهم يوم مشهود وزينت البلد بالإعلام والبنود ونعرت البوقات ودقت الكئوسات وخفقت على رؤسهم الصناجق والرايات وقد طلعت الملوك من المراكب وهم كتائب ومواكب يقدمهم أبو الفوارس عنتر وعن يمينه هرقل بن الملك قيصر بوجه مثل دائرة القمر وصارت أهل الاسكندرية وتلك البلاد يتعجبون من هيبة عنتر وغلاظه وطول قامته وانزعاج عينيه وهول منظره وكبر هامته وقد مسك صاحب أسكندرية يد أبي الفوارس عنتر وجعل يده الأخرى فى يد ابن الملك قيصر ثم تقدم الملك هرمس بين أبطاله ورجاله وعنتر عن يمينه وهرقل عن شماله وعبد المسيح أمامه وبقية الملوك ماشيين وراءه وقدامه وهم يشقون الأسواق والحارات وأهل البلد قد علت منهم الزعقات وأكثروا من الصياح والضجات والناس قد صاروا من أعالى الأسوار والأسطحة والحيطان يتفرجون على شجيع عبس وعدنان وفارس العصر والأوان هذا وعنتر يدور بعينه فى مدينة اسكندرية فرآها كأنها النجمة المضيئة بحيطان وقصور وأبراج ولم يزل الملك هرمس حتى وصل إلى قصر المملكة فرأوه قصر عظيم ما مثله فى سائر الأقاليم وهو يشرف على البحر والجزيرة ولما رأوه لحقهم من رؤيته الانبهار والحيره لأنهم نظروا إلى قصر من عرعر مصفحة بالذهب الأحمر مطعمة بسائر المعادن من الزمرد والياقوت وقضبان المرجان وفصوص الجوهر ونظروا فيه إلى أربع قاعات عظيمه مرخمة فى كل قاعة ستة عشر أبواب متقابلة ببعضها وقناطرها معقودة مقسومة وبين الكل فساقى وشاذروانات ينحدر منها الماء كأنه الغدران وبدائرهم سباحات من رخام مطعم من سائر الألوان شىء قائم وشىء نائم وقد

أو صلوا إلى نصف البنيان والوانه مختلفة شىء أخضر مسنى وشىء أحمر عندمى وشىء أسود سبجى وشىء أبيض دلجى ما مثله فى سائر الوديان ودائر على تلك البركة عشر مناطق طيور مسموعة وانقلاب إلى ماءها رتاح وهى ذاعقه متجاوبه بأعظم الصياح قال ولما رأى عنتر إلى ذلك تعجب ومن مناداة الطيور أخذه الفرح والطرب هذا والملك هرمس قد أجلسهم على تلك الأسرة العالية والمقاعد المرتفعات بعدما خلع عليهم الخلع الغاليات من القماش الأسكندرى والشقق المذهبات وقد أجلس عنتر وهرقل وكوبرت فى صدر تلك السادات والملوك عن أيمانهم وشمائلهم فى تلك الحضرات ثم أمر بمد السماطات فوضعت بين يدين تلك الملوك والسادات وعليه ما يكون من أفخر الطعامات وهى من سائر الطيور والماكولات من الدجاج المثمن والأوز الملاح العظيمات ومن سائر لحوم الوحوش البريات والغزلان وأكلت الناس من تلك الأطعمة الخاصات هذا وعنتر لما نظر إلى تلك الأطعمه الشهيات جعل يأكل لقم كبارها ئلات وقد طاب له ذلك الطعام لأنه ما أكل مثله إلا عند كسرى وقيصر ملك الأروام ولم يزالوا الناس على ذلك الحال حتى اكتفوا واشتال الطعام وبعد ذلك أتو بانية المدام فى السلاحيات العظام وصارت الكاسات عليهم دائرات وغنت المطربات ورقصت الجنيكيات من عظم الفرح والمسرات ولم يزالوا على تلك الحالات أربعة وعشرين يوم متواليات وهم فى كرامات زائدات قال ثم بعد ذلك طلبوا الأذن فى الرواح والعودة إلى البلاد بعد أن رتب عليهم الأمير عنتر الخروج والعداد وذلك برضاه كما اتهى وأراد فعند ذلك قدم الملك هرمس لعنتر مائة رأس من الخيول الجنائب ما تقدر ترفع رؤسها بما عليها من الآلات والمواكب والدروع والقباب والقنطاريات والقواضب وعشرين من الجمال على كل بغل صندوقين مال والبعض منها قماش مصرى وتحف أسكندرى غوال وقال هذه هديه منى لأبى الفوارس عنتر وأما حمل الخراج يكون لملك قيصر خلف هرقل أنه لا يأخذ منه مال ذلك العام إلا يكون كله لعنتر على التمام فقال الملك هرمس سمعا وطاعه ولكن لا بد أن تأخذ الملك الكبير شىء يسر به الفؤاد وهذا يكون خارجا من الخراج والعداد الذى رسم به الأمير عنتر بن شداد هذا وسائر الملوك يهدوا إلى عنتر كأنهم يهدوا إلى هرقل بن الملك قيصر ومنهم من أهدى له شى كثير وبعد ذلك أقبل هرمس ملك أسكندرية وقال لعنتر يا فارس العرب القصية والدنية ما تقيم عندنا فى هذه الديار المصرية وأنا أرسل رجال يأتون بزوجتك وسائر بنى عمك وتسكن فى بلدنا وإن أردت زوجتك أخت المقوقس ابنتى وأقاسمك فى ملكى وأسلمك جميع نعمتى فقال له عنتر أيها الملك دامت نعمتك ويسلم لك المقوقس وابنتك وأننا ما نعود نحن على سكن بلدان ولا ناوى جدران ولا حيطان ولا نسكن إلا فى البرارى والقيعان وتعيش أنت وتدوم يا ملك الزمان قال فبينما هم فى ذلك الكلام وإذا برسول قد دخل عليهم

وقبل الأرض وأبدى السلام وقال له أيها الملك المفضال اعتد للحرب والقتال واجمع ما عندك مع العشائر والرجال فقال ويلك أخبرنا من قد طلبنا من الملوك الثقال وعندنا فارس عبس الأسد الرئبال الذى ما تقدر تقابله أسود الدحال وكان هذا البطريق من خواص الملك هرمس فقال له اعلم أنه قصد إليك الملك كندر بوس صاحب البهنسا ابن كرماس قال وكان السبب فى ذلك أننا كنا قدمنا فى هذا الديوان بأن هذا كندر يوس بن كرماس صاحب البهنسا والملك سندارس صاحب اهناس كانا الاثنان أولاد عم الملك جنطيا ئيل صاحب الفيل وذكرنا أنه أرسل بن عمه عنان وبأن غباره لعنتر وهرقل فى الميدان وأخبر هرقل لعنتر فارس عدنان بأن ابن عمه كندر يوس كرماس صاحب البهنسا وإهناس وقال عنتر لهرقل إست أمه واست أولاد عمه وبعد ذلك طيب قلوبهم عنتر وأوعدهم بكسر ذلك الجيش ثم إنه بعد كسرها وأحل بهم الهوان بعد أن قتل ابن الملك جنطيا ئيل فى ذلك الجيش الثقيل وهو المسمى بعنان وبعد ذلك سار إليه أبوه الملك جنطيا ئيل فى ذلك الجيش الثقيل فقتله وقتل فيله وانهزمت عشائره فى ذلك البر الفسيح وأتوا إلى ابن ملكهم هذا عبد المسيح وأخبروه بما كان من ذلك الأمر الصحيح وبعد ذلك صالح عبد المسيح لعنتر واستقال من قتاله واستعذر وكذلك كوبرت وهرقل بن الملك قيصر وأرادوا الرجوع هم وعنتر بن شداد فاعاقهم عبد المسيح وقال حتى أعلم أمر ما تحت يدى من البلاد وكان مراده أن يثبت قواعد ملكه ومن لا يطيعه يسير إليه عنتر ويهلكه فأجابوه هؤلاء الملوك الكبار الذين يحكمون وعلى تلك الأقاليم الأمصار ففرح عبد المسيح فرح عظيم بأجابه ملوك تلك الأقاليم والأمصار وكانوا كلهم بواسطة عنتر قد أجابوه ودخلوا تحت طاعته وصاروا يسيرون إليك نلك بعد ملك ويأكلون ضيافته فلما سمع هذا كندر بوس صاحب البهنسا صعب عليه وقامت فى أم رأسه مقل عينيه وقام وقعد وارغى وأزبد وكفر الملعون وجحد والصور المصورة فى الحيطان سجد وكان فى نفسه شيطان مريد وجبار عنيد وكان يحكم على بلاد كثيرة من أرض الصعيد وما كان يبارز فارسا قط فى ميدانه إلا ويخطفه من على ظهر حصانه لأنه عايج عظيم وفارس جحجاح وكان يقاتل بسائر السلاح وما قهر قط فى زمانه ولا أخذه أحد فى ميدانه لأنه كان من نسل العمالقة الطوال وكان أشجع من جنطائيل فى القتال وأثبت عند الطعن والنزال وكان عارفا أيضا برمى السهام وأثبت أهل ذلك الزمن فى ضرب الحسام وكانت تخافه سائر ملوك الصعيد ويخشاه القريب منهم والبعيد وكان يحكم على حد أخميم وأسوان وإلى النوبة والبحار وتلك الفلاة والبيد (قال الراوى) وإنه لما سمع بما فعله ابن عمه عبد المسيح وبوعمه رأى أن تلك الفعال أمر قبيح فجمع وزراءه وبطارقته وامراءه كابر دولته وقال لهم إلا ترون مافعل ابن عمى عبد المسيح وكيف صالح هذا

الأسود الذى يسمى عنترو بأنه من قتاله يستريح وما كفاه ما لحقه من العار فى سائر البلاد حتى أرسل إلى يطلب منى الخراج والعداد وأن بأما كانت الملوك تطيعه وتزن إليه المال إلا أنهم كانوا يخافون من سطوتى فى الحرب والقتال ولما سمعوا أنه قتل وانحلت به الرزية وكان أرسل إلى يستنجد بى وكنت أسير إليه وآخذ روحه من بين جنبيه فوا أسفاه على ابن عمى جنطيائيل حيث طلع ابنه هداعد المسيح جبان ذليل والا لو كان عنده تدبير الملوك وما يفعلوه من الأمر المتروك كان أرسل أعلمنى بما جرى عليه حتى كنت أسير إلى هذا الفارس الأسود وأتجرد لقتاله وقتاله وأفعل به كما فعلت بأمثاله فقالوا له لا كابر دولته أيها الملك إن ابن عمك من جبانته ومهانته ومن خوفه من هذا الأسود لا يقتله وبعدمه مهجته فاحتاج أن يدارى عن نفسه بوزن المال والخراج عن مملكته فقال لهم إنى قد عولت أن أكاتب أهل البر الطويل وأعلم الملوك الذى كانت تحت طاعة عمى جنطيائيل وتجمع لنا جيش كثير ونسير إلى عنتر فى جحفل كثير ونقتله ونقتل أيضا هرقل وكوبرت الحقير ونفنى عشائرهم وأجنادهم وبعد ذلك نسير ونملك بلادهم ونأخذ مدائن الواحات ونخلص ثار الملك صافات وإذا قتلنا عنتر سرنا وملكنا قلعة البلور فقالوا له أيها الملك لقد قلت الصواب وانظر ما يردون الملوك من الجواب قال فعند ذلك كتب كتب كثيرة وأرسلها إلى من تحت يده من البلاد وأرسل يطلب منهم العشائر والأجناد قال وكان من جملة ما كاتب ترس صاحب دهشور وكان بطريقا عظيما وأرسل أيضا إلى سوخال صاحب الأشمونين الشيطان الرجيم كتب أيضا إلى قراقيش وإلى صاحب أخميم وكتب إلى كردوس صاحب أسوان وكتب إلى ملك النوبه ومن تحت يده من السودان هذا وقد سمعت اهل الصعيد بقتل جنطائيل وتولية ابنه المسيح الذين يزعمون انه ذليل جبان فاجت بهذا الأمر تلك الأرض وكاتبوا بعضهم البعض وقد اتى الملك مكشوح ملك البجاو والملك عفلق ملك النوبة وتلك الفلاه هذا وقد التمت العشائر من سائر البلدان واتحدوا جميعهم بالعدد الكاملة وكان اجتماعهم على اسوان ولما قدمت عشائر النوبة وتلك البلاد على رؤسهم الخود العادية وبايديهم الدرق والسيوف المجلية الصقال وقدامهم القساقسة والرهبان قد رفعوا الصلبان هذا والملك كندريوس قد ركب بينهم كأنه برج مشيد وقد تسربل بالزرد النضيد وقد اكثروا من الزمر والطبول حتى ارتجت بهم الأرض عرضا وطول ولما تقابلت الملوك فى تلك الأرض سلموا على بعضهم البعض واقبلوا على الملك كندريوس وقالوا له وحق المسيح الجليل من يوم ملك الملك جنطيائيل دخل على قلوبنا حزن طويل وما العجب إلا كيف تصادق عبدالمسيح هو وعبد سود وهرقل بن الملك قيصر ووفقهم ان يوزن لهم الخراج والعداد ويصانعهم عما يملك من البلاد فقال لهم خلوا عنكم انتم وابن عمى عبدالمسيح وما نعمله من

هذا الأمر الذى هو غير صليح فقد صالحوه ملوك الغرب والشرق والجزائر البحرية وكان سبب ذلك ميخائيل صاحب برقا وأيضا صاحب تونس وهرمس ملك اسكندرية والحاكم على الديار المصرية القصية والدنية ومن العجب كيف أطاعه هؤلاء الملوك الثقال بلا حرب ولا قتال وحملوا له الخراج ولم يقع بينهم وبينه احتجاج وقد أرسل أيضا يطلب منى أنا الآخر طاعته وأنا ملوك الأرض تتعلم منى الشجاعة وأظن أن مثله ذليل جبان ولا أثبت للحرب فى الميدان فلما سمعت ذلك كاتبتكم وجمعتكم لأجل تسيرون معى إليه كلكم وتقتلوه وتقتلون هذا الأسود معه وتنهبون من الأموال كل ما جمعه وأنتم معكم هؤلاء الأقيال وعليها هؤلاء الرجال الأفيال فاستعدوا وسيروا اليهم بجمعكم حتى أجمع بقية من عندى من العشائر وأتبعكم لأنه قيل لى عن هذا الأسود أنه ما يفزع من أحد ولا يهوله من العشائر وكثرة العدد وإذا لم تجمع على هذا الشيطان المريد كل من فى أرض النوبة وبلاد الصعيد وإلا ما ننال ما نريد قال فلما سمع الملوك منكندريوس ذلك المقال صغوا اليه وشكروه وأيقنوا ببلوغ المرام ثم أنه أمر بعد ذلك لوقت أن ينتدب عشرين بطريق كل واحد منهم مثل الفتيق وقدم كل واحد منهم آ على عشرة لاف ما فيهم من يفزع من الموت ولا يخاف وقدم على الجميع بطريق جبار ما يقع على فروسيته عيار يقال له برلص وكان طاغيا كفور ورفع له صليب من الذهب الأحمر وهو مرصع بالياقوت والجوهر ورفع على رأسه علم من الحرير الأصفر مرفوع فيه صفة الشمس والقمر هذا وقد جمله بالخيام والسرادقات وخففت على رأسه الأعلام والرايات ودقت الكوسات ونعرت البوقات وأوصاهم أن لا يكونوا فاترين العزمات فاجابوا بالسمع والطاعة وسارت العشائر من تلك الأرض وهى يتلوا بعضها بعض حتى قربوا من الباب الكبير فخرجت اليهم البطارقة والأمراء وفى أوائلهم بطريقها وكان اسمه فقريطوش فتلقاهم بالإكرام والانعام وكان قد خرجت اليهم فى جمع كثير من العشائر والجيوش وتحملوا كلهم بالسرادقات والخيام ورفعوا على رؤسهم الأعلام والرايات وساروا الكل حتى وصلوا إلى برنش وأعمالها فخرجت اليهم بطارقتها ورجالها وفى مقدمتها بطريقها الكبير وقد تحمل بالسرادقات والخيام الحرير وسار معهم فى عشرة آلاف فارس ما منهم الا كل مدرع ولابس والكل قد استعدوا للقتال والحرب والنزال وقد ملاوا الدنيا شرقها والغرب ورآهم ذلك البطريق الذى قدمنا ذكره فى تلك الضجة القوية وأتى وأعلم هرمس ملك أسكندرية قال فلما تكلم ذلك البطريق بذلك الكلام وسمعوه الخاص والعام فرحت الملوك والعشائر فى بعضهم البعض واضطربت طولا وعرض وقالوا وحق المسيح ابن مريم والصليب المفخم ما هذا إلا أمر عظيم وخطب جسيم حيث جمع كندريوس هذه العشائر واتى الينا بهذه العساكر وقد غفلنا عنهم حتى تسببت هذه

الأسباب وعملوا شيئاً ما كان لنا في حساب و... كان الصواب إهمال أمرهم حتى وصل إلينا شرهم ولكن ما بقي إلا مسيرنا إليهم بجمعنا وجيشنا واجنادنا ونتبعهم ولا ندعهم يدوسوا أرضنا ومواضعنا قال فسمع عنتر ذلك الكلام حلف بمن أرسى الجبال ويعلم كم وزنها مثقال لا سار إليهم أحد من الملوك الثقال ولا سار إليهم إلا هو في بعض العشائر والأبطال (قال الاصمعي) إلا أن القسيس لما ذكر للملوك ذلك الكلام وحلف عنتر بتلك الأقسام أنه لا سار إليهم إلا وحده ويلتقي تلك العشائر ويشتتهم في سائر الأراضي والجزائر ويبيد الكل في الميدان فلما سمعوا منه ذلك تعوذوا بالكنائس والصلبان فعند ذلك أقبل عليهم هرمس وقال لعنتر يا أبا الفوارس إن كلامك زاد بنا الوسواس فلا بد ما يسير معك مائة ألف فارس وأول ما يسير أنا بجيشي وأبطالي وعشائري وأرسل إلى مصر أخبر ولدي المقوقس بهذا الخبر وأدعه يرسل لنا جيش ونسير كلنا إلى هذا المعجب بنفسه وندعك تقتله وتريحنا من غمه وتفعل به كما فعلت بابن عمه (قال الراوي) وكذلك قال المسكين أصحاب تونس والقيروان وملوك بلاد الغرب وتلك البلدان ووافقهم على ذلك القول ميخائيل صاحب ... وكان قد ازداد غيظاً وحنقاً واتفقت الملوك أن ترسل الرسل إلى بلادها وتجمع عشائرها وأجنادها قال فعند ذلك وثب عنتر من بين ذلك الجمع الكثير وقال لهم أي شيء هذا التفسير لا يسيرون وأنا أسير إليهم ولو أنهم بعدد ورق الشجر وقطر المطر وألقاهم بحد هذا الحسام الذكر وادعهم عبرة لمن اعتبر وتنظروا من عبدكم عنتر ما يؤرخ منه وتذكر وتتحدث به الناس وإذا لم أفرق هذه العشائر القادمة عليكم في البر والفدفد وإلا فالعنوا العرب الذين أتى منهم عنتر على طول الأبد ثم أنه لما فرغ من ذلك الكلام حلف وشدد في الأقسام بمن له البقاء والدوام وخلق سائر الأنام لا أقام غير ذلك اليوم تمام ومن الغد يسير إلى البهنسا وأهناس ومعهم هذا الجيش وملكهم الذي يسمى كندروس بن كرماس ويقتله ويقتل بطارقته ورهبانه ويفني عشائره وسائر أعوانه ويقتل أيضاً ملوك النوبة والبجاة ويشتت شملهم في الفلاة في كل أرض لأني ذكرت لكم قبل هذا الوقت أنني معتاد بقتل الأفيال وأرى أمورنا وسفرنا قد طال ومرادي العودة إلى الديار والأطلال (قال الراوي) لهذا المقال وكذلك قال كوبرت وهرقل بن قيصر أنهم يسيروا الآخرين في غداة غد فيمن معهم من الجيش وكانت عشائر كوبرت وهرقل معهم وهم لم يفارقوهم فلما حلف عنتر وأجابه كوبرت وابن الملك قيصر فقال عبد المسيح وأنا الآخر أسير فيمن معي من الرجال وأقاتل ابن عمي وأعاون ملوكنا على هذه الأحوال (قال الراوي) وأنهم لم يزالوا في قيل وقال إلى أن مضى الليل وأتى النهار وأرسلوا الملوك إلى بلادهم يأتوا منها بالعشائر والأبطال ولما أنهم فرغوا مما دار بينهم من الكلام والمقال افتقدت الجيوش عددهم وسلاحهم وأصلحوا

سيوفهم ورماحهم وركب قدامهم أبو الفوارس عنتر على سهولة جواده الابجر وتقلد بسيفه الضامى الابتر وأعرضوا عليه جميع الجيش فكانوا مائة ألف وأكثر وأرسل معهم الملك هرمس أيضا عشرين ألف من الابطال المسمية من أهل مصر وأسكندرية وقد نشرت على رؤسهم الصناجق والأعلام والرايات والقيصريات والصلبان والاندلسيات وعقد على رأس عنتر صنجق كبير مطرز بالذهب والحرير وسار فى همة قوية كأنهم الليوث العوابس وعليهم الدروع الداودية والبيض العادية متقلدين بالسيوف الهندية وخرجوا من مدينة أسكندرية وصارت ملوك العرب لوداعهم وقعدوا ينظروا عشائرهم تأتى من بلادهم ويسيرون اليهم ويكونون فى أرض الصعيد اجتماعهم ولما خرجوا من اسكندرية واتسعوا فى تلك الارض والملوك والكتائب يأتون بعضها بعض وعنتر بينهم كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل أو بلاء الله إذ انحدر ونزل وهو بالحديد مسربل وشيبوب والخذروف بين يديه يدسان كأنهما ذكر النعام ولم يزالوا يجدوا المسير إلى أن وصلوا إلى دير هناك فى سفح الجبل الاخر يسمى دير المسبح بينما هم سائرون إذا بغبار وقد ثار حتى سد الأقطار وأظل منه ضوء النهار وبعد ساعة انكشف وانقطع وبان من تحته بريق زرد ولمعان خود وقوم من كثرتهم ما يحصى لهم عدد وفى الحصر والعيار يزيدون عن الفين فارس قهار يقدمهم علج غضنفر فى عنقه سليب من الذهب الأحمر فلما أشرفوا عليهم طمطموا بالرومية وشتموهم بالافرنجية قال وكانوا هؤلاء طليعة جيش الروم وكانوا قد أرسلوهم قدامهم من أرض الفيوم فلما رأوهم لم يمهلوهم دون أن حملوا عليهم فتلقاهم عنتر وكان قد خرج اليهم يكشف الخبر وهو على ظهر جواده كوكب بن الابجر وتترجاجهم بسيمة الضامى الابتر وكذلك فعل كوبرت الفارس الغضنفر وخلفوا هؤلاء الاثنين لا أحد من الجيش فبرز اليهم فلم دونهم تسكر الا ساعة مثل لمح البصر حتى تركوا الألفين فارس عبر لمن اعتبر وخلوا جماجهم مثل الاكر فلله در عنتر وما فعل وكم أهلك فى ذلك اليوم من علج ربطل وكذلك كوبرت هجم عليهم وتشبه بعنتر وفعل مثل ما فعل وفتكوا هؤلاء الاثنين فى الألفين وحان عليهم الحين وناخ عليهم غراب البين وجعل عنتر كل رجل اثنين وعنتر قد التقى ببطريقهم الكبير وهو يصول ويجول وله وجه مثل الغول ومن شدة ما حصل عليه بقى لا يسمع ولا يرى لحمل عليه عنتر وصبر إلى أن حاذاه وحك الركاب بالركاب وضربه بالسيف على عاتقه طلعه يلمع من علائقه فوقع إلى الأرض يخور فى دمه ويضطرب فى عندمه قال ولما نظرت النصارى إلى بطريقها قتيل وعلى وجه الأرض جديل ولت الادبار وركنت إلى الفرار لأنهم لم يجدوا الهم على حرب عنتر طاقة ولا لملاقاته استطاعة فاوسعوا فى البرارى القيعان وهم يتعوذوا بالكنائس والصلبان ورجع عنتر وكوبرت بعد كسرهم لذلك الجيش وقد ملوا أسلاب القتلى

(تم الجزء الخمسون ويليه الحادى والخمسون)

الجزء الحادى والخمسون

من سيرة عنترة بن شداد

(قال الراوى) وعاد عنتر إلى جيشه وهو مثل شقيقة الأرجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان فتلقاهما هرقل بن الملك قيصر وأثنى عليهما ورحب بأبى الفوارس عنتر وكذلك فعل عبد المسيح هو وكل من فى ذلك المكان حضر وشكره على ذلك الفعل المليح وجميع الجيش (قال الراوى) لهذا الخبر هذا ما كان من هؤلاء وما سار لهم من ذلك الأمر والخبر المبين وأما ما كان من المنهزمين فإنهم ولوا مكسورين وفى البر مشتتين حتى وصلوا إلى ملوكهم ومقدمتهم من عشرة وعشرين وأعلموهم بكسرهم وما حل بهم من هذا البلاء العظيم وقتل بطريقهم وقالوا لهم ما تلقانا إلا عبد أسود وهو جبار جسيم وما كسرنا وقتل بطريقنا إلا هو وحده وما كان معه من جنده إلا نفر واحد فلا رحم المسيح لا أباه ولا جده لأن هذا رحق المسيح له ضربات تهد الجبال وصرخات تزلزل الأرض والتلال قال فلما سمعوا ذلك المقال صعب عليهم وكبر لديهم وحلفوا بالصليب والانجيل وما فيه من التحريم والتحليل أن لا بد لهم أن يقتلوا هذا الأسود ويسقره كاس الحمام هذا وقد ركبت العشائر على خيولهم واعتدوا القبالة على أفيالهم وجعلوا يجدوا السير فى تلك الربوات ودقت الكؤسات وامرت البوقات وبقيت الأرض تموج كأنها يأجوج ومأجوج وهم فى ذلك العدد الذى ذكرناه فهذا ما كان من هؤلاء وقصتهم قال وأما ما كان من الأمير عنتر وهرقل بن قيصر ومن بصحبتهم فانهم بعد كسر الطليعة قدامهم فى تلك البرارى والقيعان جعلوا يستعدوا للحرب والقتال وأنهم ما أقاموا غير يومين على هذا الحال وفى اليوم الثالث رحلوا أول النهار وإذ قد طلع عليهم غبار حتى سد الأقطار وانكشف بعد ذلك عن عشائر البهنسا والفيوم وركض خيلهم قد أزعج الأرض وهم بعد الكواكب والنجوم والعشائر كأنهم الجراد المنتشر أو السيل المنحدر وقد أبرقت الدنيا من المشارق والمغارب من كثرة الرماح والطوارق ولمعان السيوف والقواضب والرايات مثل الكواكب فلما رأوا عشائر هرقل إلى غبارهم ففى عاجل الحال ركبوا خيولهم واعتدوا القتالهم واعتقلوا برماحهم وتقلدوا بصفاحهم وركب عنتر فى ذلك اليوم جواده الابجر وتقلد بسيفه الأبتر واعتقل برمحه الكعوب الاسمر وركب فى جانبه هرقل بن الملك قيصر وجعل يرتب الجنود والعشائر ميامن ومياسر لانه بهذا الأمر عارف وخابر وأوقفهم قلبا وجناحين وأمرهم أن يكونوا عند حملتهم صفين وأن يعتدوا لملاقات الطعن والضرب ووقف

الملك عبد المسيح والملك هرقل تحت الاعلام والرايات ودقت من خلفهم الطبول والكوسات وما فرغ عنتر من هذا الحال وترتيب الجنود والعشائر للقتال حتى أن جيش الاعداء قد أقبل ورايانها قد انتشرت أعلامهم ظهرت وصلبانهم على رؤسهم قد ارتفعت ولغاتهم بلسان الروم قد طمطمت والجنود بعضها ببعض قد تقاربت ولم يزالوا كذلك حتى وقعت العين على العين وحان الحين وزعق على رؤس الطائفين غراب البين وتقدم عنتر إلى بين الصفين واشتهر بين الفريقين فلما نظرت الاعداء إلى طوله وكبر هامته وانزعاج عينيه وغلظ أطرافه وهول خلقته أوقع الله الرعب فى قلوبهم من هيبته وأطلقوا أعنة خيلهم وقد أيقنوا بذلهم وبالهم ولكن عزموا على هزيمتهم وقد ألقى الله تعالى فى قلوبهم الخوف فخرج من بينهم بطريق كأنه الفتيق وكان على جواد عتيق وهو مسربل بالحديد الزرد النضيد وعليه درع مذهب يكاد من ضياء الشمس أن يتلهب وهو لا يبان منه غير تدابر الحدق وهو يطمطم بالافرنجية ويتكلم بعد ذلك بلسان الطائفة الرومية وقال ارسلوا واحداً منكم إلى ملكنا يكلمه فى أمركم وشانكم حتى ينظر ما أنتم عليه وما مرادكم وما هو الذى أزعجكم وأخرجكم من بلادكم فقال عنتر لكوبرت أظن أن هذا القرنان ينادى لنا بطلب الحرب والطعان فقال كوبرت يا أبا الفوارس ما هو إلا قد أتى يطلب رسولا يمضى إلى ملككم ويعرف ما يقول فقال عنتر امض أنت إليه وقل لهم يقول لكم عنتر بن شداد الذى قد أتى لا يرجع يفنى كل من فى هذه البلاد ولو أن خالق العباد ومن كسا الليل حلة السواد ما أرجع عنهم وقد أملككم هذه البلاد ولو أن معهم جنود ثمود وعاد وأهلك هذه العشائر الجميع ولا أخلى منها رفيع ولا وضيع أو يعطوا الطاعة ويزنوا الخراج ومعداد وإلا ما أكون حامية عبس عنتر بن شداد فقال كوبرت لعنتر السمع والطاعة وسار حتى وقف بالبعد عنه فلما رآه احترز على نفسه منه وخاف أن يخزمه وما يعلم أنه يخيب ظنه ولا علم ما خفى عليه أنه فارس شديد وكان كوبرت كما قدمنا بطل صنديد قال وكان هذا البطريق يسمى بولص بن مارث وقد أرسله البطريق الكبير الذى قدمه على جيشنا صاحب البهنسا الملك كندريوس إلا أن كوبرت لما صار مقابل ذلك البطريق وله جنان أشد من نار الحريق فقال له ما الذى أرسلكم إلينا وأقدمكم علانا حتى قتلتم فرساننا وأجنادنا وتممتم فى أرضنا وبلادنا فما الذى تطلبونه منا فافيقوا لانفسكم وارجعوا بجيوشكم عنا فقال له كوبرت أننا ما دخلنا إلى هذه البلاد إلا حتى نهلك عشائركم والاجناد لما علمنا أنكم عصيتم عن حمل الخراج ومعداد دون غيركم من الاراضى والبلاد وأن مقدم جيشنا الامير عنتر بن شداد خلف بنى حمل الجبال أو تادا فإذا لم تفعلوا مثل ما فعل غيركم من الملوك وإلا يهلككم بأجمعكم ولا يدع منكم لا غنى ولا صعلوك ويشتت شملكم ويهدم أوطانكم ويخرب كنائسكم ويقتل رهبانكم فقال له مبطريق هو مسيحى أو من أى البلاد فقال له

كوبرت هذا فارس الحجاز الذى يسمى عنتر بن شداد هذا الذى قتل الملك جنطيانيل هذا فارس الآفاق هذا الذى قهر فرسان الهند والسند واليمن والعراق قال فلما سمع بولص ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وحلف وشدد فى الأقسام أن هذا الفارس أعجوبة بين الأنام ولكن ارجع إليه وقل له لا يطمع فى بلادنا كما طمع فى بلاد غيرنا فاغتاظ كوبرت ولما سمع ذلك الكلام قال له يا ابن اللئام لمثلنا يقال هذا الكلام ونحن فرسان الصدام فلما سمع بولص من كوبرت ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وفى عاجل الحال جرد سيفه من غمده وهزه حتى لمع الموت من أفرنده وضرب به كوبرت كاد يقسمه نصفين ويرميه على الأرض قطعتين فراغ عنها كوبرت بمعرفته وشدته فنزلت على جواده فبرت عنقه وحمل عليه أيضا أنه يضربه ثانيا يقتله فزعق عليه الأمير عنتر بن شداد ولم يتركه يتم له هذا الأمر وصاح فى كوكب بن الأبجر الذى كان يطير بلا أجنحة فخرج من تحته مثل البرق الخاطف إلى أن وصل إليهم وفى عاجل الحال قدم عليهم وطعن بولص فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره وخلص كوبرت مما كان فيه من شدته وأركبه على جواد بولص بهمته لحماه من الروم حتى صار على صهوته ثم جال فى تلك المواكب وزعق فافترقوا قدامه كتائب وفرق ولما رأت الجنود إلى عنتر وقد قتل بولص بقوة جربه وجلاده وأركب صاحبه على جواده ونظروا إلى ما فعل من تلك الأوصاف فحمل عليه موكب قدره عشرة آلاف فعند ذلك المقام كوبرت وعنتر بلا تخاوف وهو على ظهر جواده كوكب بن الأبجر وزعق فيهم زعقات عاليات أودت تلك الأرض والفلوات وضرب فيهم ضربات قاطعات وأخوه شيبوب وولده الخذروف بين يديه يرموا بالسهام فى اللباب هذا وقد حمل معه فرقة من الروم وأحلوا بالافرنج البلاء والهموم وطعنوا فيهم بالقنطاريات وبذلوا فيهم السيوف المشرفيات وكان لهم ساعة لا تقاس بالساعات هذا وعنتر يحمل فيهم حملات عظيمات ويضرب فيهم بسيفه الضامى الابتر فاندهلت الافرنج لما رأت إلى تلك المصائب الهائلات أبصروا إلى إنسان ما كأنه إلا من الجن الطيارات فصلبت على وجوهها والسائت قدامه كأنها الغنم الجافلات (قال الراوى) فلما رأت بقية الجيوش ما حل بأصحابه حملوا بأجمعهم يعينوهم على ما نابهم وتقدمت أصحاب الأفيلة بما تحتها من الأفيال وعلى ظهورها ما ذكرنا من تلك الرجال وفى أيديهم المزاريق والقوس والحراب والنشاب (قال الراوى) فلما نظر الملك هرقل وعبد المسيح إلى ذلك الحال حملوا على الجميع بالجيوش ومن معهم من الأبطال فاشتدت الأهوال وعظم الزلزال وقل القيل والقال وجال الفارس الريبال وجاء الحق وذهب المحال والتقى الجمعان وأطلقت الفريقان وزاد القتال وازدحمت الألوف وقطعت الانوف وزهقت النفوس وكان يوم عبوس وثار الغبار وأظلم ضوء النهار وقل الاصطبار وقدمت

حوافر الخيل شرار النار وقد طمطمت السودان بلغاتها وقسقست القساقسة والرهبان ودمدمت أسوذ الحرب وزادت هيبات ونقط الدم من الابدان وبقيت الارض كحلة الاجوان لما سال عليها من أدمية الفرسان وظهرت الشجعان واختلف الطعن بالرمح والسنان وقاتلت أصحاب الافيلة قتال شديد ما عليه غبار وكانوا قد فرقوهم أربع فرق وصار لهم همهمة وزمجرة وجعلوهم فرقة فى الميمنة وفرقة فى الميسرة وجعلوا فرقة فى القلب وفرقة أمام العشائر وتصايحت النوبة والبجاه والبربر فلله در أبى الفورس عنتر ومافعل فى ذلك اليوم الشديد الاغبر لانه هو الذى أوقد نار الحرب وقتل الافرنج والسودان وبقى تارة يقاتل بالميمنة وتارة يقاتل بالميسرة ولله در كوبرت الفارس الغضنفر وكذلك هرقل بن الملك قيصر فانه قاتل بنفسه وما قصر ورمى الفرسان على الارض مثل الاكر ولم يزالوا على ذلك المبار ثلاثة أيام ليلا ونهار وهم قوم يقاتلون وقوم يتأخرون لاجل الراحة فى ذلك البر والقفار وبعد ذلك ظهر على هرقل وكوبرت وعشائرهم الانكسار ولولا عنتر الفارس الهمام كانت عشائرهم من أول يوم طلبت الفرار والانهزام لانه هو الذى يحمل عنهم الاثقال ويحميهم فى الحرب والقتال لان أكثر خيلهم عطبت مما رموهم السودان بالحراب والنبال الذين هم على ظهور الافيال فلما كانت الليلة الرابعة شكوا إليهم هذا الحال وأن خيلهم ما بقت تنفع فى المجال فوعدهم عنتر أنه فى غداة غد يقاتل فى الافيال ويسقى الرجال الذين هم على ظهورها كاسات الخبال فعند ذلك اطمانوا لما سمعوا منه هذا المقال وعلموا أنه يقدر على هذه الفعال وبعد ذلك نزلوا فى الخيام وأخذوا لهم راحة وأكلوا الطعام وأقاموا لهم حرسهم من الاعداء فى الظلام وكانت كما ذكرنا خيلهم قد قتلت من حراب السودان الذين هم راكبون على الافيال وبقى أكثرهم رجالة وهم على أرجلهم يقاتلون ومن شجاعة عنتر يثبتون إلى أن كان اليوم الخامس فتبادروا إلى القتال وابتدروا للحرب والنزال فبينما هم على ذلك الحال وإذا بغبار قد أقبل من خلفهم وثار حتى سد منافس الاقطار وساعة من النهار فرمق الجيشان إلى هذه الغبائر المرتفعات وإذا بها قد انكشف عن جيش جرار كأنه البحر الزخار والبرق قد انزعج من دق الكؤسات ونعير البوقات وخفقان الرايات وقد ارتفعت على رؤسهم الصلبان وإشاراتهم تدل على أنهم مائة ألف عنان وهم جيوش مصرية ويقدمهم الملكين ميخائيل صاحب مدينة تونس وهرمس صاحب مدينة اسكندرية (قال الراوى) وكان السبب فى قدوم هذه الجيوش المصرية أن عنتر لما حلف وشدد فى الاقسام لا رحل بغير هذه الجيوش وصحبته عبد المسيح وكوبرت وهرقل بن الملك قيصر ومعه هرمس وعشائر اسكندرية فارسل بعد ذلك إلى ولده المقوقس ملك الديار المصرية يطلب منه جيش وكذلك بعث ميخائيل الآخر فلم تكن إلا أيام قلائل حتى أتى من عند صاحب مصر ستين ألف فارس وراجل ما منهم إلا كل ليث مقاتل وبعد

ذلك بشيء قليل وإذا قد أتت أربعين ألف لصاحب برقا ميخائيل لأنهم سمعوا أن قد وصل من عند كندريوس صاحب البهنسا عسكر ثقيل وإنه قد بعث لسائر بلاده وإلى الصعيد يستنجد بالعشائر ويستحثهم على القدوم من قريب وبعيد فقالوا فى أنفسهم نحن نساعد عنتر بن شداد على كسر عشائر تلك البلاد أخير لنا مما نساعد ونطيع ملوك الصعيد وتدوس بلادنا وتعمل فيها ما يريدو يطمعون فى برقا واسكندرية بل يغرهم الطمع فى الديار المصرية فعند ذلك تجهزوا وساروا بهذا العشائر والأجناد حتى وصلوا إلى تلك البلاد والكل قد أتوا إلى نصرة عنتر بن شداد وتقربوا منهم وترجلوا عن وجه الأرض وسلموا وتعانقوا بعضهم البعض فقالوا لا عدمنا همتكم ونشر المسيح أعلام نصره عليكم ثم إنهم حكوا لهم على ما جرى عليهم من قتال السودان وكيف عطبت خيلهم مما يرموهم به من السهام فى الميدان ولولا هذا الأمير عنتر الفارس الرئبال كانوا أهلكوا جميع ما معنا من الرجال والأبطال وقد وعدنا فى هذا اليوم إنه يقاتل فى الأفيال ولولا ما معهم من الأفيال كنا أكثرهم على الرمال فقالوا لهم لا تفزعوا من هذا الحال والمقال فقد أتت معنا خيل كثيرة خالية بلا رحال (قال الراوى) هذا المقال هذا وقد نزل على أعدائهم الذل والخبال لما نظروا إلى قدوم هذا العشائر والأبطال لكن شجعهم ملك البجاه وقال لا تفزعوا من هذا الحال ولا تخافوا ممن قدم عليكم من هذه العشائر والرجال ففى هذا اليوم ترونهم بين أنياب الأفيال وينزلوا بهم الذل والوبال لا ننافى هذا اليوم قد عولنا نقدمهم بين أيدينا للحرب والقتال ونصبر عليهم إلى أن يدرسوهم بأرجلهم وبعد ذلك نحمل بعشائرنا عليهم فلا ندع منهم إنسان ونقتل الأبطال والشجعان ونفنى من معهم من العشائر ولا نبقى على أحد من هؤلاء البيضان ونقتل حاميتهم هذا الذى يسمى عنتر فقالوا له وحق المسيح الذى ولدته أمه من غير ذكر أن المسيح يخاف منه وإن لم تفعل ما قلته وإلا ما يبقى منا من يخبر بخبر (قال الراوى) وفى ذلك الوقت اصطفت الصفوف وترتبت المئات والألوف وصدمت عشائر البهنسا أقدامها كما قدمنا ذكره من تلك الافيال وعلى ظهورها رجال ترمى الحراب والخشوت والنبال فلما نظرت عشائر هرقل إلى تلك الحال تغيرت منهم الأحوال وخافوا على أنفسهم من الأفيال لئلا يدوسهم ويحلوا بهم الوبال قال الراوى فعند ذلك ابتدر قدام تلك العشائر الأسد الأدرع والليث الصميدع الأمير شيبوب وهو كأنه البلاء المصبوب وجرى قدام تلك الجيوش على قدميه ومسك قوسه وكنانته بيديه ووقفت الإفيال من بعيد بمقدار رميه سهم وجرى عليه ورمى مقدم الافيال فلم تخطيء بالقضاء والقدر حتى دخلت مقل عينيه فعاد الفيل على عقبه راجعا من ساعته وعينه قد غارت وحلت به بليته والافيلة جميعا لما عادر راجعا تبعته وولوا جميعهم منهزمين وقد ألقوا إلى الأرض الرجال الذين على ظهورهم وكانوا رجالا كثيرة فداسوهم وحيروهم فى أمورهم فاعترضتهم

ركاب الخيول فداستهم أيضاً الأفيال مع خيولهم وأحلوا بهم الوبال. فعند ذلك قال عنتر لأصحابه دونكم وإياهم دمروهم وعجلوا فناهم وقطعوا خراطيمهم بما في أيديكم من السيوف فإنها إذا قطعت مشافيرها شربت كأس الحتوف فعندها حملت جيوش الروم وفي أوائلها ملكها هرقل وكذلك كوبرت وجيوشه ففعلوا مثل ما فعل وأحملت أيضا جيوش مصر واسكندرية وقاتلوا بقوة قلب وصفاء نية وجعلوا يقتلون في الرجال ويفتكون في الأفيال وعظم القتال واشتد النزال وزادت الأهوال وقلت الرجال وفقدت الأبطال وقام الحرب على ساق وضربت الأعناق واشتد الخناق وظهر المحاق وكان ذلك اليوم كأنه يوم التلاق فجمعت فيه النفوس وبانت الفرسان وكل الجبان وذل العزيز وهان واختلطت بعضها بعض الطائفتين وزعق على رؤسهم غراب البين وحان الحين وقلعت العينين وطاب وفاء الدين وقطعت المعاصم وانتثرت الجماجم واشتد الزحام وكل الكلام وعظم المرام واشتهر البطل الهمام ورشقت أحزاب السهام وسقطوا الأبطال كاسات الحمام وضاقت الصدور وعظمت الأمور وصار النهار من شدة الغبار كالليل البهيم وكل الاصطبار وتهتكت الأستار وعظمت الرزيات وصارت الأنفس في النازعات وبربرت السودان وعنت العيدان ورفعت جيوش هرقل وكبرت أصواتها وضربت طبولها وبوقاتها وطعنت بقنطارياتها وطمطمت بلغاتها وفارس عبس هو حامها وهو ينثر من جيوش البهنسا ملوكها وساداتها لحارت مما حل بهم في ذلك اليوم الأفكار وعميت منهم الأبصار وزاد عليهم العيار فولت جيوش البهنسا الأدبار وركنوا إلى الفرار وتبعهم عنتر وأجناده إلى آخر النهار وقتلوا شيء كثير من الأفيال وأهلكوا جماغير قليل من الرجال ورجع عنتر وأصحابه وسائر من معه والجيوش والملوك تتبعه ولموا الخيل والأسلاب والمال وسائر الدواب وجميع الملوك تثنى على شيبوب فيما فعل من ذلك الأمر المهوب وأيضا على ولد الخذروف وعلى حاميتهم عنتر البطل الموصوف وبعد ذلك نزلوا واستقروا في الخيام وأخذوا لهم راحة وأكلوا الطعام وانطرحت الناس لما أظلم الظلام بالليل للمنام ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح جلست الملوك في خيامها وجمعت أكابرها وتقدمها ابن شداد همامها واستشاروا هل يرجعوا أو يرحلوا وراءهم فاتفق رأيهم بمشورة عنتر أن يسيروا وراءهم إلى بلادهم ويفتكوا في بقية عشائرهم وأجنادهم وإن عصوا عليهم حاصروهم وأهلكوهم وإن أطاعوا يطلبوا منهم الخراج والعداد ويكون ذلك بهيبة عنتر بن شداد ثم أنهم ساروا وتبطنوا في ذلك البراري والقفار وتبعوا منهم الآثار (قال الراوي) فهذا ما كان من هؤلاء وما دار بينهم من الكلام (وأما) ما كان من القوم الذين حل بهم الانهزام فإنهم ساروا أكثر من يومين ليلا ونهارا وإذا قد لاح لهم من بين أيديهم غبار وتزوبع حتى سد الأقطار وقد أظلمت منه الأقطار وبعد

ذلك انكشف عن جيش الصعيد والبهنسا وعلى رؤسهم الرايات وبين أيديهم دق الكؤسات ونعير النوقات وقعقعة الصلبان يحملها القساسة والرهبان وفى مقدمتها كندريوس بن كرماس وأخوه صاحب مدينة أهناس (قال الراوى) وكان السبب فى قدوم هذين الملكين بمن معهم من تلك الجيوش لما أنهم أرسلوا بولص ومعه تلك الجيوش ولقيوا عنتر وفعل بهم ما فعـــل من تلك الأمور الكبائر وبعد مضيهم من عنـــده فى ذلك البر والمجاج كانت هؤلاء البطارقة والأعلاج وصار يجمع الجيوش على عنتر ودساكره إلى أن التقى بالرجال المنهزمين وهم فى البر متقطعين من عشرة وعشرين وبعضهم فى البرارى تائهين فقال لهم يا ويلكم من هذا الحال وأين العشائر والأبطال فقالوا له أيها الملك يكون على علمك أنهم داستهم الأفيال وأهلكهم هذا الذى يسمى عنتر بن شداد وأحل بهم الوبال وشىء هلكوا فى المعمعة بالحرب والقتال فقال لهم ياويلكم أنتم كنتم فى خلائق بعدد الرمال تهلككم هذه الشرذمة الحقيرة وتهلك منكم الرجال والأبطال فقالوا له أيها الملك لا تقل شرذمة حقيرة فوحق المسيح ما هى إلا عصابة كبيرة ثم أنهم أخبروه على ما أصابهم من أمر الحرب والقتال وكيف قتلوا بعده الرجال والأبطال وكيف قلع شيبوب عين كبير الأفيال فولى وتبعته رفقته وأرموا ما على ظهورهم من الرجال وحمل عنتر ومن معه من العشائر بأسرها وضربوا فى الأفيال بالسيوف على خراطيمها ومشافيرها فلما رأوا إلى قتل الأفيال هجموا علينا فى عاجل الحال وداسوا خيلنا ومن عليها وأبادنا عنتر وعشائره فى ساحة المجال فهلك منا فى تلك الوقعة نصف العشائر ومنهم جماعة كثيرة تشتتوا فى البرارى والجزائر قال فلما سمع كندريوس بذلك ما هان عليه واسودت الدنيا فى عينيه وما بقى يعرف ما بين يديه وقال سوف ترون ما أفعل فى عنتر ورفقته وكيف أقتل هؤلاء الملوك الذين أتوا أصحبته وآخذ بثار عمى جنطيائيل وأقتل ابنه هذا عبد المسيح المهان الذليل وتركوا كيف أمحق منهم الأثر ولا أدع منهم من يخبر بخبر ثم أنه ضم الرجال إلى الرجال وزعق فى ساعة الحال وحلت العشائر على المسير والارتحال وتقدم قدام الدساكر يقطع البرارى والقفار وما سار غير يوم واحد كامل وثانى يوم إلى نصف النهار وإذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار وبعد ساعة انكشف ذلك الغبار وبان ما تحته وانجلا للابصار وإذا هو ببريق زرد ولمعان خوذ وجيوش ما أكثرها عدد وكانت هذه العشائر المقبلة عشائر الأمير عنتر والملوك التى معهم وعدتهم مائتين ألف وأكثر وكان عشائر البهنسا ثلثمائة ألف عددها قد انحصر لأنه كان أول مسيرهم فى النوبة الأولى ثلثمائة فارس فجرى عليهم ما جرى من سيف عنتر وحلت بهم المناحس وأيضاً كان معهم خمسمائة فيل الذين قدمنا ذكرهم وكان كما قدمنا على شيبوب فناءهم وقتل من العشائر مائة ألف وقد أمحت آثارهم وصاروا دوارس فلما تقابلوا بعضهم البعض عاد الملاعين من

جنبات تلك الأرض واجتمعوا هؤلاء وهؤلاء فصار عدتهم أربعمائة ألف وساروا قاصدين عشائر الامير عنتر وهرقل ابن الملك قيصر على هذا الوصف إلا أن لما انكشفت هذه الغبار وبان ما تحتها للنواظر ونظرت الجيوش إلى بعضها البعض فاججت واضطربت فى تلك الأرض ودقت من الجيشين الكوسات حتى تزلزت الأرض من سائر الجنبات ولم تجد الجيوش لها ثبات مما تقدم من سبب الحقد والكسرات بل حملت من سائر النواحى والجهات وكلهم يزعقون ويرفعون أصواتهم بقول حنا ومريم وتخضبت الوجوه بالدم وتبدلت بعد الوجود بالعدم وبرز الشجاع وهمهم وزعق البطل الشديد وتقدم وخاف الجبان الضعيف القلب وانهزم وكانت ساعة يالها من ساعة بانت فيها من الشجاع الشجاعة وصارت نفس الذليل مرتاعة وارتفعت الزعقات وعلت الضجات وعظمت الصرخات واختلاف الاجناس والاصوات وقل خطاب المخاطب وتصادمت الكتائب بالكتائب ومالت المواكب على المواكب وأحاطت جيوش البهنسا بجيش الروم من كل جانب ومكنوا منهم القنا والقواضب وكثر فيهم الفزع والارتعاس وأخذهم القلق والاندهاش وانقطع القلب من شدة الفزع وطاش ودمدم عنتر بين الطائفتين وهاش ولولاه كان فنى من جيوش الروم أكثر من نصفهم وكان قد حل بهم حتفهم لأنهم تأخروا أكثر من شوط جواد إلى خلفهم وطمعت عساكر البهنسا فيهم وأحلوا بهم الهموم ودمدمت السودان وساعدتهم على ذلك أهل الفيوم وعظم بينهم الوسواس وقد قويت قلوب الجيوش بشجاعة الكندريوس بن كرماس هذا وجيوش الملك كوبرت من عبدة الصلبان وأفرنج وروم وعرب وأهل الصعيد وسودان ومن يدعى الشجاعة من أهل تلك البلدان ولولا حاميتهم الأمير عنتر الفارس الكرار كانت تطلب الهزيمة والفرار وما ثبتها إلا هذا الفارس الادرع والبطل الصميدع بما فعل من الحرب فى ذلك النهار (قال الراوى) الناقل لهذا الكلام فبينماهم على ذلك الحال وقد ملت نفوسهم من الحرب والقتال وإذا بغبار قد ثار وسد الاقطار وبعد ساعة انكشف وبان عن عسكر جرار مثل البحر الزخار وهو مقبل من ناحية الجبل الاخضر وتلك الديار وبعدها تقطع وبان من تحته حديد يلمع وأسنة تشعشع وراية تونسية وصناجق قيروانية وهم كانهم الاسود الدحالية وهم راكبين على الخيول العربية ومعتقلين برماح خطية ومتقلدين بسيوف هندية (قال الراوى) وكان المقدم على هذه العشائر التى أقبلت مع الملكين أصحاب تونس والقيروان وكان السبب فى قدومهما هو أنه لما سار عنتر بالعشائر والفرسان وقد حلف وشدد فى الايمان لا سار إلا فيمن جمعه من تلك الشجعان وسار بهم كما ذكرنا وبعدها قد تتابعت من خلفه العرسان الذين قد جمعهم هرمس صاحب أسكندرية وملك الديار المصرية وكانوا هؤلاء الملوك أرسلوا إلى مدينة

تونس وإلى مدينة القيروان فاتتهم من الفرسان خمسون ألف عنان وساروا بهم خلف الأمير عنتر حتى ينجدوه على من قدم عليه من الجيش وقد ساروا يقطعون تلك البراري والتلال إلى أن لحقوهم على تلك الحال من أمر الحرب والقتال ولما أقبل تلك الرجال ما خفى عنهم ما هم فيه من الاحوال (قال الراوى) لهذا المقال فعند ذلك خففوا ملبوسهم وقد وطنوا على الموت نفوسهم وكشفوا عند ذلك رؤسهم ونادوا باللمسيح بن مريم ولما رأت جيوش النصارى إلى ذلك الحال حل بهم الانذهال والذل والخبال وقد قالوا لكندريوس وحق المسيح والانجيل ما أنت بعد ذلك إلا ذليل وما أنت إلا من أعظم الجهال فقال يافتيان وما معنى ذلك الشان فقالوا له اعلم أن لو كان فيك عقل الرجال ما كنت حاربت هؤلاء الملوك الثقال لاسيما هذا الفارس الذى كأنه الاسد الرئبال ولم يخطر الموت له عند بال وان لم تسمع منهم ما يقولون وتجيبهم إلى ما يريدون وإلا سرنا إليهم واتفقنا عليك واخذ روحك من بين جنبيك وتدخل تحت طاعة هؤلاء الملوك وتعيش كما يعيش الفقير الصعلوك (قال الراوى) فلما سمع الملك كندريوس منهم ذلك الكلام خاف على نفسه من شرب كاس الحمام فاجابهم على ذلك المرام وقد بطل الحرب الذى كان بينهم والخصام وفى عاجل الحال نزلوا عن الخيول وانبسطوا عرضا وطولا ودقت الطبول وقد زعقت جميع الفرسان ونادت عن فرد لسان يا حامية عبس وعدنان نريد منك الامان يا فارس الفرسان ويا حاوى قصب الرهان ويا مذل الملوك والاقران فى حومة الميدان ثم نادوا يا عنتر يا منصور يا رب أدمه علينا بالهنا والسرور ثم أنهم تقربوا من بعضهم البعض وقد تعانقوا فى تلك الأرض وما بقى أحد من ملوك أرض الصعيد والنوبة والبجاة الا من عانق عنتر وقبل يداه وقد اختلطت الجيوش المصرية والسودان والافرنج والروم وسائر ملوك البلدان وبعد ذلك نزلوا فى الخيام واستقر بهم المقام وقدم لهم الخدام سائر الطعام ورقوا اصافى المدام وزاد لهم كندريوس فى العز والاكرام مده من الايام فلما أن عزموا على السفر والرواح قدم الملك هدية للامير عنتر من جميع الشىء المفتخر ومن المعادن والجواهر وأيضا من الخيول العربية وقد أعطاه أوفى عطية بعد ما قرر عليه الخراج والعداد فى كل عام فاجابه كندريوس على ذلك المرام وقام قائما على الاقدام وقد قبل الأرض بين يدى عنتر البطل الهمام (قال الراوى) ثم أن الامير عنتر بن شداد أرسل جميع ما أتى له هدية من تلك البلاد الذى قدموه له الملوك والسادات إلى جزيرة الواحات وقد أراد الرحيل الجد والتحويل فودعوه الملوك ومن معهم من الفرسان وكذلك فعلوا بكوبرت والملك هرقل بن قيصر ومن معهم من ذلك الجيش وقد تفرقت الملوك إلى بلادها وكذلك من معها من اجنادها وقد نزلوا فى مراكبهم وقد خدمتهم الرياح باذن الكريم الفتاح وسخرها لهم رب الارضين والسموات وما زالوا فى تلك السفائن سائرين وهم فى عز وتمكين إلى أن وصلوا جزائر الواحات فعند ذلك طلع

إليهم جميع الرؤساء وهنئهم بالسلامة والمسرات وقد طلبوا منهم البشارات كما جرت به العادات ثم أنهم أرسلوا من هناك بشيراً إلى قلعة الكافور ومدينة البلور حتى يبشر بقدومهم ليزدادوا في حبور وسرور (قال الراوى) لهذه الأمور ولم يزالوا على هذا المرام حتى أقبلوا على قصر الملكة بسلام ولما استقر بهم المقام صنع الملك كوبرت الطعام وروق لهم المدام وبعد ذلك اجتمع عنتر بالجارية مريم وسلمت عليه وقبلت يديه وأسافل قدميه وكذلك الملك هرقل ملك عبدة الصلبان وقد اجتمع بالملكة مريمان وقد أقاموا في هنى وأمان مدة عشرة أيام متواليات وهم على أكل طعام وشرب مدام بأفراح ومسرات هذا وقد كانت أخبارهم في تلك المدة لم تنقطع عن الملك قيصر ثم أنهم جهزوا أموالهم وعبوا رحالهم وجعلوها في الصناديق وقد جمعوا ما هناك من الأسلاب والأموال والهدايا والتحف وغير ذلك وما كانوا كسبوه من اقامتهم في تلك الرسوم والمعالم وقد تقدمت الجارية مريم إلى عند الأمير عنتر تودعه فلما ودعته وقبلت يديه تقبلها الآخر وانشرح خاطرها وقد زال عنها همها وغمومها فدعت له بطول العمر والبقاء وإزار الهم والشقاء وبعد ذلك تقدمت الملكة مريمان وأخذت في وداع الجارية مريم وكانوا كما قال الشاعر تمثل هذه الأبيات:

يقولون دار الأحبة قد دنت ... وأنت كئيب إن ذا لعجيب
فقلت وما تبغى بدار كريمة ... إذا لم يكن بين القلوب قريب
فكن من بعيد الدار يقضى مرادة ... وآخر بجنب الدار مات غريب

(قال الراوى) ثم إن الجاريتين تودعا من بعضهما بعض ولما فرغ من ذلك الوداع افترقوا من تلك الوداع ورحلوا من ذلك المقام وطلبوا البر والآكام ولم يزالوا سائرين ليالى وأيام وهم سائرين في تلك البرارى والآكام وقد انتشروا في جنبات تلك الأرض خوفاً من الضيق والازدحام (قال الراوى) لهذا الكلام ثم أنهم لم يزالوا سائرين وفي السير مجدين إلى أن وصلوا إلى ساحل البحر وقد تقدمت الاكابر ومن معهم من المقدمين والعشائر فنظروا إلى المراكب وهي مثل العرايس وعليها من تلك الآلات النفائس فنزلوا على جانب البحر واستراحوا ثلاثة أيام وهم في أكل طعام وشرب مدام ولما أن كان في اليوم الرابع على التحقيق طلع جميع الاحمال والاموال والصناديق وجميع ما معهم من السرادقات والخيام وما أتى معهم من الخيرات والانعام وأنزلوها إلى المراكب المقدم ذكرهم الذى صحبوها من القسطنطونية وأنزلوا الخيول والجمال ورفعوا القلوع وسارت المراكب وسخر الله لهم الرياح الطيبة من كل جانب ولم يزالوا سائرين ليلا ونهار هذا وابتكار مدة عشرين نهار

وبعد ذلك لاحت لهم كنائس البلد وقصورها العالية الاسوار ونزلت الرؤساء من القلوع إلى قدام الملك هرقل والامير عنتر بن شداد وقبلوا الارض بين أيديهم وهنوهم بالسلامة

وقالوا لهم فى غداة غد تكونوا فى مدينة القسطنطونية وتدخلوا البلدة ببركة المسيح ومريم الزكية فخلع عليهم الملك هرقل الخلع السنية وأعطى الأمير عنتر كل واحد منهم ألف دينار رساروا طول الليل على موجات البحار إلى أن أصبح الله بالصباح ورسوا على الساحل فزادت منهم الافراح ووصل الخبر إلى الملك قيصر بوصول ولده وعنتر ففرح ورسوا على الساحل ماعليه من مر بدوأمر بأن تزين البلد والاسواق والحارات وأكثر من المواهب والصدقات وخلع على الامراء والسادات وركب وقمت على رأسه الاعلام والرايات وتجارت الفرسان والقادات وضربت الطبول والبوقات ومازال سائر بالجيوش والاجناد حتى التقى ولده هرقل وعنتر وكانوا قد خرجوا بالفرح والاستبشار فتلقاهم الملك قيصر بالخلع وأخذ ولده إلى صدره وقبله بين عينيه وكذلك ترجل عنتر اليه وقبل فى الركاب قدميه فانحنى الملك قيصر وقبل رأسه وأثنى عليه وأخذه إلى جانبه وسأله عن أحواله فحدثه بكل ماجرى له فى بلاد الغرب والصعيد من الحرب والطعان وكيف أنه قتل الملك الليدان وابنه سرجوان وملك جزائر الكافور وقلعة البلور وكيف أسر كوبرت وكيف أخذ عليه العهد والايمان وحكى له على ما جرى فى جزائر الواحات وقتل الملك صافات وابن الدر والشاهد وملك قلعة رومة المدائن ودير الصنم وماجرى له فى الاندلس مع الملك جنطيائيل وابنه جنان وكيف أخذ ثار ولده الغضبان من قبائل الجان والكلام الذى تقدم ذكره من أوله إلى اخره هذا والملك قيصر يتعجب من قصته ومن سعادته وقال ماأسعد هذا بفتى من دون البشر لأنه صاحب عز وظفر وشجاعة وقد أعطاه الرب القديم الطاعة ومازالوا سائرين حتى وصلوا إلى البلد والخلائق على الجدران يدعون لهم بالنصر والامان ويشيرون إلى عنتر بالبنان وكان يوم دخولهم البلد يوم عظيم ما سمع بمثله فى سائر الاقاليم ونزل الملك قيصر فى قصره وهو زائد المسرات الافراح وأكرام عنتر غاية الاكرام ودام على لذاتهم إلى أن أظلم الظلام وسار عنتر إلى دار كانت قد أعدت برسمه فقام إلى الصباح وركب إلى خدمة الملك قيصر وهو متقلد بسيفه الابتر معتقل برمحه الاسمر راكب على جواده الابجر ولما تقرب من الايوان وبقى قدام قيصر وهم أن يترجل فاقسم عليه لايفعل ثم أنه أجلسه بجانبه على التخت فى الايوان وقد أتتهم الخدام ووقفت بين أيديهم على الاقدام وكان للملك قيصر من حبه فى أبى الفوارس عنتر أحضر الصناع والدهانين وقال لهم اريد منكم أن تصوروا لى صورة هذا الفارس ولونه وكبر جثته وقدره وهيئته وجواده وعدته وتصوروا صورة شيبوب وولده الخذروف وجليته ومايصنع من صناعته فاجابوه بالسمع والطاعة ثم أنهم أخذوا من معادن الرصاص والقزدير والحديد والنحاس والفضة والذهب ماكفاهم وترتبوا لشغلهم واجتهدوا فى قليل من الايام حتى صوروا صورة عنتر وأخيه وولده ولما

تمت دهنوه بالدهان الذى يعرفوه حتى صارت تلمع كالمرآة وبعد ذلك داروا وأصلحوا شأنهم بالمبارد حتى رتبوا الاصابع باظافرها والسواعد والمراق والزنود والرجلين وأركبوا عنتر على ظهر جواده وجعلوا يده على قبضة حسامه والرمح على كتفه وشيبوب وولده من حواليه وجعلوا اعينهم من الياقوت الأحمر وشفايفهم من العقيق الاحمر وأسنانهم من اللؤلؤ الرطب . أضاف اليهم الدهان ثانيا وجعلهم كلهم حمر الألوان ولما تكاملت الصور ورآوها الناس فأخذتهم البهتة والدهشة وظنوا أنه عنتر ورفقته وصنع الملك قيصر ديوان وصارت أعيان العشائر والوزراء يصعدون إلى الديوان يتفرجون ويرجعون على أعقابهم فقال لهم الملك قيصر ما بالكم فقالوا الله أعلم يا ملك الزمان أن عنتر وأخوته قد تغيروا من حالة الرجال وقد صار لكل واحد منهم تمثال (قال الراوى) فعند ذلك نهض الملك قيصر ومن كل عنده من الرجال ودخلوا على الصور فلما راها الملك قيصر تعجب غاية العجب هو وبطانته الحضار وخلع على الصناع وأعطاهم ألف دينار (قال الراوى) ثم أن الملك قيصر دعا باحضار أبى الفوارس عنتر فما كان الاقدر ساعة حتى حضر فاستقبله الملك قيصر أحسن استقبال وقال له يا فارس عبس وعدنان بحياتى عليك يا أوحد الزمان لا يحصل عندك غيظ مما ترى من الأشغال ثم أنه أخذه وسار حتى دخلوا على هذا التمثال (قال الراوى) فلما رأى عنتر إلى صورته وصورة أخيه شيبوب الخذروف ولده اندهش من ذلك وتحير وأخذه الوهم الفكر والتفت إلى الملك قيصر وقال له يا ملك أنتم عندكم من يصور هذه الصور الآدمية ويتعدى على القدرة الربانية ولا يخاف من الاثم ولا من الخطيئة فقال له الملك قيصر يا أبا الفوارس أعلم أن الصور فى ديننا حلال ونحن لا نصور إلا صورة من نحبه ومن شده محبتك عندى صورت صورتك حتى أبقى انظرك كلما يجيء على بالى تذكارك لأنى ما أقدر أمنعك عن أهلك ودارك وأعيقك بغير أختيارك فقال عنتر على بالحكم الذى صور هذه الصور حتى أرمى عنقه وأقابله بما يستحقه فأخذ الملك بخاطره وهداروعه وسكن غيظه وغضبه وبعدها جلسوا الاكل الطعام وقدمتهم الخدم فأكلوا ولما اكتفوا أتوهم بالمدام وجلسوا يتمايدا فى الحديث والكلام فعندها تقدم عنتر إلى عند الملك قيصر وقبل يديه وأثنى عليه وله شكر وطلب منه الاذن فى السفر فاذن له فى ذلك بعدما خلع عليه وأعطاه مناه وأكرمه وأرضاه وكذلك شيبوب والخذروف وأيضا إلى عمرو بن الحارث وأعطاه التشاويف والاحكام بولاية أرض الشام ودقت له الكوسات وانتشرت البيارق والأعلام وسار معهم قيصر مرحله كبيرة وقلبه مع عنتر بن شداد وبعدها حلف عليه عنتر وردة وأحسن له الوداد وساروا يقطعون البرارى والقفار وقد قلب عنتر على عبله لهيب النار وشم روائح القرب من الديار ولم يزالوا فى سيرهم مجدين حتى أشرفوا على دمشق الشام وطلعوا أهل البلد إلى استقبالهم

الشيخ والغلام وقد فرحوا بالملك عمرو واندهشوا بما أتوا معهم من الأموال التي تدهش النظار وهبت عليهم نسمات الأشجار وشاقوا المنازل والديار وزينت البلد لقدومهم بالأقمشة الغالية الأسعار ودخل عنتر على عبلة ففرحت به الفرح الشديد الذي ما عليه من مزيد وقالت له يا ابن العم أخبرني بشرح حالك وما تم عليك وما جرى لك مع الملك قيصر وما أعطاك من الأموال والبدر وكيف أخذت لعمرو مملكة الشام كما أن أباه على بني غسان فأخبرها بجميع ما جرى له من أوله إلى آخره وأطلعها على ظاهره وباطنه ففرحت عبلة بعلو منزلته واستقر الملك عمرو في دولته وفرحت به عشيرته وشكروا عنتر على ما فعل ودبر وأقام عنتر بدمشق الشام أياما قلائل وهو في خيرات وأنعام وهو كل يوم في صيد وقنص واغتنام اللهو مع الفرص وهو على ما هو عليه من هذه الأحكام وإذا بغبار ثار حتى حجب الشمس عن الأبصار وبعد ساعة انكشف النظار وظهر من تحته مائة فارس قرار والمقدم عليهم ورقة بن الملك زهير فلما تحقق كل منهما صاحبه رمى نفسه من على ظهر جواده إلى الأرض واعتنقوا بعضهم البعض وبكيا عند التلاقي فرحا بالملتقى وقال ورقة يا ابن العم ندم أخي على فراقك وقد أنفذني إلى خدمتك وأمرني أن أسألك في الرجوع إلى حلتك قال فلما سمع عنتر من ورقة هذا الكلام فرح واستبشر وقال له يا ابن العم ما كنت إلا سائر إليكم في هذه الأيام ثم أنهم عادوا جميعهم إلى مدينة دمشق الشام ونزلوا في الخيام وأكرمهم غاية الإكرام مدة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع برز عنتر الخيام والسرادقات واستأذن عمرو بن الحارث في العودة إلى أهله فقال له الملك عمرو يا أبا الفوارس وحق المسيح أن فراقك لا يسهل ولكني ما أقدر أمنعك عن أهلك ثم سار معه للوداع ثلاثة أيام وودعه عنتر وأقسم عليه أن يزوره في كل عام وسار عنتر طالب أرض الشربة والعلم السعدي ولم يزل سائرا إلى أن أشرف على الديار فوجد الحي يموج بسكانه ويرتج بباطنه والخيول مهلبة والسروج مقلبة والنساء متهتكة والرحال في البلية وهم ينادون واسيداه واملكاه فانزعج عنتر لذلك وطاش عقله وتحير وتقدم إلى الملك قيس وسلم عليه وعانقه وبعد ذلك سأله عن الخبر فنعى إليه أخوه الحارث وزوجته لبنى فنال عنتر من ذلك منال عظيم لأن الحارث كان عنده بمنزلة أخيه مالك فسأله من الذي قتله فقال قيس يا ابن العم قتله رجل يقال له الميغفور بن عرعر أخو الخيشعور الذي قتلته أنت من قديم الزمان وكان السبب في قتلة الحارث أن زوجته لبنى قالت له في بعض الأيام يا ابن العم أني قد اشتقت إلى أهلي وأريد منك أن تنعم بزيارتهم حتى أبل شوقي إليهم فأجابها إلى ما طلبت وأركبها في هودج مجلل بالحرير وفي أعلاه قبة من الذهب الأحمر وزمام من الإبريسم الأخضر وسلمه إلى عبد من عبيده وركب الحارث على ظهر جواده واعتد بعدة جلاده وسار معه خمسين فارس من الفرسان المعروفين بالحرب والجلاد ولم يزالوا سائرين يقطعون البر والوهاد إلى أن وصلوا إلى أرض بني زهران

وسمع بهم شامة بن يقظان ففرح اليهم واستقبلهم أحسن استقبال وفرح بابنته وضمها إلى صدره وشكر الحارث على فعله التى أتى بها اليهم ليبلوا منها شوقهم وأقام عندهم ثلاثة أيام وعادوا راجعين طالبين ديار بنى عبس وعدنان وسار أبوها لوداع الحارث يوما كامل وحلف عليه ورده قال ولما نظر العيقفور وأصحابه إلى الحارث وقدومه إلى صدره وما فعل فى حقه ونظر إلى هودج لبنى هند المسير وذكر عبة أخيه لما كيف قتل عنتر أخيه من أجلها فصعب ذلك عليه وكبر لديه وطاشت فى رأسه رياح النخوة لأخذ الثار وكشف العار فقال لقومه يا بنى عمى اعلموا أنى قد تجددت على مصيبتى وعظمت رزيتى عند قدوم الحارث علينا وأنتم تعلموا أن الحارث هو كان السبب فى قتل عنتر لأخى الخيشمور وأخذ زوجته على رغم أنفه وجلب لنا العار والآن قد وجد فرصة لأجل أخذ الثار فالحقوا بنى الحارث بن زهير نقطع عليه طريقه ونحرمه توفيقه فأجابوه بنى زهران وبنى كهلان وجدوا خلفه فى البرارى والقيعان فبينما الحارث سائر بزوجته وهو فرحان بعودته وما عنده علم أن أحد أتى اليه ولا يقدم عليه فهو كذلك وإذا بنواصى الخيل قد طلعت وفرسانها قد بدرت وهى تنادى الثار الثار البدار البدار أين تنجو من هذه القفار وقد آن لنا أن نستوفى ديوننا فلما سمع الحارث منهم ذلك لمن حوله يا بنى عمى هذه خيل بنى زهران قد أتوا يطالبونى بالثار الذى لهم على من قديم الزمان وقد طمعوا فينا القلة ناو بعدنا عن الديار والأوطان فوثوا كراما ولا تعيشوا لئاما عندها حملت بنوا عبس بالصوارم والقنا وودع الحارث زوجته لبنى وقال هذا يوم الفراق الذى ما بعده تلاق عنده فأخذت فى يدها الخنجر لذى يسبق القضاء والقدر وقالت ها هو فى يدى فإن غادرتك الزمان أسقيت نفسى كأس الهوان ولا أدع بعدك يملكنى إنسان عندها عاد الحارث وقد أدركه العيقفور فقال له الحارث ويلك يا وغد قومه والئم عشيرته لحقتنى هذه لديار لأخذ منى بثارك وتنكشف عنك عارك فلم يجاوبه العيقفور بجواب بل أنه حمل عليه وسدد السنان اليه هذا ولبنى قد شرعت سجاف الهودج وقد أجرت الدموع وفى قلبها لهيب النار وإذا بصرخة من تحت الغبار وإذا بها من العيقفور وهو كأنه الأسد الغيور واستجاد الحارث بطعنة فى صدره وطلع السنان يلمع من ظهره فمال فى الفلاه وتخضب بدمائه وبعدها مالت الفرسان على بنى عبس فقتلت منها اثنى عشر فارس وهجموا الباقين فى الفلوات وهم يدعون بالويل والثبور وعظائم الأمور بعد ما قتلوا ثلاثين من أصحاب العيقفور ونظرت لبنى إلى ابن عمها فرمت نفسها عليه وتلطخت بدماه ونادت وأسيداه وابن عماه والتفتت إلى العيقفور وهو واقف على رأسها يريد أخذها فقالت له شلت أنامل وقطعت قفا ملك فلقد قتلت سيد قومه وملك عشيرته ورئيس قبيلته ثم أنشدت تقول :

يا ليتنى من قبل ما أنظره الثرى	أساوى من دارت عليه الدوائر

لعمرى ما بالموت عار على الفتى ... وقد شهدت له فى الحروب الاكابر
ومن كان ممن يحدث الدهر جازعا ... فلا بد من يوم يرى وهو صابر
وليس لمخلوق من الموت مهرب ... وليس على الايام والدهر غابر
وكل مخلوق أو جديد إلى البلا ... وكل امرىء حقا إلى الله سائر
فانعيك يامولاى حيا وميتا ... أخا الحرب إذا دارت عليه الدوائر
مليك بنى عبس فوالهفى له ... لقد ناله ما كنت منه أحاذر

(قال الراوى) هذا وبنو زهران لما أن سمعوا من لبنى هذا الشعر والاوزان وذلك الكلام حارت منهم الافهام وصاروا يتعجبون مما قالت لبنى من هذا اللفظ والكلام وما حصل لها على الحارث من الآلام ونظروا ماقد جرى لها من الاحتراق فرفعوها على هودجها على أن يسيروا بها إلى أهلها فضربت روحها بذلك الخنجر فى صدرها أطلعوها يلمع من ظهرها فلما رأوها بنو عمها وقد فعلت هذه الفعال بنفسها علا صياحهم وارتفع نواحهم وواروها مع الحارث فى قبر واحد وعادوا إلى أبيها وأخبروه بفعلها فقال لله درها ثم حزن عليها هو وامها فهذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من المنهزمين من بنى عبس فانهم بعد قتل الحارث مازالوا سائرين حتى وصلوا إلى الحلة وأقاموا الصياح واخبروا الملك قيس وبنى عبس بالجملة فشقوا الجيوب وقطعوا الشعور ولطموا الخدود وهدم الملك قيس القباب وقطعوا المضارب والاطناب وفى ذلك الوقت قدم عنتر بن شداد كما ذكرنا وسأله عن الخبر كما قدمنا فاخبروه بتلك القصة فدخل على قلبه الف غصة مما لحقه من الوجد والزفير ولم يجد له بدا من المسير لأخذ الثار وكشف العار فركب من وقته وساعته فى فرسان عشيرته وأخذ معه زيد بن عروة فى رجال أبيه وأخذ ورقه بن زهير ونوفل أخيه وترك الملك قيس فى الحلة وحلف عليه وسار عنتر فى ستمائة فارس من كل مدرع ولابس بالدروع والجواشن والخيول الصوافن ومعه جماعة من أصحاب الحارث بن زهير ليدلوه على قبره وساروا مجدين وهم يكثرون من البكاء والأنين إلى أن وصلوا إلى قبر الحارث فلما راه عنتر بكى وأنشد يقول :

يادهر سيفك فى الاحبة يقطع ... رفقا بمهجة مدنف تولى بمضجع
قد هده طول البعاد ومتعه ... الم الفراق وقلبه يتوجع
يادهر ماانصفت فى حكم الهوى ... سهران ويحك والاحبة هجع
رحلوا وماتوا واستقل ركابهم ... سحروا قلبى نحوهم يتقطع
ساروا ولم ادر متى يكون اللقا ... ضنا بهم لاقمت حتى يرجع
هذا منازلهم بقاع بعدهم ... ينح الحمام عليهموا ويفجعوا

يا دار أين القاطنين وأهلهم أتراهم بالقبرين تجمعوا
يا عين سحى بالبكاء من أجلهم يا عين جودى بالعقائق أدمعوا
أين العمالقة الجبابرة التى خلوا قصورهما خلاة بلقعوا
أين الأكاسرة الأول وآثارهم ذهبوا ودارهموا بقاع تفزعوا
هذا قضاء الفنا فى خلقه والناس كلهموا عليهم أجمعوا
هذا هو السر الذى غمر الورى والله يفعل ما يشاء ويصنع

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات أبكى العيون وأثار الشجون وأقام على قبره ثلاثه أيام وهو على قبره مائة ناقه ما ثلات الأصنام وفى اليوم الرابع رحلوا طالبين أرض بنى زهران فهذا ما جرى لبنى عبس من الأمور العظام (قال الراوى) وأما بنو زهران فان كبراءهم اجتمعوا على العيقفور وقالوا له والله لقد اضرمت علينا نار تحرق الكبار منا والصغار وجلبت لنا بقتل الحارث البوار لأن بنى عبس ما تقعد عن أخذ ثارها فقال لهم يا بنى عمى أنا حاسب هذا الحساب وأنهم يأتوا الينا بالسيوف والحرب وها أنا سائر إلى بنى عمى بنى نبهان وفارسها المهلهل حتى يعينونى على بنى عبس وعدنان ونرميهم بالحس والنكس وإن كانوا ما يأتون الينا سرنا نحن اليهم فلما سمعوا بنو زهران ذكر المهلهل طابت قلوبهم وانكشفت كروبهم وعلموا أن ما فى الفرسان رلا العربان من يقاومه فى الحرب والقتال لأنه لاذت له بنى قحطان ثم أن العيقفور ركب ومعه جماعة من رؤساء عشيرته وسار يجد السير إلى أن قدم على المهلهل ودخل عليه فعندها فرح بقدومه وأكرمه غاية الإكرام وأقام عنده ثلاثه أيام وبعدها تقدم اليه العيقفور وشكا اليه قصته وكيف قتل الحارث ابن زهير وقد أتيت اليك مستجيرا بك أيها الأمير فقال له طب نفسا وقر عينا ثم أنه صاح من وقته وساعته فى كبراء عشيرته وأمرهم بالسير فى صحبته فأجابوه إلى طلبته وركبت معه فرسانه والشجعان وهم كأنهم العقبان وركب المهلهل بن مسروق على جواد أدهم مهند ململم بغرة كالدرهم إذا صهل كاد أن يتكلم وهو فى عدة كاملة وساروا جادين وهم يقطعون فى الروابى والمناهل إلى إن أشرفوا على أرض بنى زهران فاستقبلوهم من أبعد مكان وأكرموهم وزادوا لهم فى الإحسان وأنزلوا الملك المهلهل فى أعز مكان (قال الراوى) لهذا الديوان ثم أنهم نحروا لهم النحور ودارت بينهم الخمر ودام عليهم الفرح والسرور والكاسات عليهم تدور ثم أقاموا على ذلك المرام ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع قال لهم المهلهل يا بنى عمى نحن ما أتينا كم لأجل ضيافه على هذا الحال بل أتينا نطلب الحرب والقتال وشرب دماء الأبطال ونسير إلى بنى عبس الأقيال قبل مسيرهم الينا فى الأطلال فنقدم عليهم قبل ما يقدمون علينا ونذيقهم الوبال ففرحوا قومه بذلك المقال وساروا وهم فى عشرين ألف عنان وكانوا أربع قبائل وهم بجيلة وكهلان وبنى

الرماط وزهران وسار الملك المهلهل يقدم الفرسان وهو يدل بشجاعته ويقول فى نفسه إن جميع الفرسان دونه وكلها فى قبضته ولما تمادى به المسير أنشد وجعل يقول :

انى أنا الموصوف فى قومه　تعرفنى الابطال عند النزال
أجندل الابطال من هيبتى　وأردى الشجعان وسط المجال
وكم بطل جندلته فى الثرى　معفر الخدين دامى العوال

(قال الراوى) ولما فرغ الملك المهلهل من هذه الابيات شكرته وأثنت عليه سائر السادات انهم ساروا يجدون المسير وهم قاصدون بنى عبس المشاهير فى الجد والتشمير وكذلك بنى عبس المشاهير حتى التقوا ببعض وانفرشت من الطائفتين الابطال وقد ملأت تلك الأرض فعندها حملت العشائر والتمت الدساكر وكانت بنو عبس تنادى بالثارات ابن زهير هذا وقد عمل بين الطائفتين القتال واشتد الحرب والنزال وتكسرت فى ايديهم النصال وعظم الزلزال ولم يزالوا كذلك إلى أن اقبل الليل بالاسدال وولى النهار بالارتحال افترقوا الطائفتين عن القتال واوقدت النيران وتحارسا الفريقان فلما كان عند الصباح واثبوا إلى الحرب والكفاح وقد ركبوا الجرد القداح واشهروا فى ايديهم البيض الصفاح واعتقلوا بسمر الرماح فهم على ذلك الشأن وإذا بالعيقفور بن عراعر تدوز إلى الميدان ومحل الضرب والطعان ونادى وبلكم يا بنى عبس اظننتم أن الايام لكم تدوم ابشروا بهذا اليوم المذموم فانا العيقفور أخو الخيشعور وأنا الذى قتلت الحارث بن زهير وتركت له رزقا للوحوش والطير وفى هذا اليوم ابيد خياركم واهلك كباركم وصغاركم فاتم العيقفور كلامه حتى سار ميسرة بن عنتر قدامه وصار يجول ويصول ويأخذ الميدا وعرضا وطولا وأنشد يقول :

أنا الاسد المعروف عند الجحافل　وكلهموا بى عارف غير جاهل
إذا طاردت الخيل الفوارس فى الوغا　أبيدهموا بالمرهفات القواصل
وكل ردينى نخال سنانه　سنانيس فى مرتب غير آفل
ولابد ما أفنى جمعكم بمهند　والقيكموا بين الحصا والجنادل

(قال الراوى) ثم أنه بعد شعره حمل على العيقفور بشدة مرامه واطبق اليه بحسن اهتمامه وجالا حتى علا عليهما الغبار بقتام وسار فوق رؤسهما مثل السحاب وغمامه وعدلا فى الحرب عن طريق السلامة واعتمد كل واحد منهما على ضرب حسامه وكانت لهما ساعة اشبه الساعات بيوم القيامة هذا وعنتر متطاول إلى الغبار وقلبه إلى ولده قسد طار وهو يترجى أن ينصر على خصمه فى لقاه لانه ما بقى له ولد سواه فهو كذلك على ذلك الحال وعينه محدقة إلى محل

الحرب والقتال وإذا بزعقة عظيمة وقائل يقول يا لعبس وعدنان فنبين عنتر من هو ذلك القائل وإذا هو ميسره وقد ضرب العيقفور على صدره اطلع السنان من خرزة ظهره ثم أنه جال فى الميدان ومحل الضرب والطعان وطلب براز الشجعان وقتال الفرسان وانشد بفصاحة لسانه يقول :

كم من فتى ذو سلاح رامح ... متقدم يوم الوغا ومكافح
يمشى كمشى القوم فى الصحاصح ... غادرته بشرب دم ناصح
ورفقته يوم بيض رواجح ... وقومه باوجه كوالح
سمر القنا بيض الصفائح ... يبيد بها مثن الشوارح

(قال الراوى) ثم أن ميسرة لما فرغ من ذلك الشعر والنظام طلب القتال والصدام فخرج إليه المهلهل بن مسروق وهو بفؤاد محروق ودمع على العيقفور مدفوق وهو ينشد ويقول

ابكوا على الارواح قبل هلاكها ... برجوعكم جمعا إلى الاوطان
فقد قتلتم سيدا فى قومه ... حلو الشمايل من بنى زهران
من كان يسمى بالفخار على الورى ... وبصنعة المعروف والاحسان
وإذا التقت حلق البطان رايته ... شديد العزيمة ثابت الاركان
حتى رماه الدهر منه بصرفه ... فثوى صريعا فى محل طعان
لهفى عليه وليتنى من يومه ... مالم ارى طارق الحدثان

(قال الراوى) ثم أن المهلهل بن مسروق لما فرغ من ذلك الانشاد حمل على ميسرة بن عنتر بن شداد وطلع على الاثنين الغبرة فى تلك الوهاد وبقيت الاقطار مكدرة وكانت لهم ساعة عسرة ضيقة منحصرة ثم أن المهلهل جال على ميسرة واستجاد بطعنة فى صدره طلع السنان يلمع من ظهره فمال عن الجواد إلى وجه الارض وقد تناثرت دماه طولا وعرضا فلما رأى عنتر إلى ذلك احترق قلبه وفؤاده وغاب عنه رشاده وغشى عليه وهو على ظهر جواده وأما المهلهل فإنه صار وجال وانشد وقال :

لئن قتلوا منا همام عشيرة ... فانى ليوث الحرب عند الكتائب
وعادتنا ضرب الجماجم والطلا ... إذا اسودت الاقطار من كل جانب
ولولا سحاب الحرب خاضوا غمامها ... جميعا وقادوا كل اشوس غالب
سيعلم وغد القوم إنى اذيقه ... حمام بحد السيف بين المواكب
وما الفخر فى جر الجتوش وإنما ... يزين الفتى الاقدام يوم النوائب
فكم فيكموا ذو منعة غير ناكل ... يبادر نحوى سرعا غير هائب
فانى اجندل العداة بمرهف ... ضربه تبرى عظام الترائب

(قال الراوى) فما أتم المهلهل هذا المقال حتى برز اليه ابن أخت عنتر الهطال ولما صار فى وسط المجال نزل إلى ميسرة فرآه ملقى على ظهره فقبله وضمه إلى صدره وأشار يرثيه بهذه الابيات يقول :

لقد صار قلبى معدن الاسا	وعبرة عينى تستهل على نحرى
وكم سامنى دهرى بشرط أحبتى	فلما تقضى شطره عاد على شطره
ألا ليت أمى لم تلدنى وليتنى	سبقتك إذ كنا لحدنا نسرى
لقد كنت الك ذخراً أعيش بظله	فلما دنى فاضت دموعى ولم أدرى
أرى كل حزن سوف يبلى جريه	وحزنى عليك اليوم باق مدا الدهرى
فان كنت مقتولا فسوف أبيدهم	وأشفى غليلا قد تمكن من صدرى
فما الدمع أشفى الصدور من القنا	وإن كان ماء العين أنهر أو أبحرى

(قال الراوى) ولما أن الهطال فرغ من ذلك الإنشاد عاد إلى ظهر الجواد وطلب قاتل ميسرة وحمل عليه حملة منكرة فلما رآه المهلهل طالبه وقد حمل عليه ولكن تبين له منه بعين الفراسة أنه ما بقى يعرف ما بين يديه وكان قد سمع ما أنشد من شعره فضاق لذلك صدره وأجابه يقول

ستعلم أنى سوف ألقيك بعده	يخطفك العقبان فى مهمة قفرى
كأنى همام فى الحروب مبادر	أصول على الاعداء بالبيض والسمر
وأنا ابن مسروق برمحى وصارمى	أبدد شمل القرم فى السهل والوعر

(قال الراوى) ثم أنهم فرغوا من ذلك الشعر والنظام حمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذ بطاعته ويضاربه وجالا طويلا واعترا كاميلا هذا كله وعنتر مغشى عليه وهو راكب ما يعرف ما بين يديه وكان فى ذلك الوقت قد أفاق من غشوته وقد انقلبت من أجل قتل ولده حالته وقال من والدى قاتل ولدى وأخذ معه فى المجال فقال له ابن أختك الهطال فاستقبل لذلك باله وما بقى يعرف يمينه من شماله وجعل يحدق بعينيه نحو العبار ودموعه على خديه غزار وبنو زهران قد فرحوا بالمهلهل وأبدوا الاستبشار وامتدب الى الفارسين الاعناق وشخصوا نحوهم بالاحداق وقام الحرب بينهم على قدم وساق عندها أطبق المهلهل على الهطال وأكربه فى مقام المجال وطعنه فى جانبه اليمين أخرج سنان الرمح من الجانب الشمال ونفضه لقحه على الرمال قال فعلت الضجة من بنى زهران وأيقنوا بالنصر والآمال ونظر عنتر الى مصرع ميسرة والهطال وما قد حل بهم من الوبال فعلم أن منية اخوته قد دانت ومنيته قد دانت منه فى عاجل الحال الحصان الى أن صار فى الميدان ووقف على مصرع الاثنان وقد كره الحياة واشتاق الى الوفاه وتناطلت عبراته وتمنى الوفاه عند حمزة بالجواد وقد صار بهتان من فعل هذا الشيطان وبكى من فؤاد ملول بدمع مهطول وأنشد يقول :

أرقد وقد نام الاخلا وهاجنى — من الليل هم فى الفؤاد وجيع
وفارقت أحبابا وذخر الشدتى — فسرت حزينا والفؤاد مروع
وكم عبرة كفكفتها بعد عبرة — أتت واستهلت عبرة ودموع
فما فاض عذب من شروق مدامعى — على فارس مما أحب بروع
كأن لم يحاربنى ولم يمس لبنه — أراموا لم يصبح ونحن جميع
سأبكى على القيل الغضنفر ميسرة — كما لاح ورق فى الغصون وقوع
غدرت هزبلا فابتدونى بحارث — وفى الصدر منى علة وقطوع
ودمعى على الهطال ينهل لجمة — وقلبى فيه حسرة وولوع
ومن مقتل الغضبان ولت سعادتى — وفقد غصوب سرت منه وجيع
ومن مازن أصبح فؤادى مصدوع — وسارت أجفانى تفيض دموع
فمن ذا يعيش يوما لذيذا إذا رأى — أحباه منه مسبقين ضجوع

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره وزعق على المهلهل وقال ويلك يا لئيم ويا أخس عشيرته والله لآخذن بثار هدين الفارسين من سائر قومك الجميع الرفيع منهم والوضيع فلما سمع المهلهل كلامه ونظر إلى حسرته استهول خلقته وكبر جثته فزعق عليه يا أسود باز نم أما جل لزمانك أن يزول ولدتك أن تحول أتحسب أن الزمان كله لك أما تعلم أنه كما أضحكك يبكيك وكما يسرك يضرك وكما حل لك غرك وكما شدك بأولادك أحرق بهم عند الكبر فؤادك واليوم هذا آخر أيامك وسوف أخذ للعرب منك بالثار وأكشف عنهم العار فلما سمع عنتر منه هذا المقال قال الويل لك ولا بيك ولعن الله قومك وذويك أتظن إن قتلك لولدى ولابن أختى يكون لك من يدى خلاص أو بقيت منى مناص ثم إنه حمل عليه وهو ينشد ويقول .

طاب الحمام لفقد السيد البطل — خير الفوارس من خاض بالأسل
أعنى لميسرة الندب الهمام إذا — طارت قساطل نار الحرب تشتعل
كم قد أباد لدى الهيجاء من بطل — يوم الكريهة والأبطال فى وجل
وبعده الفارس الهطال خير فتى — مردى الكماة عداة الروع بالأمل

(قال الراوى) فلما سمع المهلهل شعره أجابه وهو يقول :

اليوم أسقيك كاس الموت والوجل — بأبيض الحد ماضى الشفر كالشعل
أرديك فى حومة الميدان مجندلا — بين اختلاف القنا والطعن بالأسل
أنا ابن مسروق والمعروف شيمته — ما عدت يوم الوغا من فارس بطل

(قال الراوى) ثم انطبق كل واحد منهما على صاحبه وتلقى طعنه ومضاربه وأظهر فى الحرب

عجائبه وتراعقا وتهاجما وتلاطما وتصادما ، هاج كما تهيج الجمال ورأى عنتر خصمه شديد وجبار عنيد وكلما اشتد فى قتاله قويت أوصاله فطاوله فى الميدان وشرع معه فى الضرب والطعان وقلبه من الهم ملان ثم إنه صرخ فيه وارعشه وقاربه حتى حك الركاب بالركاب وضربه بالصارم القرضاب على قمته نزل السيف إلى نصف قامته فانقلب من على ظهر الجواد كأنه طود من الأطواد فبرد غليل عنتر بن شداد وداس عليه بحوافر الجواد عند ذلك حملت عليه بنو هوازن وهم ينادون يا أسود يا زنيم يا بغل يا لئيم أذاقك العذاب الأليم ثم حملوا فى عشرين ألف وهم مثل الليوث العوابس فصرخ عنتر فى وجوههم ونادى يا أولاد الزوانى اليوم ملأ منكم البيدا وأشفى غليل قلبى من الردا ثم إنه حمل وحملت خلفه بنو عبس الأجواد والتحم بين الطائفتين القتال والطراد وانطبقت الجيوش على بعضها البعض حتى زلزلت أقطار الأرض هنالك زادت الدوائر وبان الربح من الخسائر وثبتت بنو زهران فقاتلها بنو عبس وعدنان وكان لهم يوم تشيب فيه الولدان هذا وعنتر ما وقع بفارس إلا حطمه ولا بطل إلا قتله ولم يزالوا على ذلك المرام إلى أن أقبل عليهم الظلام وافترقوا عن ضرب الحسام وعادت بنو عبس مددها القليل وقد فعلت الفعل الجميل وقتلت من أعدائها أوفى من ألفين قتيل وعاد عنتر وهو مثل شقيقة الإرجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان وهو يهتز مثل الأسد الغضبان وعادت بنو زهران وبنى قحطان وقد بان فيهم النقصان وعلموا أنهم مع بنى عبس فى خسران فاجتمع المشايخ منهم يتشاورون فيما يفعلون فقال بعضهم الرأى عندما أن نحمل دروعنا قبورنا ونقابل عن حريمنا حتى نفنى جميعنا وإلا أن انهزمنا منهم وطالبنا الفرار ما يبقى منا ديار ولا نافخ نار ثم يشجعون أنفسهم حتى أصبح الصباح فركبوا الجرد القداح واعتدوا للحرب والتكفاح فحمل عليهم عنتر لبث البطاح وتبعته بنو عبس الأوقاح ففرقوا مددهم وأبادوا مددهم وحمل عنتر على الأعلام فكسرها وطعن فى القوم وهبرها ولم يزل يقتل من كل فارس نبيل وقتل جليل وقد أشجعهم ضربا وطعنا وطحن العشائر طحنا وقد أبادهم بالصارم البتار ورجع عنتر ومن معهم من الرجال ستمائة أسير من بنى زهران فضرب ركابهم من بكرة أبيهم إلى أن أحيا بنى أسد ونزلوا عليهم نزول البرد فهجوا من بين أيديهم وتركوا لهم المال والنوال فقال لهم عنتر يا قوم هكذا حال الغنم إذا شمت رائحة الأسد شردت فى البر والمدفد ثم أنهم أقاموا على أمياتهم ثلاثه أيام وفى اليوم الرابع قد حمل هو ومن معه على أبياتهم فقتلوا منها خلق لا تحصى وقاموا الأحياء وسبوا النساء والولدان وصاروا رزنا منها للشجعان وتركوا ديارهم بلاقع لا فيها ناظر ولا سامع ثم أنهم رجعوا إلى موضع المعمعة وأخذوا ميسرة والحظال ودروهما فى الأكفان وحملوهما على ظهور الجمال وعادوا طالبين أرض الشربة والعلم السعدى وعينين عنتر تفيض بالدموع ولما تمادى به المسير أنشد يقول صلوا على طه الرسول

فعما قليل فولوا وقد قتلت الهمام الفتى المعلما
وجرت أبيض ماضى الحديد يلين لهزته مخذما
تركت مهلهل تحت العجاج ومن بعده الفارس الأشيما
وقرت عيونى بثاراتهم وسارت نساهم لنا مغنما
جلبت بنى عبس فى حربها إلى حرب جيرانها علقما
فصبحت هوازن فى دارهم خوارج من كواثر أقتما
فناديهم باختلاف الطعان إذا حملنا ساعة أضرما
أقمت سناه النار وسط الديار وأسقيتهم صرفها محتما
فيا آل عبس فمن فعالكم من الناس من سمى أكرما

(قال الراوى) فلما سمع القوم هذا النظام تعجبوا من فصاحته وقوة قلبه وو قاحته فعند ها تقدم اليه ورقة بن زهير وقبله بين عينيه وقال له لا فض الله فاك ولا كان من يشناك يا أبا الفوارس ثم إنهم ساروا ورحل يطلب ديار قومه ومنازل عشيرته وأهله وقبيلته فبينما الأمير عنتر سائر وإذا بغبرة قد أقبلت وعجاجة ارتفعت والى الجو تعلقت وبعد ساعة تمزقت وبان من تحتها بريق الصفاح ولمعان أسنة الرماح وصلصلة الحديد والورد النضيد وقدامهم فارس شديد كأنه عامرد من العواميد وهو طويل القامة عظيم الهامة إلى جانبه فارس يشابهه فى الزى والمنظر إلا أنه أوطى قامة وأكثر هامة ولما نظروا إلى عنتر والى كثرة الأموال الذى معه وذلك السبى الكثير الذى طمعوا فيه وتوقفوا عن المسير ونظر عنتر إلى حسن خيولهم وعددهم فطمع فيهم وفى قلة مددهم فوقف دونهم وقال يا بنى الأعمام مرادى من يكشف لنا خبر هؤلاء القوم اللئام ومن أى العرب هم حتى نبقى على يقين وتزداد عندنا بمعرفتهم البراهين فإن الإنسان لا يخلو من عدو ولا صديق ولاسيما فى مثل هذا البر والطريق فبينما هم فى الكلام والجدال وإذا بفارس من بين تلك الأبطال وأطلق نحوهم حصانه وقوم بين آذانه سنانه ولم يزل حتى تقرب منهم ووقف ونادى يا وجوه العرب أخبرونا بأنسابكم فان كنتم من أعدائنا فأبشروا بالندامة وإن كنتم أصدقائنا فابشروا بالسلامة فهذه الخيل التى ترونها من بنى قضاعة أهل القوة والشجاعة والمقدم عليها الأمير عمرو ذو الكلاب الفارس الندب وأخته الهيفاقناصة الرجال وأنتم من تكونوا من الأبطال فعجلوا فى المقال واكشفوا لنا عن حقيقة الحال قبل أن يحل بكم الوبال فاتم هذا المقال حتى برز اليه من عبس فارس يقال له أسيد بن ماجد فانقض عليه مثل العقاب الشارد وكان عنتر قد أخرجه اليه فلما تقرب منه وحاذاه فأطلق لسانه وناداه وقال له يا فتى ميز أمامك وانظر من قدامك فنحن فرسان بنى عبس

و عدنان ومقدمنا فارس العصر والاوان لفارس الاسمر والبطل القسور فارس الجلاد وحية بطن الواد ابو الفوارس عنتر بن شداد (قال الراوى) فلما سمع الفارس هذا الكلام صار كأنه التجم بلجام وعاش راجعا إلى صاحبه وأعاد عليه هذا الخطاب وقال له أيها البطل الهمام هؤلاء بنو عبس الكرام فرسان المنايا والموت الزؤام والمقدم عليهم عنتر ابن شداد فارس الحرب والجلاد قال لما سمع عمرو ذو الكلاب هذا المقال اهتز على سرجه ومال ونادى يالعرب يالهامن غزوة بها قرت العين وأوفى مالى لى هذا الفارس من الدين هذا قاتل ابن عمي المتمنجز بن فارن القضاعي وهو الذى قبض عليه وسلمه إلى خفاف بن ندبة وأوصل الأذية اليه وكان هذا عمرو ذو الكلاب له حديث عجيب لأنه كان قد فعل فى العرب شيء كثير غريب مافعله أحد من قبله ولا من بعده وذلك من شدة تجبره وجهله وله اخ يسمى عنان وكان جبارا من جبابرة الفرسان وكان امتحنه الله بأكل لحوم السباع وكان يهجم عليها فى الغابات ويقبضهم بيديه ويقرض حلوقهما بأسنانه ويشرب دماءهما وكان قد أفنى منهم شيء كثيرا ومازالت هذه الصفة صفته حتى انتهت مدته فاعطوه خبر أسد قد تقرب فى البرارى واعتاد على لحوم الإنسان فسار إليه وهجم عليه ولطمه بيديه وجذبه الاسد بين مخاليبه وقرض حلقه فى عاجل الحال ومات وقضى عليه فلما نظر أخيه إلى جواده وقد عاد خالى منه علم ان السبع أكله فركب جواده وسار حتى دخل على الاسد فى أجمته ونظر وإذا بأخيه تحت الاسد وهو يرقع فى جثته عندها تقدم إلى الاسد وزعق عليه وضربه بالسيف بين عينيه أخرجه يلمع من بين فخذيه ثم إنه أخذ مابقى من لحم أخيه وواراه فى التراب وحلف أنه يقتل فى ثار أخيه مائة سبع وصار يهجم الغابات ويقتنص اسود المناق ويذبحها على قبر أخيه حتى هابته سادات العرب من ذوى المناصب والرتب وحملت اليه الاموال تدارى بها وتتقى منه الاهوال ثم أنه أخذ كلب من كلاب الصيد وعمل فى رقبته طرق من الذهب الأحمر وقلادة من الجواهر وقد حلله بحلل من الديباج مرقدم بالذهب الوهاج ووكل به مائة عبد من العبيد الانجاب وأمرهم أن يطوفوا به على قبائل العرب ويقولوا هذا كلب الامير عمرو بن جلهمة القضاعى وقد جعله خفيرا على سائر قبائل الشام إلى أرض الحجاز والىمن وأرض العرق فلا أحد منكم يخاف على مال ولا عباد مادام غفيركم على هذا الحال (قال الراوى) فلما سمعت العرب هذا النداء وتلك الاشاره حلت اليه الغارة وما منهم الامن يقبل عليه ويقبل الأرض بين يديه فلما طال الزمان عليه سمته العرب عمرو ذو الكلاب وسمى بين قبائل العرب بهذا الاسم الصعب وقد كانت له أخت تسمى الهيفا وقد اشتدت بين أقرانها وكانت أحسن أهل زمانها وانه قد تهنى بها لما رأى شدة أعصابها فعلمها الفروسية والكر والفر والهزل والجد وفرسها فى أبواب الحرب وخدائع الطعن والضرب فصارت وحدها تكبس الحلل وتنهب الاموال وتقتل الشجعان والابطال

واتفق انه كان لها ابن عم يسمى قتادة وهو بطل من الابطال وكان مع ذلك صاحب حسن وجمال فنظرها فى بعض الأيام فارمته من قسى حواجبها بسهام فانشد يقول :

دعنى امتع طرفى منك بالنظر فنور وجهك يجلى ظلمة البصر
قد كنت عنها غنيا عند رؤيتها واليوم ليس عيان الشيء كالخبر
أما السماء فما فيها سوى قمر فرد ويارب كم فى الأرض من قمر

(قال الراوى) فلما سمعت الهيفا شعره زعقت زعقة وبادرته فى عاجل الحال وقالت له ويلك لمن معنى بهذا الكلام يا وغد العرب ويا كثير الجهل وقليل الادب فقال أعنيت اليك يا حبيبة القلب والفؤاد فهل لك أن تجعلى بينى وبينك ميعاد فلما سمعت كلامه وفهمت مرامه عظم عليها وكبر لديها عندها هجمت عليه وأدخلت يدها تحت عنقه والأخرى مسكت بها رجليه ثم شالته إلى حد رأسها وضربت به الأرض فأدخلت عظامه بعضها بعض وطرطاش دهن مخه طولا وعرض وهى تنشد وتقول :

اظننت أنى أعد من النساء وذوى الخدور استر بحجال
كلا وحق المرتين وزمزم إن كنت الا لبوة الريبال
بأفرى الجماجم يوم مشتجر القنا وأجندل الابطال بالفصال
ذق كأس حتف عاجلا من هيفاء تلقى الرجال باسمر عسال

(قال الراوى) ثم انها ولت تهتز غضبا وتسيط ضجا فعند ذلك وقعت الصرخة فى الحى بقتلته وان الهيفاء قتلت ابن عمها وأسقته كأس منيته فركضت الناس لينظروا ما الخبر ويقفوا على جلية الاثر فنظروا ما فعلت به من ذلك الامر وخرج أيضا اخوها الامير عمرو فرأها ندمدم وتزمجر فسألها عن الخبر فاخبرته بقصتها فتعجب من تلك الفعلة التى فعلتها ومن ذلك اليوم هابها الرجال واحتشمت حرمتها الابطال وكانت تركب هى وأخوها إلى القبائل وغيروا على سكان المياه والمناهل حتى دخل اكثرهم تحت طاعتها واستهابوا حرمها (قال الروى) فبينما هم فى بعض الايام وإذا قد قدم عليهم جماعة من العبيد الموكلين بالكلب وايديهم على رؤسهم وجدوا عليه الندب ويدعوا بالويل والثبور وعظائم الامور فقال لهم ما بالكم وما الذى دهاكم ونالكم فقالوا ايها السيد كنا كامرتنا نحن وجميع العبيد والعرب تحمل الينا الغفارة المقيمين والسفارة وإذا طلع علينا خمسمائة فارس فى الحديد غواطس يقدمهم فارس طويل فى تقاطيع الفيل ومعهم أموال جسيمة ونعم ضخمة فلما رأينا تلك الاموال ورأينا خلقهم الابطال فقدمنا اليها بروم خطابهم حتى يردوا جوابهم وقد تبيناهم وعن احسابهم وانسابهم سألناهم وإذا هم من بنى سليم الذين لم يرفعوا اذية ولم يشكوا قط ضيم والمقدم عليهم عمرو بن لاحليه السلمى فطلبنا منهم الغفارة بعد أن بجلناهم وخاطبناهم بالامارة وإذا بمقدمهم قد صاح

فيناو زعق علينا وقال ياويلكم أنحن من يمطى غفارة ونحن فرسان المنايا وأسود الغابات ولو أنه عار على أنني أعوض سبقي بدم كلب كنت قتلته وقتلتكم معه وأنزلت بكم الكرب ولكن أنا أعمل فيه علامة وأوقع بكم المذلة والندامة حتى إذا وصل إلى صاحبه علم أن الهوان به لا بكلابه ثم إنه يامولاى نزل إلى الكلب وقطع آذانه وعلقها فى عنقه وشرم مناخيره ونزع ما عليه من جميع لباسه بعد إن كاد يهد أساسه ويقطع رأسه (قال الراوى) فلما سمع عمرو من العبيد ذلك الكلام ورأى كلبه مقطع الآذان مشوه الأحوال زعق يا لقضاعة يا لقحطان فاجابته جماعة من الأبطال والشجعان فقال لا بد لى أن أقطع رأس عمرو وأقتله وأمثل به كل أمر صعب أدوره به فى قبائل العرب ولا أترك من بنى سليم من يمشى على قتب ثم إنه صرخ فى بنى عمه وسادات قبيلته وركب من وقته وساعته فى سبعمائة فارس أسوس عوابس ما منهم إلا كل مدرع ولابس وهو فى أوائلهم وأخته الهيفا إلى جانبه وكذلك سادات قومه وأهله وأقاربه ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا على ديار بنى سليم وما كان عمرو بن لاطية يظن أن عمرو ذو الكلب يسير إليه ولا يقدم عليه فبينما هو فى دياره وإذا قد وقعت فى العبيد وهم قد هربوا من المراعى وتلك البيد وهم يصيحوا يا أمير انجدنا فقد حل بنا الويل والتدمير وقد أقبلت علينا خيل ونحن فى المراعى فما ثبت قدامها الأمير ولا راعى فعند ما افرت الرجال وسمع عمرو بن لاطية ذلك فسأل عن الحال فقالوا له إن عمرو ذو الكلب وأخته الهيفا قناصة الرجال قد عزونا فى جماعة من أبطالهم وقد قتلوا جماعة من رجالنا وأبادوا عبيدنا وموالينا (قال الراوى) فلما سمع عمرو بن لاطية بذكرى عمرو ذو الكلب زادت نيرانه اشتعال وزاد به الكرب والبلبال فركب وقد غاص فى عدته وخرجت رجاله إلى نجدته وأطلق لجواده عنانه وقوم بين أذنيه سنانه ولحق القوم وهم فيما هم فيه من الحرب وقد أبادهم بضرباته وطعناته وعمرو ذو الكلب وهو ينادى يا أوغاد غير امجاد يا قليلين الأدب أنتم تقطعوا آذان غفير العرب فلما سمع عمرو بن لاطية مقاله فتعين عليه قتاله ونادى يا لسليم الكاشفين الضيم أى شىء هذا الفشر ثم أنه صاح فى قومه وحمل وفعلت سادات قومه مثل ما فعل وحملت الرجال والأبطال والتقاهم عمرو ذو الكلب وأخته قناصة الرجال فكان لهم يوم عظيم ما جرى مثله فى تلك الاقاليم ولم يزل القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن أقبل الليل بظلامه الحالك وولى النهار بضيائه الضاحك وافترقت الطائفتان انفصلوا من بعضهم البعض الجمعان ولا إقبال الليل كان قد حل ببنى سليم الويل إلا أن عددهم كثير وبنى قضاعة فى خلق يسير فتحارسوا إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فكان أول من فتح باب الحرب والكفاح عمرو بن لاطية فقفز إلى مقام الطراد وميدان الحرب والجلاد ونادى يا آل قضاعة يا معدن الجهل والرقاعة أنا عمرو بن لاطية الذى منعت عمرو

ذو الكلب واليوم أقطع من الدنيا عمرو ورزقه فدعه يبرز إلى الميدان ومحل الضرب والطعان حتى يبان الشجاع من الجبان (قال الراوى) فلما سمع عمرو ذو الكلب من عمرو بن لاطية ذلك الكلام عرف ما يريده من المرام فبرز إليه وصار هو وإياه فى مقام الصدام ومحل الضرب والخصام وصارا يأخذان فى المقاربة والالتزام فنادى عمرو بن لاطية إلى عمرو ذو الكلب ويلك يا لئيم غير كريم أى شىء هذا الفشار العظيم على أمراء بنى سليم أما تعلم أنى أمير هذه القبيلة ولى فيهم المكرمة والوسيلة ثم نادى يا بنى عمى خذوه على أطراف الرماح وقطعوه بشفار الصفاح ثم حمل فى بنى عمه وأراد ان يظهر على بنى قضاعة ربحه هذا وعمرو ذو الكلب قد التقاه فى بنى قضاعة الذين هم أهل القوة والشجاعة فكان لهم ساعة وأى ساعة وقد بلى كلا منهم بما لا يطيق دفاعه فعند ذلك تحزبوا وتضاربوا بعد أن تقاربوا فلم تر إلا رأس طائر وحصان غائر ودم فائر وبلوا بنى سليم من بنى قضاعة بحرب لا يستطيعون دفاعه ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلامه وقد سالت الدماء على الأرض مثل السبل وقد حل ببنى سليم الحرب والويل وأتاهم كل بلية عربه مما حل بهم من تلك المصيبة هذا وقد رجعت الطائفتين كل منهم إلى مقامه واستقر فى مقامه وأكل ما قدر عليه من طعامه وحارس الفريقان إلى أن أصبح الله بالصباح وطلع النهار بنوره الوضاح وكان أول من فتح بالحرب عمرو بن لاطية وقفز إلى الميدان ومحل الضرب والطعان ونادى يا بنى قضاعة يا أهل التعدى والوقاحة أنا عمرو بن لاطية السلمى أنا الذى منعت عنكم كلبكم وقطعت آذانه وشققت مناخيره وقطعت من الدنيا رزقه وذلك استحتارا بصاحبه وسببا لقطع ما رزبه وسوف أرغم أنفه وأعجل حتفه فلما سمع عمرو ذو الكلب نداءه زاد غيظه وهمز بجواده غضبا وقد زاد غيظا وتلهبا وانطبق عليه انطباق الغمام وسار هو وإياه فى فرد مقام وهو محل الحرب والصدام وجاء الجد ومضى العتب والملام فتجاول حتى أذهلا سائر الانام وسار النهار عليهم ظلام فعند ذلك أطبق عمرو ذو الكلب على عمرو بن لاطية انطباق الاسد الادرع والليث الصميدع والحبه وأكربه وجاوله حتى أتعبه وطعنه فى جانبه أقلبه عن مركبه يخور فى دمه ويضطرب فى عقدده وحمل بعد ذلك على بنى سليم وتبعه بنى قضاعة وأنزلوا عليهم البلاء والضيم فقاتلوهم ساعة من النهار فلم يجدوا لهم قدامهم اصطبا فولوا الادبار وركنوا إلى الفرار ولما اتسعوا اقدامهم فى القفار عادوا إلى جلتهم والديار ونهب أموالهم وأخذ نوقهم وجمالهم وعفى عنى حريمهم وعيالهم وعاد طالبا بنى قضاعة وقد تبين العرب ما هو عليه من الشجاعة وراحت بما عمل أقاربه وهو سائر وأخته قناصة الرجال إلى جانبه حتى التقى بمنتشر بن عدو جرى بينهما من ذلك الايراد وع . إليه الفارس الذى أرسله يبصر

الخبر وعاد إليه وأخبره أن هذا الفارس ابن شداد عنتر وعلم عمرو ذو الكلب أن هؤلاء القوم من بنى عبس فقال لمن معه من الرجال الأخيار أبشروا يا بنى عمى بأخذ الثار وكشف العار فان عنتر الذى قتل ابن عمى المتمنجز بن فائر وأنا بداليوم آخذ بثارى وأكشف عنى عارى فكونوا على أهبة الحرب والقتال فانى سمعت أنه فارس ليس له مثال وليس يقاس به أحد من الرجال وأعلمكم يا بنى عمى أن القبيلة تسميها العرب الموت الزؤام ولنا عندهم ثار وقتنا لنا لهم غاية الشرف والفخار لأنهم قد أذلوا الرقاب وخاضوا الامور الصعاب فان نحن نصرنا عليهم كما نصرنا على غيرهم كان لنا الشرف الأكبر والعز الأفخر ولا يبقى أحد فى العرب يضاهينا فى الفجار ولا يساوينا فى علو المقدار (قال الراوى) فما تم عمرو ذو الكلب كلامه حتى زحف إليه عنتر وبنى أعمامه إلى أن بقى بينه وبينه رمية سهم النشاب فعندها زعق عنتر وأعلن فى الخطاب ونادى يا بنى قضاعة من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فانا أعرفه بنفسى فانا مابى خفا أنا عنتر بن شداد الذى تهاب سطوتى الملوك الشداد فخلوا ما معكم من الاموال وجدوا بانفسكم سالمين من قبل أن يحل بكم الوبال ويذيقكم العذاب المبين ويبدكم عن آخركم أجمعين وتصبحوا نادمين وإن أردتم القتال والحرب والنزال فلم يبرز إلا فارسكم الأوحد وبطلكم الامجد عمرو ذو الكلب الذى طغى على العرب وتنمرد وبغى على السادات وأهل الرتب وقد استسن سيأ مافعله قبله أحد من العرب إلا إن كان وزر بن جابر المكنى بالأسد الرهيص وكان قد صنع كذلك واتخذ له كبش وأخذ له عفاره العرب فلما سمعت به سرت إليه وذبحت الكبش فى داره وأكلت لحمه بغير اختياره وبعد ذلك أخذته برقبته ولا التفت إليه وأسرته أول وثانى والثالث وبالنار كحلته وأطلقته لسؤال عمرو بن معديكرب وأخته ربحاته وكذلك بلغنى أن عمرو فعل مثل فعاله فلعله ما سمع بفالى ولا ذاق حربى وقتالى وها أنا قد نصحته ان قبل النصيحه وإلا تركته بين العرب فضاحة وله الامر فى ذلك إن أراد السلامه من شرب كاس المهالك (قال الراوى) فلم يتم عنتر كلامه حتى قفز عمرو ذو الكلب وصار قدامه وكان قد ركب جواد أعده بعد جلاده وطلب الجولان فى حومة الميدان ثم إنه جال وصال ولعب برمحه العسال وكان غليظا طويلا من الرماح فهزه فى يده قصفه ولحقه فى تلك البطاح ثم أخرج مزودا كان معه على كفل الجواد وأخرج منه أنابيب حديد فركبها بعضها فى بعض فى تركيب شديد حتى صارت رمحا من ثمانية عشر أنبوب وأخرج منى قربوص سرجه سنان أزرق له لمعان ورونق وركبه على رأس الرمح وصرخ بعنتر صرخة تكاد القلوب لها أن تنفطر وارتج لها البر ثم انه صار معه فى مقام الكر والفر ونادى يا عبد السوء لقد افتخرت بغير فخر فكم رجال ذللتها وفرسان فى الحرب قهرتها أتالك يا وغد قومه ولئيم عشيرتك أتعايرنى بأسرك الأسد الرهيص الذى كنت على ذبح

كبشه حريص وكنت قدرت عليه وأسرته وبما كان عليه من التقدير فدلته وأما أنا فقد أخذت جزيه الملوك وعفوت من كل غى وصعلوك ولابد لى فى اليوم إنى آخذ منك بالثار وأجلك بلباس العار وأقضى منك دينى ويقر بقتلك عينى وآخذ بثار ابن عمى فايز القضاعى الذى أسرته لما دخلت إلى بلاد اليمن فى تلك النوبة وسلمته إلى خفاف بن ندبه فضرب عنقه وعدت إلى خساسة أصلك وقبح فعلك لانك أخذت سيداً من سادات العرب سلمته إلى عبد مثلك ما له حسب ولا نسب فاليوم أعجل حمامك وأسقيك كأس انتقامك ثم أنه أنشد يقول :

ذكرت سعاد عند يوم فراقنا وقلت لها كفى عن التعس والنكس
دعينى ففى قلبى من الهجر لوعة لجودى بوصل منك تحيى النفس
ولا تبعدى بالصدود والجفا ولا تلزمينى من حبك غير جلس
فقالت أما والله والركن والصفا وبالله واللوح المعظم والكرسى
ألم تشفنى من أسود تقتلنه تسميه أبطال الوغا حامية عبس
وتأخذه فى الحرب والذل والأسى وتتركه بين الدكادك والرمس
وإلا فما منك نيل ومقصد وحال منك أبداً بالنكس والتعس
فقلت لها كفى سارك عنترا رهين بقاع الأرض تهوى به الرمس
واسألى الفرسان عنى إذا التقت وحلت ومالت بالدروع وباللبس
أجول على مهر من الخيل سابقاً تراه كلمع البرق والطير الملس
فلا تفتخر يا وغد عبس على الوغا بباسك لما إن لقيت بنى الفرس
فقحطان لا ينسون فعلى وموقفى وكل بنى الدنيا من الجن والإنس
ستترك عبلة من الآن دائماً عليك وتبكى مع نساء بنى عبس
أنا عمر وقد شاع فى الناس ذكره واسألوا عنى حسامى مع الترس

(قال الراوى) ثم إنه لما فرغ من ذلك الشعر والنظام انطبقا على بعضهما البعض كأنهما قطعتا غمام واعتركا فى ذلك المقام حتى صار الضياء فى أعينهما ظلاما وبعد ذلك افترقا للراحة والكلام فأجابه وهو يقول :

فدع يا عمرو ذكرك بافتخار فأنت تعد من سقط المتاع
وإنى مقسم قسماً عظيماً وأحلف ما دعى لله داع
لعينين عبلة أسقى حسامى نجيعاً منك فى يوم الفزاع
ألا يا عبلة لو عاينت فعلى إذا جال الشجاع على الشجاع
لشاهدت العداه اليوم ضربى وطعنى للدحال بلا خداع

قضاعة سوف أتركها حبارى ... بقاع الارض تاكلها السباع
عمرو الكلب فيها كلب ملقى ... عليه الطير مع وحش الضباع
أبى شداد والحسب المضاهى ... ومن هو كان عالى الارتفاع
فهذا السيف من تلك المواضى ... وهذا النور ذاك الشجاع

(قال الراوى) فلما فرغا من الشعر والنظام عاد إلى ما كان عليه من الكر والفر ومثبات والفرار والمستقر والرد والصد والهزل والجد والمطابقة والحرب والصدام والماسكة والالتزام وشرب كاسات الحمام وتجرع الموت الزؤام وتقاطعا طعن الحذق ولمع على رؤسهما صارم المنايا وبرق وصارت الاعين مثل العلق وتعبت السواعد وزادت الاايد وعظمت الشدائد وهما فى ضرب بهدوطعن بقد إلى أن أظلم الظلام وأقبل الليل بالغسق وغابت الشمس تحت الشفق وعاد كل واحد منهما عن صاحبه وفترق وطلب الراحة والانفصال فقال عنتر لا وحق الملك المتعال لاتطمع نفسك فى راحة فما هى لك مباحا وإن كان ولا بد من ذلك فأنزل قبالى وأنا أنزل قبالك فما بقى بيننا انفصال حتى يبلغ أحدنا الامال فما اجرى لى بهذا عادة أن أفارق خصمى إلا بالانفصال ثم إنه أثنى رجله ونزل وفعل عمرو ذو الكلب مثل مافعل فأتوهم الفرسان من قومهم بطعام وشراب فاكلا وأخذا لهم راحة على تلك الارض والتراب حتى أصبح الصباح وأضاء بكركبه ولاح وكب الاثنان وقاموا الاستوفاء الدين وفتحا باب الحرب وأخذا فى معاناة الطعن والضرب وانطبقا على بعضهما البعض وجالا طولا وعرضا حتى تدكدكت من ركض خيولها الارض حتى قلت منهما العزائم وضعفت الايادى عن قبض الشكائم ثم قوى الحر ونفح عليهما البر فوقفا للراحة والكلام حتى ينشد كل منهما شعر او نظام فعندها أنشد عنتر يقول :

يا جاهلا بمكانه الشجعان ... مهلا ستبقى رهين القيمان
يا ابن الزنا أما سمعت بهمتى ... وصوتى وبجلتى ومكان
من أى قوم أنت لاسقوا الندا ... فتال كاس الموت عند طعان
اليوم آزر عمرك إن فى ... كفى كعوب أمله بستان
أو ما علمت بأننى أشد الوغا ... لما عدت كل الوغا تخشان
أو ما علمت بأن دهرى صارم ... فى راحة والعالمين بنان
أو ما علمت بأن مجدى باذخ ... حتى علا شرفا على كيوان
والاسد تخشانى وتعرف همتى ... وأنا الصبور وإذا الزمان غشانى

(قال الراوى) لهذا الكلام لما سمع عمرو ذو الكلب من عنتر ذلك الشعر والنظام صاح عليه يا ولد الحرام لمثلى تقول هذا الكلام وأنا الليث الهمام والاسد الدرغام شجاع المعامع يوم

الزحام ثم أنه أجابه على شعره وجعل يقول :

ألا يا وغد عبس سوف تلقى ... هما ما لا يخاف من القراع
وتشرب شربة فيها حسام ... إذا لاقت ذراعك فى ذراع
لأنى فارس بطل مكر ... تقر لى الفوارس فى القراع
سألت الرب يجمعنا قريبا ... وقد وافى بقرب الاجتماع
وفى كفى ثقيل المتن عضب ... يداوى الرأس من ألم الصداع
سأشفى منك نفسى يا لئيم ... وأكشف ما سيبقى من قناع

(قال الروى) فلما سمع من بعضهما بعض ذلك الشعر النظام وتفاوضا فى القول والكلام حملا على بعضهما بعض وأوسعا فى المجال طولا وعرض ولاقى كل منهما صاحبه وتلقى طعناته ومضاربه ثم أنهما انطبقا الاثنان كأنهما بحران وافترقا كأنهما جبلان وحان عليهما الحين وزعق على رؤوس الإثنين غراب البين وكان لهما ساعة يالها من ساعة تعلمت منها الفرسان الشجاعة والبراعة (قال الراوى) ثم هدر كل واحد منهما كأنه أسد هدار أو بحر زخار وعلم عمرو ذو الكلب أن عنتر فارس مغوار وبطل كرار ويريد الدرهم قنطار ولم يزالا على هذا العيار إلى أن مضى النهار بالأنوار وغابت الشمس بالاصفرار وأقبل الليل بالاعتكار فافترقا عن القتال والنزال ونزل الراحة كما تقدم ولم يزالا على ذلك الحال مدة ثلاثة أيام ولم يبلغ أحد من صاحبه مرام إلى إن كان اليوم الرابع عند الصباح وقد بقيا أشباحا بلا أرواح عندها قال عمرو ذو الكلب بالله يا أبا الفوارس تمهل على وتصبر فى هذا المقام المنكر فأنت والله أوحد البدو والحضر ومالك فى زمانك مصير يا ذا البطل الجليل وقد شاهدت منك الغرض الذى ماله عوض وأنت والله فارس الزمان وأعجوبة العصر والأوان مع ما شاهدت فى بنى قحطان من الفروسية والاقتدار على الشجعان وها أنا مقر لك بالفروسية وعلو الشأن يا فارس عبس وعدنان وحق ذمة العرب الكرام وزمزم والمقام والبيت الحرام قد تعبت ووقعت فى مناكب التعب وقد عاينت منك العطب ثم أنه من تعبه وقع على الأرض وترجل عن جواده ورمى حسامه وعده جلاده وسعى إلى عنتر وقبل ركابه وسأله من فضله أن يتخذه من بعض أصحابه فترجل عنتر عن جواده وقد زال ما كان من التهابه واعتنقا بعضهما البعض وأعطى له الزمان والأمان وصار عمرو من جملة أصحابه والخلان فقال له يا حمية عبس رضيت أن يكون ذهاب ما بقى من عمرى بين يديك ولا أبخل بدمى عليك فأنت والله فارس الزمان وتاج بنى عدنان فوالله لقد قاتلت بنى عدنان الفرسان وبنى قحطان وخولان وبنى قراد وذبيان وبنى الريان والأعجام والعربان ما رأيت أعصب منك ولا أشد عصب وحق ذمة العرب قد وقع فى مناكبى التعب ودب فى زنودى العيا والضنا (قال الراوى) ففرح عنتر فرحا شديدا لما عليه من مزيد ووعده أن يكون له بمنزلة

الأخ الحبيب والصديق والنسيب وقالوا له ياوجه العرب أنا قد اغتال الدهر أولادى وفزع عليهم فؤادى فلعل أن يكون عليك اعتمادى وتكون عوضا مما مضى ثم عاد كل منهما على ظهر جواده ثم عاد عمرو إلى قومه وهو يكثر من شكر عنتر وحسن وداده وقال لأخته قاصمة الرجال ياأختاه اليوم أنا عبسى ما أنا قضاعى ولا قحطانى وإنى أريد أن أقضى بقية عمرى مع هذا الفتى الكريم الفارس العظيم فقالت له أخته وأنا أيضا معك وأوافقك ولا أفارقك وكذلك قالت الفرسان من بنى قضاعة الذين معهم فى ذلك المكان وأجابوا بالسمع والطاعة لأجل علو الشأن ودخلوا بنو عبس وصحبتهم بنى قضاعة فى ذلك المكان قاصدين ديارهم والأوطان إلى إن وصلوا إلى أرض الشربة والعلم السعدى فالتقوهم بنو عبس بالإجلال والإكرام وخرجوا إلى لقائهم أهل الحلة النساء والرجال وعنتر لا تنشف دمعته على ولده ميسرة وابن أخته الهطال وما بقى فى الحى إلا من بكى ابكائه وأتى إليه وعزاه إلا الربيع ابن زيادة وأخوه عمارة القواد الكثير الكياد فانهما ما كان تسعهما الدنيا لكثرة الفرح لأنهما كان أعداوه هذا والربيع يقول لأخيه اتبع المقيمين بالماضين لأن سعادة عنتر ولت أيامه قد اضمحلت ولبس الزمان له وحده وما كان أعطاه له قد استرده وأنا أعرف بأن أجله قد اقترب وموته قد وجب هذا وعنتر قد دفن قتلاه فى جانب العلم السعدى وجعلهم فى قبر واحد وذبح على قبرهما مائة ناقة وجعل لحمهما مباح الفقراء وأهل الفاقة وقد يحمل على قلبه من حزنه عليهما ماليس به طاقة لكن جعل يتسلى مع عمرو ذو الكلب وزيد بن عروة وقد أنزل بنى قضاعة فى أبياته وقد صار يقضى أوقاته وقد جعلت عبلة تسليه وتحسن مداراته وتشغله عما هو فيه من الهموم وتزيل ما بقلبه من الغموم وتقول له أن الله العظيم أخذ ما أعطى وهو أحق بالأخذ والعطاء ومادمت أنت تعيش لنا وتبقى فما يدخل على بنى عبس لا باس ولا شقا (قال الراوى) ولما كان يوم من بعض الأيام ركب عنتر وركب فى صحبته عمرو ذو الكلب وأخته الهيفا وزيد بن عروة ورجالهم الكرام وطلبوا الصيد والقنص وغابوا فى البر ثلاثة أيام عادوا إلى الأحياء ومعهم من الوحش شىء كثير وهم فرحين لقتلا عنتر وما فزل بهم من الأيام حتى أنهم وصلوا إلى الأحياء وقربوا بالخيام وإذا بالدنيا منقلبة وقد علت الضجة من النساء والإماء والخدام وذلك النواح والعياط فى أبيات بنى قراد فسال عنتر من ذلك الحال عن لقيه من من العبيد فقالوا يامولانا قد قتل أخوك شيبوب وأنزلت به الكروب فاندهش عنتر وجار ولحقه الانبهار وإذا بالخذروف قد أقبل وهو مشقوق الثياب بادى الانتحاب وقد حث التراب على رأسه وقد انزعجت سائر حواسه ودموعه تجرى على خديه كأنها الأمطار وقد أهلك نفسه مما يدق على صدره من الأحجار فلما رآه عنتر لم تماسك عقله دون أن رمى روحه ولطم على وجهه إلى أن برز الدم من منخريه وقعد ساعة كبيرة مغشى عليه وهو لم يحرك يديه

ولا رجليه لأن أخاه شيبوب كان عدته وعمدته في الشدائد ومساعده على الأوابد ثم ترجل عمرو ذو الكلب وبكى وأن واشتكى وكذلك فرسانه ولما أفاق عنتر من غشوته قام ودخل إلى مضربه والخذروف في صحبته فرأى شيبوب مذبوح وهو جسد بلا روح فلما رآه عنتر صاح ووقع مغشيا عليه وكذلك جرى على ولده الخذروف مثل ذلك واجتمع مشايخ بنو قراد وعملوا على شيبوب مأتم عظيم وأكثروا من النوح والتعداد ولما أفاق عنتر من سكرته قال ائتوني بعبيد أخي شيبوب وكل من كان عنده في البيت فأتوا بالجميع إلى حضرته فسأله عما كان من أمره وقصته فقالوا له يا مولاى اعلم أنك لما مضيت إلى الصيد والقنص وتخلف شيبوب خلفك في الأحياء قدم عليه عبد من العرب واستجار به فأجاره وسأله عن حاله فقال إنى عبد من عبيد بنى محارب وكنت أعشق أمة وهى تعشق غيرى فغرت من ذلك ودخلت عليها ليلا وهما نيام فذبحتهما مثل الأغنام ولم أجد من التجيء إليه من الأيام يجيرنى على طول الأيام إلا أخوك عنتر البطل الهمام والأسد القمقام ثم أنه بكى وانتحب غاية الانتحاب فرحمه شيبوب ورق له وأجاره لما رآه بتلك الذلة والاكتئاب ولما كان عند الصباح رأيناه مذبوحا ورأسه مرمى عن بدنه وقد فارقته الروح والعبد الذى استجار به ما وجدناه ولا علمنا له خبر ولا وقعنا له على أثر (قال الراوى) فلما سمع عنتر هذا الخبر بكى وتحسر وقد لحقه الأسا والضجر أشار يرثيه بهذا الابيات :

أبكى عليه وأتمدد	والدمع من جفنى نيران
فلا حضرت لأجهم	سيفى ورمحى وحصانا
وأنا الهمام لدى الوغا	أخو الشجاعة والطعان
ولكم أبيد فوارسا	فى الحروب بالعضب اليمان
وعزيمتى فوق السها	وفى علو الفرقدان
لى فى مقامات الحروب	قصائد مثل الجمان
أسمى بعنتره الفتى	ليث الوغا بطل الزمان
دهرى مضى مع سعادتى	والعمر منى عاد وفات

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من هذا الشعر والنظام دفن أخاه شيبوب فى قبر ولده ميسره وابن أخته الغطال ونحر على قبره شيء كثير من النوق والجمال وحزن عليه حزنا شديدا ما عليه من مزيد حتى أنه بقى لا يرد جواب ولا يعطى أحد خطاب وامتنع عن الطعام والشراب مدة أيام وليالى تمام ولا يعلم من هو قاتل أخيه حتى أنه يمضى إليه ويأخذ روحه من بين جنبيه وهو لا يدرى من فعل هذه الفعال ويأخذ ثأره منه ويطفى ما بقلبه من الايقاد لأنه ذائب القلب

عنترى الفؤاد (قال الراوى) وكان السبب فى هذه الامور العجيبة والاحاديث الغريبة وهو أن عنتر لما جرى له عن أيام صباه ما جرى من سرقة الابجر لما سرقه ابن المخلس ناهب السلال وبوصله إلى اللقيط بن زرارة ومضى إليه شيبوب وكشف خبره والتقى بالسلال عائد فى الطريق وعاد خلفه واعلم به أخوه فقتله ودمره وساروا إلى اللقيط بن زرارة وخلصوا من عنده الابجر والجحرة سكاب وقد ذكرنا هذا الكلام فيما تقدم فى هذا الكتاب وكان ذلك فى أيام نزولهم على بنى عامر وكان هذا السلال الذى هو المخلس يقال له جابر وبعد موته وسكنته المقابر كان له أخ يقال له سارح وكان داهية من الدواهى من أصحاب الفضائح وكان سلال خيل خواص النهار والليل وأنه فى بعض الايام فبينما هو دائر بين اطناب الخيام وإذا قد وقعت عينه على جارية من بنات العرب الحرائر يقال لها زبيده بنت مبادر وكانت من نساء السادات الأكابر ولما رها أحبها ولم يجد بدا من خطبتها فجمع أكابر عشيرته وقصدا باها وهو جالس فى خيمته فقام إليهم وتلقاهم ورحب بهم وأكرم مثواهم فكلموه فى أمر الزواج فاطاعهم ولم يدع عليهم احتجاج وقال يا ولدى أنت أكرم من خطب وأجل من فيك رغب ولكن يا ولدى ماسور وخطبة البنات العربيات لم يكن تصفها مثل هذه الأمور فاذا أنت اجتهدت فى أخذ ثارك كانت لك أمة وجارية من جملة الخدمة فقال سارح باترى باعم عند مين من الرجال اعلمنى به وأنا أمضى إليه وأقضى منه الاشغال فقال ثار اخيك جابر الذى قتله عنتر لما مضى إليه وسل حصانه الابجر فقال يامولاى أعطى يدك وعاهدنى إننى متى مضيت وقتلت شيبوب أو عنتر تزوجتنى ابنتك فاجابه إلى ذلك وأعطاه يده وعقد وعاهده ثم اتفق الامر بينهما على الزواج ولا بقى لاحد منهما احتجاج وبعد ذلك لما اتفق بينهما الكلام لم أفاق سارح فى الحى غير ثلاثة أيام ثم أنه أخذ اهبته فى السير والجد والتشمير ولبس جبة صوف مهلهلة الاذيال وشد وسطه بمنطقة من الاديم الطايعى وتعم بعمامة خام وشد خنجره من تحت ثيابه على وسطه وسار من أحياء بنى قحطان حتى وصل احياء بنى عدنان وقصد ديار بنى عبس وكان دخوره إليهم عند غروب الشمس وسأل عن أبيات عنتر فدلوه فسار حتى وصل إليهم وتقدم إلى أبيات عنتر وسأل عليه من بعض العبيد فقالوا له غائب فى الصيد فقال واين أخوه شيبوب فقالوا له حاضر ثم أنهم أرشدوه إليه فتقدم إليه وكان شيبوب وأمه زبيبة وولده الخذروف وأخوه جرير فى مكان واحد ولهم مضارب وخيول وجنائب وهم على رابة عالية فقصد سارح إلى أبيات شيبوب وشد وسطه ببعض أطناب البيت واستجار بصاحب البيت فطلع شيبوب إليه وسلم عليه وقال له يافتى قد أجرتك من كل قبيلة فما بقى من اليوم لاحد عليك سبيل ثم ادخله بيت الضيافة وقال له قد أمنت ممن تخافه ثم سأله عن حاله وما صار

له وما جرى عليه فقال يامولاى أنا عبد من عبيد بنى محارب ثم أعاد عليه الحيلة التى دبرها وأنه قصدهم يستجير بهم لكن أنهم أمنع العرب جار واحماهم ذمام فقال له شيبوب ابشر ياغلام عليك الذمام من كل من أكل الخبز وشرب الماء ولما كان ثالث يوم من الضيافة أمسى المساء وجلس شيبوب لاجل المحادثة والكلام إلى أن اقترب نصف الليل وطلع نجم سهيل وطاب لشيبوب السهر لأجل القضاء والقدر إلى أن غلب عليه سلطان الكرى ونام وكان عنده سارح ابن اللئام فلما رآه قد غرق فى النوم وثب إليه وركب على صدره وذبحه وقطع أذنيه وأخذهما معه علامة كما وقع الاتفاق وخرج من المضرب وجعل يمشى على يديه ورجليه إلى أن خرج من الخيام وأخفاه الظلام وستر عليه الملك العلام ولما كان من الغد دخل الخذروف على أبيه فوجده مذبوح فزعق وصاح وقلب الحى بالصياح وفى ذلك الوقت الاعبر وصل أبو الفوارس عنتر وجرى من القصه ماذكرنا ودفن أخوه كما قدمنا وأشار يقول صلوا على طه الرسول.

لقد صار قلبى معدن الهم والاسا ... وعبره عينى تستهل دما يجرى
وقاسمنى دهرى كشطاين فى وليتنى ... فلما تقضى شطره عادلى شطرى
فياليت أمى لم تلدنى وليتنى ... سبقتك اعجالا إلى ظلمة القبر
لقد كنت لى ركنا أعيش بظله ... فلما هوى اضحت دموعى على نحر
ولقد كنت لى سيفا على سائر العدا ... فعدت رهين القاع ملقى على الصدر
أرى كل حزن سوف يبلى حزينه ... وحزنى عليك اليوم باق مدى الدهر

(قال الراوى) ثم أنه حرم على نفسه اللذات وتمنى أخوة عنتر الممات وأقام يتجسس الاخبار حتى يعرف من هو قاتل أخيه من القوم الاشرار ويأخذ منه بالثار وهو من أجل ذلك على هيب النار (قال الراوى) فهذا ما كان من عنتر وما صار له من الاقوال واما ما كان من أمر سارح السلال فانه لما فعل هذه الفعال لم يزل سائرا وهو يقد البرارى والتلال حتى وصل إلى حلته وأحكى لهم ماجرى له من قصته وكيف قتل شيبوب ولم يجد عنتر ولو كان حاضرا كنت قتلته الاخر ففرحت قومه بهذا الخبر وعملوا الولائم ونحروا النحور وسكبوا الخمور وداموا على الفرح والسرور ثم بعد ذلك طلب سارح زوجته من أبيها فانعم له بها فعملوا له الولائم ورقت زوجته عليه ودخل بها وطلب له المقام فهذا ما كان منه واما ما كان من عنتر فانه لما زادت به الاحزان والالام نظر إلى جرير والخذروف وقال لهما ما القصد إلا أن تكشفا ما بقلبى من الكروب واحسرتاه على أخى شيبوب وما كانت جسارته على كل أمر مهوب فتنهد وتحسر وكان قلبه أن ينفطر وقال لهما اذهبا واكشفا لى الخبر عن قاتل أخى وطوفا الحلل والقبائل ولا تعودا إلا بالخبر ولو درتما عام كامل فى البر الاقفر فقالا سمعا وطاعه ثم انهما خرجا فى تلك

الساعة وقد أخذا مرمحتاجان إليه من آلة الحرب وخرجا يطالبان المنازل والحلل فلما كان فى بعض الايام والحذروف سائر فى البرارى والآكام فجاءت طريقة على بنى ضبية فوجدهم فى مهرجان والجوار يغنين بالدفوف والعبيد يلعبون بالسيوف وهم فى فرح وسرور وقد مدوا السماطات والكاسات عليهم تدور فتقدم وسأل بعض الرعيان عما هم فيه من الامور وقال له يا ابن الخالة أراكم فى هذا المهرجان أعندكم عرس لاحد من الشجعان فقال له الراعى نعم يا ابن الخالة وهو لرجل شجاع وقرم مناع يقال له سارح اخو المختلس السلال وقد أخذ ثاره وكشف عاره وقتل شيبوب اخا عنتر عوضا عن قتل أخيه وازل به العبر وهذا العرس امن شأنه وهذه النوبة نوبته وليلة غد يدخل على زوجته (قال الراوى) فلما سمع الحذروف لم يكذب خبر رجع على الاثر إلى عمه عنتر وأعلمه بالخبر ففرح واستبشر ثم انه نبه رجاله وايقظ أبطاله ونادى لعمرو ذو الكلب وزيد بن عروة وعمه مالك وولده عمرو وامرهم بالمسير لاخذ الثار وكشف العار واعلمهم عنتر كيف طلع خبر قاتل أخيه وانه بنى ضبية والذى قتله سارح بن ناهب اخو المختلس الذى كان قد قتله عنتر فركبوا وساروا ولو كان لهم اجنحة لطاروا حتى اشرفوا على ديار بنى ضبية وشنوا الغارة على مراعيهم وساقوا اموالهم ونوقهم وجمالهم فوصل الخبر من الرعيان إلى الحلة فركبت رجالها واعتدت ابطالها وكانوا قد بعثوا إلى حلفائهم فجاءوا ليحضروا العرس عندهم فركبوا جميعهم وخرجوا على أثرهم يردوا الغارة عن أموالهم وحريمهم ولم يزالوا حتى لحقوا عنتر ورجاله فلما نظر عنتر إلى الغبار وهو من خلفه قد ثار فقدم الغنيمة بين يديه واستقبل الاعداء بصدره وصار ينادى بالثارات الامير شيبوب البطل الموهوب وحملت معه الرجال وزادت الاهوال وحمل عنتر ذات اليمين وذات الشمال يجندل الرجال فى ساحة المجال وجال وصال وأظهر العجائب فى ساحة الجدال ولا زال فى قتال ونزال يهد المناكب والاوصال حتى مضى خيال النهار بالارتحال وأتى الليل بالاسدال ولم يبلغ أحد من رفيقه أمال وافترق الناس بعضهم بعض وقد امتلات بالقتلا جنبات الارض واوقدوا النيران وتحارس الفريقان إلى أن اصبح الله بالاصباح واضاء بكوكبه ولاح ركبوا القوم للحرب والكفاح وتعدلت الصفوف وابرقت السيوف فتقدمت الفرسان والسادات إلى بشر بن عبد اللات الدهمى والمرقال بن جندلة الصهوى يشكوا لها حرب بنى عبس وما لاقوا منهم من الصدام الذى يسموهم العرب فرسان المنايا والموت الزؤام لاسيما فيهم الاسد الضرغام الذى خضعت له الاسود الدحال وخافته جبابرة الرجال وأذل ركاب الشجعان الابطال وشهدت بفرسيته الافيال ونحن فما فينا من هو كفؤ له غيركما فليخرج إليه واحد منكما ويقتله وينزل به العطب ويفتخر بذلك بين قبائل العرب والسادات من ذوى الرتب فان كنتم عجزتم عن قتاله وحربه وتزاله فاعلمونا بهذا الامر حتى إننا نطلب

الهزيمة والفرار وتخلى له الاموال والديار (قال الراوى) فلما سمع بشر بن اللات هذا الكلام وهم فى نفسه أن يبلغهم المرام فسبقه المرقال بن جندلة فارس العشيرة وحامى القبيلة من كل أمور خطيرة وقال يا بنى عمى طيبوا انفسكم وقروا عيونكم فانا انزل إليه واقدم بكليتى عليه واخذ روحه من بين جنبيه واخرج إليه فى المجال وأدعوه إلى مقام الحرب والقتال فاذا اجاب وخرج إلى القتال قدته إليكم قود الذلول من الجمال فلما سمع بنو عمه كلامه طابت قلوبهم بقوله ومرامه ثم أن المرقال بن جندلة الصموى لبس درع ضيق الزرد كثير العدد مذهب الأكمام مليح النظام قوى اللحام يرد عن لابسه اسباب الحمام فلبسه وترك على رأسه بيضة عادية مكوكبة جلية ترد أسباب المنية وتقلد بسيف بتار قاطع الاجسام والاعمار واعتقل برمح خطار وركب جواد كرار كأنه الطير إذا طار سبقته الرياح تركها وسار ما يلحق البرق له غبار كأنه الفلك الدوار والنجم السيار صنعة لواحد القهار ثم أنه قفز إلى بين الصفين واشهر بين الفريقين ونادى العبس يا عدنان أنا المرقال بن جندلة الصموى الفارس القوى الليث الوفى قاتل الابطال وجندل الاقيال وحامى الجار وكاشف العار فلا يبرز إلى الا فارسكم الغدار ولئيمكم النكرار حتى أطير رأسه بهذا الحسام البتار ثم إنه جال وصال ولعب برمحه العسال ثم أنشد وقال

سلوا الخيل عنى حين اعلو متونها ... واسرى بها نحو الأعادى مسرعا
الیس أنا الموت المحيط على العدا ... إذا اشتبكت زرق الأسنة مشرعا
ابيد كماة الحرب فى موقف الردا ... وامنحهم فى السلم افضل موضعا

(قال الراوى) فما اتم المرقال كلامه وما من ابداه شعره ونظامه الا وعنتر بن شداد قد صار قدامه ونادى ياويلكم يا بنى اضبية اما كفاكم ما مضى من فعالكم ومن هجومكم أول مرة على فرسى الابجر وما أخذتكم بما فعلتم فى حقى من الامر المنكر حتى قتلتم من كان عدانى واراكم قد استنجدتم على جمعتم القبائل إلى قتالى وظننتم انى أخاف من كثرة عددكم واجزع منكم أنا الذى أبدت الامم وأذلت العرب والعجم ثم أنه اجابه بهذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات

ياويل نفسى لقد غر الزمان بها ... من ذى حروب همام لسل ذى شرس
لا يستريح بترك النائبات مما ... انى اخوض دما الابطال بالفرس
انى وان مال عمرى ما اصلحكم ... حتى تكونوا للوحش مقتبس
انى سافنى بسيفى من يعاندنى ... واحتوى كل ليث باسل شرس

(قال الراوى) ولما فرغ الامير عنتر من هذا الشعر والنظام انطبق كل واحد منهما على الآخر ومال على بعضهما فى الأثر بطعن وضرب يعمى البصر وجال طويلا لا اعتركا ميلا

وصبرا على الشدائد وغاصا فى الاوابد ـ أظهر عنتر صولاته وطلب خصمه الرجوع من بين يديه وقد خاف من كامن المنية أن تصل إليه ولما زاد به لامر طلب الهرب فلم يجد له إلى ذلك من سبيل هذا وعنتر بين يديه وأينما مال يميل عليه وقد ضايقه ولاصقه وسد عليه طراقه ثم أنه بعد ذلك قاربه وتمطى فى كعوب الرمح وطعنه فى جانبه الايسر أطلع السنان من الجانب الآخر ونفضه أقلبه وعن جواده كركبه وبعده طلب البراز وسأل الإنجاز فلم يبرز إليه أحد فعند ذلك احترق قلبه حتى كاد أن يذوب وتفكر أخيه شيبوب فحمل على الميمنة أقلبها على الميسرة وهو كأنه النار المسعرة ورجع بعد ذلك إلى مجاله وعمرو وذو الكلب يتعجب من فعاله وشدة اقدامه وفعاله فى صدامه (قال) هذا وعنترة ـ أشفى غليله من الاعداء ومددهم فى جنبات البيداء ولما قصروا عن مجاله صار ينادى أين الأبطال المشهورين أين الفرسان المذكورين فلما سمعوا بنو ضبة هذا المقال أقبلوا على سارح بالملام وقالوا هذا ما جلبت لنا من الوبال لاجل ثارك من هذه الصناديد الاقيال فلا كنت ولا كان أخيك ولا بارك اللات والعزى فيه ولا فيك فلم لا تبرز إلى خصمك وتكفينا شره فى المجال فلما سمع سارح هذا الكلام أخذته الحمية والنخوة الجاهلية وقفز إلى قدام عنتر بالجواد وسار معه فى محل الطراد وزعق عنتر وقال له يا وغد قومه ها أنا قاتل أخيك واليوم ألحقك به فلما سمع عنتر أنه قاتل أخيه اسودت الدنيا فى عينيه وانطبق فى عاجل الحال عليه ولاصقه وضايقه وضربه بالسيف على عاتقه أطلعه يلمع من تحت علائقه وجال على على بنى ضبة لما راه على الارض قتيل وبالتراب معفر جديل وانفرج ما بقلبه من الكروب وتفكر فيما مضى على أخيه شيبوب فعندها بكى وأن واشتكى وأنشد يترنم ويقول :

إنى أنا عنتر العبسى إذا انتحرت	يوم الوغا كل إنسان فافتخر
كانوا كأرض وكنت الغيث فوقهم	ولو تمكنت خضت الغيث مقتدر
لو أن عادا وفرعون وعوج معا	يوم المعامع قـدامى لما صبر
إذا تداعت فى الهيجاء فوارسها	وجال ذكرى رأيت الدم ينحدر
أنى ملأت بسيط الارض من جثث	تبقى سنين لمـن ينظر لها قبر
من قال بعدى بأن الدهر ينتج من	مثلى فقد خاض بحر هو له خطر

(قال الراوى) ثم أنه لما فرغ من ذلك الشعر والمقال جال وصال وطلب البراز والحرب والقتال واجتمعت فى ذلك الوقت سادات بنى ضبة وتقدموا إلى بشر بن عبد اللات الدهمى وقالوا له أيها السيد الهمام والبطل الضرغام أنت تعلم أننا قد استجرنا بك على هذا الفارس الهمام لعلمنا بصبرك وقت الحرب والصدام فإن أنت كفيتنا شره وضرمت عمره فقد ملت بين العرب رتبتك وارتفعت فى الآفاق منزلتك وأخذت الطبقة العليا على سائر العرب من بعد منها ومن اقترب فلما سمع بشر بن عبد اللات الدهمى كلامهم وما أبدوه له من مرامهم قال لهم يا وجوه

العرب وأهل الفضل اعلموا أني ما توقفت عن الخروج إلى الميدان ومقام الضرب والطعان وقتالي بعنتر بن شداد حتى تقروا بالعجز عن الجلاد فاذا كنتم قد عجزتم عن قتاله وضربه ونزاله فها أنا أخرج إليه وأجعل عزه ذلا والقيه طريحا في الفلاو بعد ذلك ركب وأطلق العنان وقوم السنان وساق الحصان حتى صار في حومة الميدان ونادى لعنتر بقوة الجنان ويلك يا عبد السوء أما وصل إليك خبري ولا سمعت بشيء من ذكري حتى كنت تمنعت عن المسير لي والقدوم على فابشر الان بالدمار والذل والشنار ونلو الآثار ثم أشار إليه بهذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

أنا البطل الكرار في حومة الوغا	اجندل أبطال الوغا بحسام
ولا انثني عن موقف الحرب دائما	ولا حائدا في الحرب يوم صدام
ويا طالما صدت الاسود براحتي	وجرعتهـــا باليد كاس حمام

(قال الراوي) فلما سمع عنتر مقاله وشعره قال له ياوغد قومه وبالثم عشيرته كم ملك تركته يكدم الأرض والتراب بعد ما سمع مني غليظ الخطاب ثم أنه أطبق عليه ومال بكليته اليه وجالا طويلا واعتركا ميلا وغابا في ال وابدو صبرا على الشدائد وأوسعا في المجال وتضاربا بالنصال وتماسكا بالايادي لما عجزوا عن القتال وتعاركا عراك الادم وقد طبق عليهما الغبار وخيم ثم أنهما افترقا عن بعضهما بعض ووقفا للراحة على بسيط الأرض وكل واحد ينظر إلى صاحبه فعند ذلك طعنه عنتر بين ثديه طلع السنان من بين كتفيه فانطبقت الفرسان عليه من كل جانب فعندها زعق عمرو وذو الكلاب يا بني عبس أنجدوا فارسكم الاوحد وشجاعكم الامجد وسيفكم المهند فعند ذلك حملت بنى عبس لما سمعوا ذلك المقال وحمل عمرو وذو الكلاب وأخته قناصة الرجال واشتد الحرب والقتال ودامت الصائحات والاهوال واصطدمت الخيل في طابق المجال وجرى الدم وسال وتنكس الفارس الرئبال وقطعت المفاصل والاوصال ورويت الأسنة من أدمية الأبطال وكثر القيل والقال وهربوا بنى ضبة إلى البيوت والاطناب وعفر عنتر وجوه فرسانهم على التراب وجعل ينادي في بني عبس أبذلوا السيف في هؤلاء الكلاب ولا تبقوا على أحد من الشيوخ ولا الشباب (قال الراوي) ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى ولت الطائفتين بني ضبة وبني دهم وطلبوا الفرار وهربوا في البر وأوسعوا في القفار فعند ذلك دخل عنتر ومن معه إلى الخيام وقد اشتفى ما في قلب عنتر من الآلام وقلعوا الاحياء بما فيها ولم يتركوا فيها غير رسومها ونواحيها والتقى بعمرو وذو الكلاب وشكره على فعاله وحمده على جميله وأعماله وأثنى عليه وعلى قومه وعشيرته ورجاله وعادوا بعد ذلك راجعين وإلى ناحية ديارهم طالبين وعنتر بن شداد صائر قدام الخال في تلك الوهاد وهو حزين القلب باكي العين على أخيه شيبوب وقد تقرحت جفونه

من ذلك الدمع المسكوب وتذكر ما جرى له مع بنى دم وبنى ضبة وما فعل بهم من تلك الرزيلة فبكى وأنواشتكى وأنشد يقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

سل ضبة عن عبس وفعلهم	بالامس إذ هربوا منا وما رشدوا
ونحن بنى عبس خيار الناس كلهم	يوما وقد جمعوا فى الحرب واجتهدوا
نحن الفوارس لا تخذنا فعائلنا	تفنى الاعادى حتى تحس البلد
تسموا اليهم باسياف مهندة	مثل الصواعق تفنى كل ما تجد
وقد حملنا ونار الحرب مشتعلة	وسمرها والعوالى بيننا تتقد
وقد قحمنا على الجيشين كلهموا	ونحن نحمى لظاها كلما بردوا
طورا نسكفكفهم بالطعن اذهربوا	وبالسيوف نناديهم إذا وردوا
ونحن نسق نقيع الموت سادتهم	حتم المنايا وفى خيضانها ترددوا
حتى إذا مارأونا مضوا هربا	منا وخلوا لنا الاموال والخودا
لنا التمتع معدانا ومصرحنا	يوم الهاج وان جاشوا وأن حشدوا
الصابرون إذا ما الخيل أجفلها	هز القناة وهياج الحرب تتقد
والمطعمون إذا ماالغيث أمسك عن	أهل البلاد ولايلقون ما يردوا
فليس تنظر فوق الأرض مثلنا	فى الحرب واليأس والعليا فلم تجدوا

(قال الناقل) فلما سمعت العرب ذلك الشعر والنظام تعجبوا من شجاعته وبراعته وقال له عمرو ذو الكلاب لله درك يا أسد الحروب ويا كاشف الكروب فاثنى عليه عنتر وقد شكره على ذلك المقال ثم أنهم بعد ذلك ساروا بالغنائم والاموال طالبين الديار والاطلال إلى أن وصلوا إلى أرضهم و لاحياء وانقلبت لقدومهم الدنيا وفرحوا بهم جميع محبيهم وأصدقاءهم واستبشروا بحضورهم نساءهم وأماءهم ونظروا ما معهم من الأموال سيأ ما تأكله النيران لا يكل عن وصفه اللسان (ياسادة) ونزل عنتر بن شداد فى أبياته وقد كثرت على أخيه شيبوب حسراته وزادت زفراته واستقبلته أبنة عمه عبله ووقفت فى صدره وقبلته فى عارضه ونحره ثم جعلت تهنيه بالسلامة وقد فرحت بقومه وزادت فى كرامته وبعد ذلك لما استقر به المقام ركب الملك قيس وأتى إليه لأجل العزاء والسلام وقال له يا أبا الفوارس طول ما أنت تعيش لهذه القبيلة وتبقى فلا يمسها الابؤس ولاشقا ثم أنه رجع من عنده وهو يكثر من شكره وحمد (ياساده) هذا وقد نظر عمارة إلى ما وصل إليه عنتر من الأموال والنوق والخيل والجمال ونظر إلى كثرة تلك الرجال فانشقت مرارته من الغيظ والبلبال وأخذه الهم والنكال وقال موتى ولو الربيع السكيادى يا أخى ترى أنظر قتله عنتر بن شداد وأرى مصرعه وأفرح بذلك قبل موتى ولو أنه بيوم واحد وتفرح لى بذلك الصديق ويغتم العدو والحاسد ولا ترجع تراه بعد هذه الكرة

وأبلغ أنا الهنا والمسرة (يا سادة) فقال له الربيع الكياد اعلم يا ابن الأم أن عنتر قد دنا بواره وقرب أجله ودماره وأخماد ما كان يتوقد من من ناره وانقطاع ذكره وانثر عمره أما ترى إلى حماته وقد قتلت وأولاده قد ذهبت ونعمته قد سلبت وتداولت فسمع أحد محبين عنتر هذا الكلام فبلغه إليه بالكمال والتمام فيا غيظه وتكاثرت عنده الاضغان والاحقاد وقد ناله من الغيظ ما لم ينل أحدا من البشر فقال عمرو ذو الكلب يا أبا الفوارس لا تحمل على قلبك هم ولا غم مادمت مالم فلا زالوا إليك محتاجين وبسيفك على الأعداء مستظهرين فقال له عنتر يا أخي وحق همتك ومحبتك وأياديك الجميلة لو وصفت لك ما صنعت في بني زياد من أول الزمان من الجميل والاحسان لكنت تتعجب من مجازاتهم بالقبيح والخذلان وأول ما عمل الربيع معي من القبائح عمن على بنت عمي عبلة حيلة وفضائح وسار بها إلى عند مفرج بن هلال ثم أحكى له على تمام القصة وقال له ولو شرحت لك أعمال بني زياد معي ومع ابنة عمي لطال عليك المطال وتتعجب من تلك الاحوال فقال له عمرو يا أبا الفوارس هذا يدل على خساسة أصلهم ورداءة فضلهم وشؤم تدبيرهم والفساد وأنت باختيارك أن أردت الرحيل عن بني عبس رحلنا من عندهم وتركهم نهبا للعربان وديارهم مسكن اليوم والغربان وأنا وقومي نتبعك وما نفارقك أينما سرت وسرنا معك فشكره عنتر على كلامه وتسلى معه عما مضى من أولاده وأهله وحلاته وصار يتسلى به عن سائر السادات وصفت بينهم المصادقة والمنادمة واغتنموا اللذات والافراح والمسرات وكانت الهيفا أخت عمرو قد ألفت بعبلة من دون نساء الحلة وراق لهم الزمان وصفا وصاروا روحين في جسد واحد وجملا على بعضهما بعض المعتمد وكانت عبلة تحدثها بما جرى عليها طول الامان وما قاست من السبي والهوان والتشتت من مكان إلى مكان وما قاسا عنتر من تحت رأسها من جاهلين العربان وكم قتل من الشجعان والفرسان وهي تسمع حديثها وتتعجب من تصاريف الايام وصارت تسليها باطيب الكلام وتقول لها يا أختاه مضى ما مضى وكان وكل هذا مقدر من الكريم الديان وأمتزجوا بالمحبة والوداد وصارت الهيفاء عندها مثل الروح التي بين الاجساد وأشفق عليها من الوالدة على الأولاد وكانت عبلة تخبرها بما جرى لبنو عبس من الحروب والقتال وما لقيوا من الاهوال وما قد فعلت بنو زياد معها من القبائح والاوعاد كيف عمل عليها الربيع حيلة وأكمن لها الرجال وسباها عند مفرج بن هلال وعمل على قتلها ودفنها في الرمال وأخذ ما كان عليها من الاموال والجواهر والهيفاء تتعجب من هذه الاحوال فبينما هم على ما هم عليه من هذه الاحوال وإذا بعمرو وأخو عبلة قد دخل عليها وهو يبكي وعيناه في أم رأسه وقد أزعجت من كثرة الغيظ حواسه فقامت عبلة اليه وقبلته بين عينيه وقالت له ما حالك وما الذي جرى لك فلا كان من يشتاك وأهلك الله سائر أعدائك فقال لها عمرو يا أختاه قد كفانا ما لقينا من أول

الزمان وتعب معنا حامينا عنتر حتى تبدل خوفنا بالامان واستقر بنا القرار وأنست بنا الديار وبعد ذلك ما انقطع عنا كلام الاعداء والاضداد والمبغضين والحساد الذين هم لنا من الاوغاد لاسيما بنى زياد وهم أشد لنا عداوة من دون العباد وهم الربيع واخيه عمارة القواد (قال الراوى) فقالت له عبلة ما الذى جرى وما سمعت من المعاندة والكياد فقال لها يا أختاه إنى قد خرجت فى جماعة من بنى عمنا ونحن نطلب الخش والمكسب كما فعلوا الذى سبقونا من فرسان العرب فوقعنا فى بنى فهد فسقنا أموالهم وأخذنا نوقهم وجمالهم وخيلهم ورجالهم فخرجوا إلينا فرسانهم وأقبلوا إلينا أبطالهم فكسرناهم وانتصرنا عليهم وعدنا سالمين وبغنا يمنا فرحين وبما معنا من الاموال مسرورين فلما وصلنا إلى الديار وأشرفنا على الاطلال صادفنا الربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد فسمعت الربيع يقول لاخيه الذى هو عمارة لاترى عمرو أخو عبلة وكيف بقى هذه الشجاعة وكيف أخرجه عنتر بن شداد حتى أنه صار يغزى القبائل بكبس العرب والجحافل ويشن الغارات على الاحياء والمناهل ونسى ما عليه من العار وما لبس من الناس الذل والشنار فقال له يا عمارة يا أخى قد انصرم حبل عزهم وانهدم ركن مجدهم وكأنك وقد هلك عنتر بن شداد عبدهم فقال الربيع والله يا وهاب ما يهلك عنتر إلا وتبقى بنى قراد مثل الكلاب وتبقى عبلة مثل الامة ويبقا أخوها مثل الحرمة ولا بد لنا ما نتحكم فيهم مثل ما نريد ويبقوا عندنا مثل العبيد وتاكلهم العرب بعد عنتر ويبقوا عبرة لمن اعتبر عند القريب والبعيد (قال الناقل) فكان عمرو أخو عبلة يحدثها بهذا الكلام ودموعها على خديها انسجام وقال لها والله يا أختى لما سمعت كلامهم انفطرت مرارتى ومت بحسرتى ولولا خفت من الفتنة أن تقوم بهذه الاشارة لكنت قتلت الربيع وأخيه عمارة وأوقعت بهم الذل والخسارة واسترحت من شرهم طول الزمان وأوقعنا بهم الذى والخسران وأخذنا ثارنا منهم بعوامل الاشطان (قال الاصمعى) فلما سمعت عبلة من أخيها ذلك الكلام اعتراها الهم والغرام ودخلت إلى المضرب وبكت حتى بات عقودها وزاد بكاها وتعديدها وانصرف أخوها عمرو وتركها على حالها وهى زايدة فى بكائها وعويلها (ياسادة) وكان السبب فى ذلك الدعوة التى أتى فيها عمرو أخو عبلة أنه خرج فى تلك الايام يريد الغزو إلى بعض أحياء العرب وصحبته أربعين فارس من أصحاب المنازل والرتب ودولوا فى البرية على المسير وساروا حتى أشرفوا على قوم يسموا بنو فهد وكانوا خلقا كثير وجم غفير وطلب أموالهم بجرمعه من تلك الرجال الاجواد وهم كانهم الآساد وقد أطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة ووقعت بينهم الضجة والرنة وأنطعوا من الاموال ألف ناقة وساقوها من غير تمهل ولاعاقة ومعهما من العبيد جماعة ولما أنهم أبعدوا فى تلك البطاح ثار منهم الصباح وإذا بالخيل قد أقبلت والابطال تلاحقت والاقبال تدفقت وهم ينادون يا أخوذين

يا عذلو لين لقد جلبتم لأنفسكم الدمار وخراب الديار وقلع الرسوم والآثار قال فرق فيهم عمرو أخو عبلة ومن معه وصاح عليهم وحمل وحملت أصحابه معه حملة واحدة ونادوا اخسئوا يا كلاب العرب وأخس من ضرب في البيداوتد وشد طنب فنحن بنو عبس الكرام الضاربين بالحسام المهند وفين بين الضرب بالموت الزؤام ثم أنهم عطفوا على الخيل وانصبوا عليهم انصباب الويل وأنزلوا بهم الحرب وكالوهم كل وأبادوا كل شجاع وقبل فعند ذلك اسفرت الصفاح وحملوا على أعداهم بالرماح وجرى الدم وصاح ونادى الشجاع لا براح. سالت الدماء من الجراح فلله در بنو عبس الكرام وما فعلوا في تلك المعمعة من الصدام وما عملوا في ذلك اليوم من الضراب وكان عمرو يرد الفرسان ويطعن في صدور الأقران وينادي يا أوغاد غير أمجاد أنا عمرو بن عم عنتر بن شداد فلما سمعوا بنو فهد بذكر عنتر اجذم الهم والفكر وأيقنوا بالتعس لما سمعوا ذكر عنتر وبنو عبس وبقوا يعثروا في ذلك البر الأقفر وما بقي لهم على الحرب مصطبر وكان عليهم يوم منكر وحاز بنو عبس للغنائم والأموال والخيل والجمال بعد هزيمة بنو فهد وطلب الانهلال وتفريقهم بين الروابي والتلال وعادت فرسان بنو عبس طالبين بالديار والأطلال وهم فرحانين بالسرور والافيال وخلفوا عند أعدائهم الويل والخيال ولم يزالوا يقطعون البراري والقفار إلى أن وصلوا إلى الديار وللتقاهم الربيع بن زياد وقال عمارة ما قال من الكياد وجاء عمرو إلى أخته وأعاد عليها ذلك المقال فضاق لذلك صدرها وحارت في أمرها ودخلت إلى مضربها وبكت حتى إت الدموع عقودها وعاد عمرو وتركها على حالها من بكاها وعويلها (قال الراوي) وكان عنتر يتسلى زيد بن عروة عن أخيه شيبوب وقد نزل بقلبه منزلة أبيه وكان قد أحبه وسار يردواده وتصافيه واشتغل ايضا بعمرو وذو الكلاب وسار لا يأكل ولا يشرب إلا معه وقد أحبه قلبه واتبعه ولم يزلوا على ذلك الحال وهم في أهنى عيش وإفضال وقد انصرف عنتر بن شداد يوم من الايام إلى أبيات بني قراد فوجد الهيماء أخت عمرو ذو الكلاب خارجة من عند عبلة وهي طالبة مضرب أخيها وذكرت له جميع ماجرى على عبلة من كلام الربيع بن زيادة وأخاه عمارة القوادفتعجب أخوها من احتمال عنتر لذلك الكياد وقال يا أختاه إني لأعجب من عنتر الفارس الهمام كيف يصبر على نجاسات هؤلاء الأنذال اللئام فقالت له يا أخي ما عنتر عندهم إلا مثل الدرة اليتيمة التي ما يعرف لها أحد قيمة لاسيما عبلة التي لم أحسن إن أنصف معانيها وقد ذكرت له يا أخي إن عمارة بن زياد قد عاد أن يعاند أخيها وعنتر بن شداد وأنا أقسم وحق الرب القديم رب موسى وعيسى وإبراهيم لو أني من عبلة لكنت أفعل مثل ما فعلت بقتادة ابن عمي لما أنه نظر في نظرة أسقيتا ألف حسرة فقال لها أخيها يا أختاه نحن عند القوم ضيوف وقد أمنا عندهم من الحتوف صحبة هذا الموصوف فهذا ما كان من عمرو وأخته وما جرى بينهم من الكلام (قال الروى)

وأما ما كان من عنتر البطل الهمام فإنه لما دخل مضرب عبلة وكانت له فى الانتظار وقد تحملت له الجلد والاصطبار ولما وجدها جارية الدمعة بادية اللوعة زاد بلباله وتغيرت أحواله وزاغت عيناه فى أم رأسه ودبت شفتاه وضاع حواسه وبقى عبرة لمن يراه من أهله وناسه وقال لها يابنت العم لا أبكى الله عينيك ولا كان من يشتكى ما هو الذى وصل إليكى من الاخبار حتى أجريتى دمعكى الحدار فقالت له عبلة والله يا أبا الفوارس وتربة عمى شداد ما ابكانى أنا فيه من الهم والانكاد إلا من كلام الاعداء والحساد لأن الماء ينام فى الاناء والأعداء لا تنام عنا ولكن وحياة عمى شداد وتربة أخيك شيبوب ما بقيت تطيب منا القلوب ولا يجتمع المحب على المحبوب إلا بعد أن تبلغنى من الأعداء المراد والمطلوب فقال لها يا ابنة العم أخبرينى ما الذى تجدد من الاخبار وأطلعينى على جليه الآثار الذى تجدد وأوجب هذا الغيظ والحرد فإن كان من الملك قيس أو بعض إخوته ومن يجرى مجراه تركته عبرة لمن يراه ورحلت بك وطلبت عرض الفلاة وآخذ معزل عن جميع العرب وأسكن البر والسبسب ولا أرجع أبصر منهم أحدا بل ألزم الانفراد وأبذل سيفى ورمحى فى الاعداء والحساد وإن كان هذا الغيظ من بنى زياد قريب ألحقهم بأهل المقابر وأمحقهم بسيفى الاكابر منهم والاصاغر وأرحل من هذه البلاد وأسكن البرارى والوهاد وأتجنب أرضا فيها المشاجرة والمناكدة ثم أشار إليها بقول هذه الابيات صلوا يا حاضرين على النبى صاحب المعجزات ﷺ

أيا عبلة بفيض المجارى	فتشتعل النيران بين ضمائرى
أيا عبلة إنى لو أهانك سيداً	لاذللته ذل العبيد الاصاغر
أيا عبلة لا تبكى على فعل ما مضى	وكونى على ذلك الرضا بالتضاجرى
فيا قليل تسمى الندب والبكا	على من يعاديكى يسكن المقابرى
وتبقى عبس بعد عينى ذليلة	نسائهمو يندبن بين الحرائرى

(قال الراوى) فلما سمعت عبلة شعره قالت له يا ابن العم أنا أخى عمرو أتانى باكى العين حزين الفؤاد يشكو من جوار بنى زياد لانه لما أتى من سفره التقوا به بنى زياد وتحدثوا فى عرضى وعرضك بالكلام القبيح وأنا والله ما بقيت أحمل منهم مثل ما حملت ثم أنها بكت وأنت واشتكت وصاحت فى وجهه وولوت ووعدها بكل ما طلبت وقد سلاها بأحسن الكلام اللذيذ وأنه ينتقم لها من كل من يعاندها من الأحرار والعبيد وأراد عنتر بن شداد أن يبلغ مراده ويطفى بوصلها نيران فؤاده فامكنته لذلك من أجل اليمين الذى حلفته فبات عنتر تلك الليلة وحده إلى الصباح وإذا بعبد من عبيد الملك قيس أتى إليه ودخل عليه وخدم وباس يده وتقدم وقال يا مولاى إن الملك قيس يدعوك إليه ليأخذ أخبارك ويطلع على أسرارك وما جرى لك فى أسفارك فأجابه عنتر بالسمع والطاعة وخرج طالب الملك قيس من تلك الساعة

فالتقاه عمرو ذو الكلب خارج الخيام فابداه بالسلام وساله عن حاله وما جرى له وناله واستخبره على مبيته فى ليلته وأمسه وما حل من الهم فى نفسه فاحكى له على ماجرى له بينه وبين عبلة وقال له سر بنا إلى الملك قيس نجدد به عهدا ثم أخذه وسار حتى دخلوا على الملك قيس فوجدوا عنده إخوته وأكابر عشيرته وكل منهم جالس على مرتبته وهم يتذاكرون ماجرى لهم من قديم الزمان وما تجدد لهم من الاحزان فبينما هم كذلك وإذا بعنتر دخل عليهم فى هذا المقام فقام الملك قيس اليه فى سائر إخوته الكرام وقام الربيع بن زياد منافقة للجماعة فجذبه أخيه عمارة من ذيله أجلسه وقال له اقعد فما يكون قدر هذا العبد ولد الزنا حتى تقوم له فهم عنتر بذوة عقله جميع ماهم فيه وقد أخذه عليهم الاحقاد وكذلك عمرو ذو الكلب علم أن أمرهم ينتهى إلى الفساد ثم أنهم جلسوا سائر السادات وأخذت مواضعهم أصحاب الرتب والقادات والعبيد بين أيديهم كما جرت العادات وهم يتذاكرون ماجرى من الوقائع السالفات وتذكر الملك قيس قتل أخيه الحارث هذا وعنتر يخاطب عمرو ذو الكلب وقد احتفل المجلس والملك قيس يبكى وينتحب فانقلب المجلس بالبكاء والنحيب وقال ورقة بن الملك زهير والله يا بنى عمى إن هذه دلائل قطع الآثار وخراب الديار وما كانت تحترمنا العرب وتهبنا إلا بهيبة حامينا عنتر بن شداد الاسد الغضنفر وهذا السيد الآخر الذى قدمه الله به علينا وزال عنا العنا وانجلت عنا الاحزان وأمنا فى طوارق الازمان وأشار إلى عمرو ذو الكلب (قال الروى) فلما سمع عمر ذو الكلب كلامه قام قائما على أقدامه وخدم ودعا وتكلم وقال ياسادات العرب من بنى عبس وعدنان لقد أصبحتم مثلا بين العربان بهذا البطل الباسل والسيد الحلاحل الذى قهر الفرسان بشجاعته وأوقع الخوف فى قلوب العرب والعجم بجسارته وفصاحته براعته وأنا من بعض عتقائه وقد صرت من غلمانه وأصدقائه فاطرحوا عنكم العتاب والملال والقيل والقال واعلموا أن الماضى لا يعاد واصرفوا عنكم الضغائن والاحقاد وتفكروا فيما مضى من الآباء والأجداد فانى ماطاب لى المنام عندكم واقمت بأرضكم إلا لأكون فدا لانفسكم وعبد للملك قيس سيدكم فلما سمع الملك قيس بهذا الكلام جعل يشكره ويثنى عليه وجلسوا القيام وتباسطوا فى الكلام وبنى زياد تتعجب من عمرو ذو الكلب وطول قامته وعظم هامته وفروسيته ومن عنتر الذى قهره ميدانه فقال عمارة إيه يا أخى لو رأيت أخته الهيفاء وما حازت من الحسن والجمال والقد والاعتدال ولها عيون أحد من السيوف الصقال والله يا أخى كنت أشتهى أن أتزوج بها وأتسلى بها عن عبله وأستفيق من سنة الغفلة فقال له أخرس الله لسانك وأضعف الله جنانك هذ وكأنك ماتستحى يا مدلول الشارب أن تكون لهذه الفارسة خاطب فأقسم بالله إن تعرضت لها قتلتك وأنا والله كرهت الحياة من رقاعتك وتعصبت الناس علينا لاجل حماقتك هذا والجماعة مشتغلين عليهم بالكلام

ولكن عنتر باله كان من بنى زياد وما يخفى وما اختلف المجلس باعادة الحديث وتفكروا ما كان عليهم مكتوب وقد تعجبوا من قتلة شيبوب فقال الملك قيس يا بنى عمى لقد عدمنا رأيه وتدبيره على الحقيقة وبعد تفرق كلامنا فى طريقه وبلغنى أن عنتر من حين ذكر شيبوب هطلت الدموع من عينيه والجماعة ينظرون وما يقدروا أن يحركوه وتجددت أحزانه وغمى عليه واسودت الدنيا فى عينيه وأخذ الملك قيس يسأل عمرو وذو الكلاب كيف كان قتال عنتر لبنى ضبة وعمرو يحدثه بما فتل وبما فعل مع أعدائه وكيف قتل سارح قاتل أخيه وكيف أخذ الأموال وعفا عن الحريم والأموال قال بعد هذا وقد فتح عينيه عنتر ونظر إلى الجماعة الذين هم حواليه وهم فى ذكر الوقعة الذى جرت والكائنة الذى صدرت فقال عنتر يا بنى عمى وحق من رفع السما وسما نفسه بالعلى الأعلى ما أنا جاهل فيما مضى ولا أتعرض إلى حكم القضا بل آخذ بالرضا لان الآجال مقدوره والامور مدبرة لان خالق سلط على من لا ينام عن ذكرى ولا يغفل عن كشف سرى ويطلب هلاكى وأنا يابنى عمى قد ضاق صدرى وعمى بصرى وحرت فى أمرى وما فى كل وقت يكون العقل حاضر فى رأس الانسان وأنا أقسم بحق من رفع السبع الطباق المتكفل لعباده بالارزاق لئن لم تنتهى اعدانى من سوء الاخلاق لشتتهم فى الافاق لاننى كل ما وصلت قطعوا وكلما حلمت وعفوت عنهم جهلوا وطمعوا فينا وكلما عدلت ظلموا وها هو الملك قيس يسمع خطابى ويرد لى جوابى وإلا رحلت عنكم ولا أعود أبدا أرجع إليكم فلما سمع الملك قيس ذلك علم أن النوبة عظيمة وأيقن أن المنام الذى رآه صحيح وكان قد رأى منام مهول وإن شملهم لا بد أن يتفرقوا فقال الملك قيس يا أبا الفوارس نحن قد اجتمعنا لنصرف ما تجدد من الاحزان وقطع حبل الجفا والهذيان ونوصل حبل المودة بين الأحبة والخلان فقد مضى ما مضى وأنا خائف عليك مما قد رأيت لكم فى المنام فقال له عنتر يا ملك ما على من تلك العشيرة أضر من الربيع بن زياد وأخيه عمارة القواد وفرسهم تقع الحرابة فلما سمع الربيع هذا الكلام رجع إلى خبثه ومكره والمحال وعلم أن عدوه ما يبلغ آمال مقام إلى عنتر وقال له يابن العم لم تزل فى ذلك التضض من جهتنا ونحن ما عندك غير مسعود فيا الذى وصل إليك عنا من النميمة حتى ما جعلت لنا قدر ولا قيمة فقال له عنتر لما قد ابن عمى عمرو وأخو عبلة من السفر قد اشتعلت فى قلبه لهيب الجمر فأنا والله قد فنى منى الصبر وها لتى ذلك الأمر فقال الربيع بخبثه والله ما دهاه والله يا أبا الفوارس ما كان كلامنا معه إلا على سبيل المزاح والحبور ولم ذكرناك أنت بسوء ولا مكروه وهؤلاء السادات تشهد على مقالى وأنا أعلم أنك حليم على قبيح فعالى وما نحن إلا فى ظلك وظل سيفك وسنانك رمحك قال المؤلف عندها لان عنتر عند سماع هذا الكلام وفتر عما كان عليه قد عزم من الفعال وقال له الربيع أنت يابن العم تاجنا وحصننا

وعليك بعبدالله اعتمادنا فى الشدائد الكبار فقال عمرو ذوالكلب يا بنى عبس الكرام ابطلوا
عنا هذا الكلام واتركوا الملك قيس يحدثنا بما رأى فى المنام فامتثلت الجماعة كلامه وامتدت
العيون تنظر إلى سؤاله فقال الملك قيس اعلموا يا بنى إنى ما جمعتكم إلا بهذه
الأسباب التى أنا منها فى نار الالتهاب وحق من يعلم كل سر مكنون أنى لو قدرت اليوم أنى
أضع عنتر فى بياض العيون ما كنت على ذلك مغبون (قال الراوى) فلما سمع عنتر هذا الكلام
قام قائما على الأقدام وقبل الأرض بين يدى الملك قيس وقال يا ملك اشرح لنا ما فى خاطرك
وبين لنا ما رأيت فى منامك ولذيذ أحلامك وأفرج عنك بجهده من اجتماعك فقال الملك
قيس يا بنى عمى إنى من يوم قتل أخى الحارث حملت هم عظيمة ونمت تلك الليلة وأنا فى هم فرأيت
كأنى طائر بين السماء والأرض وكان حولى طيور مختلفات الألوان من بواشق وسقور
وغربان ونسور وعقبان وإذا قد أقبل على هذا الطيور وحوش وتغلبوا عليهم من ثعالب
وضباع ونمور حتى امتلأ بهم البر البقاع واحتاطوا بتلك الطيور من كل جانب وساروا
يجدوا عليهم فى الطلب وهذه الطيور تطلب الهرب حتى تفرقوا وصاروا يضربه
وتفرقوا بين الشعاب والأرغام والبرارى والجبال والوحوش تخطفها من اليمين والشمال
فانتبهت وأنا خائف من هذه الأحوال وإلى الآن وأنا موسوس من هذه الأهوال
فأفيقوا والزموا السداد ودعوا عنكم هذا العناد واسلكوا طريق المحبة والوداد ثم
جعلوا بنو عبس زياد وآل قراد يتحدثوا فى التفرق والاجتماع ولم يزالوا كذلك
حتى أقبلت العبيد بالطعام فقطعوا ذلك الكلام وأكلوا وشربوا ولذوا وطربت وتمت
الأمور والاحكام وبقوا كلهم كذلك إلى قدوم الظلام وتفرقوا طالبين منازلهم والخيام
وسار عنتر وعمرو ذوالكلب إلى أبياتهم ودخل عنتر على عبلة فسألته باجتماعه إلى الملك قيس
فأخبرها بما جرى وقال ابنت العم وحق من خلق العباد وسطح المهاد أشفى وأسعد أهلك
الجبابرة والاضداد الذى أعزوا أهله وجمع وفرق وليس لأحد فى مراده مزاد لأورين بنى
زياد ما أفعل من الكياد واجعل نهارهم كله سواد فقالت له عبلة لا ترحل بنا من عندهم
ونترل عند بعض أصدقائك فقال عنتر والله ما أرحل حتى أشفى قلبى من بنى زياد وأفى بقولى
واحد حقك من غريمك وأرفع رأسك وأنفذ يمينك فهذا ما جرى من الكلام (قال الراوى)
وأما ما كان من بنى زياد اللئام فإنهم بعد انصراف عنتر قالوا بحضرة الملك قيس فقال الربيع
ابن زياد يا ملك أتحسد لعنتر أن تكلم فينا هذا الكلام الشنيع وأنت الآن حصننا المنيع
وركننا الرفيع فقال الملك قيس يا بنى عمى مالى إلى معاداة عنتر من سبيل لا سيما وصار له مثل
هذا البطل النبيل وقد صار هذا الامر بينكم قليل وهو لقمع آثارنا دليل فقال عمارة أكون
أنا الوهاب وأذل إلى العبيد الكلاب خصوصا هذا العبد المرتاب وذنا الغراب لا بد لى من

قتله قريبا غير بعيد لان كلامه فينا بالأسا يزيد واليوم فى مجلسك أردت أقوم إليه وآخذ روحه من بين جنبيه ولكن خفت منك ومن عتبك وملامك وفسخ غرضك وذمامك فقال قيس ياعمارة لا تتعرض لعنتر بن شداد فيقتلك ويعجل حمامك والله لو فعلك ذلك لاكلتا الغربان وما كان عمرو ذو الكلب وأخته قناصة الرجال يدعوا منا إنسان وقد انفض المجلس كلا منهم يتكلم بما يقدر عليه من الفشار فلما كان ثانى يوم ركبت بنو عبس إلى غدير ذات الارصاد كما جرت عادتها وقدم جرير إلى أخيه عنتر جواده الابجر وإذا بعبد من عبيد الملك قيس القاه وكان هذا العبد يقال له ناصح وقال لجرير اعلم أخيه عنتر وأوصيه يحترز على نفسه من بنى زياد لانهم بعد ما عاد أخيك من الديار تكلموا مع الملك قيس وقال لا بد عن قتله وأعجل من الدنيا مرتحله ومولاى قيس قال وقال من الكلام ثم أعاد العبد عليه القصة من أولها إلى آخرها وقال فى آخر كلامه وأنا من محبتى أخيك قد أوضحت لك الخبر فقل لاخيك يأخذ حذره بقدر ما يقدر ويعقل إن الشجاعه لا تنفعه مع القدر لانه يصم الاذان ويعمى البصر ولقد أفلح من قال شعر

إذا لم يساعدك الزمان بنفعه ... فحاذر وباعده ولا تتقربا
ولا تحتقر رجلا ضعيفا فلربما ... تموت الافاعى من سموم العقربا
فلقد قبلا عرش بلقيس هدهد ... وأخرق فار السفينة وأخربا

(قال الراوى) فلما سمع جرير هذا الكلام شكره على فعاله وقال له لا عدمتك ياابن الخالة من ناصح ثم انصرف العبد من عنده وأما جرير قدم الجواد لاخيه عنتر فركب وعبلة توصيه بسرعة العودة إلى الديار لانها تلك الايام ما بقت تجد عنده اصطبار ولا يقر لها بعده قرار وصار جرير فى ركابه يحدثه بما جرى من الربيع وأخيه عمارة السقيع من الكلام الشفيع فى حضر الملك قيس وهو يقول له يا ملك كيف ترى ما حل بنا من هذا العبد ابن اللئام فحمل عنتر من ذلك هما عند سماعه هذا الكلام وقال لاخيه كتم الساعة أنت ما سمعت فلا بد ما أقتل الاثنين أشر قتلة ثم ساروا قليلا وإذا بعمرو ذو الكلب وأخته الحتفاء قد أقبلا يطلبوه وعن خبره يسألوه فقال يا عمرو يا أخى إيش جرى لك مع عبلة الليلة من الوداد فقال عنتر إيش أقول لعن الله بنى زياد الجميع أولهم عمارة وآخرهم الربيع فقد سمعت بالامس لكثرتهم لنا فى الظاهر كان بذلك خلاف ما أحقته لنا الضمائر فوالله لاسكنهم فى هذه الايام المقابر ثم حدثه بما جرى له منهم وما سمعه من العبد وقال لقد أخبرنى بذلك من كان حاضر عندهم وأوصانى أن أكون مطمئن منهم وقالت القناصة بعد ما سمعت هذا الكلام ياأخى وحياة عينى عبلة إن أردت أن أخطفه من سرجه وأقتله أينما قتله لفعلت وقد حدثتنى بجميع ما جرى منهم أختى وكنت أقسمت لا تتأخر عن بنى زياد وأشتفت لسانهم فى سائر

البلاد وأقطع عنك هذه الفتنة والعناد وآخذ ثار أختي عبلة منهم وأتركهم عبرة لسائر العباد وأروي الأرض من دماء هؤلاء الأوغاد فقال عنتر يا أخي لا تحرك ساكن إنما أريد أن أحزم أمرهم وأشفي صدري منهم وأطلب أرضنا والأوطان فو الله ما طلبت نفسي سماع الزور والبهتان ومن جرد في وجهك حسام طعنته في صدره بالسنان ثم أنهم ساروا وهم على مثل ذلك الكلام وإذا بالملك قيس وقد التقام والربيع بن زياد من بر الخيام ولما رآه الملك الملك قيس ميل إليه وسار بجانبه وجعل يحادثه ويؤانسه وسأله عن ليلته وشغل قلبه وعنتر شكر وأثنى عليه وسار في ركابه وهو يقول يا أبا الفوارس قد بقي عندنا من احزان ما لا نقدر نصفه بلسان وأنا عزمت أن أعمل وليمة وأجمع فيها السادات والفرسان ونصرف عنا الهموم والأحزان بمعاشرة هذا السيد الذي قد صار صديقنا ولولا أنا الجيل والاحسان لا ننام من يوم عرفناه ما حضر معنا على بساط الهنا والمسرات بل ندفع به السيئات والمصائب الهائلات ولا جلس معنا في أوقات اللذات وعسى أن يكون الزمان عنا قد غفل فقال له عنتر نحن على ما عزمت تابعين أفعالك غارقين في إحسانك وأفضالك ثم أنهم صاروا كجري العادة إلى أن تضاحى النهار فعادوا إلى الديار وقد أعلم عنتر لعمرو ذو الكلب بهذه الأخبار وما وقع بينه وبين الملك قيس من الكلام وقال له والله يا أخي قلبي ما بقي يصفى لهم ولا للملك قيس أيضاً وذلك من أيام عملوا الدعوة وأرادوا قبضي وتسليمي إلى الملك الأسود ونصرني الرب القديم عليهم وأنا كاره صحبتهم فقال عمرو ذو الكلب يا أخي إذا كان كذلك فدعنا نقتل عمارة والربيع ولا نبالي برفيع ولا وضيع فقال عنتر يا أخي قلبي ما يحدثني إلا بقتل الربيع وعمارة الصقيع وبعد ذلك نقضي الدين من الجميع نال نجد هذا ما جرى ههنا من الكلام بالتحرير وأما ما كان من الملك قيس بن زهير فانه عجل بتعجيل الدعوة وما علم أنه يحدث من بعد الأمور أمور وإن لكل شيء انتهاء إذا جرى به المقدور إلا أن الملك قيس ما جاء عليه نصف الليل حتى صف الكاسات والطاسات وقدم الطعام وروق المدام واجتمعت السادات على الجنك والنايات وجلست الناس على قدر الطبقات وجلس الملك على سرير ملكه وأخرج ذخائره وفتح خزائنه وجعل يخلع على الأصحاب والخلان وطلب بذلك صفو الحقود وتجديد العهود وأنه خص عنتر وأمره أن يحضر معه عمرو ذو الكلب وأخته الهيفاء وكان عنتر ذلك اليوم عند عمرو وهم يتعايدون ما جرى عليهم من غدرات الزمان وإذا بعبد الملك قيس قد دخل عليه وقال له يا مولاي الملك قيس يدعوك إليه أنت وصديقك عمرو فقال عنتر اذهب فيها أنا خلفك فذهب العبد إلى مولاه

(تم الجزء الحادي والخمسون ويليه الثاني والخمسون)

الجزء الثانى والخمسون

من سيرة عنتر بن شداد

(قال الراوى) وأما عنتر فركب جواده الابجر وأخذ عمرو ذو الكلاب معه وسار إلى الملك قيس فرأى السادات محدقة والإمارة والقادات فبذلوا المجهود عند ما دخلوا للسلام فقام لهم الملك على الاقدام وقام لهم كل من حضر عنده الوليمة وحيوهم بالتحية والاكرام وجلسوا عن يمين الملك قيس وكان الربيع وأخوه عمارة جالسين من الجهة الثانية وأخذ كل واحد منهم مكانه وقر قراره ودارت عليهم الكاسات ورقصت المولدات ودار بينهم الهزل والجد ونهبوا أوقات اللذات وطابوا من سماع المغنيات وزادوا فى عنتر بالشكر والثناء هذا والربيع وعمارة قد انفطرت سرائرهم فعند ذلك نهض وهم جالسون وهو ينظر إلى الربيع وقد توهم أن ماله عنده لا قدر ولا قيمة فسمع الربيع يقول لعمارة ياوهاب هذا وقتك انظر عنتر وحيداً فريداً وقد وجدنا منه فرصة وهو الآن سكران فقال عمارة وحق ذمة العرب أنا لا بد لى من قتله واصرم عمره فلما سمع عنتر هذا الكلام اسودت الدنيا فى عينيه ولا بقى يعرف ما بين يديه وتحقق صدق ما وصل إليه من الكلام الذى ألقى إليه فسل حسامه الصامى الابتر ووثب ولحق الربيع قبل أن يثور وضربه قسمه قسمين ولما نظر عمارة أخيه وهو مقطوع قطعتين فثار والحسام مجرد وأراد يهجم على عنتر فضربه عنتر بالضامى الابتر شقه شطرين وانقسم مثل أخيه قسمين وقد هلك الربيع وعمارة فى ساعة واحدة وحلت بهم الخسارة فلا رحم الله الاثنين ولما قتل الربيع وعمارة وقعت فى بنى عبس الخسارة ولما نظر الملك قيس إلى تلك الحال فعظم ذلك عليه وكبر لديه ولطم على وجهه ورأسه حتى برز الدم من أنفه وأضراسه وخرق ما كان عليه من لباسه وبهت كل من كان حضر من جلاسه بما فعل عنتر وأيقنوا بحلول العبر والبلاء المصور وانقلب المجلس بما فيه وخرجت المذللة بنت الربيع زوجة الملك قيس وابنته الجمانة وقد نكوا ما كان عندهم من الامانة وهلبت الخيل وانقلب الحى بالحزن والويل وقطعت الزوائب وندبت النوادب وقامت الاحزان والشجون والهوان والمصائب وحس قلب الملك قيس بالشتات وشرب كاس الممات وتحسر على ما فات وصار الضياء فى عينيه ظلام وصدق المنام وكثر البكاء والويل ولطمت الجمانة وأمها المذللة وزادوا فى البكاء والاهوال والنواح والتعداد وقامت عليهم القيامة وأيقنوا بكل ندامة ومزقوا ملبوسهم وحثوا التراب على رؤسهم هذا ما جرى ههنا (قال الراوى) وأما ما كان

عنتر لما قتل عمارة والربيع أولاد بن زياد وتركهما عبرة للعباد وقد أظهر عمرو وذو الكلب اهتمامه وجذب حسامه وبعد قتله طلب عنتر الخيام وفى يد كل واحد منهما الحسام وقدمت العبيد الخيل فركبا وعزما على كل من تبعهما مددوه على الصعيد وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى أبياتهما فوجد قناصة الرجا قد اعتدت بعدتها عند ما سمعت الصياح هذا وعبلة قد بكت على عنتر وخافت عليه من البؤس والضرر وما سكتت حتى رأته مقبلا مع أصحابه كأنه الأسد القسور وقد أقبل وعمرو وذو الكلب بجانبه وهو يقول له عن إذنك أقيم الحرب على قدام وساق وأفنى بنى عبس وأشبع منهم الرخم وعنتر يهدر هدير السباع إذا كانوا جياعا وإذا بورقة بن الملك زهير وقد دخل عليه والدموع تتناثر من مآقى عينيه وهو يقول له يا أبا الفوارس قد بيضت وجهك اليوم وأرحت نفسك من العتب واللوم ولكن أخى الملك قيس يقول لك أما أن ترحل أو يرحل هو ويفوت لك الأطلال فقال له أنا أرحل فى عاجل الحال ولا بقيت أجاور بنى عبس أن كان قيس أو خلافه لا وحق الملك المتعال ولا أتكل إلا على حسامى الفصالى ورمحى العسال ثم أنه فى عاجل الحال هدم خيامه وطوى أعلامه وكذلك فعل عمرو وذو الكلب وقناصة الرجا وفرسان بنى قراد الأبطال ورحل عنتر من بنى عبس وهابتهم العين والنفس وزعق فى نفوسهم غراب البين وحام منهم الحين وأما عنتر فسار بمن معه من الرجال يطلب له منزلا ينزل فيه ومسكنا يأويه وهو يقول إذا بعدت عن بنى عبس سوف يروا ما يذوقوا من الهوان فقال عمرو وعلى ماذا عولت أن تنزل يا أبا الفوارس فى أى مكان فقال عنتر نقصد أرض العراق ونقيم هناك ونتوكل على الملك الخلاق وننزل على جانب الفرات وأفنى ما هناك من الجبابرة العتاة وما بقيت أجاور عبسا أبدا ولو شمتت بى العدا فقال عمرو الأمر إليك وما أنا بين يديك فسار بالظعن والعيال والحريم والأموال وقطع المنازل الأطلال والعرب تجفل بين يديه وسارت تدفق من قدامه ولا تقبل عليه وهم راحلين من منهل لمنهل وهم يقطعون بين أيديهم الوديان والطلل وما زالوا كذلك وعنتر بين أيديهم إلى أن وصل إلى بحر الفرات مقابل مدينة عانة ونصب بين الفرات ومدينة عانة وكان هناك خليج يسمى العارضيات فنزل عنتر وضرب خيامه ونصب أعلامه ومد أطنابه وعلاقيابه وسرح أمواله ونوقه وجماله وأقام فى ذلك المكان الخصب والمرعى والكلا والمياه العذاب وقال أنا أقيم فى هذه الأرض وأحميها طولا وعرضا ولا بد لبنى أن يندم على بعدى غاية الندم لأنهم كانوا فى أمان واطمئنان ثم أنه شرع مضربا من الحرير الأصفر بأعمدة من الصندل والعود القاقلى مطلى بالذهب الأحمر وأطنابه من الحرير الأخضر ونصبه إلى جانب الفرات وقد فرش فيه من الفراش والزرابى والنمارق من أخضر وأصفر وأحمر حتى صار بهجة لمن يراه وكان هذا المضرب وجميع ما فيه من هذه الأشياء التى ذكرناها كان أخذه عنتر

كسرى أنوشروان وكأن اسمه نصف الدنيا وصار يصف فيه الطاسات والكاسات وهو كل يوم يشرب هو ومن معه من الفرسان ويلهو ويطرب وكان عنتر قد نظر إلى الهيفاء هذه المدة ونظرها بعين المحبة والمودة والادلال وطول الصحبة وصار من عينها حاصل وصار الحب على وجهه له علائم ودلائل وتجدد عليه ما كان في زمن عبلة من الحصائل وما زال على هذا الحال إلى أن قرر اره على جانب الفرات وتحدث مع عمرو أخيها في زواجه لأخته واستشاره فيما يريد أن يفعل ففرح عمرو بذلك وما صدق أن يصح له الأمر وقال يا أبا الفوارس أنا من جملة غلمانك وخدامك وقناصة امتك وسر عمرو وتحدث مع اخته بهذا الحال واخبرها بما قال عنتر من المقال ففرحت بهذا الكلام غاية الفرح وانسع صدرها وانشرح وقالت له يا أخي المراد ما استغنى عن زوج وأنا ما أريد زوجا أوفى من عنتر وما أطلب أعظم من هذا الفارس الفضنفر ففرح عمرو باجابة اخته بالزواج لعنتر وسار إليه بالخبر ففرح الآخر بفعله واستبشر من ساعته وأخذ بيده عنتر على الزواج وصالحه وناكحه واتفق الامر على ذلك وكل منهم أراح ومن تلك الليلة ضربت الليلة ضربت خيمة الزفاف وانقضى الامر ولا به اختلاف وكان كله مخفي عن عبلة لأن عنتر كان يقضي نهاره وهو وعمرو وذو الكلاب في أكل وشرب ونعيم زايد ولم يزل على ذلك إلى أن مضى من الليل القليل ولما جرى ما جرى لقناصة الرجال من ذلك القيل والقال وزواج عنتر لها ولما انقضت سبعة أيام من الولائم دخل بها وأقام إلى آخر الليل وأتى إلى عبلة وقت السحر وما عندها من ذلك خبر وأقام الامير على ذلك المنهاج وهو مع قناصة الرجال وحاله مكتوم وقد انتقوا بعضهم البعض وبقوا روحين في جسد واقاموا على ذلك مدة أيام وهم في أهنى عيش وانعام ولسى بني عبس الكرام (قال الراوى) فهذا ما كان من عنتر وأما ما كان من الملك قيس وبني عبس فانه بعد رحيله أمر بدفن الربيع وعمارة فدفنوهم وحزنوا عليهم ونحوا على قبورهم النور ودام أمرهم في حزن وثبور ثم أنه بعد ذلك جمع قومه وأهله وعشيرته وما يلوذ به من يومه وقال لهم اعلموا يا بني عبس إن من بعد حامينا عنتر تطمع فينا فكونوا الآن على أهبة الحرب والنزال وخذوا حذركم من أحد يطرقكم وكونوا محترزين على أموالكم وعيالكم لأني والله خائف عليكم لان سائر العرب ما كانت تهيبكم إلا لاجل حاميتكم وابن عمكم عنتر فارس البدو والحضر والآن بعد في بني عبس سهم القضاء والقدر فلما سمعوا بنو عبس من الملك قيس كلامه ما بقى أحد منهم إلا وقد تحسر على فراق عنتر ولا بقى أحد منهم يقدر أن يخرج من الابيات وقد وقع بهم الخوف والفزع وخافوا أن تخطفهم العرب خطف النسور والعقبان ببعد عنتر عن الاوطان وأيقنوا بالفناء والدمار وقطع الاعمار وضاقت بهم جميع الاماكن وحرموا شرب الخمور مدارا وقد وصلت الاخبار إلى جميع العرب الاخيار بان الامير عنتر على بني عبس غضبان

وتركهم وراح ونزل على بحر الفرات وتلك الوديان مقابل أرض العراق وديار بنى شيبان فتباشرت جميع العربان ونووا على أخذ الثار من بنى عبس الأخيار وان ينتقموا منهم غاية الإنتقام ويكونوا يداً واحدة على هلاكهم والارغام وكانت العرب جميعهم من بنى قحطان لا يقدروا أن يمسوا بنى عبس وعدنان بسوء ولا ضرر مخافة من أبى الفوارس عنتر ولما اتفق لهم هذا الاتفاق وبلغهم أن عنتر سار إلى العراق اجتمعت خمس قبائل من العربان ونووا على هلاك بنى عبس والقلعان فهذا ما كان منهم وما اتفق من الكلام العجيب الذى يسطر فى الورق بأن فرقة من بنى عبس وعدنان كانوا مائتين فارس أعيان يقدمهم الأمير قرواش ابن هانىء وابن عمه بشر النهانى والأمير عبيد بن مالك صاحب الوجه الضاحك وعياض بن ناشب وغالب بن ثابت طلعوا بمن معهم من الفرسان قاصدين الغزو على أحياء العربان وكان ذلك بخلاف رأى الملك قيس بن زهير ولما ساروا وجدوا المسير بالجد والتشمير إلى أن وصلوا إلى حلة من بعض حلل العرب يقال لها بنو فهد ولما حصلوا فى مراعيهم غاروا على أموالهم وأمروا رجالهم بالجملة وتراكضوا مثل العقبان وصاحوا يا لعبس يا لعدنان ثم أنهم قطعوا من المراعى ألف ناقة وقد ساقوها بعظم استطاقة وصاحوا على العبيد الرعيان ويلكم يا أولاد الزوانى سوقوا المال قدامنا وإلا خضبنا من دماكم سنا قنانا ثم أنهم ساقوهم وعطفوا راجعين وهم على ما اكتسبوا فرحين هذا وقد وقع الصوت فى الحلة فصاحت الرجال وركبت الأبطال وقد أطلقوا الأعنة وقوموا الأسنة وجدوا خلفهم إلى أن أدركوهم وصاحوا عليهم إلى أن تسيرون بأموالنا يا مذلولين ونحن لكم طالبين فعندها برز إليهم من بنى عبس فارس كأنه الليث العابس وقال لهم يا ويلكم يا اللئام نحن من بنى عبس الكرام أسود الحرب وصناديدها وليوثها وأماجيدها فلما سمعوا تلك الفرسان نداهم وعلموا أنهم من بنى عبس وعدنان عادوا إلى قومهم وأعلموهم أن بنى عبس أغارت عليهم فعندها فزت الحلة عن بكرت أبيها وعولوا على الحرب والقتال والطعن والنزال ولا زالت الفرسان سائرين حتى تلاحقوا ببنى عبس وعدنان وحملوا عليهم حملة واحدة فعندها تلقوهم بنو عبس وكان كذلك عند طلوع الشمس وصاحوا فى أوائلهم قرواش بن هانىء وقال ابنى عمى دونكم وهؤلاء الأنذال فنزلوا عليهم نزول السيل إذا سال فأثخنوهم بالطعن والنزال ولما حملوا على بنى عبس الذئاب الطالس انصبوا عليهم انصباب الليل وا... وهم كيلا أى كيل وكردسوا الرجال من على ظهور الخيل وأنزلوا بركابها الذل والويل وقد بددوا أعداهم غصباً ونهبوهم نهباً وبددوهم شرقاً وغرباً فعند ذلك تولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وتفرقوا فى البرارى والقفار وعاد الأمير قرواش وأصحابه وهم فرحين وبالنصر والظفر مستبشرين هذا وقرواش سائرين إلى الديار وهم ينشد هذه الأشعار .

قف بالمطى على الديار وقل لها ... حييت من طال وعز مقام
ارأيت منا كل ليث باسل ... ذا هيبة كالاسد فى الآجام
نحن لنحمى فى الحروب حريماً ... بالطعن صدقا فى الورى وكرام
سل بنى فهد وجمع عديدها ... عما لقت فى يوم حرب خصام
حتى انهوا ومياه الجو ظاهرة ... رغم وليت لظاها كنظام .

(قال الراوى) إلا أنهما فرغ من هذه الاشعار حتى لو طلع من بين يديه غبار علا وثار وبعد ساعة تمزق وانكشف وبان من تحته سمائة فارس اسود عوابس كأنهم الاسود القناعس وهم فى الحديد غواطس ومن تحتهم خيول أخف من الغزلان وهم فوقها كأنهم العقبان يقطعون بها الارض والقيعان وعلى أكتافهم عوامل الاشطان يقدمهم فارس كأنه قطعة جلود وهو فى تقاطيع الاسود وهو غارق فى شكته غائص فى لامته وتلك الرجال والابطال كانوا أشد الرجال وهى من خلف مقدومها تسير وهم ينادون يا آل قشير خلو ايا ويلكم عن الاموال والغنائم من قبل أن تحل بكم العظائم ولا تترك أحد منكم يعود سالم فلما علم منهم الامير قرواش وسمع منهم فنبه أبطاله والرجال فتقدم هو من دون بنى عبس الكرام إلى أن صار بين يدى الخيل وقال ويلكم يا لئام غير كرام من تكونوا من عرب الآكام حتى تهجموا على بنى عبس الذئاب الطلس والاسود العبس الذى قد أفنت الابطال ومدت الافيال وقطعت منهم الاوصال (قال الراوى) فلما سمع مقدم القوم من قرواش هذا المقال قال له من تكون أنت من بنى عبس الرجال فقال أنا قرواش بن هانى صاحب الفصل والنهانى فارس الخيل لعدوى ولصديق النيل فلما سمع المقدم على القوم ذكر بنى عبس اهتز على سرجه طربا ومال عجبا ونادى يا آل قشير وهل تكون طلبتى إلا أنتم يا أشرار لعلى أفضى منكم الاوطار واستوفى بعض الثار ويقر منى القرار وكان هذا الفارس يقال عبد العزة وكان فارساً جبار وبطل مغوار وكان عنتر قد أسره فى أوائل منشأ وقتل ابن عمه وأخاه وذلك فى أيام قتل عون بن بدر وخلص منه أموال مالك بن زهير الذى كان أرسلها إلى بنى غراب ثم أن عنتر أسره ورماه ولما جرى وطالت الايام فبقى فى قلبه علة تتردد ولوعة تتجدد وكانت العرب تعايره بأسر الامير عنتر فيقول تمهلوا على ولا بد من أخذ ثارى وأبلغ أوطارى وكان كلما أراد المسير إلى بنى عبس تمنعه المقادير ولا يجد إلى ذلك من سبيل فكان من القضاء والقدر والامر الذى تجدد وتدبر أن هذا الفارس ركب فى بعض الايام فى خمسمائة فارس من قوم بنى قشير وصار يكبس بعض أحياء العرب وعليهم يغير ولما كسب من الاموال والنوق والجمال وسار طالبا منزله والاطلال وإذا به قد التقى ببنى عبس صدفه وجرى ما جرى من الكلام المسطور ولما تقابل الجيشان وتصادمت الاقران قال قرواش لبنى عبس يا بنى عمى .

الغنيمة الغنيمة وأما عبد العزة فلما رأى تلك الأموال وأبصر قلة الرجال داخل فيهم الطمع وعلم أنه فيما يريد قد وقع ولما تحقق أنهم بنو عبس وعدنان تذكر ماله من الثار ثم أنه قفز ما بين الصفين واشتهر بين الفريقين ونادى بأعلا صوته وقال يا بني عبس إلا من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فما بي خفى أنا عبد العزة بن اللات القشيري وبعد هذا ما أبقى عليكم لأن لى ثاراً قديم عندكم ولكني رأيت قلتكم وأخذتني الشفقة عليكم وقد برزت في الميدان ومحل الضرب والطعان لأني لو أمرت هذه الفوارس أن تحمل عليكم بجمعها لطحنتكم طحن الحصيد وشتتكم في القفر والبيد بل إني طلبت منكم الانصاف وقلة الاشراف فمن كان منكم فارس كريم يعرف بين الفرسان فليبرز إلى حومة الميدان ثم أنه صال وجال ولعب برمحه العسال وأنشد وقال :

إذا شئت أمطرت الدمالون عندم	وجندلت فرسان الهياج بلهذم
أنا ابن كرام الناس في كل مشهد	أصول عليهم في الوغا بتقدم
هلموا إلى ضرب السيوف فإنني	حرمت وما طعني على بمحرم
أنا فارس الفرسان ليس مقصر	وأقطع رؤس الحاسدين بصارم
فمن كان منكم فارساً ذا حمية	يجول نهار الحرب عند التصادم
يجى يلتقى طعني وضربى في الوغا	ويصبر لمعسول السنان المقوم

(قال مجد) فما أتم عبد العزة كلامه حتى صار الامير أسيد بن جزيما قدامه وصاح فيه اسكت يا ابن اللخناء وتربية لوثا فقد أتيت بالبهتان والزور وتكلمت بكلام غير مشكور وأنت مدحور ومذلول ولكن من أعتق مثلك فقد أخطأ وكان ذلك منه غيظا وقال له يا ويلك حاميتنا عنتر أطلقك من الأسر والضرر وتعود بعد ذلك إلى الخبث والغدر فأبشر بالدمار وخراب الديار ثم أنه أجابه بهذه الأشعار :

ما الفخر إلا ضرب الهام بالخذم	لم أخش الحرب يوم الروع والعدم
أنا الذى ترعب الأبطال سطوته	عند اشتباك القنا والخرق تصدم
هل فيكموا بطل يدنو إلى بطل	عاداته الضرب في الإيثال والندم

(قال الراوى) وبعد ذلك حمل على بعضهما البعض وجال كل منهما على صاحبه وقد احترز من طعنه ومضاربه وجالا طويلا وا عترا كاميلا وفارس في الأوابد وصبرا على الشدائد وقد علا عليهما الغبار حتى غابا عن الأبصار وكان عبد العزة فارس جبار يرجح على خصمه الدرهم قنطار فاستجاده بطعنة في صدره أخرج سنان رمحه يلمع من ظهره فوقع على جواده وغاب عن إرشاده ثم أن عبد العزة صال وطلب الحرب والقتال فلما رأى الأمير قرواش إلى ذلك ضاقت عليه المسالك لما راى عنه ما لك فصار النهار في عينيه كالليل الحالك فعند ذلك خرج

وإليه قد هانت عليه نفسه وأيقن بحلول منيته وصاح فيه وقال ويلك يا ابن الأنذال لقد قتلت بطلا يسوى قومك وأهلك وبنى عمك ثم أنشد يقول صلوا على طه الرسول :

لست أنسى والله ذات الوشاحى حتى تأتى بخدها الوضاح
ثم مالت كغصن بان ولاحت مثل بدر أو مثل ضوء الصباح
فترشفت ثغرها شهد خمر ورحيقا مازجه ماء القراح
ثم قالت يا فارس الخيل تخشى فى الهوى من مقالات اللواح
قلت ولا الحطيم والركن والبيت هـواني الفارس الجحجاح
بينما نحن فى العيش إذ أتتنى رزية فى الصباح
فجعتنى وأورثنى خبلا فسلبت الأشواق والأفراح
وقطعت المهامة والقفر جهدا آخذ الثار فى نهار الكفاح
وأثير حربا عونا وضربا فى دجا الليل أو طلوع الصباح
وافتخارى يا آل عدنان دوما إذا كنت فى جميع النواح
فابشروا يا بنى القشير بليث من بنى عبس ما يمل من الكفاح
قاتل الرجال فى الحرب دوما ومبيد العدا بحد الصفاح

(قال الراوى) فلما فرغ شعر قرواش أجابه عبد العزة على عروض شعره بهذه الأبيات يقول :

لست ممن يعنى بذات الوشاح لا ولا يشتغل بحب الملاح
دع صفات الخدود والقد أيقنا ثم صف الكاسات والاقداح
مع سليمان ومع سعاد وليلى وجميلة وأهل الوجوه الملاح
وصف الحرب والقنا عند طعن وضرب المهند الصفاح
قسما لو لقيت بأسود ليث عنتر فارس الربا والبطاح
لم أخفه من موقف الحرب يوما ومن اطعن أسقه كاسا أطفاح
سوف أشفى نفسى وأبلغ سؤلى من بنى عبس مقام الكفاح
وأنا الفارس القشيرى ليث واسمى بقابض الأرواح

(قال الراوى) ولما فرغ عبد العزة من شعره ونظمه زحل قرواش فى مقام الطعن والجواش وجالا طويلا واعترا كاميلا وتضاد باضرب أحر من الجمر وتطاعنا طعنا أمر من الصبر ودام بينهما القتال واشتد الحرب والنزال هذا وعبد العزة يصول على قرواش ويجول ويأخذ الميدان عرضا وطول كأنه الأسد الأكوال إلى أن أورثه الخبال وأشرف منه على الوبال وقد كثر منه الاغتبال وقل من عزمه النشاط وقد استظهر عبد العزة عليه وتيقن أنه قد وصل إليه فبينما هما على ذلك الحال وإذا بغيرة قد طلعت وعجاجة قد ارتفعت وبانت بعد

ساعة وانقشعت وظهر من تحتها بريق الصفاح ولمعان أسنة الرماح ثم انكشف ذلك الغبار وارتفع ذلك النقع المرباد وكان من تحته ألف فارس كأنهم الأسود العوابس وعلى أكتافهم عوامل الأشطان وهم ينادون يا آل عبس يا آل عدنان والأمير عنتر فى أوائل الفرسان كأنه الأسد الغضبان أو النمر الجردان وقد أخرج يده من جانب درعه لأن الشجاعة أصله وفرعه وهو ينادى ويقول ويلكم يا أوغاد عودا ن السادات الأجواد فقد أتاكم عنتر بن شداد فابشروا بالشتات والبعاد والتفريق فى سائر البلاد (قال الراوى) وكان السبب فى مجىء عنتر ابن شداد فى هذا البر والوهاد عبلة بنت مالك بن قراد لأنها كانت جالسة بين إيوالها وإذا بعبد من عبيد الملك قيس قد أتاها وأعلمها بهذه النوبة العظيمة على لسان الملك قيس لأن الملك قيس لما أتى من الصيد والقنص سأل عمه أسيد وابن عمه قرواش وابن أخيه مجيد بن مالك فقال له المتخلفون من بنى اعلم أيها الملك المفضال أنهم طلعوا فى سبعين خيال قصدوا الغزو على أحياء العرب لأجل المعاش والمكسب فلما سمع الملك هذا الكلام زادت ناره وهدم اصطباره ولما طالت غيبة الرجال زاد عليه الحال وأرسل خلف عنتر البطل الريبال يحثه على قضاء الأشغال ولما سار العبد إلى بحر الفرات لم يدخل على عنتر كما وصفه مولاه فسار إلى عبلة واعلمها بما جرى وقال لها يا مولاتى اعلمى أن الملك قيس أن بنى عبس ركبت فى سبعين فارس فى طلب غنيمة وأنهم قد انقطعت عنا أخبارهم واختلفت آثارهم فلما سمعت عبلة من العبد هذا الخبر صاحت بعنتر وقد بكت وانتحبت وقالت له اعلم يا ابن العم أن سبعين فارس من بنى عبس وعدنان وفيهم مثل قرواش بن هانىء وبشر النعمانى ومجيد بن مالك والأمير أسيد بن خزيمة فارس الزمان ساروا إلى طلب المعاش والمكسب من بنى قحطان لهم مدة طويلة من الزمان فما بان لهم خبر ولا جلية أثر واعلم أنه قد أرسل إليك عبدا من عبيده الانجاب يعلمك بهذه الأسباب واعلم يا ابن العم أن جرى على بنى عبس كائنه وأنت حى يطمعوا فينا العربان وأنا أريد منك أن تقف على آثارهم وتكشف أخبارهم (قال الروى) فلما سمع عنتر من عبلة هذا المقال ونظر بكاها والأهوال فركب فى عاجل الحال وأخذ معه عروة ذو الكلب وأخته قناصة الرجال وتمام المائة فارس من الرجال والأفيال وساروا فى طلب بنى عبس حتى وصل إليهم وكشف عن قرواش بن هانىء المجال وهو أشرف على الهلاك وسوء الارتباك إلا أن بنى عبس لما نظروا الى عنتر عاشت أرواحهم وأيقنوا بنجاتهم وأن عنتر لما أقبل حمل على الفرسان وطلب الميدان ثم صاح على قرواش فرجع ورجع وراءه واستقبل هو سائر أعداء وصال وجال وطلب من عبدة العزة الحرب والقتال والطعن والنزال فحمل عليه عبد العزة وهو يقول هذه الابيات :

بنيت المعـــالى بالحسام والقنا — أحول عداة الروع يـــوما إذا خاف

ونحن أناس لا نهمل لثارنا وكل فتى منا على الضد عطاف
وقومي تشير الخير من ظهر القنا وأهل السخا والجود في الفخر قد طاف
أنا البطل الندب الهمام لدى الوغا اسمى عقاب الحرب للقوم خطاف
وإني لأعطى الرمح في الحرب حقه وفي الكف ماضي أبيض اللون شفاف

(قال الراوى) فما تركه الأمير عنتر أن يتم شعره ومقاله حتى صاح عليه وقال يا ويلك يا أخس البشر أما كان لك عبرة بما جرى عليك من العبر حتى أتيت تتعرض لبني عبس مرة أخرى حتى قتلت فارس كريم وبطل عظيم يساوي قوما كثير وحم غزير لكن وحق زمزم والحطم ومقام الخليل إبراهيم لا تركت منكم إلا كل فارس رميم ثم أنه أنشد يقول :

فدع عنك يا وغد العشيرة كلها نخارا وإخساء لا تكن ويلك هتاف
فكل بني قحطان تعرف بأنني أنا الفارس الدعاس للحرب زحاف
ومن عظم بأسي تثني الخيل جزعا وكل مقام في الكريهة خواف
وإن بارزني كنت أول نازل إليها وقد خاف الجبان واتاف
وكم فارس خلفته رهينا في الثرى فتأتي إليه الوحش في البر زحاف
فلا تفتخر يا وغد قحطان كلها لأن ليوث الحرب للنقع كشاف
وإني أنا الدر اليتيم وقيمتي تغيب عن من لم يكن قط عراف

(قال الراوى) فلما سمع عبد العزة كلام عنتر انطبق البحر إذا زخر ولكن ابن الثريا من الثرى وابن المدن من القرى فجال معه عنتر ساعة زمانية إلى أن عرقت الخيل وقل منها القوى والحيل وتطاعنا بالرمحين إلى أن كل منهما الساعدين وتضاربا بالسيفين حتى تثلمت الاثنين هنالك أيقن عبد العزة بالهم والخسران وقل الموت عندهما وهان فصرخ الأمير عنتر عليه فأرهبه وانطبق عليه وأرعبه واستجاده بطعنة في دفانة صدره طلع الرمح يلمع من ظهره وبعدها حمل على بقية الخيل وانصب عليها انصباب السيل وحمل بعده عمرو ذو الكلاب وأخته القناصة وبنو عبس من اليمين والشمال واحتاطوا ببني قشير فانزل بهم بنو عبس الوبل ولم يتركوا منهم إلى القليل فولوا مدبرين وإلى النجاة طالبين فعندها جمعوا الاسلاب والخيل والذهاب وأخذوا أسيد بن جزيمة من حومة الميدان على جمل بعد ما صبروه وفي ثيابه لفوه وفي بعض الاماكن دفنوه ونحرا على قبره النحائر وبعدها أخذ عنتر يرثيه بهذه الابيات :

يا لقومي من حرقة في فؤادي أحرمت عيني لذيذ الرقاد
قل اصطبري وملني استنادي فاعتراني وطال سهادي
كيف صبري بعد فقد رفاق كان في ناظري مكان السواد

لو وجدنا إلى الفراق سبيلا ... أو دليلا يهدى لطرق الرشاد
لفديناه بالنفوس وبالمال ... وجميع أصحابنا مع الأولاد
سوف بكيك يا أسد حين يفنى ... منى ذاك أسى مرادى
كنت عندى فى منزلة ليس تنسى ... فى مدى الدهر أذيناى المنادى
آه وحسرتى عليك ولهفى ... يا قتيل الاوغاد والأضدادى
يا قتيل ثوى بأرض الاعادى ... مالك اليوم لا تجيب المنادى
فعليك السلام من حامية عبس ... ما دمت ايامنا فى ازدياد

(قال الراوى) ثم أن الامير عنتر بعد إنشاده الاشعار سار وطلب البر والقمار إلى أن قاربوا من الديار فودعهم غنتر وسار بعد ماسلمهم الغنائم والاموال من النوق والجمال وأرسل معهم السلام الملك قيس بن زهير ولما أمنوا على أنفسهم من الطلب والضير ساروا على أرض الشربة والعلم السعدى واعلموا أن الملك قيس بما جرى عليهم فى سفرتهم منه وأخبروه وكيف أن الامير عنتر أنجدهم وهم مشرفين على الهلاك وسوء الارتباك فندم الملك قيس على فراقه وناسف وأراد أن يسير بقومه يترضاه ويأتى به إلى حماه فهذا ما كان من بنى عبس وعدنان (قال الراوى) وأما ما كان من عنتر والفرسان فإنه سار بمن معه من الشجعان إلى أن أتى إلى منازله والاوطان ولما أن استقر به القرار وأنست به الديار فبينما هو جالس ذات يوم من الايام وإذا بالاسد الرهيص قد دخل عليه وسلم عليه وكان الاسد الرهيص لما كواه عنتر على عينيه سار يبكى الليل والنهار ولكن فى هذه المدة تعلم فيها ضرب النبال وصار يرمى بها الطير على الحس والكلام حتى سمع الطير على أعالى الاشجار يصيح فيرميه بسهم يقتله وكان الامير عنتر لما كحله جعل عليه رسما فى كل عام وكان يأتيه أرض الشربة والعلم السعدى ويأخذ رسمه منه ويعود إلى حلته وعبده نجم فى صحبته ثم أنه يعود من وقته وساعته وكان عبده نجم نار أحرقه وصاعقة سرقه هذا والاسد الرهيص يأكل كفيه ندما وهو يطلب هلاك عنتر وعدمه وما زال الاسد الرهيص فى التعس والنكس إلى أن سمع أن عنتر غضب من بنى عبس بعد ما قتل عمارة والربيع وصنع بهم أبشم صنيع ورحل بقومه إلى بحر الفرات فعند ذلك أيقن الاسد الرهيص يبلغ مناه وأقام يشم الاخبار وعلى ذلك الحالة (قال الراوى) هذا وعنتر غارق فى أكله وشربه ولهوه وطربه وهو فى عز وأمان وهنا واطمئنان وكان خبره وصل إلى وزير الملك قيصر فى هذه الايام فعزل عمرو بن الحارث الوهاب من ولاية دمشق الشام وقد ولى موضعه ملك من ملوك الروم اللئام يقال له ضيفور بن قام لما وصل الخبر إلى عنتر البطل الهمام فركب وسار من وقته وساعته إلى دمشق الشام ولما وصل إليها قتل ضيفور ومن معه من الروم اللئام وعاد عمرو للملك والاحكام فوصل الخبر أتى قيصر فخاف وفزع من شر الامير عنتر

وقد اندهل من ذلك الخبر فعند ذلك أحضر وزيره حتى أن يستشيره فأشار الوزير عليه بأن يرسل إلى الأمير عنتر الهدايا على مهل وان يشكره على ما فعل لأن الملك كان قد عول أن يرسل إلى عنترة جيش كثير لما بلغه ما فعل من قتل الملك ضيغمور وولى عمرو بن الحارث فلما أشار عليه الوزير بأن لا يفعل بانتصر عن ذلك العمل قال له الوزير أيها الملك عوض ما نحمل عنتر عدوا الناوشقيق أجعله لنا ناصا حب وصديق وإلا أن كنت ما تسمع كلامي وإلا وحق ديني تحتاج أن نرتب الخراج إلى عنتر بن شداد لأنه بلغني خبر أنه غضب على قومه ونزل على جانب الفرات والرأى عندى أن تسمع مني وتهدى له هدية حسنة وتميل قلبه فإن هو حضر إلى عندك فتكرمه وترحب به فلعله ينفعنا فى بعض المهمات وإن انت عاديته فربما سعادته تنصره علينا لأنه مسعود وما عاداه أحد إلا ومات مكمود وتفكر يا ملك قبل هذه الايام ما فعل معك من الاكرام (قال الراوى) فلما سمع الملك قيصر هذا الكلام من وزيره فتميزه بعين خبرته فرآه صواب واستهم من وقته وساعته فى تحصيل هدية وعزل مائة وخمسين جنيب من الخيل العربية بمراكب الذهب وعشر جوار روميات ومع كل جارية صندوقين من القماش المفتخر وفى خدمة كل جارية عشر جوار من جميع الأجناس ومضارب وخيام وبوقات وأعلام وغلمان وخدام وأرسل الجميع مع الوزير وأوصاه بسرعة الجد والتشمير وأن لا تأتى من عند عنتر إلا بأحسن خبر فعند ذلك سار الوزير بهذا المال المعدود وسار الليل والنهار وهو يقطع الفيافى والقفاز إلى أن وصل إلى جانب الفرات وقد قرب من المنزل الذى نازل فيه عنتر فعند ذلك أرسل الوزير من يبشره بقدومه فسار البشير إلى أن وصل الأمير بن شداد وأخبروه بخبر الوزير فعند ذلك وثب عنتر كأنه الليث القسور وركب على ظهر جواده الأبجر وركبت جميع رجاله وأقياله وسار عنتر والأمير عمرو ذو الكلاب عن يمينه وقناصة الرجال عن يساره وما زالوا يجدون المسير إلى أن التقوا بالوزير ونظر إلى ما معه من الأموال والخير والنوال ففرح عنتر بهذا الحال وقد رحل فى عاجل الحال اليه وأ تقه الوزير وسلم عليه فانحنى الوزير وقبل صدره فقبل عنتر يديه وشكره وأثنى عليه ثم قال لا تحسب يا أبا الفوارس أن الملك نسيك لما نزلت إلى جواره وحللت بالقرب من دياره ثم أنه قدم الهدية اليه وأحضرها بين يديه فقال له هذه تقسمها ثلاث أقسام القسم الأول اليك والثانى إلى صديقك عمرو وأصحابه والثالث إلى محبيك فلما عنتر من الوزير هذا الكلام والمقال فاستحسن منه تلك الفعال ولاسيما لما رأى تلك الأموال والتحف الغوال فقال له أيها الوزير والسيد الكبير وحق ذمة العرب الكرام من معد وعدنان ما أنا للملك قيصر إلا مثل بعض العبيد والغلمان وإن كان له عدو ليس له به من طاقة وقد افترى عليه فأنا أسير له وأخذ روحه من بين جنبيه فقال له الوزير وحياتك يا أبا الفوارس هذه الهدية من عند الملك على

سبيل المحبة والمودة ماهى من جهة دو وإنما أراد بها التقرب إلى قلبك حتى أن الملك عنده
جانب من حبك فحده عنتر وشكره وأقام الوزير عند عنتر فى الضيافة إحدى وعشرين يوما
هم فى أكل وشرب وفرح ولعب ما يمضى عليه يوم حتى ينظر الوزير الهدايا داخلة على عنتر
من مدينة عامة ومن خرت ومن بنى بكر والرحبة وبنى وائل ومن الحلة والكوفة
والبصرة والنصرة ونصيبين وجميع ما حواليه من البلدان وجميع حكامها تهاديه وتتقرب
بالهدايا إليه فلما نظر الوزير إلى ذلك قال وحق المسيح لو كان الملك قيصر نزل بنفسه فى ذلك
المكان ما كان أحد يهاديه مثل هذا الإنسان (قال الراوى) ولما انقضت أيام الضيافة طلب
الوزير الانصراف والعودة إلى بلا خلاف فخلع عليه الامير عنتر وقد أعطاه شيأ كثيرا
من الاموال والخيول الغوال والنياق والجمال وبدا يتعذر إليه من التقصير لديه وشكره
وأثنى عليه ثم أنه ودعه وسار طالبا القسطنطونية وهو يقطع القيافى والقفا إلى أن وصل إلى
الديار ودخل على الملك قيصر وأخبره بجميع ما عاين وأبصر من الهدايا التى دخل بها عليه من
أبى الفوارس عنتر فلما سمع الملك من الوزير هذا الكلام بالله أيها اخزير هذا رجل مسعد وما
أعطى أحد مثل ما أعطى الفارس الأسود ولا بد ما يبقى ذكره بعد موته إلى الابد ولقد سعدنا
بمصادقته واسترحنا من شره وما ندته هذا وقد أقام الملك قيصر مدة من الزمن وهو فى أمن
واطمئنان إلى إن كان يوم من بعض الايام وإذا قد وصل إليه رجل بكتاب من رومة المداين
الكبرى من عند إبن أخيه وكان اسمه بلقام بن مرقص فاخذ الملك الكتاب وناوله إلى الوزير فقرأه
عليه واسمعه ما فيه قال الراوى وكان السبب فى ذلك أن ملك من ملوك الافرنج يقال له بهنمة
ابن نوران وكان هذا الملك أخو الخيلجان الذى قتله عنتر من قديم الزمان لما كان عنتر ملك دمشق
الشام واجتمع به وهو عائد مع الملك قيصر من حصار كسرى أنوشروان والتقاه فى أرض
العارضيات الذى ازل بها عنتر الآن وأخذ عنتر من قيصر الرهاين وسارت عساكره إلى بلادها
بعد قتل ملكها وكان له ثلاث أخوات منهم نوبرت وسوبرت الذين قتلوا معه ومنهم كوبرت
الذى جرى لعنتر من تحت رأسه ما جرى وسبب قتله للملك الليلمان وابنه سرجوار والملك
صافات ملك جزائر الواحات وابن الدير والشاهد والملك ميخائيل والملك عان والملك
جنطيائيل وما جرى فى هذا الديوان وسمعتوه أيها السادة أولو العرفان وطربت عند سماعه
الآذان وكانوا كسروا كوبرت واصطلحوا معه بعد أسره وكان ما كان وكان لهم أخ أصغرهم
عمرا وأشدهم بأسا وأقوى مراسا وكان لما قتلت إخوته وهو صغير لما بلغ مبالغ الرجال وطلع
بطلا من الابطال فسار يغزو فى البحار وملك الجزائر ومن حولها من البلدان وأقرت له
الجزائر بالفروسية والشجاعة والهمة وملك موضع أخيه وجلس على كرسيه فتجبر وطغى
واستكبر وبغى وبقى يركب فى مائتين ألف فارس من كل مدرع ولابس وبعدها سأل عن سبب

موت أخوته فاعلمه قومه وعشيرته بان قتلهم فارس من عرب الحجاز يقال له عنتر بن شداد فارس البراري وأخبروه كيف حالهم وسبب هذا الفساد وتمرده وملكه هذه البلاد قال الراوي فلما سمع هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلام وقال وحق المسيح والدين الصحيح والراهب لوقا النكيح لا بد من العزو على قيصر وقتل عساكره وأجناده ثم أنه من وقته وساعته أمر رجاله وعشيرته أن تعمر المراكب وتوسقها بالدخائر والرجال والعدد والزرد والعمد الثقال وجميع ما يحتاج إليه من آلة الحرب والقتال فكانت هذه المراكب التي عمروها ألفا وستمائة مركب في سنة كاملة حتى تمت له جميع الاحوال وبعد ذلك ركب وهو وجميع من تبعه من الرجال والابطال وشال المراسي وحل القلاع وسار في البحر الكثير الاتباع وجعل قصده أول الغزاة رومة المدائن الكبرى وكان الحاكم فيها بلقام مرقص كما ذكرنا وهو ابن أخت الملك قيصر وكان هذا الهمام فارس شديد وبطل صنديد وكان شاب عاقل ولبيب فاضل وبطل جبار وليث مغوار إلا أنه لما نظر إلى تلك المراكب اقبلت إلى الميناء أمر بغلق أبواب البلد ونصب على الابواب آلة الحرب والحصار من المنجنيقات والفرادات وكانت هذه المدينة من جملة المدن الكبار المذكورة لأنها بناية لفرس ولها أربعة وعشرون برج وخمسة وعشرون بدنه وطولها فرسخ بالعراقي وعرضها مثل ذلك هذا وقد دام عليها الحرب والقتال خمسة وأربعين يوما ليلا ونهار فلما نظر ابن أخت الملك قيصر إلى ذلك القتال الشديد والحرب المبيد تضايق غاية الضيق وتخلى عنه العدو والصديق فارسل ذلك الكتاب إلى الملك قيصر وأخبره بذلك الخبر فلما علم بذلك لحقه الفزع وخاف على المدينة لئلا تملك منه فالتفت إلى وزيره وقال له أيها الوزير الكبير أخبرني كيف يكون الحال والتدبير فقال له اعلم أيها الملك المظفر ان ما لهذا الأمر المدبر إلا أبو الفوارس عنتر الأسد الغضنفر والموت الأحمر وهو أن ترسل إليه وتعلمه بالخبر وكيف ملك الافرنجية وسطا على ملكنا لأجل أخذ ثاره وكشف عاره لأنه أخو الخلجان الذي قتلته وأنا اعرف يا ملك أن عنتر إذا سمع بهذا الخبر فما يقعد عنه بل إنه يأتي إليه ويقلع منه الاثر (قال الراوي) فلما سمع الملك قيصر كلام الوزير قال له نعم ما أشرت به من الرأي والتدبير أيها الاب الكبير ثم إن الملك من وقته وساعته أمر الوزير أن يكتب إلى عنتر كتابات ويعلمه بجميع الخبر فلم تكن إلا ساعة حتى كتب الوزير كتابا الى عنتر وأرسله وذكر فيه جميع الاسباب وأرسله في ساعة الحال إليه من غير تفنيد مع خيال فارس يجدوا المسير ليلا ونهار بلا هدو ولا قرار إلى أن اشرفوا على بحر الفرات وقصدوا أبيات عنتر ونزلوا عليه وقبلوا الارض بين يديه وأعطوه الكتاب فتناوله منهم ودفعه لمن يقرأه فقرأه وفهم مضمونه ومعناه فتعجب عنتر من ذلك الشأن وتفكر في تصاريف الزمان وأرسل في تلك الساعة إلى الأمير عمرو ذو الكلب فاتى في الحال وصار بين يديه وأعلمه بما جرى وقرأ ذلك الكتاب عليه

وأخذفي المشورة وأمر الملك قيصر ونوبته فقال له الامير عمرو يا أبا الفوارس من الواجب أن تصير إلى نصرته وتكون من جملة جنده ورعيته وتركب إلى خدمته وتهلك جميع أعدائه وحساده وتقتل هذا العدو وتهد أركانه وأجناده ولو بكرن الملك كسرى هدمنا إيوانه ونطمنا عساكره وأعوانه لأنه قد بدأنا بالإحسان وصار له علينا فضل وامتنان (قال الراوى) فلما سمع الأمير عنتر كلام عمرو ذو الكلب استجاد رأيه وأنفذ فى ساعة الحال خلف الرجال والأبطال لاخذ الاهبة للمسير حتى يكشف عن الملك قيصر ذلك الامر العسير وينزل بعدواه الذل والتدبير وكان صحبته من بني عبس ألف فارس منهم زيد بن عروة وسبيع اليمن وأبطاله وجنده وجده الامير جرير وخاله وانضاف اليه من بني غسان نحو من خمسة آلاف عنان لان الامير عنتر لما صار إلى الشام وقتل ضيغور بن قام ونصر عمرو بن الحارث وأخذله وضع أبيه بالسيف فاختارت سادات بني غسان أن يكونوا عنده فى أعز مكان وقد صاروا مقيمين على مجرى الفرات بالمال والعيال ولما إذ جرت هذه الامور والاهوال وبعث الملك قيصر يستنجد به على الحرب والقتال بجميع ما عنده من الرجال والافيال فعندها تجهز الامير عنتر وركب فى ساعة الحال فى سبعة آلاف فارس ريبار وخلف على حفظ الحلة والمال الهيفا قناصة الرجال وترك معها مائتين فارس من بني قضاعة وأمرهم بالسمع والطاعة وأوصاها بالمال والنوال والاهل والعيال فقالت له سر يا أبا الفوارس وطيب قلبك من هذا الحال وقر عينك يا زين الرجال فوحق الملك المتعال لو أتى كسرى بكل من العساكر والافيال لما قدروا أن يأخذوا من مالك عقال فعندها طاب قلبه وعلم أنها كفؤ لذلك ثم أنه شكرها وأثنى عليها وصار من وقته وساعته طالبا الملك قيصر وهو يقطع الفلا والبر الاقفر إلى أن وصل إلى القسطنطونية العظمى ودخل على الملك قيصر وقبل الارض بين يديه ففرح قيصر وأقبل عليه وقال أهلا وسهلا ومرحبا يا أبا الفوارس ويا زين المجالس شرفتنا بنقل أقدامك يا من يكشف الادهم ربطلها الضيغم فشكره عنتر وحمده على ذلك وقال له أيها الملك أدام الله أيامك فأنت تعلم أني أنا وأصحابي من بعض خدامك فعند ذلك اقبل الملك قيصر إلى عنتر وقص عليه الخبر وحدثه بحديث يمنه أخي الخيلجان وسوبرت ونوبرت الذى تلمم عنتر من قديم الزمان وكيف انه خرج من بلاد الافرنج فى ار بعمائة الف قاتل وحاصر رومة المداين ثم انه حكى له جميع ماجرى على التمام فعندها وعده الامير بالنصر والظفر ففرح الملك قيصر وخلع عليه وعلى كل من كان معه وقال عنتر وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لاجعلنهم احدوثة بين الانام فعند ذلك امر الملك قيصر بالمضارب والخيام والجنائب هذا وقد نزلت العرب الذين اتوا فى صحبته على ظاهر البلد وافرد الوزير لعنتر ولعمرو ذو الكلب وسبيع اليمن وزيد بن عروة ووجوه القبيلة الدور والقصور الملاح واقاموا فى الضيافة والاكرام

والدعوات مدة سبعة أيام متواليات وهم على أكل طعام وشرب مدام وعز وإكرام (قال محمد) ولما أن كان فى اليوم الثامن أخرج الملك قيصر ستمائة ألف فارس وقال يا أبا الفوارس خذ معك هذه العسكر والفرسان تعتنك على هذا الأمر والشان فلما سمع الأمير عنتر من الملك قيصر هذا الكلام قال أيها الملك المفضال دعنى من هذا المقال وهون على قلبك هذا الحال فالأمر يسير والخطب حقير واعلم أيها الملك أننى وحق الرب القديم ما عودت روحى أن أسير بعسكر كثير وأنا أقضى هذا الشغل بهذه الفرسان الذين معى وأعود (قال محمد) فلما سمع الملك كلام الأمير عنتر تعجب غاية العجب وأخذه المرح والطرب وقال فى نفسه وحق رب العباد ما أقول إن على وجه الأرض والمهاد أشجع من عنتر بن شداد ثم أنه قال له يا أبا الفوارس ما بالاحتراز من باس ولا يذمه أحد الناس فخذ الآن معك مائتين ألف فارس وأنت بهم حامى وحارس فقال له أيها الملك المظفر إن كنت قد جهزت مثل ذلك العسكر فإيش بقيت تعمل بعبدك عنتر أنا لم أريد أقضى هذا الشغل إلا بروحى ولا أكلف أحدا معى (قال الراوى) فلما سمع الملك قيصر من عنتر كلامه ضحك وزاد ابتسامه وقال له يا أبا الفوارس إذا كان كما تقول فخذ معك مائة ألف فارس والكل يكونوا تحت رأيك واحسبهم من جملة جماعتك وأنا أخبر الناس بقوة قلبك وشجاعتك فاستحى الأمير عنتر منه وانتحى وقبل يديه فعند ذلك أمر الملك قيصر الوزير الأكبر أن يحصر الجيش والعسكر ويسيرهم فى صحبة الأمير عنتر وأن يكونوا من تحت أمره وطاعه فقال الوزير السمع والطاعة ثم أنه خرج من ذلك الوقت وتلك الساعة وعرض العساكر الدساكر وانتقى من خيارهم خمسين ألف مقاتل لأن الأمير عنتر حلف لا يأخذ إلا النصف من المائة ألف فنفذهم وعرضهم (قال الراوى) هذا وقد باتت العساكر والأجناد تلك الليلة ظاهر المدينة وهم يفتقدون العدد والوردد ولم يزالوا على مثل هذا الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح فعندها ركبت تلك العساكر وتبادرت الدساكر وقد صار فى صحبته الأمير عنتر بعد استئذانه من الملك (قال الناقل) هذا وقد سارت الرجال كأنها البحار الزواخر وقد سار الأمير عنتر ومن حوله الفرسان والأقران وعلى رأسه الرايات والأعلام والصناجق فى أيدى الخدام هذا وقد ضربت الكوسات ونفرت البوقات وارتفع ضجيج العساكر من جميع الجهات حتى هربت الوحوش ونفرت فى تلك البرارى والفلوات ثم سارت العساكر ليلا ونهار وغدوا وابتكار وهم يقطعون البرارى والقفار إلى أن قربوا من تلك الديار ومن مدينة رومة المداين الكبرى (قال الراوى) ولما قربوا منها نظروا تلك العساكر محيطة بالبلد من كل الجهات وأهلها فى ذل عظيم وخطب جسيم وقد أشرفت البلد على الأخذ والتسليم وكان ملك الافرنج قد قاتل أهل رومة المداين قتال شديد وذاقوا منه حربا أكيد يذوب له الحديد وقد أقام على حصار البلد مدة تسعة شهور إلى أن ضاقت منهم الصدور وخارت القوى

جميع الأمور وفرغ ما كان عندهم من الزاد والعليق الذى كان مدحور فعندئذ ذلك وقع بهم الذل والأسف والضرر والتلف وقد أيقنوا بالسبى مع من لم يعرف وكان لبلقام صاحب المدينة أخت يقال لها نور المسيح ذات عقل رجيح ووجه صبيح وحسن مليح وكانت احسن أهل زمانها وفريدة عصرها وأوانها وما لها نظير وهى مثل القمر المنير والغصن النضير بعيون كأنها عيون المها وجسم كالقضيب إذا انثنى وقد حازت جميع الحسن والجمال المصون وكانت من شفقتها على أخيها ومحبته لها لم يسمح لأحد بها فى هذا الزمان من الفرسان فلما طال عليهم الحصار وبلوا بالحرب والقتال الليل والنهار فعول على أنه إذا دجا الليل يأخذ أخته ويطلع بها ويطلب النجاة لكنه خائف من أهل رومة المدائن وقد علم أنهم إذا افتقدوه تخلوا عن البلد ويسلموها إلى الأعداء فرجع وقعد وزاد به الهم والنكد وخاف أن يطول عليه المطال وأن يملك الأفرنج البلد بغير اختياره وتنهتك بين الورى استاره وتسبى حريمه وعياله فزاد به الهم واعتراه الخوف والهم فعند ذلك بكى وأن واشتكى وتشرق بالدموع وتنفس من قلب موجوع فقالت له أخته نور المسيح أقل من هذا البكاء والنحيب وكن كما قيل عند أرباب الفن الأدب الصلاة على خير العرب .

إذا النائبات بلغن النها وكادت تذوب لهن المهج
وحل البلا وضاق الفضا فعند التها يكون الفرج

(قال الراوى) ثم قالت له يا أخى لعل أن يأتى فرج قريب ويخف عنا ذلك الهم والتعذيب وبعد ذلك يا أخى بأى وجه تروح الملك قيصر وإيش الذى تقول له سبيت بلدك بين فهامن العالم وأنيك روحى سالم والله يا أخى ما يشكرك أحد من العالم بل تبقى معيرة فى سائر البلاد والمعالم وعند سائر الخلائق غربا وشرق ولرأى أنك تصبر على الحرب والقتال صبر الرجال الأفيال على المهمات الثقال (قال الروى) فلما سمع الملك بلقام من اخته نور المسيح هذا الكلام ثنت عزيمته وتحركت نخدته وفى ساعة الحال طلب الرجال والأبطال وأحضر الشجعان والأفيال ووعدهم بالخلع والأموال وقال لهم ياقوم كأنكم بالعسكر وقد أتت من عند عمى الملك قيصر ومن صبر فلم يخسر فلما سمع أكابر الروم مقاله وافقوه على فعاله وقالوا له أيها الملك لو أضرمت النار وقلت لنا اخمدوها ولو أمرتنا بخوض البحر لخضناها ثم أنهم خرجوا من عنده ومضوا إلى الأبراج والأسوار وقاتلوا قتالا عظيم بترك السالم سقيم والمعافى عديم ودام القتال يعمل وعظم النزال وكثرت الأهوال وزاد البلاء والبلبال هذا وقد اعتمدوا على رمى الصخور والأحجار من فوق الأبراج والأسوار ورموا بالنبال فأصابت مقاتل الرجال وأهلكت الأفيال والملك بلقام كل يوم يخرج بخواص الرجال إلى الميدان ويوقع الحرب والطعان فدام بينهم الحرب والقتال مدة أيام وليالى إلى أن ولى الجبان

وطلب الهرب والفرار فعند ذلك تفطرت المرائر وأصابت السهام والمحاجر وعاد الغبار وكاس الموت دائر وتهشمت الخواصر وحكم عليها بالفنا عالم السرائر (قال نجد) هذا وقد دام الحرب والقتال على هذا الحال مدة أربعين يوم حتى فرغ الصبر وقل العتب واللوم وقتل من أهل المدينة أبطال وتجندل منهم أقيال وخافت الناس وزاد الامر عن حد القياس وحل بهم القلق والوسواس وطار منهم كل رأس وانهدم الاساس وكثر الدعاس وضاقت منهم الانفاس ولمع صارم المنايا مثل المقياس فبينما هم على هذه الاحوال وقد أيقنوا بالسبي والاذلال والهلاك والوبال وإذا هم بالعساكر وقد أقبلت والغبار قد طلعت وتروبعت ثم أنهابانت علت ولم تسكن إلا ساعة حتى ضربتها الرياح فنقطعت وظهر من تحتها مواكب وكتائب كأنها الجراد المستشر في الهواء وفي مقدامتها فارس الطراد عنتر بن شداد ومن خلفه فرسانه الأجواد وأبطاله الشداد وخلفهم خمسون ألف من الروم كانهم الأطواد (قال الأصمعى) فلما رأت أهل مدينة رومة المدائن إلى هذه العساكر التى كأنها البحار الزواخر فرحت وتباشرت وايقنت بالنصر على الأعداء من بعدما كانت ولت وانكسرت فرجعت إلى نحو الافرنج وحملت وعلى القتال عولت وساعدوهم أهل المدينة بالحضور والأحجار من فرق الابراج والأسوار وقاتلوهم قتالا يذهل النظار ويحير الخواطر والافكار فلما نظرت الافرنج إلى هذه الأخطار زاغت منهم الابصار وراوا أعداءهم وقد وادوا فى قتالهم وقوت قلوبهم بقدوم الرجال والافيال هذا وقد نظروا إلى تلك العساكر الدساكر التى قد ملات الأرض فى الطول والعرض فعند ذلك أنكفوا عن الحرب والقتال وقد رجعوا إلى وراثهم بمقدار فرسخ طريق (قال نجد) هذا والعساكر القادمون قد أطلقت أعنة خيلها إلى أن وصلت إلى عساكر الروم وفتحت لهم المدينة وأمروهم بالدخول اليها فقال الأمير عنتر للوزير الصدر المشير أنا والله أدخل إلى هذه المدينة وبين أهلها احضر إذا لم أقضى حاجة الملك قيصر وأسق ملك الافرنج الموت الاحمر وأخلى عسكره من بعده مشتتين فى البر الاقفر والحقه بالحقه باخوته وأعدمه مهجته (قال الراوى) فلما سمع الوزير من عنتر هذا الكلام أبدى الضحك والابتسام وأيقن بالنصر والظفر وعلم بأن أقوى من الحجر ثم أقبل وقال له نعم ما أشرت به ياأبا الفوارس ويازين المجالس ثم أن الوزير أمر بان تضرب الخيام خارج المدينة فضربت ومدت الطوايل للخيل وتزلت تلك العساكر كانها السيل وقد استراحت الرجال والخيل فلما نظر ملك الافرنج إلى ذلك الامر المدير وكيف أنه قد رجع عن المدينة وعسكره تقهقر بعدما ايقن أنه ملكها وظفر لأن الملعون فى نفسه ليثا قسورو فارسا غضنفر إلا أنه لما رأى ذلك الحال جمع أرباب دولته وكبراء مملكته مع روساء عشيرته وأهل رأيه وأهل مشورته وقال لهم ياأولاد الكهاينة لايهولنكم ما قد رايتم وحق المسيح الطاهر

لم أخل الأول منهم يلحق الآخر واجه لهم لكم غنيمة قال المؤلف فلما سمعوا تلك الأقوام مقالته صدقوا مقاله لما كانوا يعرفون منه من تجربه وأحواله وكم صدم فرسان فى يد له فقالوا له أيها الملك وحق العذرة أم النور لو أنك أمرتنا بهدم الجبال لهدمناها ولو خضعت بنا البحار لخضناها ولو التقيت بنا أهل الأرض للقيناها فلما سمع الملك كلام أصحابه طاب قلبه وانحلت أوصابه هذا والعساكر قد باتت تحرك بعضها بعض إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فركبت الفرسان الجرد القداح وخرجوا يطلبون الحرب والكفاح واضطفت العساكر وترتبت العساكر وتهيئت والميامن والمياسر إلا أنها ما صبرت ولا امتهلت بل أنها على بعضها البعض حملت ولا عنة حليها أرست والسيوف امتشقت والرماح انتضت وشرعت والرجال الرجال طعنت وزعقت اسود الحرب ودمدمت ونزلت عليهم كاسات المنيه ونهمت ووقعت المضارب على الجماجم فانتثرت وفاضت الدما وطاشت وقدحت نار الحرب واشتغلت والتقت الاسنة بصدورها ما نازعت وقاتلت قتال الأسود إذا استقلت وطلع روابع والقتال والقتام وقد علت وامطرت الجيشان وحملت الفرسان والتقت الجمان وعمل السيف السنان فى الجسوم والأبدان وطعنوا بالأسمر المران وطارت الجماجم من على قامات الابدان ونقط الدم من على الميدان وسال على الأرض مثل الغدران وبقت الارض كأنها حلة أرجوان وزاد الخصب وعمل الصارم العضب وجال الشجاع الندب وفر الجبان من الكرب وقد فنى كل شجيع وشب وطعن الفرسان برأس السنام نواعم الابدام وحامت عليهم النسور والعقبان وتأخر النذل الجبان وتقدم كل بطل عزمان وضرب بالعضب اليمان فنثر الفرسان وجندل الاقران وبقيت الدماء على الارض تجرى كأنها غدران ودمدمت أسود الحرب وزاد هياج وفنيت فيه الغبائر وعملت البواتر وصار الجنان حاير وبان الرابح من الخاسر وتهتكت الستائر وفتحت المقابر وفنيت الاصاغر والاكابر وقد دهس الأمير عنتر فى الافرنج دهس الاباعر ورحلهم إلى المقابر ولعب برمحه فى صدورهم المحاجر وداست الخيل جماجمهم بالحوافر فلله فارس بنى عبس الادهم وياله من أسد ضيغم لانه قهر الفرسان وجندل الاقران فى حومة الميدان واذاقهم الذل والهوان هذا والحرب قائم والضرب دائم والقتيل فى الدم عايم وهبت عليهم نسايم السمايم وعنتر عليهم كالاجل وقد افنى بطعناته وضرباته أكثر هذا العالم وأقعد كل قائم وأيقظ كل نائم وعادت الافرنج قدامه مثل البهائم وأبلاهم بالحرب الدائم ولم نزل على هذا الحال إلى أن ولى النهار وستحال هذا وملك الافرنج قد نظر إلى الارض وقد ملئت بالقتلى من قومه وأصحابه فغاب من هذا الفعل صوابه وداخله الفزع وقد حل به الهم والجزع وبعد ذلك افترقوا الجيشان ونزلوا العسكران وأوقدوا النيران وتحارسوا الفريقان فعند ذلك اجتمعت الافر

والبطارقة والعلوج الزنادقة ودخلوا على ملكهم وشكوا له مما قاسوا من عنتر وما لاقوا منه من الموت الأحمر فى هذا اليوم الذى كان عليهم أغبر (قال الناقل) فلما سمع الملك كلامهم ورأى شكواهم وسقامهم فعلم جميع أحوالهم فعند ذلك أقبل عليهم وقال لهم يا قوم أنا أعلم أن ما أفنى جمعكم ونزول الذل بكم كلكم إلا فارس بنى عبس الأدهم وليثها الضيغم وأنا وحق دينى أن ثارى ما هو إلا عنده من دون الروم وهو الذى قتل إخوتى وأطال عليهم حسرتى فوحق عيسى بن مريم لأبرزن إليه وأذيقه كأس أمر من العلقم وأتركه مخضب بالدم وأوريه فى حومة الميدان العدم بضرب وطعان يذهل الأعيان ويزيل النعم ويترك الشجاع جبان وآخذ بثار إخوتى سوبرت ونوبرت وخيلجان فلما سمعوا الأفرنج من ملكهم كلامه عرفوا قصده ومرامه ثم أنهم قالوا له أيها الملك اكفنا شره وشؤمه ودعنا نحن نكفيك مؤنة قومه ولو أنهم بعدد النجوم التى تحت النجوم فقال لهم الملك أنا فى غداة غد أخرج إلى برازه وأكفيكم شره وأصرم لكم عمره ثم أنهم بعد ذلك تفرقوا اللئام بعدما أكلوا شيئا من الطعام (قال الراوى) هذا وقد أوقدوا النيران وتحارسوا الفريقان وما زالوا على مثل ذلك الحال إلى أن أذن الله الليل بالارتحال وظهر النهار بالابتكار فعند ذلك ركبت العساكر واصطفت الدساكر وهمت العساكر أن تحمل على بعضها البعض وإذا بفارس برز من بين عساكر الأفرنج يريد الكر والفر وهو راكب على حصان أشقر عال من الخيل مضمر مدور الحوافر صنعة الملك القادر وعلى هذا الفارس ثوب من الزرد كثير العدد كأنه عيون الجرد وهو مطلى بالذهب الأحمر وعلى رأسه بيضة عادية كأنها الفضة النقية وسائر العدة التى عليه تأخذ البصر وتحير العقول والفكر وهو راكب على جواده كأنه الأسد العابس وفى ركابه أوفى من خمسمائة فارس فلما توسط الميدان صال وجال ولعب فى أربع جنبات المجال ونادى وقال يا معاشر الروم إلا من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فإنى خفا أنا الملك بهمنة بن الملك بوران أخو الملك خيلجان ملك الأرض والبلاد الذى قتله عنتر بن شداد وأنا ما خرجت اليوم إلى حومة الميدان ومنعت الفرسان عن القتال إلا حتى آخذ من عنتر بثارى وأكشف عنى عارى (قال نجد) فما استتم كلامه إلا وعنتر صار قدامه وناداه ويلك يا عابد الصور يا أوحش البشر تلقى فارس البدو والحضر أبا الفوارس عنتر الفارس الذى أتيت تطلب منه الثار يا كلب يا غدار ثم حمل عليه والتقاه بقلب قوى وجنان جرى واصطدما والتحما وأخذا فى الصد والرد وتباعدا وتقاربا وتهاجما وتصادما إلى أن جرى منهم العرق وازورت الحدق وبقيت أرواحهم كالعلق قال المؤلف وكان ملك الأفرنج لما أن برز إلى حومة الميدان أخذ تحت فخذه ثلاث حراب كل واحد كأنها شباب إلا أنه لما أراد عنتر حربه وعلم بأنه فارس غضنفر فقال فى نفسه ما أنا إلا قاتل هذا العبد بهذه الحراب لأنه بدوى تربية البرارى والهضاب ولا يعرف من أبواب هذا الحرب ولا

باب ثم أنه استلب حربة من تلك الحراب وهزها في يده حتى تلوث طرفها وضرب عنتر بها فخرجت من يده كأنها شاب وكان الأمير عنتر محترزا من حربته ولما أن وصلت إليه وقربت لجثته سحبها على رايق درقته بحسن صنعته وكسر حاها بجبرته فعند ذلك زج إليه الثانية وقال أنها تكون لعمره فانية فلما رآها عنتر وهي إليه واصلة اختطفها من الهوى بما أعطاه الله من الحيل والقوى وضرب بها صاحبها فخرجت من يده مثل الصاعقة المبرقة فالتقاها الملك بهمته بالطارقة فخرقتها أسرع من البرق ودخلت في وسط بدنه بتابوت صدره خرجت تلمع من ظهره فمال عن الجواد وسقط على وجه الثرى والمهاد وصار يلعب بيديه ويضرب الأرض بكفيه وقدميه ولما نظرت الأفرنج إلى ملكها وقد قتل فحملت على الروم وهجمت واختلطت العساكر بالعساكر وطلعت عليهم الغبائر ودارت الدوائر وتهتكت السبائر وفتحت المقابر ونزل على الأفرنج قضاء القادر وحكم عليهم بالفناء عالم السرائر هذا وقد سارت تلك العساكر ما بين غالب ومغلوب وناهب ومنهوب وسالب ومسلوب وناكب ومنكوب وسالم ومعطوب ونزل على الفريقين ما حكم به عليهم علام الغيوب فلم تكن غير ساعة من النهار حتى ولت الأفرنج الأدبار وركنوا إلى الفرار وقد لعب السيف فيهم إلى آخر النهار فعند ذلك وقعت البشائر في أهل المدينة وقد فرحوا بما تم عليهم وجرى هذا وقد رجعت الفرسان والأقران من الهيجاء فلاقتهم أخت الملك بالمقام صاحب المدينة وهي بنت أخي الملك قيصر وتقدمت في هذا النهار بالمسك والزعفران وقد دهنت جواد عنتر لأنه وقع لها في قلبها محبة عظيمة وقد ألقى الله محبته في قلبها وزاد من فروسيته تعجبها وذلك مما كانت تسمع بما عنه من فعله قبل أن تراه لأنها كانت تسمع هلك من الجبابرة العتاة هذا والأمير عنتر سائر ما بين تلك الفرسان لأنه ليس حلة من الأرجوان هذا وجميع البطارقة قد ترجلت وصارت في ركابه ومشت في خدمته وكانوا كلهم من بطارقة الروم وعنتر بينهم كأنه القمر بين النجوم وهم يدعون له ويثنون عليه والوزير إلى جانبه والملوك من حواليه ولم يزل الوافي سيرهم إلى أن دخلوا إلى قصر المملكة هذا وقد نصبت لهم أسرة من العرعر المصفح بالذهب الأحمر فعند ذلك جلست الملوك والأمراء والسادات الكبار مثل الأمير عنتر والوزير وابن أخو الملك قيصر وكثر بينهم الانبساط ولم تكن إلا ساعة حتى مدوا لهم السماط وفيه من سائر أنواع الطعام ورتع فيه الخاص والعام وأكثر والأمير عنتر في الكلام والإكرام إلى أن اكتفوا من أكل الطعام وبعدها قدموا آنية المدام وهي كلها من أنواع الذهب والجواهر والياقوت الأصفر وأنهم ما زالوا في أكلهم وشربهم والمزاح إلى أن أصبح الله بالصباح وقد داوموا على مثل ذلك الرواح إلى أن أقبل الليل وما زالوا على هذا المنهاج والاهتمام مدة سبعة أيام وفي اليوم

الثامن عزم الامير عنتر على الرحيل وسرعة التحويل بعد ماشاور الوزير فى ذلك الحال فقال له يا أبا الفوارس وحق ديني لك عندى بشارة فقال عنتر وماهى البشارة فما زلت بالخير مشير فقال له اعلم يا حامية عبس أن ابن أخى الملك قيصر بالقام صاحب هذه المدينة التى خلصتها له بقائم سيفك وقتلت أعداه وحساده من بعد ماكان أشرف على الهلاك والدمار وخراب الديار وهو الآن اختار بأى شيء يجازيك فاوجد عنده أعز وأحسن من أخته المسكة مريم وقد أراد أن يزوجك إياها ويأخذك له عمدة في كل شدة ويوم اتصال النسب رعاية فيك من شدة محبته لديك وإنها والله يا أبا الفوارس مليحه زمانها وفريدة عصرها وأوانها فايش ترى من الرأى يا بطل الزمان ويا قاهر الاقران (قال الراوى) فلما سمع الإمير عنتر ذلك الكلام أخذه الإنذهال وتحير من تلك الافعال ونادى وقال معاذ الله يا ولاى إن أخذ على فعل الجميل برطين وبعد ذلك فان الملك قيصر قد ملك عنقى ورقى بما أولانى من الجميل وقد غمرنى بعطائه وإحسانه وأنا والله يا ملك ما أصلح أن أكون من بعض غلمانه وهذا شيء مكروه عند الروم وعند العرب والعجم مذموم ولا يجوز أن يتزوج الإنسان من غير أبناء جنسه أيها المخدوم (قال الناقل) فلما سمع الوزير من الامير عنتر مقاله قال له صدقت يا أبا الفوارس ولكن الملك بلقام قال فى نفسه بأن أخته وسائر أهل مدينته عتقاء حد سيفك وأمناء خوفك ولو ملكها أحد من الاعداء الاشرار كان استملكها كما يتملكون الجوار وكانت تبقى فى خدمته الليل والنهار (قال الراوى) فلما سمع عنتر من الوزير هذا الخطاب سكت ولم يرد جواب بل إنه قال له أيها الوزير مهما امرتنى به قبلت ولا اخالفك فيه ولعلى على بعض إحسانه اجازيه وكان أعجب ما فى ذلك أن الله تبارك وتعالى قد التقى محبة الامير عنتر فى قلب هذه الجارية حتى أنها حرمت النوم وامتنعت من أكل الطعام وشرب المدام وقد زاد بها الوجد والغرام وقدى عليها الهوى والهيام ولما كثر وجدها والغرام فاعلمت أخاها الملك بلقام وشرحت حالها بالتمام وقالت له اعلم يا أخى انى من حبى فى هذا الفارس الكرار وقد زادنى الهم والاضرار وكل منى الاصطبار وإن مضى هذا الفارس راح من هذه الديار وما أنا معه فقد هجمت على وحشى فى القفار ولا يعرف لى أحد خبر من الاخبار قال الراوى فلما سمع أخوها مقالها ورأى بكاها وأهوالها فقال يا أختى وحق المسيح إن مرادى لو أخذ لا جارية لاجله إحسانه وفعاله فلعلنا نجازيه على أعماله حتى كنا نفتخر لشجاعته عند كل قائم وجالس ولكن سوف أتحدث مع الوزير فى مثل هذا التدبير وأتركه يتحدث مع الامير عنتر فى هذه الامور والخبر (قال الراوى) وكان هذا الحديث بينه وبين أخته فى ظلام الليل فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فأتاه الوزير لاجل السلام فتحدث بلقام معه بذلك الكلام وقد أخفى ما حل بأخته مريم من الوجد والغرام وقد أراد

أن يتقرب إلى الأمير عنتر بزواج أخته (قال الراوى) يا سادة يا كرام ولما سمع الوزير الأكبر من الملك بلقام هذا الخبر فوثب وقام يتمشى إلى أن دخل إلى الأمير عنتر وأعلمه بذلك الخبر وقد فرح واستبشر وقال له ما أخالفك فيما فعلته ومهما أشرت به على فعلته فعند ذلك فرح الوزير بإجابة عنتر وفى ساعة الحال أخذه ودخل إلى قصر الملك وأخبر الملك بأن الأمير عنتر قد رضى بما جرى فلما سمع الملك بلقام بذلك الخبر ففرح بزواج أخته إلى الأمير عنتر وفى ساعة الحال أخذه بيده وصالحه وناكحه وفى هذا الوقت البشائر وقد فرحت الإماء والحرائر الأصاغر والأكابر وأما القصر فإنه قد انقلب بالفرح وقد اتسع صدر كل من فيه والشرح ومن تلك الليلة اهتم الملك بلقام فى تصليح شأن الزواج وقد اجتهد فى عمايل العرس والفرح الدائم وعمل الولائم وقد فرح كل قاعد وكل نائم وارتعت الناس فى الولائم وأكلوا الناس الطعام وشربوا المدام ولم يزالوا كذلك هم على هذا الحال مدة سبعة أيام تمام وهم فى عز زائد وإكرام ولما كان فى الليلة الثامنة جليت الملكة مريم على الأمير عنتر ابن شداد وكان ليلة تذكر فدخل بها فوجدها أبهى من الشمس والقمر وهى طيبة القناص ودرة الغواص ودخل بها الأمير عنتر من ليلته وقد بلغ منها كل منتهاه ومراده بغيته وبات عندها تلك الليلة التى تمد بليال وقد راق له تلك الزمان بصفو وعيش وخلو بال ولم يزل عنتر فى والانبساط والانشراح إلى أن أصبح الله بالصباح هذا وقد وقعت بينهم المحبة وسار لعنتر فى قلبها منزلة ورتبه وصار الأمير عنتر يبيت كل ليلة وهى فى ملك عظيم وحال مستقيم وفى جنة نعيم مدة سبعة أيام وفى كل ليله يمتد بين يديه السماط وجميع من بصحبته من السادات وبنى قراد وهم يرتعون فى الضيافات والدعوات بالعز والكرامات وما زالوا على مثل ذلك الحال مدة ثلاثة شهور متواليات بعد ذلك عزم عنتر على المسير وطالب الرواج يا خيبر فأخبر صهره الملك بلقام بهذا المرام وقال له أريد منك أيها الملك الكريم أن تكون كريمتك الملكة مريم وأنا أبقى أزورك كل قليل من الأيام قال فلما سمع الملك بلقام من الأمير عنتر ذلك قال له يا أبا الفوارس هذا شىء متعلق بالنساء وأنا أعلم أن أختى مريم لا تقدر تصبر عنك وحق دينى ساعة واحدة فى الصباح ولا فى المساء ولكن إن شاء الله تعالى أشاورها فان هى رضيت بالقعود عندى حفظتها لك بطاقتى وجهدى وإن كانت تطلب منك الرواح فيكون فراقك وفراقها أشد من فراق الأرواح ثم أنه قام الملك بلقام على الأقدام ودخل القصر على أخته وأخبرها أن الأمير عنتر يريد السفر إلى عند الملك قيصر حتى يعلمه بما جرى وتدبر (قال الراوى) فلما سمعت الملكة مريم من أخيها ذلك المقال صعب عليها وضاق صدرها وتربطت يديها وقالت يا أخى وحق دين المسيح أنى لا أفارق بعلى وأينما سار أكون معه بين أهله وعشيرته لأنى ما أقدر على فراقه يا أخى وإن كان تقول أنك ما تعطينا مال ولا نوال ما أخذنا

شيء (قال الراوي) فلما سمع أخوها مقالها مع ما كان يعلم من أحوالها قال لا وحق السيد المسيح إن هذا الحديث الذي قد خطر ببالك ما هو قصدي وإنما مرادي أن لو أخذ عنتر سائر ملكي وما تملكه يدي ولكن هو الذي أراد ذلك ثم أنه خرج من عندها وأتى إلى عند الأمير عنتر وأخبره بهذا الخبر وقص عليه جميع ما جرى ودبر (قال الناقل) فلما أن سمع الأمير عنتر هذا الكلام المنتظم زاد فيها رغبة وحبه ولكن اختشى من عتب عبله وقناصة الرجال وخاف من تكدير عيشة وما هو فيه من الحال فسكت عن قصص وعلم أن مريم ما لها في القعاد بعده غرض فقال في نفسه أنا أعلم أن هذه الجارية ما تطلب تعود في البراري والقفار من بعد سكن المدن والامصار ولكن أنا آخذ هذا معي إلى أن أصل إلى الملك قيصر وأودعها في مدينة القسطنطونية لانها على كل حال إبنة أخيه وأنا أدخل عليها في مثل ذلك وتكون بالقرب من هناك وأكون قد أمنت منت قناصة الرجال وعبلة ابنة مالك ثم أن الامير عنتر قام على الاقدام ودخل على مريم وقد ضحك في وجهها وتبسم وقال لها يا مريم وحق باريء النسم ما عندي أعز منك ولا أسافر إلا بك وما قلت هذا المقال إلا كرامه لاخيك أن لا يكون لم يهون عليه فراقك وما سير خطوة إلا بكى (قال الراوي) ياسادة يا كرام فلما سمعت الملكة مريم من الامير عنتر هذا الكلام فرحت وطلب قلبها وانشرحت وقالت له سيدي أبو الفوارس وحق سيدي المسيح ومارى حنا المعمدان لقد كرهت من أجلك الاهل والاوطان وما بقي لي عنك صبر وما سلوان يا بطل الزمان وفريد العصر والاوان (قال الراوي) فلما سمع الامير عنتر منها هذا الكلام عذرها لاجل ما ذاق من طعم المحبة والهيام وقد علم أن الفرقة بين المحب والمحبوب صعبة ثم أنه بعد ذلك جهز نفسه للمسير وقد علم بذلك الوزير فقال له نعم الرأي يا أبو الفوارس ما بقي غير التجهيز ثم أمر الفرسان أن يتجهزوا إلى الرحيل والسفر وقد فرح بذلك واستبشر لانه طالت سفرته وكثرت غيبته لانه قد أقام في مدينة رومة المدائن تسعه أشهر وهو في الذ عيش وأهنا طيش هذا وقد صحى واستفاق من خمر العشق والمدام وتذكر هوى عبلة الذي سكن في حرز العظام هذا والملك يلقام قد أخذ في تجهيز أخته ثم أمر الخدام والغلمان بنقل سائر ما كان لاخته من الرحال والاثقال والصناديق الذي تنقل فيها الاموال والجواهر والتحف الغوال وكذلك الخيل والبغال وقد أقامت الخدام والغلمان تنقل في مال الحريم إلى ظاهر الخيام ثلاثة أيام على التمام (قال الراوي) وفي اليوم الرابع رحلوا واستقاموا على الطريق وما بقي لاحد منهم تعويق هذا وقد خرج مع الملكة مريم من بنات الروم مائة وخمسين جارية كانهن الاقمار أو النجوم أو اللؤلؤ المنظوم ومن ورائهم من الدواب ثلثمائة بغل محملين قماش ومتاع وحلي وعقود جواهر ومن كل شيء فاخر وأشياء ليس لها أول ولا آخر ثم صار الامير عنتر والوزير إلى جانبه والاعلام والرايات

على رأسه تخفق ولم يجسر أحداً من فرسان عنتر أن ينطق (قال الراوى) هذا وقد سارت العساكر والعساكر فى الليل والنهار غدواً وابتكاراً ولم يزالوا على تلك النية إلى أن أشرفوا مدينة القسطنطونية وقد سبقت قدامهم البشائر إلى الملك قيصر بوصول العساكر وأخبروه بما فعل الامير عنتر فى ملك الافرنج وعساكره ففرح بذلك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح ثم أنه ركب من ساعته وخرج إلى لقاء الامير عنتر هو وجميع من معه من أرباب الدولة والوزراء وأهل الصولة وقد التقاه من مسافة فرسخ طويل من المدينة هذا وقد التقت المواكب بالمواكب والكتائب بالكتائب فلما نظر الامير عنتر مواكب الملك قيصر ترجل من على ظهر جواده الابجر وهرول إلى أن وصل إلى عند الملك قيصر وانحنى وقبل رجله فى الركاب فانحنى إليه الملك قيصر وقبله بين عينيه وشكره وأثنى عليه وأشار له بالركوب وحلف فعند ذلك قدمه الوزير من تحت أبطه حتى أنه ركب على ظهر مركبه وأخذه الملك قيصر بجانبه وقد أخذ يحادثه ويحاوره من دون سائر أهله وأقاربه ثم ضارت المواكب وتتابعت الكتائب وتقدمت من كل جانب وقد اشتبكت الاعلام والرايات على رأس الامير عنتر بن شداد والملك قيصر ملك الروم صاحب الاقاليم والبلاد ومعهم الحجاب والامراء والنواب وهى ماشية على الاقدام وكلما تقربوا من المدينة تتوسل إليهم الفرسان من كل جانب وكان حتى لم يبق أحد راكب سوى الملك قيصر والامير عنتر وعنتر كلامهم وأراد أن يترجل بمنعه من ذلك الملك قيصر ولم يزالوا سائرين على هذا الحال والانتقال والحركة إلى أن دخلوا إلى قيصر المملكة وقد نصبت لهم الكراسى من الفضة الحجر والذهب الاحمر والابنوس والعاج المعظم بالجوهر وقد أتوا وجلسوا على قدر طبقاتهم وأجلس الملك قيصر عنتر على كرسى الذهب جانبه وسار يحدثه ويباسطه ويمارجه ويلاغيه ويستخبره عن أحواله وهو يجيبه إلى سؤاله إلى أن حكى له على ما جرى له وما تم من أحواله (قال الراوى) فلما سمع الملك قيصر هذا الحديث من عنتر أخذه الفرح والطرب وقد هز رأسه وتعجب من هذا الحديث والخبر وقد فرح بزواج ابنة أخيه إلى الامير عنتر ثم ان الملك قيصر بعد ذلك امر بمد السماط فمدوه جميع الالوان وقد أكلت الناس وجميع الجلاس وقد أكل الملك قيصر مع عنتر بن شداد (قال الراوى) وما زالوا على أكل طعام وشرب مدام ورفع مقام وعز وإكرام وهم على مثل ذلك المرام إلى أن اكتفى الخاص والعام مدة عشرة أيام ولما كان فى اليوم الحادى عشر أمر الملك قيصر باحضار أنية المدام بعد ما اكتفوا من الطعام فنصبت الاوانى وقد صفت الاباريق والقنانى وترصصت الكؤوسات وملئت الطاسات وشربوا من ذلك المدام الذى صفى وراق وصار كأنه دموع العشاق إذا جرت من الآماق فى ليالى الهم والفراق ولم يزالوا على مثل ذلك الاكرام والانعام وهم فى أكل طعام وشرب مدام ورفع مقام إلى ان كان فى يوم

من الايام اشتاق الأمير عنتر إلى ابنة عمه عبلة وإلى زوجته الهيفا قناصة الرجال وإلى الأهل والعيال وسكان تلك الحلة والديار والاطلال ولما انقضت أيام الضيافة أقبل الأمير عنتر على الملك قيصر وتنهد وتحسر وقال أيها الملك المفضال وحق الملك المتعال أنى اشتقت إلى الديار والأطلال ومن فيها من الاهل والعيال فقال له الملك قيصر يا أبا الفوارس أنه يعز على فراقك لان قلبي فى كل ساعة يشتاقك فقال له الامير عنتر وقد وجد لكلامك مضرب أيها الملك أنى اريد من جوارك وإحسانك وفضلك وامتنانك أن تخلى زوجتى الملكة مريم عندك وأن تجعلها بين نسائك واهلك وأنا أجىء إليها فى كل قليل من الأيام فإن مالى إلى أحدها من سبيل أيها الملك الجليل (قال الراوى) فلما سمع الملك قيصر ذلك الكلام من عنتر فرح به واستبشر وما صدق بهذا الخبر وقد أمل بذلك أنه يأتى إليها فى كل قليل (قال الراوى) ثم أنه فى ساعة الحال أمر أن يخلوا إلى الملكة مريم بيتا من داخل قصره الخاص والعام أمر الخدم والغلمان أن ينقلوا جميع ما لها من الفرش والمتاع والاثاث والفرش وأن يضعوهم فى ذلك المكان وبعد ذلك قد فعلوا ما أمرهم به الملك قيصر وفى اليوم الثانى استهم الامير عنتر إلى السفر فخلع عليه الملك قيصر الخلع الحسان وخلع على جميع من كان عنده من الفرسان والأقران الذين هم من بنى عبس وعدنان وبنى قضاعة وبنى غسان وأكثر للامير عنتر من المال والرزق وزاده من التحف الغوال ولمن كان معه من الرجال والابطال وقاد إليه الخيل السودة الغوال والنوق والجمال وقد أعطاه المضارب والخيام وجمله بالرايات والأعلام والجوارى والخدام وأنعم عليه إلى أن غمره بالعطايا والانعام وبعد ذلك ركب الملك قيصر إلى وداع عنتر ومازال سائرا حتى أبعد عن مدينة القسطنطونية مقدار فرسخ طريق فنزل الامير عنتر عن ظهر جواده الابجر وقبل فى الركاب قدم الملك قيصر وحلف عليه ورجعه بذلك الجيش والعسكر. قال أيها الملك الظفر وحق البيت العتيق المطهر لقد أغنيت بجودك عنتر وأسعدته بين البشر فلا زلت مسعودا مظفر بين العرب والعجم والبدو والحجر فعند ذلك قبله الملك قيصر بين عينيه شكره وأثنى عليه ورجع وهو فرحان بهذا الحال وسار الامير عنتر طالب الديار والأطلال وهم فى صحبته من الرجال والابطال وقد اشتاق إلى عبلة بنت مالك وإلى جانبه الامير عمرو ذو الكلب وزيد بن عروة وسبيع اليمن وباقى الرجال وقطعوا الطريق وهم يتسامرون بالحديث والكلام وقد أعطاهم الامير عنتر من الاموال وحمله الجمال هذا وهم سائرون فى الليل والنهار يقطعون البرارى والقفار وتلك السهول والاوعار مدة واحد وثلاثين يوم إلى أن قربوا من الديار وقد قل من الامير عنتر الاصطبار إلى نظر الحبيب ولقياه من قريب إلى أن وصلوا إلى بحر الفرات ودخلوا إلى الحلة فعند ذلك التقته عبلة قبل الجميع فلما رآه ترجل إليها وأخذها فى حضنه وقبلها

وملم عليها هذا وقد فرحت الناس المقيمين بالقادمين وتعمرت المنازل بالنازلين وقد انشرحت الأوطان بالقاطنين وانشرحت الأهالى والجيران بالمحبين وقد باتوا فى مناهم والاكرام والعز والانعام ولما كان فى ثانى الأيام صنع الأمير عنتر دعوة عظيمة وقد ذبح فيها الذبائح وقد عزم كل غادر ورايح وقد انتفعت الناس فى أكل الطعام وشرب المدام وأقاموا على مثل ذلك المرام وهم فى عز وإكرام سبعة أيام وثمان ليال تمام وكان الأمير عنتر قد أقام على بحر الفرات مدة سبعة أعوام وهم فى الذ عيش وأهناه وقد خافته جميع العربان وأتته الهدايا من سائر الأضمان وقد صارت الملوك تهاديه وهو مقيم فى هذا المكان (قال الراوى) فهذا ما كان من عنتر وأصحابه الكرام وأما ما كان من الأسد الرهيص نسل اللئام فإنه كان دائما يرتقب أخبار الامير عنتر ويسأل عنه كل ما غاب أو حضر وكان قد وصل إليه خبر عنتر أنه رحل إلى بلاد الروم من أجل عدو قد ظهر الملك قيصر فبقى دائماً يستنشق الخبر من المسافرين والحضر إلى أن وصل إليه من العالم أن الأمير عنتر قد عاد سالم غانم من بعد أن هالك فى بلاد الروم جميع الخوارج والطغاة وقد عاد بصحبة العافية وطيب الحياة وهو مقيم على جانب بحر الفرات وقد أقام فى ذلك المنزل المليح وهو سائر ملوك الأرض تهابه وهو مستريح قال الراوى فلما أن سمع الأسد الرهيص بذلك الخبر تأوه وقد زاد وجده وبلاه وأوقدت النار فى قلبه وأحشاه وقد تذكر ثاره وما جرى عليه وكيف كحله الأمير عنتر أعمى عينيه ولا ترك له بصراً يبصر به لا من قدامه ولا من خلفه ولا من بين يديه فزاد به الهم والبلبال وتغيرت منه الأحوال ومن عظم ما قد أصابه وجرى عليه هول أن يسير إلى الأمير عنتر ويتسبب فى هلاكه بكل ما يقدر عليه فعند ذلك أدعا بعبده فأتى إليه ووقف قدامه وقبل يديه وقال له ما الذى تريده يا مولاى وإيش الذى تدعونى إليه فقال له ويلك ولد الزنا وتربية الأمة الخنا أما تعلم بما قد جرى على من بنى عبس اللئيم وانظر كيف ترك رهين وحزين (قال الراوى) وكان له من حين كحله الأمير عنتر اثنين وعشرين عام وستة أشهر ثم أنه قال للعبد ويلك يا ابن حام أنت تعلم ما جرى وكيف أن عنتر تركنى عبرة من دون الورى وقد آن لى أن آخذ منه بالثار وأكشف عنى العار وأنا قد وصل إلى الخبر أنه مقيم فى بحر الفرات فى ذلك البر الاقفر والمهمة الأغبر وأنه قد رجع وعاد من بلاد الروم وتلك المعالم والرسوم وهو سالم ومعه أموال وغنائم وأنا مالى نظر أنظر به الطريق وإلا كنت سرت إليه وأعدمته السعادة والتوفيق وأنا عولت أن آخذك معى وأسير إليه وأكمن له فى بعض الدحال والغابات التى

حواليه وأخذ روحه من بين جنبيه لأن هناك يا نجم دحال يقال لها دحال العارضيات ولعلي أن أجد لي منه فرصة من الفرص نار يه بنبلة يكون فيها حمامه وقد انزاحت عن قلبي الغصص بموته وإرغامه (قال الراوي) فلما سمع العبد نجم من مولاه كلامه ومقاله رق له ورثي لحاله وقال له يا مولاي إذا كان الأمر كما خطر ببالك فافعل الآن ما بدا لك فاني والله ما أخالف مقالك وأتبعك في جميع أحوالك فقال له الأسد الرهيص يا نجم وحق السميع العليم ما رضيت أني أموت إلا كريم ولا أعيش لئيم فلعلي الرب الكريم رب زمزم والحطيم رب موسى وعيسى وإبراهيم أن يبلغني من قتل عنتر العبد الزنيم والوغد اللئيم ما أريد وأن يمكنني من هلاكه وصرعته واتلاف روحه ومهجته لأنه إذا نزل القضاء والقدر لا ينفع الحذر كما قال بعضهم حيث يقول صلوا على محمد الرسول

إذا أراد الله أمراً بامرىء	وكان ذا عقل وسمع وبصر
أصم أذنيه وأعمى قلبه	وسل منه عقله سل الشعر
حتى إذا أنفذ فيه حكمه	رد عليه عقله كي يعتبر
فلا تقل فيما مضى كيف جرى	فكل شيء بقضاء وقدر

(قال الراوي) فلما سمع العبد نجم من الأسد الرهيص ذلك القول فقال له يا مولاي أعزم بنا على المسير في هذه الساعة فأنا لك من تحت السمع والطاعة فقال له يا نجم أنا قد عزمت على ذلك ولو أنني أكون هالك هذا وقد شد العبد لمولاه على ناقة سفانه كأنها اليمامة الرفافة وقد عمل عليها جلالها ووضع الخطام في رأسها واستوى الأسد الرهيص على كورها وقد أمل من الأمور يسيرها وقد أخذ قوسه وكنانته وهي ملآنة بالنبل المسموم وأثار العبد تلك الناقة وأخذ زمامها بيده وسار طالب أرض العراق والأسد الرهيص إلى لقاء عنتر مشتاق ولما أن تمادى به المسير أيقن بكل خير ورفع صوته وأنشد يقول صلوا يا حاضرين على طه الرسول

تجافى مذاقي عيني ورقادي	وطار النوم عنها بالسهادي
وأسهد مقلتي وأعمى عيوني	وأبلاني بهم في فؤادي
فوا أسفا على أخذي لثاري	بحد البيض والسمر الهادي
عسى الأيام تسعدني عليه	وتسعفني على أقصى مرادي

(قال الراوي) فلما فرغ الأسد الرهيص من أبياته جد في قد الفلاه إلى أن وصل إلى جانب الفرات وقد أكمنه عبده نجم في دحله مشتبكة الأشجار كثيرة الأطيار والأنهار قال الراوي وكانت هذه الأحجة مقابلة خيام بني عبس وعنتر وبني ما بين الفرات والأنهر وكانت خيام عنتر مضروبة على جانب الفرات الآخر وهي بقرب الماء منصوبة وأن الأسد الرهيص لما أنزله عبده من الأحجة خفق فؤاده من سماع ضرب المزاهر وغناء الموالدات وزن خلاق

الجنكيات وهدير الق ورونبيح الكلاب وضجة النجع وتوريد البنات وكلام الفرسان عند أكل الطعام وشرب المدام وأهل الحالة تحت العز العزيز والحرز الحريز وذلك بهيبة حاميتهم عنترة الفرسان لأن هيبة الأمير عنتر كانت قد دخلت في قلوب كل العربان وجميع من سكن البرارى والقيعان (قال الروى) ولما نظر العبد إلى ذلك فأيقن أنه وهو ومولاه هالك فقال له والله يا مولاى لقد خاطرت بنفسك غاية الخطر ولا يليق لأحد أن يأمن القضاء والقدر وأنا والله ما أرى لك إلى عنتر وصول ولا لك إليه سبيل وحق الملك الجليل فلما سمع الأسد الرهيص من عبده نجم ذلك الكلام قال صدقت يا عبد الخير في هذا الخبر ولكن حق الإله الذى علا ثم اقتدر إذا نزل القضاء والقدر عمى البصر وإذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه ولعل الله أن يكون جعل قتل هذا العبد ومنيته على يدى وما أنا مختفى فى هذه الاجمة والقوس والنبلة فى يدى فاذا سمعته رميته بها وهى مسمومة فان أصابته فما أريد بعده مهلة وقد رميت بالهلاك من بعده ولا أعيش ساعة واحدة لأن النار فى قلبى مضرمة وموقدة فقال له العبد أفعل ما بدا لك فانى ما أخاف مقالك ولا أراجعك عن فعالك وما أنا منتظر لأعمالك (قال الراوى) وكان بين الأسد الرهيص وبين مضارب عنتر وسع النهر وقدر رمية السهم وأكثر ثم أنه أقام مكمن ذلك اليوم وهو منتظر إلى ما يبدو من فعال القوم ومازال إلى أن تهود الليل ومدرواقه وعسعس الظلام باغساقه فقال للعبد نجم ويلك أخرجنى إلى برة لاجمة وأشرف بى على الحى يخس عزيمتك وقوة الهمة لانى أسمع أصواتهم ببعده عنى فبما قربنى إليهم قليلاً فلاجعلن الناس يتحدثون بفعالى جيلاً بعد جيل فعند ذلك أخرجه العبد إلى برة الاجمة وأتابه إلى شفير النهر ولم يخش من نائبة ولا معلمة وأقعده مقابل أبيات الأمير عنتر فقعد ينتظر القضاء والقدر وبرك على ركبتيه واوتر قوسه على كلتا يديه وفوق النبلة فى كبد القوس بكل ما يقدر عليه (قال الراوى) وأعجب ما جرى من الاتفاق والخبر وانفاذ المشيئة وأحكام القضاء والقدر الذى لا مهرب منه ولا مفر وكان عنتر فى تلك الساعه نائم بجانب عبلة فسمع نبيح الكلاب قد علا وكثر حتى دوت منه جنبات الفلا فعندها قام وخرج من المضرب وصاح على أخيه جرير وقال له ويلك أنظر ما الخبر وما بال الكلاب فى هذه الليلة تكثر من النبيح والصراخ من ناحية هاتيك الاجمة (قال الراوى) واتفق أن تلك الليلة كانت مظلمة شديدة السواد معتمة فقال جرير لأخيه والأسد الرهيص يسمع والله يا ابن الأم ما أعلم ما الذى بدا لى لأن هذا ظلام شديد ما أنظر فيه ولا أقشع ولكن يا ابن الأم أرى نبيحها كله من ذلك الجانب من النهر وهذا هو عندنا إلى صوب الحى إلا أنه من شدة الظلام ما تعين لى شىء (قال الراوى) فلما سمع عنتر كلام جرير وثب من موضعه وثبة الأسد الشرير وفى الحال ليس أثوابه وأخذ حسامه فى يده ومشى إلى جانب النهر وصار يمشى على شاطئه وهو يتكلم مع أخيه هذا والأسد الرهيص

يسمع كلامه ويصغى إليه فسمعه يقول لأخيه جرير ماهو إلا من بعض الطماعين وقد قصد إلينا يتجسس فى جانب الحلة ليسل بعض الخيل من بين أيدينا كأنه قد سمع عنا أننا قد قل حيلنا وقوانا وأنا والله ياجرير وحق الملك القدير صاحب المشيئة والإرادة والتدبير الذى هو يوسوس الصدور عليم وخبير وهو على ما شاء قدير لو هجمت على أمة ربيعة ومضر لأذقتها الموت الأحمر الذى لا يبقى ولا يذر إلا فإنى أكون عنتر ابن شداد وهيهات وحق الملك الجليل أن يقدر سلال أو كاب محتال أن يقدم علينا بحال من الأحوال لأن ماله إلى مثل ذلك سبيل ولا يقدر يأخذ من حى عنتر لا كثير ولا قليل (قال الراوى) ومن تمام القضاء والقدر الذى ما للعبد منه مهرب ولا مفر أن الأمير عنتر لما أن قام من منامه قد أتته إراقة الماء فجلس إلى الأرض وجعل يتأمل طولا وعرض وفى جلوسه اتفق أن وجهه كان مقابل الأجمة التى فيها الأسد الرهيص وكان المأمون على ما أراد أن يفعله حريص (قال الراوى) وكان الأمير عنتر إذا أراد أن يريق الماء تسمع له صوت وهدير كدوى الرحا فى البئر لأن هذا الأمر من قوة همته وشدة عزيمته وكان إذا بال على حجر فيثقبه من شده حيله وقواه الذى ركبه فيه الإله إلا أن الأمير عنتر لما أن قعد يريق الماء فصعد له دوى وهدير فسمعه الأسد الرهيص فلم يكذب خبره دون أن خرج من كنانته سهما سقى بكاس الحمام وقد وضعه فى كبد ذلك القوس واستوفى عليه إلى أن حك الإبهام فى شاربيه وأطلقه على حس دوى إراقة الماء فخرجت تلك النبلة من فم ذلك القوس تدوى وتزعزعت مثل الشهاب الثاقب والبلاء الصائب إذا نزل من السماء طالب فلم يشعر الأمير عنتر إلا وتلك النبلة قد وقعت فى وسط مخصاه وقد دخلت وغاصت فى وسط أمعاه كل هذا جرى والأمير عنتر لا يتمتع مزح ولا تأوه منها ولا تضعضع ولا تحرك من ذلك الموضع (قال الراوى) وكان أخيه جرير واقفا على رأسه ولم يرى ما قد جرى عليه ولا عرف ما وصل من الأذى إليه غير أنه سمعه ينشد ويقول صلوا يا حاضرين على النبى طه الرسول

يا من رمى على الصوت ما أخطانا ... فأصاب قربتنا وبدد دمانا
يا أيها الرامى بنبلة قوسه ... لاقيت منا شرنا وأذانا
فلقيت رمية النبل صبت لقربة ... أخرقت منها الجلد ياشيطانا
أذيتنا فيهـــا بضربة نبلة ... وقطعت منا العرق والشريانا
أتلفتها بالنبل حين أصبتها ... وخرقتها وقطعت منها رجانا
الله يقطع منك وفدك عاجلا ... وتذوق ضربا دائما وطعانا
لو كنت أعلم من رماك لنحونا ... يا نبل فى ليل يريد خبانا
لأذقته كأس المنية عاجلا ... وتركته للوحش والعقبانا

(قال الراوي) فلما فرغ الامير عنتر من هذه الابيات فسمعه الاسد الرهيص فظن أن السهم أخطأ ووقع في قربة ماء السقاء ومن عظم ما دخل عليه من الرعب والفزع والخوف والجزع والشفقة مرارته ومات من وقته وساعته وخرجت روحه من جثته فلا رحم الله أرضا حوته ولا رحم الله أهله وعشيرته (قال الراوي) فعند ذلك تقدم إليه عبده نجم وكلمه فلم يرد جوابا ولم يبد كلاما ولا خطابا فمد العبد يده وقبضه من زنده وحركه فوجده قد مات وحلت به الآفات وقد فرط فيه الفرط وفات فعند ذلك تركه مرمى في موضعه وبعد عنه ولم يستطعمه بل قد أسرع ونهض مثل البرق وركب على ظهر ناقته من شدة خوفه وعظم دهشته وقد أرخى لناقته الزمام من غير توان وصار طالبا ديار بني نبهان وهو من الامير عنتر خائف وفزعان وهو لا يصدق أنه ينجو من الموت والهوان فهذا ما كان من ما جرى من الخبر وأما ما كان من أمر عنتر فانه قام على الاقدام وصار طالبا أبياته وأخوه جرير يمشي قدامه وهو من خلفه وهو يتوكا على سيفه وهو يتململ مما جرى عليه وقد أظلمت الدنيا في عينيه وما زال وهو على مثل ذلك الحال إلى أن دخل مصر به وأعلم عبلة بما جرى له من تلك الفعال فانزعجت عبلة وبكت وانتحبت ولطمت وولولت وانقلب الحي بسكانه وانزعجت قطانه وخافت شيوخه وشبانه وتبادرت إلى نحو الامير عنتر النساء والرجال وأخذوا يسألونه عن سبب ذلك الحال وكذلك عمه مالك وولده عمرو وزخمة الجواد وسائر بني قراد قد سألوه عن حاله فأخبرهم بجميع ما جرى له وقال لهم وبعد ذلك ما أدري كيف ذهبت وما علمت بباطن هذا الامر إن كان من هذا الجانب أو من الآخر (قال الراوي) فلما أن سمع جرير منه ذلك الاقوال فقال وحق ذمة العرب لا بد ما أكشف ذلك الحال ثم أنه أرمى ما كان عليه من لباسه وقد كثر وجده وضاقت أنفاسه وعلا بكاؤه وانتحابه وغاب عنه لاجل ما حصل لأخيه صوابه وقد أرمى روحه في البحر سباحة ولم يركن إلى الهدو ولا راحة وما زال يسبح في النهر إلى أن عبر إلى الجانب الآخر وطلع إلى البحر ومشى يتجسس في القفر وإذا هو قد وجد الاسد الرهيص مرميا على شفير النهر معفر والقوس والنبلة بجانبه وهو مقبر (قال الراوي) فلما نظر إليه جرير عرفه وقد حقق معناه فصاح بعد ذلك واحرباه وجعل يلطم على وجهه بحجر إلى ارادته وصار عبرة لمن يراه ثم عاد جرير إلى أخيه عنتر وأخبره بما رأى ونظر وحدثه بجميع ما أبصر فعند ذلك ايس الامير عنتر من نفسه وقد أيقن بحلول رمسه ثم انه أمر أخاه جريرا أن يأتيه بالاسد الرهيص إلى عنده ففعل جرير ما قد أشار إليه ومضى وأتى به إليه بين يديه فلما نظر الامير عنتر إليه وفكر في أحواله وما تم له وما جرى له فتأوه من فؤاده معلول مدبول وقلب بالهم مغلول وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

مرض العدو وأسرني ... وبضره وبموته تبلغ المنى ... في يموت وأشتفي

ويزول عن قلبي العنا وأقول بعد حلوله ونزوله دار الفنا
دعني أعيش مسربلا بالجيش وا كتسب الثنا وأرى عدوي ميتا
وفي الحرير مكفنا وأدعس برجلي قبره وأقول آدري من دنا
وأشد بشعري قائلا وفي حديثي معلنا
من عاش بعد عدوه يوما فقد بلغ المنا

(قال الراوي) يا سادات يا كرام صلوا على البدر التمام ومصباح الظلام رسول الله الملك العلام صلى الله عليه وسلم ولما أن فرغ الأمير عنتر من هذه الأبيات نادى وقال ها أنا عشت من بعدك ولا نلت مني مواداً ولا وقصدو لكن يا فرحة فرسان العرب إذا مت وشربت كأس العطب ولكن قد جعل الله سبحانه وتعالى لكل موتة سبب وهذا حكم من عن الابصار احتجب ثم أمر أخاه جرير أن يجمعوا للاسد الرهيص الحطب ويحرقوه في النار ويرموا رمادة في النهر بعد الحرق والتلف حتى لا يكون له قبر يعرف فلا رحم الله صداه ولا بل قبره وثراه وجعل النار مسكنه ومثواه هذا وقد قبل جرير من أخيه عنتر مقاله وتأسف عليه كيف يموت ويتلف حاله ولو أمكنه الفدا لكان بالروح يفديه ولا كان يموت وتعدمه جميع خلانه ومحبيه (قال الراوي) هذا وقد بات الأمير عنتر طول ليلته وهو ارق متململ في امر عظيم وعلم أن حاله غير مستقيم فعند ذلك قالت له عبلة يا ابن العم أنت تتضجر من نبلة وأنت ما تهمك أسنة الرماح والأشفار الصفاح فعند ذلك أخبرها بجميع ما قد جرى من ذلك الخبر وما وقع من الاسد الرهيص الكلب الخسيس وأعلمها بالقصة عن جليتها فلما سمعت عبلة ما قال جرير عظمت مصيبتها وانزعجت مفاصلها وقد بكت ولطمت على خدودها وقطعت أثوابها وأكلت لحم زنودها ثم أنها أكثرت من صياحها وناحت ونوحت وأنت وزعقت فاجتمع أهل الحي على بكائها وعويلها فعند ذلك قال لها الأمير عنتر والله يا ابنة العم لقد وافاني الردا وما بقى لي حياه بعد هذا أبداً فقالت له عبلة يا أبا الفوارس شد عزمك وطيب نفسك ولا تأخذ على قلبك ولا تلتفت إلى هذا وأمثاله فانت فيك دائم الدهر كل جرح مثل فم القربة فما كنت تبالي ولا تعبأ به ولا خفت إلا من ضربة نشابة قد أظهرت منك الارتياب (قال الراوي) فلما سمع الأمير عنتر من عبلة ذلك الخطاب تاوه من فؤاد مدبول وأشار إليها يقول صلوا على محمد طه الرسول ،

ألا يا عبله نوحي بعد فقدي إذا ثار العجاج بكل قفر
وقولي للشماتة أن تمادت بي الايام في سري وجهري
رعاه الله من عبد نجيب يلاقي في الكريهة ألف حر
وأني ليثها في كل حرب أبيد كماتها وخيل تجري

وشربى من دم الأبطال صرفا ... على النغمات من بيض وسمر
وقد شيدت لى بيتا رفيعا ... من العليـاء فى بر وبحر
وسعدى قد هوى بعد ارتفاعى ... وقد حط الزمان رفيع قدرى
وقد أمسيت حيرانا كأنى ... أحر على حشاى لهيب جمر
وقد آيست من رام رمانى ... بسهم قصده إخماد ذكرى
لحاه الله من رام معيب ... أصاب بسهمه سما كجمر
حديد ثقيل وقضيب متين ... ومن عصب البعير وريش نسر
وما اجتمع الجميع سوى لامر ... إصرع مهجتى ونفاذ عمرى

(قال الراوى) ولما إن كان من الغداة جمع أهله إليه ومشايخ قومه كلهم من حواليه، صاروا يبكون ويتحسرن عليه ويتأسفون عما جرى عليه فعند ذلك قال لهم الأمير عنتر بالله أعلموا من هذا الأنين والاشتكا بحق رب العباد الذى أهلك قوم ثمود وعاد ولنمرود بن كنعان والجبابرة الشداد وكل من سكن البرارى والوهاد هذا حكم رب العباد الذى قضاه فلا اعتراض عليه فيما أمضاه والآن فقد فرغت الليالى والايام وانطوت كأنها أحلام ولو عاش الانسان فيها ألف عام فلا بد له من شرب كأس الحمام ثم أنه التفت إلى عبلة وقال لها يا ابنة العم أنا والله ميت بلا محالة ومن بعدى والله ما بقى ينقالبنى عبس راية ولا يبقى منهم أبيض ولا أسود وتخطفهم العرب من كل بر وفدفد وتطالبهم بالثار من سائر النواحى والاقطار ولكن يا ابنة العم أسرعى واركبى حصانى والبسى دوعى اليمانى واعتقلى وعن رسفانى ويكون سوطى فى يدك واقصدى نحو بنى عبس وعدنان ويكون فى صحبتك الامير مالك أبوك وعمرو أخوك وادلمى احسبة القلب إنهم بعدى ما يبقون كذلك من قريب يحميك من الاعداء يقيك فهذه موتتى التى كتبت على فيا ترى كيف تكون موتتك ولكن يا ابنة العم أقصدى أحد الرجلين إما ابن المهلهل الأمير زيد الخيل أو عامر بن الطفيل فان أحدهم يحميك ويرد عنك الاعداء ويقيك فاطلبيه لنفسك ولا بد لاحدهم أن يخمد حسك ويسكنك فى رمسك لان بعدى ما يعرف لك قدر ولا شان ولكن يحسك من أنذله العربان فكونى لاحدهم أهلا ويكون لك بعلا وإذا سرت والبيرق المنوديان فلا تكلمى أحداً من العربان وإذا كنت على مثل هذا المعنى فلا يشك أحد فيك ولا يظنوك إلا أنك جميع العربان وتخاف منك سائر الشجعان (قال الراوى) فلما سمعت عبلة ذلك المقال أو بتلك السؤال ثم بكت وكثر منا النحيب والاعوال قال الراوى وأما المشايخ الحاضرون ولا سيما عمرو وذو الكلب الفارس المكين فانهم لما سمعوا كلام الامير عنتر مالت منهم إلى البكى واستعبروا زاد

بهم البكاء والنحيب وتوقدت فى قلوبهم نيران اللهيب هذا وقد أقبل الأمير عنتر على الأمير عمرو وذو الكلب وقال له يا أخى مالى عندك وصية إلا زيد بن عروة وأحتفظ عليه لأجلى أنا لأن أباه كان من أعز أصحابنا وكان من جملة الفرسان والشجعان وكان مثالك لنا من أعز الأخوان قال الأصمعى ولقد بلغنى عن الأمير زيد بن عروة أن الأمير عمرو قد عطف عليه وصار عنده أعز من روحه التى بين جنبيه وصار يشفق عليه كل الإشفاق من دون الاصحاب والرفاق (قال الراوى) وكان الأمير زيد طالع فارس لا يطاق وعلقة مر المذاق وبطل تبطل عنده فروسية حيل الشجعان وتقصر عنه الاقران لأنه كان شاب شديد الحيل والقوى فلما أن سمع الأمير عمرو وصية الأمير عنتر امتثل قوله وأمره إلا أنه قد ضاق من من ذلك صدره هذا وقد قسم الأمير عنتر الاموال والنوق والجمال على بنى قضاعة وبنى قراد وقد أوصى إلى الجوار والعبيد بالقسم الوافر الاوفر وكذلك لى زوجته قاصة الرجال لانه علم أنها من بعده لم يبق لها مشفق ولا ناصر خلافت أنها بعده ستملك عقال ولا مال ولا نوال نوق ولا جمل ولا نظرات بعده إلا شرور من غير سرور وإدبار من غير إقبال وقد أوصى الأمير عنتر لعمرو وذو الكلب على أخته قاصة الرجال وجميع من معه من بنى قضاعة الاقيال وأما بنو عبس الابطال فأمرهم أن يقيموا فى ذلك المنزل الذى هم فيه حتى يشيع عبلة إلى عند أهلها ويوصل بنى عبس شملها فقال له عمرو وذو الكلب يا أبا الفوارس نحن لا نكلفك إلى هذا الامر بل تقم أنت هاهنا حتى أنك تبرى من آلامك ولا تشمت فيك أعداءك وحادك وأنا أوصل عبلة إلى أى موضع أردت وأعود وحق الرب المعبود فقال عنتر والله لا رضيت بذلك أبدا ولا سمحت لى العدا الآن والله ما بقى لى فى الحياة مطمع ولا لى إلى الدنيا ومن فيها مرجع ولكن ها نحن مقيمون لى ما نحن عليه حتى أننا ننظر ما بنا الدهر يصنع ثم أنه لما زاد به الوجع أشار يقول كلام يقول هذا الامر وهو كلام يسمع وجعل يعدد على نفسه وينشد ويقول صلوا يا حاضرين على النبي طه الرسول

لقد هد الزمان عماد صبرى	وأضنى مهجتى وأباد أمرى
ومال على كل الميـــل حتى	لاولادى فقدت كل وحان أمرى
ولكن القضاء له أوانـــ	إذا ما حل بالمقدور يسرى
فوا أسفا على سبقى وترسى	ومهرى الأبجر الفحل الاغرى
ويا أسفى على قومى وما قد	يلاقوا بعد غيبى ضيق صدرى
ألا يا دهركم تبدى أمورا	تحير كل ذى فهم وفكرى
يفر الفارس الضرغام حتى	يظن الحلد فى دار المقرى

فلم يشعر بداعى الموت إلا   دعاه أجابه طوعا وامرء،
الا يا عبلة كاس الموت يسقى   جميع الخلق فى بر وبحرى

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات تباكت السادات والامراء والقادات واكثروا عليه من التأسف والحسرات هذا وعنتر قال امه وإن هذا الكلام لا أسمعه ولا أمتثله قال له عمرو ولماذا ذلك يا أبا الفوارس فقال اعلم يا أخى إنى أخاف أن يقال عنى بأن الامير عنتر حامية عبس وعدنان قد صار عند الموت بغفير خوفا من العربان وقد فزع من الرجال والابطال وأن هذا ما أفعله وحق الملك المتعال ولا فعلت ذلك أبداً ولا أشمت بى العدا قال فعند ذلك سكت الامير عمرو عن الخطاب ولم يرد عليه جواب هذا والامير عنتر بقلب اقوى من الحجر وهو فى ذلك الحال المنكر على غير الاستوى وألبس عبلة درعه وقلدها بسيفه وأعطاها رمحه وأركبها على جواده الابجر وركب هو فى الهودج الذى لعبلة على الجمل الذى كانت تركبه إذا سارت من منزل إلى منزل ثم فوضوا أهله وأعمامه ومارية وخيامة وشالوها على نوقها وجمالهم ثم أن عنتر التفت إلى عمرو ذو الكلب الفارس الرئبال ومن معه من الرجال وأشار يودعهم بهذه الابيات يقول صلوا يا حاضرين على النبي طه الرسول

ألا حيى المنازل من نظامى   وحتى دار عبلة والسلامى
ديار تلعب الارياح فيها   وفيها الطير عاما بعد عامى
وقفت بها أنادى الحى جهرا   فما كانت مواجبة كلامى
دع الاطلال والبير الخوالى   بصياح الرمح وانتدب الحسامى
أيا عبلة لا تنسى مقامى   إذا عاينت طعنات السهامى
وابكى السيف والرمح الردينى   واهدينى السلامى إلى عظامى
أخبرك وقد طلعت علينا   كتائب نجد مع إبنا قطامى
تركت شبابهم فى القاع صرعا   سكارى فى مجمع تحت القتامى
ورمحى ما طعنت به كمينى   واخطأ فى قعودى أو قيامى
الا يا عبلة لالاقيت سوءاً   ولا مكروها طول الدوامى
الا يا عبلة نوحى ثم إبك على   البطل الهمام على الزحامى

قال فلما فرغ الامير عنتر من هذه الاقوال وسمعها الامير عمرو ومن معه من الرجال والابطال حتى زاد بهم البكا والاعوال وبكت الهيفا قناصة الرجال وتحسرت على الامير عنتر كيف غدرت به الايام والليال هذا والامير عنتر أعطى لعبلة سوطه وهو راكب ذلك الهودج ومن حوله سائر أهله وأعمامه وهم شاكرين ما أعطاهم من خيره وانعامه وسار الامير عنتر وعبلة قدامه وسارت من خلفه سادات بنى قراد الرجال الاجواد يطلبوا أرض الشربة

والعلم السعدى والخيل والمطايا بهم تجدوتجرى والامير عنتر راكب وهو يمايل من شدة الاوجاع والآلام وعبلة قد هودجه ودموعها على خدودها سجام وهى كثيرة الهموم والأحزان والامير عنتر يعانى الموت ألوان وكلما سار قليل يأخبار كان من ملأ يوصل عبلة إلى قرب الديار لعلها تنجو من الردى والأخطار وتسلم من كيد الاشرار وهم سائرين فى تلك الاراضى والسهول وعنتر يتأوه من فؤاد متبول وقلب بالفراق مغلول وأشار بيده إلى نحو عبلة وجعل يوصيها بهذه الابيات وهو ينشد . يقول صلوا على طه الرسول

يا دهر سوء ألم تكن خوانا بنوائب قد فرقت إخوانا
ترى عزيز القوم بعد العز فى ذل ويبقى والها حيرانا
ويحط مرفوعا وترفع واطيا ولكم أبدت فوارسا شجعانا
يا عبلة دونك ولابحر فاوثقى منه الحزام وقلديه عنانا
وإذا مررت على القبائل سلمى بالسوط مثلى لا بلافظ لسانا
أما الجبان يقول ركبة عنتر إلا الشجاع لا يقول عنتر كانا
وإذا وصلت إلى حماك فاخرقى منك الثياب وشقق إلا ردانا
يا عبلة قولى عند مشتجر القنا قد كانا عنتر يحمى إلا ظعانا
قد كان عنتر عند كل ملمة يغشى النزال ولم يهب أقرانا
يا عبلة دونك والرحيل فاننى لا استطيع أناضل الا قرانا
يا عبلة لا ترتضى بعدى فارسا فترى منه مـــذلة وهوانا
يا عبلة ابك حتى تثور غبائر وترى الكماة ساقطوا الميدانا
يارامى السهم الرزيز قتلتنى غدراً وسهمك لم يكن خوانا
ليس الشجاعة بالفتى وإنما عند القضاء نزولها طيرانا
يا عبلة إنى فارسا ذو هيبة احمى الحريم وأقتل الأقرانا
إنى وقد أتت المنية بغتة اسمى وصنعى موضع البرهانا
لا تيأسى من عبلة واسلمى ما كنت إلا دامـــغ الأقرانا
يا عبلة كل بطل كمى قد ثوى فى وسط معمعه براز هوانا
كطم الثرى من عظيم طعنة عنترا وثوى طريحا والها حيرانا
يا عبلة جدى المسير فإننى قلق الحشا متوجع ولهانا
يا عبلة دونك والرحيل فعجلى بالمسير تلقى راحة وأمانا
كم عن فتى عدم الحيا من طعنتى وثوا طريحا مائلا حيرانا
يا عبلة لا تدعى بالجواد ولبسه ن كان فيك عفة النسوانا

يا عبلة أبك فارسا متغشرما ... يلقى الحروب ولا يخاف سنانا
بطل يكب الدارعين بضربة ... ولكم فتى من طعنه حيرانا
لا يرهب الموت الزؤام لدى الوغا ... ولقد رقا فوق العلا كيوانا
مردى القناعس آخذ أبصارهم ... وسط القتام ومرمل النسوانا
نوحى ياعبلة واندبى ليث الوغا ... ندب الحزين الهائم الولهانا
ياعبلة قد أهوى بعنتر دهره ... وأنال منه بعاجل ما كانا
وابك على العبسى عنتره الفتى ... ليث الطعان ومقرى الضيفانا
لا تفرحى بعدى عبيلة واندبى ... وابك على البطل الذى قد كانا
يحمى الحريم من العداة ببأسه ... ويجندل الأبطال والشجعانا
لو كان قتلته بحرب لم يكن ... لاقاه إلا فارس الفرسانا
لله درك من كريم ماجد ... مقرى الضيوف وقاهر الأقرانا
وإذا دعوت باسم عنتر فاعلمى ... ما كنت إلا مردى الشجعانا
والخيل تعلم والفوارس أننى ... ليث الحروب وفارس الميدانا
وسلوا الفوارس عن وقائع عنترا ... وسلوا سفيد وبعدها عدنانا
أولاد بدر قد عرفن مواقعى ... يوم الجفر وقتلة الفرسانا
وكذاك من فى الحى قد شهد الثار ... يوم السباق وقتلنا الشجعانا
وبنى ضبية مع فزارة كلها ... وبنى هلال وبعدها سلمانا
وبنى مزينة عند مشتجر القنا ... يوم الحجير وبعدها غسانا
والخيل كاشحة الوجوه عوابس ... والنقع واقع فى الديار عيانا
والخيل تعلم والفوارس أنى ... بظل الهياجر وجماعة عدنانا
وسلوا الأعاجم عن وقائع عنترا ... وسلوا القبائل بعدها العربانا
وسلوا الشيبان ودوف وعامر ... وليوث كندة بعدها ذبيانا
قد أفزدت ريح الصبا وهوشت ... ريح العدا بأمانى الغدوانا
هذا هو الفضل الذى يبقى له ... طول السنين وسالف الأزمانا

(قال الراوى) ولما أن فرغ الأمير عنتر من شعره واستوفى نظمه ونثره فبكت عبلة عليه بحرقة وذبلة وقد صارت دموعها مثل الامطار وقد بكى الأمير عمرو وأخته قناصة الرجال لأن عمرو كان أراد أن يقيم من بعد عنتر فى تلك الديار فما هان عليه فراق عنتر يا أخيار فركب وصار خلفه مقتفيا منه الآثار إلى أن أدركه بين تلك الروابى والآكام ومازال سائرا معه مدة خمسة أيام هذا والأمير عنتر كل يوم تتزايد به الأوجاع والآلام وقد أيقن بعد

الوجود بالإعدام هذا وقد أقبل الأمير عنتر على الأمير عمرو فى سادس الأيام وقال له يا أمير بحياتى عن قلبك ان تمضى إلى ديارك وعشيرتك واسكن باختك فى قبيلتك فانا أعلم أن بنى عبس إن تم على م كائنه فاتقوم لهم من بعدى قائمة وتتعب أنت قلبك غاية التعب وأنت ما لك طاقة بمعاداة العرب ومالى عندك وصية إلا فى زيد بن عروة وأن تأخذ لى بثارى من بنى نبهان ولا تخلى منهم إنسان قال فعند ذلك بكى عمرو ذو الكلاب وقال له يا أبا الفوارس طب نفسا وقر عينا فسوف آخذ بثارك وأكشف عنك عارك ولكن أنا ما أفعل شىء حتى تأتى اخبارك ثم إنهما تعانقا وتباكيا وقد ودعه وسار يجد المسير فى البرارى والقفار وقد زادت لفراق عنتر ناره وقد صار يطلب دياره قال ولما أن سار عمرو إلى دياره عطوف أقبل عنتر على أخيه جرير وعلى ابن اخيه الخذروف وقال لهم يا إخوتى أريدكم أن تسيروا وتبلغوا خبرى وقصتى إلى قومى وعشيرتى وأنا أعلم أنكما ما بقيتما تجتمعان بصورتى وإذا وصلتم فانعونى لهم ومذقوا الثياب بين أيديهم وبلغوهم سلامى وجيوهم وقولوا لهم يحموا حريمى كما حميت حريمهم إلا إن كانوا ما يقدروا ومن بعدى والله لا يفلحون (قال الراوى) فعند ذلك سار الخذروف وعمه جرير وقلوبهم تغلى على عنتر شبه نيران السعير وهم يبكون بدمع غزير وهم مشتقين الثياب بادين البكاء والانتحاب وأما ما كان من الأمير عنتر فانه قد زاد به الألم فأمر العبيد أن يسوقوا الجمال والنعم وعبلة راكبة على صهوة الأبجر وهى باكية حزينة على عنتر وهو فى ذلك الهودج فى همومه وإغمامه وبنى قراد سائرين من خلفه وإمامه وما زالوا سائرين وهم على ذلك الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح فبينما هم سائرين فى ذلك الروابى والبطاح وإذا قد جاز بهم موكب من كبار حلل العرب الثقال وقد عاينوا تلك الهوادج والأموال وعبلة راكبة على الأبجر ولكن حزينة على الأمير عنتر فقال رجل منهم يا بنى عمى أن هذا الجواد جواد عنتر والسلاح سلاح عنتر إلا أن الراكب وحق من علا فاقتدر ما هو الأمير عنتر لأن القامة والله ما هى قامته ولا هذه الهمة همته فان صدق حذرى ولم يخنى نظرى فان عنتر قد مات أو إنه مريض ولا يطيق الركوب ولا الثبات وإلا حل بآفة من الآفات وما هذه إلا ركبة عبلة بنت مالك وابن عمها قد حلت به المهالك فسيروا بنا قدامهم حتى نكشف أخبارهم ونتحقق أمرهم ثم دعونا نصير إلى أين نزل عنتر إلى إراقة الماء وفى موضعه نبصر وننظر وقد صح لنا الحال والخبر قال وكان الأمير عنتر إذا بال فيثقب الأرض بوله مقدار شبرين وإذا أراق الماء فتحفور فى الأرض مقدار ثلاثة أشبار هذا وقد صارت الرجال خلفهم من بعيد وهم يقطعون القفار والبيد وهيبة الأمير عنتر تمنعهم عن الوصول إليهم وهم خائفين من القدوم عليهم (قال الراوى) فاتفق أن عبلة نزلت تريق الماء فلما فرغت ركبت وسارت هذا والفرسان تنظر إليها إلى أن ابعدت فاقبلوا على أثرها إلى أن أتوا إلى

موضعها وقد عاينوا مكان إراقة الماء وإذاهم وجدوها مفروشة على وجه الأرض لأن المرأة إذا أراقت الماء على الأرض انفرشت والرجل إراقته فى الأرض تفور فقال الرجل ألم أقل يا بنى عمى وهو فيكم أن هذا الفارس ابو عنتر فوحق ذمة العرب إن صدقنى حذرى ولم يخط زجرى فهذه عبلة بنت مالك بن قراد لأن الركبة ركبة امرأة وحق ذمة العرب وحرمة شهر وجب (قال الراوى) ثم أن الرجل قال لهم وإن كان الأمر كذلك فاحملوا بنا عليهم ثم أنهم اتفقوا الجميع على أخذ أموالهم والغارة عليهم قال الراوى ثم إنهم حملوا عليهم فى ساعة الحال وأرادوا نهب الأموال وسبى العيال من بعد قتل الرجال وقد تبادروا إلى الحرب والقتال وطلبوا الطعن والنزال فسمع الأمير عنتر وهو يقاسى نزع الموت الأحمر فعند ذلك صاحت عبلة بنت مالك وقالت يا ابن العم قد أدركتنا الأعدا والعرب تريد سبينا فانظر ما ذا ترى (قال الراوى) فلما سمع الأمير عنتر ذلك المقال رفع سجاف الهودج فى عاجل الحال وقد أطلع رأسه منه ونظر اليه وزعق زعقة ارتجت منها البرارى والجبال وجاوبته تلك الأودية الخوال مع التلال وقد نادى وقال يا أوغاد غير أمجادها أنا عنتر بن شداد واليوم أريكم كيف يكون الحرب والجلاد فوحق الملك الجواد لأبيدنكم فى هذه الأرض والوهاد قال فلما سمعت الفرسان صوته وعرفوا زعقته طارت عقولهم وحاروا فى أمورهم وطلبوا الهزيمة فى عرض البر الاقفر وهم يدقوا بعض وقد أوسعوا فى جنبات الارض وهم يقولوا أسرعوا بنا نطلب الهرب والنجاة لانها حيلة من هذا الشيطان مايقاومه فى الدنيا إنسان ولا يطيق لقاء أحد من الشجعان وقد أخفى نفسه حتى ينظر من يتعرض لاهله ويطلب شرهم فيسير اليهم ويخرب ديارهم ويمحق آثارهم فهذا ما كان منهم وأما ما كان من القوم فإنهم ساروا من بعيد إلى بعيد ينظرون اليه ثم أنه قال لاعمامه ومن كان معه أجمعين هيا يا أبناء الاعمال أسرعوا وسيروا لعل أن تصلوا سالمين فانا هالك بلا محالة فاسرعوا ودعوا عنكم الإطالة فقال له زخمة الجواد يا ابن أخى أزعجت روحك فنحن نبذل أرواحنا دونك فليطا لما حميتنا بسيفك ورمحك قال فلما سمع عنتر من عمه هذا المقال والإيراد قال له صحيح يا عماه أنتم فرسان الحرب والجلاد ولكن ما أسماكم وأشهركم إلا عنتر بن شداد فسيروا الآن على حالكم بعساكركم أن تصلوا سالمين إلى أرضكم ودياركم قال فعند ذلك تباكى الجميع وودعوه وسارت بنو عبس وتقدمت بين يديه وهو ينظر إلى عبلة والدموع تتحادر من عينيه فلما غابت عنه وهو متكىء على رمحه بيديه فشهق شهقة ونفخ نفخة فارقت روحه جسده والجواد واقف تحته لم يتحرك عن مكانه لان هذه كانت عادته عند تربيته وشأنه وكان عنتر مدة حياته إذا نام ينام على ظهر حصانه (قال الراوى) هذا وهؤلاء العربان يظنون ان عنتر فى قيد الحياة ولم يعلموا انه شرب شراب الوفاة إلا كانه واقف

يطالب منهم الحرب والقتال فقالوا لبعضهم ياويلكم ارجعوا على أعقابكم من قبل أن تعدموا نفوسكم وتفقدكم أصحابكم فقال الشيخ يا بنى عمى إنى قد تحيرت من هذا الأمر المتدارك وأنى ما أظن إلا عنتر هالك ولو كان هو طيب فى قيد الحياة ما كت عن قتالنا فى هذه الوديان لأنه لا مو بو عديد ولا بجبان ولا ذليل ولا مهان حتى أنه يقف هكذا عن القتال ويرهب الرجال والأبطال ثم أنهم وقفوا ينظرون آخر ما يكرن من ذلك الحال هذا وبنو عبس قد تبطنوا فى البرار والتلال وأمنوا على أنفسهم من شراب الوبال وهم يظنون أن عنتر تابعهم على ظهر حصانه هذا والابجر لا يتحرك عن مكانه بل تم كذلك إلى ن تدانت الشمس إلى الغروب وكلت الفرسان حتى كادت أجسامهم أن تذوب فقال الشيخ يا ويلكم أنا ما قلت لكم أنى عرفت أمره وما أظن أنه قد مات والرأى أن تقبلوا منى ما أقول لكم واحملوا بنا عليه ودوروا به من خلفه ومن بين يديه وإن كنتم ما تقدروا على هذه الفعال ولا لكم جسارة عليه بحال من الأحوال فاطلقوا للأبجر حجرتى هذه فإنها طالب فإن كان به أمر من الامور فإنكم تبلغوا منه المرام قال الناقل فعند ذلك امتثلوا ما أمرهم به هذا الشيخ من المطالب ونزل عن حجرته ودفعوها إلى الابجر فى تلك السباسب فقصدته الحجرة لكون أنها طالب فلما قربت منه ووصل اليه شب عليه فوقع عنتر من عليه فعندها اطمئنت قلوبهم وقربوا منه وقالوا يا ملك من فارس كريم فأنك فى حياتك وبعد مماتك صنت الاموال والحريم ثم أنهم أخذوا عدته وسلبه وتركوه مرميا فى تلك الفلا فقال لهم الشيخ يا بنى عمى لما إن أخذتم سلبه عدته وبعد ذلك تتركونه إلا ما به يستاهل أن يبقى كذا ملقى فى الفلاة والرأى أن تواروه فى التراب ويكون لكم فى ذلك الأبجر والثواب ات من الملك الوهاب عندها نزلوا على خيولهم وحفروا له قبرا عميق ودفنوه وأهالوا عليه التراب وكانه ما كان فسبحان الملك الديار الذى قدر على عبادة بشرب كاس الممات وصار عنتر مثل من له سنين وأوقات قال الراوى وكانت المدة الذى انجرح فيها حتى وقع فى ذلك المكان خمسة اشهر الاخمسة أيام وأما الفرسان لما واروا عنتر بالتراب عادوا على أعقابهم فى البرارى والهضاب وأعاجوا دعنترفانه هج من بين أيديهم فى البر الاقفر ولا قدر أحد يمسكه وصار وحشا فى الفلاة قال الراوى فهذا ما كان من أمر عنتر واما ما كان من بنى عبس فانهم بعد مفارقتهم لعنتر ساروا وهم يظنون انه لاحق بهم على الأثر وما يعلموا بما قد حل به من القضاء والقدر ولم يزالوا سائرين وفى سيرهم مجدين حتى وصلوا إلى الاحياء من شدة الكرب التى لاتسعهم الدنيا وحققت الحقائق أن عنتر مات وشرب شراب الآفات واخبروا بما كان معه وما يكون من فرقته لدنياه عند ذلك ندبت النوادب وهلبت الخيل والجنائب وصاحوا وولولوا وعزم منهم جماعة على الرواح إلى موضع الوقعة بعد ما اكثروا الصراخ والنواح ورموا البيوت والمضارب وبعد ذلك ركب من إخوة الملك قيس ثلاثة

أبطال واخذوا معهم جماعة من بنى عبس الاقيال بعد ما أوصاهم الملك قيس إنهم لا يعودون إلا به وهو محمول على بعض الجمال وكان قيس لما بلغه ذلك الحال كاد أن يهلك نفسه مما حل به من تلك الأهوال هذا وقد سار أخوته ومعهم هؤلاء الرجال الذين كانوا مع عنتر أول الحال ليخبروهم بالمكان الذى لقيهم فيه تلك الرجال ثم إنهم ساروا وملكوا القفار إلى أن وصلوا إلى هذا المكان فرأوا فيه قبرا فسيح فلم يخف عليهم ذلك فعلموا أن عنتر شرب شراب المهالك فنبشوا عليه وأطلعوه وهو ملفوف فى ثيابه من غير اكفان فادرجوه فى قطع من الاديم الطائفى كانوا قد اتخذوه لهذا الشأن ثم حملوه على الجمل وعادوا راجعين إلى الاوطان وهم كثيرون البكاء والاحزان ومازالوا سائرين حتى وصلوا إلى الديار ونزلوا فيها واقربهم القرار وعملوا المآتم والاحزان ومضت عليهم أيام الحزن ولم يجدوا أمثلها فى ذلك الزمان وندبت النوادب وبكت الحبائب على الحبائب ولما فرغوا مما هم فيه من تلك المصائب حفروا له قبرا بجانب أبيه وقبر صديقه مالك وهو على ذروة العلم السعدى وتلك المسالك ودفنوه فيه وأهالوا عليه التراب وتباكت عليه الأخلاء والاحباب ورثته وندبته الشعراء والصعاليك وكان مما قال فيه بعض واصفيه هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات

يا مقلتى بالدمع لا تقفى	وساعدينى بدمعك الهدف
على ابن شداد عنتر العبسى	لما أتاه فى شده الهيف
حامى بنى عبس كلما نكبوا	يجيرهم من وقائع التلف
كان إذا جال يوم معركة	ترى فؤاد العدو يرتجف
لهفى عليه ما كان أشجعه	فى الحرب حين القنا ينعطف
كم فارس كانت الأسود	طوعا ومنه فى غاباتها تجف
من حاده عنتر قد ولى هاربا	واللون بعد البياض صار مختلف
كان فارسا ذات الملوك له	واتحفوه بشائر التحف
قد صرت بعد السرور منذثرا	فى مهمة عفير فيا أسفى
عليك يا حامى الحريم إذا	رام العدو سبيهن بالشغف
قد كنت حمى لأبناء عبس	وهم بذلك أسرد عطف
واليوم أصبحوا بغير حامية لهم	من المرهفات البيض والجحف
يا حاميه عبس طال ماسهرت	جفون أعدائك خيفة من التلف
وقد شمتت أعدائك وصرت مجندلا	من كف أعمى باغ غير منتصف
فاضت دموع عينى كقطر السما	يا مقلتى بالدموع لا تقفى

(قال الراوى) وبعد ذلك تفرقت الناس إلى منازلهم والخيام وقيل إن هذا العزاء بقى

سنة من العام إلى العام هذا وعبلة لم يقر لها قرار ولم تنشف لها دمعة لبعد المزار ولا بردت لها لوعة في قلبها من اللهيب وقد أقلقت الحى بالصياح وبما كانت تكثر من البكاء والنواح هذا وقد تسامعت العرب بموت عنتر فتذكرت الدماء الذى لهم على بنى عبس من أيام ذلك الفارس الفسور . قد تحركت العربان تروم أخذ الثار ويريدوا يكشفوا عن أنفسهم العار (قال الاصمعى) وكانت الحلفاء والأصحاب قد قدموا للعزاء وكل منهم كثير البكاء والانتحاب وكان من جملتهم عامر الطفيل وقد قعد للعزاء سبعة أيام فلما انقضى العزاء وأراد عامر السفر أخبروه بما قد أوصاهم به عنتر من أمر عبلة وقد فرح بتلك الفعلة وشرع من تلك الساعة بزواجه بعبلة وقد رسم لها بألف ناقة من خيار الأموال والنوق والنعم وألفين رأس من الغنم وخمسين عبدا ومائة أمة وخمسين رأسا من الخيل المسومة قال ولما انقضت تلك الأشغال رحل بها طالب دياره والأطلال فلما وصل إلى حله ونزل بها واستقر به القرار دخل بعبلة فوجدها جنة خلد وهى أحسن البنات الأبكار وقد صفى له زمانه بالاتصال وعاشا مدة وهما فى أحسن ما يكون من الامكان وما كانت تكلمه فى تلك المدة كلمة ولا تألفه يوما من الدهر فامتلأ قلبه عليها من القهر غيظا وحنقا بعد ما كان أحبها حبا شديدا وتمت معه فى العيش الرغيد ولكن لما بان له منها عين الجفا تكدر عيشه بعد ما كان صفا ورحل بها إلى قبيله بنى غيلر وقد أخذت بعد ما كان لها من الأموال والنعم وقال لها إننى يا أميرة أحمى حماك من العرب والعجم فقالت له هيهات أن يكون ذلك مثل ما كان ذلك الفارس الأدهم لأنه كان أشد منك وأبطش فى الحرب والكرم وأنه كان فى فعله عند الفرش أشد ما يكون الحرب والهواش وكان أشد منك بأسا وأقوى مراس (قال الراوى) وبما لحق عامر بن الطفيل من الغيظ والحنق لما سمع منها ذلك الكلام الذى لم يفق تمنى أنه لم يكن فى تلك الأيام ولم يخلق وقال فى نفسه وحق ذمة العرب الكرام لابد من قتلها وأسقيها كاس حمامها وألحقها بأسوها ولا أتحمل عارها الذى تزعم أنه يحميها ويحمى ديارها وأقاموا على ذلك مدة كثيرة وقد لحق عامر من معاشرتها وسوء أخلاقها بالـ عليه الابذهال والحيرة (قال نجد) فلما كان يوم من بعض الايام وهم على ما هم فيه من المباشرة والالتزام وإذا بأفعى قد ظهرت من بين الخيام نزعت إليها الشباب واهتموا لإغاثة الاهيام فسمع عامر بن الطفيل الضجة فقام من على صدر عبلة وقد جذب فى يده الحسام وغدا خلف الافعى بقوة عزم واهيام فخطا إليها عامر خطرات متتابعات وزعق عليها زعقات هائلات حتى لحقها وقد صار إلى آخر الأبيات فرجعت إليه ونفخت عليه حتى تطاير الشرار من أحداقها لما صارت بين يديه فتلقاها بسيفه وضربها به قطعها نصفين ورماها على الأرض قطعتين ورجع إلى عبلة وقد ارتخى عليه إجليله وذلك مما تعب وضاق سبيله فلما رأت عبله إلى حاله ضحكت وتمايلت عجبا فقال لها عامر على أى شىء

تضحكين يا ابنة مالك فقالت له ماهو إلا أنى تذكرت ابن عمى عنتر وكان قد جرى علينا كذلك وكان راكبا على صدرى يوما من الايام وإذا بأسد قد ظهر من جانب الحى وقد أتى من البر والآكام فصرخت العبيد والرجال وفرعت من كل جانب إليه الأبطال فقام من على صدرى وقد جذب فى يده سيفه الضامى المهند وخرج إلى ظاهر الحى ودنا من الأسد وضربه أطاح رأسه من على جسده وعاد إلى وما تغيرت حاله ودنا منى وقد قضى باقى حاجته وأراك أنت قد قتلت دودة على باب الخباء من دود الأرض وقد رجعت وأنت لا تدرى الطول من العرض وقد بطلت حواسك وتقطعت من شدة التعب أنفاسك ولا بقيت تعنى لى أحد من أهلك وناسك (قال الراوى) فلما سمع عامر منها ذلك الكلام وتلك المعيرة التى اورثت الأسقام زاد غيظه من الحنق والغبن والهيام وقال فى نفسه لا بد لى من قتلها وإلا جعلتنى معيرة بين أهلى وأهلها وهى التى تفضحنى بين العرب وهو عاجل به زاد عنده الغيظ والغضب وبقى يتمنى أنه فى ذلك الوقت لم يخلق مما اعتراه من العطب وفاضت الدموع من محاجر عينيه وكان من شدة الغبن أن يغشى عليه وما بقى ينظر ما بين يديه ثم أنه خرج من عندها ومضى إلى أهله وحدث بنى عمه بأمر عبلة وما كان من قولها ومن فعلها فقالت له ساداة قومه إن هذا أمر منكر وأن هذه المرأة لو عاد يخلو بها اسكندر أو الملك كسرى أو قيصر لم تذكر إلا ابن عمها عنتر فقال لهم عامر لقد صدقتم يا بنى عمى والله لقد فرجتم عنى بعض ما فيه من همى وغمى واتفق معهم على قتل عبلة ويفرج عن قلبه هذه الدبلة ويستريح من معيرتها بالجملة ثم أنه صبر إلى أن أقبل الليل وأمر عامر الجوارى التى كانت له أن يخنقوها ويحلوا بها الويل وأين منها وقال أقتلها ولا تفضحنى عند أهلى وناسى فتركوها الجوارى حتى عبر عليها الليل ونامت فقاموا إليها وتكاثروا عليها وخنقوها ولم يعلم بها أحد من الناس (قال الراوى) ومما وقع من الاتفاق أن أبوها وأخوها قد زاد بهم الشوق إليها وكذلك أمها فأتوا إليها يفتقدون أحوالها ويسلموا عليها لما استوحشوا إليها وكانوا قد أخذوا معهم شيء كثير من الأرزاق إلا أنهم ما وصلوا إلى ديار عامر إلا فى ذلك اليوم الذى خنقت فيه عبلة وأنهم سألوا عنها بعلها فأنكر حالها فلجوا عليه فى السؤال فلم يجدوا لها خبر بالجملة فسألوا عنها من الجوارى فأنكروها وجحدها فزادا تحيرهم وأكثروا الصياح والعويل وقد زادبهم لأجل فقد ابنتهم الهم والتنكيل وقالوا ما بقى ينفعنا إلا الملك الأسود ونشكى قصتنا إليه ونعلمه بما جرى على بنتنا وما تجدد علينا ثم أنهم اعتدوا إلى الرحيل حتى يشكوا حالهم إلى الملك الأسود ويخبروه بما جرى عليهم بعد موت حاميهم وما قد تجدد وبما فعل فى ابنتهم عامر بن الطفيل وما أنزل بهم من الذل والويل وساروا وتبطنوا بالقفار فبلغ خبرهم إلى عامر فخاف أن يفشوا عنه هذه الفعلة بين القبائل ويركبه العار بقتل عبلة فركب وسار خلفهم لأجل يترضاهم ويردهم وعاعزموا عليه يصدهم

وما زال تابعهم حتى لحقهم وأعاقهم عن المسير فى الطريق وأحل بهم التعويق وأمرهم بالعودة إلى الديار فلم يجيبوه ولم يطاوعوه على ذلك الحال واختاروا القتل بعد ابنتهم وحاميتهم وأغلظوا على عامر فى الكلام وجذب عمرو أخو عبلة على عامر الحسام فلما رأى عامر منه ذلك المقال حمل عليه وقد زاد به شره وكفره وطعنه بالسنان فى صدره فأطلعه من ظهره فلما رأى مالك ما فعل عامر فى ولده من تلك الفعال نادى قتلت ولدى يا ابن الانذال فلما سمع عامر ذلك المقال حمل عليه الآخر واستطال واستجاده بطعنة فى فؤاده نكسه عن جواده فوقع إلى الارض صريع يخور فى دمه علقما ونجيعهم أنه تركهم مرميين فى القفار تأكلهم الوحوش والاطيار وعاد راجعا إلى الديار ولما استقر به القرار قيل أنه قتل أمها الاخرى وأحل بها الدمار وهجت بنو قراد الذين كانوا اصطحبوا بمالك وطلبوا منازلهم والامصار وبعدها احتوى عامر على ما كان لهم من الاموال والنوق والجمال ومضت عبلة وأمها وأبوها وأخوها كأمس مضى وما بقى لهم كر بين الرجال فسبحان الله العزيز المتعال (قال الراوى) فهذا ما جرى هاهنا وأما ما كان من أحوال بنى عبس وبنى فزارة فان حصن بن حذيفة وسنان بن أبا حارثة نظرا فى أمر بنى عبس وهم يؤملان أن يفعلوا بهم شيئا من تلك الامور الحادثة واجتمعا هم وحلفاؤهم أكثر من عشرة آلاف فارس ما منهم إلا كل مدرع ولابس وحصن بن حذيفة أمام القوم راكب على حجره أبيه الغبراء فى ذلك اليوم وهى التى كانت السبب فيما جرى بين الطائفتين من الفتنة واللوم وهى تحته كأنها البرق الخاطف والسحاب الواكب وهى سريعة الذهاب خفيفة الركاب كأنها برق عطف أو نسمة من الريح الدبور وقد عصفت وهو غائص فى سكنه غارق فى لامته يجر رمحه من وراء ظهره وقد تكبر وتجبر على أبناء جنسه وزاد بغيه وشره والراية على رأسه تظله وسادات بنى فزارة وبنى ذبيان والكل ممتثلون أمره وسامعون قوله فوصلت أخبارهم إلى بنى عبس بأن بنى فزارة واصلون إليهم وقادمون عليهم بجدها وحديدها وعدها وعديدها وخيلها وجنودها يريدون منهم أخذ الثار وكشف العار لان فى قلوبهم من بنى عبس لهيب النار من يوم قتلوا سادات بنى بدر وحذيفة وإخوته على جفر الهباءة وهو فى قلب حصن ما ينساه هذا وحصن وبنى فزارة قد ساروا ولو كان لهم أجنحه لطاروا فهذا ما كان من بنى فزارة (قال الراوى) وأما ما كان من بنى عبس فانهم قد اجتمعوا عند الملك قيس بن زهير ليأخذ برأيه وما به عليهم يشير قال هل يقيموا فى مكانهم أو يعلموا منه بالمسير فقال لهم يا بنى عمى إن بنى فزارة قد اجتمعت وفيكم قد طمعت ويرجون أن يأخذوا بثأرهم منا ويكشفوا عدوهم وقد اجتمعوا علينا وحلفاؤهم من سائر البلاد واستعجروا أمرنا من بعد فقد حامينا عنتر بن شداد ولا بد ما تشمت بنا الاعداء والحساد ونحن ما بقى لنا أحد نلتجىء إليه ولا من يعز علينا ولا من نعز عليه فواحسرتاه عليك

يا أبا الفوارس ويا من كان لنا حافظا وحارس فلما سمعت بنو عبس من الملك قيس ذلك الكلام، كثر منهم البكاء والنحيب والضجة والوجيب وتنادوا بالبكاء على عنتر وتذكروا أيامه البيض الغرر وصار قيس يقول لهم يا بنى عمى الذى مضى فات وإن ابن عمى عنتر انقضى ومات وسيطالبكم غير بنى فزارة وسائر العرب من بعد منها ومن اقترب وما بقى لكم من يلجؤون إليه ولا معول تعولون عليه إلا مقابض سيوفكم وسنان رماحكم وإتلاف نفوسكم وأن تجعلوا دروعكم قبوركم والرأى عندى من القول التمام أنكم تموتوا كرام ولا تعيشوا لئام (قال الراوى) فلما سمعت بنو عبس ما قال الملك قيس وما أبدا من ذلك المرام أطاعه كل من كان حاضرا فى ذلك المقام فعند ذلك نهض أخوه نوفل من بين الجماعة وقال له يا أخى إننا مطيعون هذا الأمر بالسمع والطاعة ولكن عندى رأى آخر إن أمرتنى أن أبديه لكم لأن فيه السداد والأمر الجيد والرشيد فقال له الملك قيس قل ما بدا لك فإننا مطيعون ما تبديه من أفعالك فقال له نوفل الرأى عندى يا أخى أننا نسير من ها هنا بأجمعنا وأموالنا وعيالنا ونرحل إلى جبال الروم ووادى الرمل ونحصن حريمنا هناك ونبقى جرائد بلا ثقل ولا عائق ونركب تلك الخيل العوائق لأنك كما تعلم أن ابن عمنا عنتر فى أول منشئه فى معاداته للملك النعمان ودخل عليه ومعه مائتا فارس قاصى روحه هو ومن كان معه من الفرسان وأكل أموال العرب وأخذ الجزية من الملوك ذى الرتب وقهر الفرس والعجم وأباد الترك والديلم وما افتكر فى أحد من الناس لأن ذلك المكان جزيرة ومكان أمين ما عليه قياس ولا يقدر عليه أحد إلا إن كان من بابه وإذا حصنا فيه الحريم ما يبقى الواحد منا يبالى بما أصابه وإذا وقف فيه عشرة رجال بالعرض منعوا من يدخل إليه ولو أتى كل من فى الأرض فلما سمع بنو عبس كلام نوفل أجابت إلى مقاله وكذلك الملك قيس رضى بأقواله وقال إن هذا رأى صواب وفى عاجل الحال فرضوا خيامهم والمضارب وساروا بالرماح والسيوف والقواضب وسارت النساء فى الهوادج على ظهور الجمال وتبطنوا فى ذلك البر بالحريم والعيال ثم جعلوا قصدهم بلاد الروم ووادى الرمال وقد حصل فى قلوبهم من الخوف أمر عظيم هذا وقد صار فى قلب الملك قيس نار لا تنطفى ولهيب لا يخفى والبكاء والنحيب من بنى عبس قد علا وقد ملؤا بصياحهم جنبات الأرض والملا وقد تذكروا أيام حاميتهم عنتر وما أصابهم من فقده من البلاء فهذا ما كان من بنى عبس وما جرى لهم وما دبروه من تلك الأمور (قال الراوى) وأما ما كان من بنى فزارة اللئام فإنهم بعد تجمعهم والالتئام ساروا قاصدين ديار بنى عبس لتبلغوا منهم المراد ويقلعوا آثارهم بعد حاميتهم عنتر بن شداد هذا وفى قلب حصن من بنى عبس لهيب النار لأجل قتل بنى عبس أباه حذيفة الغدار وكان قد أنفذ حصن وسنان الأمول إلى كثير من القبائل وأعلموهم بما قد عزموا عليه من ذلك الأمر والمرام وأنهم قاصدون بنى عبس ليبلغوا منهم المرام هذا وحصن قد أنفذ بحث

القبائل على المسير لأجل أخذ الثار وقد أوصل لهم الكتب مع الطراق والسفار وصار يحرضهم على المجىء بهذه الأبيات :

فسيروا لأخذ الثار ياسادات العرب	لأن بنى عبس فناها قد اقترب
فان رمتموا أمرا فسيروا بنا لهم	لنسقيهم كاسا من الموت والعطب
ونأخذ لنا بالثار منهم عنوة	ونبليهموا بالقتل منا وبالحرب
ونهلك بنى عبس ونفنى جاءهم	ونطعنهم بالرمح فى الصدر واللبب
ونسقيهموا كاسا من الموت مترعا	ونبليهمو بالويل والضرب والتعب
ونضربهم بالسيف فى وسط هامهم	ونفنيهموا جمعا ونسكنهم الترب
ونأخذ بثار من مضى من رجالنا	لانهموا أفنوا جموعا من العرب
ألا يا بنى ذبيان سيروا واشدوا	على قتل قيس الرأى منا فقد وجب
فن بعد عنتر ما بقى مسعف لهم	ولا رجل يرجى يكون لهم سبب
فهذا الذى نرجوه فى طول دهرنا	وهذا الذى كنا نريد من الأرب

(قال الراوى) ثم أن حصن أرسل كتبا كثيرة مع العبيد وغيرهم من الرجال إلى الأحياء وسن لهم من الأبطال يحرضهم على القدوم لبنى عبس حتى يحل بهم النكال فاوصل كتاب إلى قبيلة من قبائل العرب إلا وساروا بالنجب وكل منهم طالب بنى لاخذ الثار وكشف العار هذا وبنو عبس قد ساروا كما ذكرنا طالبين جبال الروم ووادى الرمال على التحصن هناك لاجل القتال ومازالوا سائرين وإلى ذلك المكان طالبين فأتت طريقهم على أرض يقال لها أرض الصائم وفيها غدير من الماء نابع يتدفق ماؤه ويبرق حصباؤه وقد فاحت أزهاره وناحت أطياره وطاب مزاره فنزلوا إلى هذا المكان لما رأوا من طيبة تلك الالوان ليستريحوا مدة من الزمان ولم يعلموا ما خبى لهم فى الغيب من حوادث الزمان (قال الراوى) فبينماهم نزول فى هذا المكان وتلك الديار إذا بالغبار من خلفهم قد ثار حتى سد منافس الهواء وتلك القفار قد طلمت وزوايه قد ارتفعت وكان ذلك ساعة من النهار وبان ما تحت الغبار النظارة وانكشف عن فرسان بعدد الزمان وقطر السحاب وقد ساروا من كل فج عميق ووادى سحيق وأسنة تلك الفرسان تلمع وخودهم فى ضوء الشمس تشعشع وما فيهم إلا كل بطل صنديد ومن كثرتهم قد سدوا عين الشمس والفضاء وهم مقبلون مثل حلول القضاء وهم ألوف لا تعد ولا تحصى بعدد الرمل والحصى وفى أوائلهم كثير من بنى فزارة وبنى ذبيان وبنى مرة وبنى همدان وبنى سنبس وبنى زهران وبنى أسد وبنى شيبان وبنى نمير وبنى حنظلة وبنى نبهان وبنى غنا وبنى كلاب وبنى الوحيد وبنى ضبيان وبنى مشاجع وبنى صعصعة وبنى كلام وبنى أوبرة وبنى يربواع وبنى ذهل وبنى جديلة وبنى زهرة وبنى السكاسك وبنى

السكون وبنى رغبة وبنى رباح وبنى هلال وبنى جبهان وبنى طى وبنى عادى وبنى
تميم وبنى قحطان وبنى أمية وبنى حمير وبنى سعد وبنى الجريش وبنى هوازن وبنى جشم وبنى
مراد وبنى الأشجع وبنى الحكم وبنى وشاح وبنى باهض وبنى كهلان وسارت تلك القبائل من
كل النواحى مقبلة وواصلة من سائر الوديان ولشرح هاهنا يطول فى أسماء القبائل وذكرهم
يطول بما يصير العقل من سماعه مذهول (قال الراوى) وكانت جملة القبائل التى اجتمعت على
هلاك بنى عبس فى ذلك النهار وأسماء طالبة منها أخذ ثار مائة ألف وثلاثة وثلاثين ألفاً لأنهم
سدوا السهل والجبل وملئوا لكثرتهم كل واد ومنزل ولما أن رأت بنو عبس إلى ما قد أتاهم من
القبائل قال لهم الملك قيس يا بنى عمى لا تهدموا ما بنيتم من المجد على طول الأبد والدهر فموتوا
كرام ولا تعيشوا لئام وما بقينا نريد حياة بعد حامينا عنتر البطل الأمجد والفارس الأسود
الذى كانت ناره لا تخمد وكان يخشاه كل أحد وقهر مثل كسرى وقيصر وملوك بنى الأصفر
وأتته الهدايا منهم من كل شىء مفتخر والآن قد أخذه منا القضاء والقدر الذى ما للعبد منه
مهرب ولا مفر وما بقينا نلقى لنا حامى ولا من يجد فى نصرتنا إلا أن يكون قوائم سيوفنا إلى
أن يموت كبيرنا وصغيرنا ولا يبقى منا عبد ولا أمير وهؤلاء القبائل قد أقبلوا إليكم فقابلوا
الموت بوجوهكم ولا تلقوه بظهوركم فما خلد أحد منكم فى هذه الدنيا الساحرة التى قد أهلكت
الملوك الجبابرة (قال الراوى) فلما سمعت بنو عبس من الملك قيس ذلك المقال طاب لهم الموت
على كل حال وأيقنت بقرب الآجال وفى دون ساعة ركبت خيولها واعتقلت برماحها
وذوابلها وتقلدت بصفاحها ونصولها واستقبلت الموت بوجوهها وعملت مجهودها
وتصايحت جيوشها وجنودها ورفعت أعلامها وبنودها وتقدم الملك قيس أمام بنى عبس
وعن يمينه ويساره جيشه وأخوته وأعمامه ومن خلفه أكابر قومه وسار بهم إلى الميدان
واصطفت الفرسان قدام الفرسان وكان حصن بن حذيفة وابن أبى حارثة سنان أمام العربان
الذين قدمنا ذكرهم فى هذا الديوان ولما أن رأى الملك قيس قد أقبل بمواكبه وعشائره
وكتائبه سار يهدد قيساً بالقتل وخراب الديار وهو يكثر عليه من التهديد والفشار ويقول له
يا ابن زهير اعلم أنه ما بقى من أجلكم إلا القليل ولا بد ما يبقى حديثكم جيلا بعد جيل فيا طول
ما نهبتم الأرواح وضربتم فى وجوه العرب بالصفاح أنتم وعبدكم عنتر مساء وصباح فأين
حاميتكم الذى كنتم تكنونه بأبى الفوارس وتفضلوه على كل قائم وجالس فما حسبتم حساب
انقلاب الزمان ولا أيقنتم بطوارق الحدثان أنسيتم يوم جفر الهباءة فإن كنتم نسيتموه فأنا
ما أنساه يا ابن أبى حذيفة وإخوته وأكابر عشيرته فوالله ما أنسى ما جرى لأبى حتى أبقى حداه
فقال قيس والله يا حصن ما نلت منا مناك والمراد ولا زلت مذلول الفؤاد وسوف ترى ما يقع
لقومك منا عند الطراد واعلم أنه طاب لنا الموت وهذا لنا كاسه استعذبناه من يوم فقدنا

حاميتنا وعدمناه فيا حصن لا تذكر من مات وراح وسكن المقابر الفساح ولو كان عمل ما عمل ما بقى عليه جناح نخر وانى أسباب الحرب والكفاح والبراز من كل فارس جحجاح وفارس وقاح والآن فهذا طريق يسلكه كل أحد ولا يخشى عليه لا أبيض ولا أسود وما هى إلا موته واحدة وكل الأشباح عليها واردة وما يموت الانسان موتتين ولا لكل واحد منا أن تصيبه هذه العين وجدوا فيما عزمتم وأنيتم بهده الجرع المجمعه وها انا وفرسانكم وأنا فقد فرغ زمانى وبقى زمانكم فدونك والحرب واللقا لتنظر بعينك من يسعد منا ومن يشقى ولا تهددنى بكثرة القبائل وما قد جمعت علينا من الجحافل ولا تذكر لى فعل حاميتنا عنتر بعد ما مات وانقبر واغتاله القضاء والقدر وكان فارسا تكل لشجاعته الفرسان وتخاف منه وتخشاه ملوك الزمان فقال حصن وحق ذمة العرب الاكابر يا ابن زهير ما بقى لك من الموت ناصر واليوم تحمل عليكم هذه الجيوش وتقطعكم بالصفاح وضرب البواتر وتسبى ابنتك المحانة صاحبة الوجه الناضر والجمال الباهر قدام عينك وأنت إليها ناظر فان لى زمان وأنا عليك صابر حتى فقدتم ذلك العبد الزنيم والوعد اللئيم عبد شداد الذى كان يحميكم من النوائب وكنتم قد قدمتموه على كل صاحب ولكن السلام معك يا ابن زهير فى هذا الوقت ضائع لا رحمك فقفل بعدما كان طالع ثم أنهم أراعوا الحملة على بعضهم البعض حتى أنهم يفنوا بنى عبس ويقطعوهم فى تلك الأرض وكان النهار قد ضيق ودفع بهم الاياس وضيق الخناق فقال قيس يا ابن حذيفة اعلم أن النهار قد ولى ورحل وما بقى أحد يبلغ من أمل ولكن إذا أقبل النهار ويفعل الله ما يشاء ويختار ثم المالك قيس ألوى عنان جواده وعاد وما كانت عودته إلا لأنه قد خطر بباله خاطر وأمل أن يبلغ به المراد ولم يزل إلى أن وصل إلى قومه وقد أيقن بذهاب أسمه وقومه فاستقبله قومه وسألوه عما جرى وصار فاخبرهم بما كان منه ومن حصن بن حذيفه من الاخبار وما وقع له معه من العتاب والملام ولا قالوا لبعضهم من المقال والملام ثم أنه قال وأمه يا بنى عمى قد خطر لى خاطر وربما تجينا به من قدام هذه القبائل والدساكر وكان قيس كما ذكرنا فى مبتدأ الكلام يسمى قيس الرأى وكانت بنو عبس تقتدى برأيه فى كل ما أراد فقالوا له قل ما شئت فاننا تبع لك فى كل ما هويت فقال لهم يا بنى عمى أن كنتم تطيعوا ما أقول لكم من الخطاب فانما تجمعت علينا هذه الاعداء لفنانا وليبلغوا منا الارب ويفنوا منا الشرح والشباب ويشبوا نساءنا والبنات الاتراب وهذا الأمر ان فعلوه معنا نعاير به ليوم القضاء والحساب ولكن من الرأى الصواب أننا ندعهم لا ينتفعون بعدنا من مالنا بمال ولا يبلغوا من نسائنا آمال وذلك أن كل إنسان منكم يذبح ما عنده من النوق والجمال وتركب النساء على ظهور الخيل هم والعيال وتضرموا النيران فى الاثاث والمتاع والاقمشه والمصاغ وما به الانتفاع واعلقو بعض النياق والجمال وعرقبوهم بالسيوف الصقال وامنعوا عنهم

أولادهم الصغار واطردوهم بالجنادل والأحجار واعقدوا الدخان فى ذلك الوادى يا رجال حتى كأنهم حولهم عند الاشتغال وذلك نعمله حتى لا تنتبه الأعداء الأنذال وبعد ذلك نركب الخيل الجياد ونهجم على الأعداء ونضرب فيهم بالسيوف الصقال والرماح الطوال ولم نزل نضرب فى ذلك الجيش الجرار إلى أن ننفذ نحن والنساء الأحرار والعبيد والمولدات والجوار ونفنى ونضيع بين تلك العشائر الكبار ومن كان له عمر مديد منا يسلم ومن أجله قد اقترب يهلك ويعدم قال فلما سمعت الرجال من الملك قيس ذلك الخطاب رأوه صوابا وفعلوا كل ما به أمر من المقال وبعدها تحضروا على الحرب والقتال وما زالوا على هذا الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح فقاموا إلى جمالهم أبركوها وإلى الفصلان عن أمهاتها أخرجوها فصارت تحن إلى بعضها البعض إلى أن امتلأت بزعقاتها وضجيجها الارض وأخرجوا متاعهم وأطلقوا فيه النار وعادوا إلى الجمال المعقولة بالسيف وعرقبوها فعندها شذت الفصلان فتعجبوا من ذلك الامر والشأن وتبادرت الفرسان وساروا ينجوا منها يشوا على النيران حتى ارتفع لها غبار ودخان فلما أن رأى حصن ابن حذيفة إلى ذلك الحال قال لسنان بن أبى حارثة الا ترى يا بن العم إلى ما فعلت بنو عبس وما هذه الاحوال فقال سنان ان هذا أمر عيان بيان يعرفه كل إنسان وذلك أن بنو عبس قد قل عندهم الماء والزاد فأرادوا بذلك التخفيف وعدم النفاد وهم يرجون ويؤملون انهم ينجون من هؤلاء الفرسان ولم يعلموا أنهم قد دنا منهم القلعان وأن تلك العشائر قد أحاطت بهم من كل مكان فبينما حصن مع سنان فيما دار بينهما من الكلام وإذ قد ارتفع من الجبال الدخان وانعقد حتى صار مثل الظلام وزاد القتام وانقام (قال الراوى) وذلك أن بنى عبس لما تضاحى عليهم النهار وبان ورأت تلك العرب المجتمعة قد اشتغلت بما وقع فى أيديها من الفصلان فأطلقت النار فى الاثاث والجمال وفيما كانت قد احتوت أيديهم من الاموال وبعدها ركبوا وخرجوا من بين الخيام وكل رجل منهم خلفه ماله من البنات والعيال ولما زادت النار فى هذا الوادى اشتعال ورأت الجيوش المجتمعة من هذا الحال لم تجد لها يدا من نهب الاموال وهجمت إلى داخل الجبال قبل أن تقع الحرب والقتال فلم تجد إلا نار زائدة الاضطرام والاشتعال ولم يروا شيئاً مما أملوا من تلك الآمال فعادوا راجعين على الاعقاب وقالوا هذا الامر ما كان لنا فى حساب (قال الراوى) وأما ما كان لنا من بنى عبس وما صار لهم من الارتياب فإنهم هجموا على الخيمة التى فيها حصن وسنان وكان الملك قيس وإخوته فى أول الفرسان فوجدوهم قد هموا الركوب وتجهزوا للضرب والطعان .

(تم الجزء الثانى والخمسون ويليه الثالث والخمسون)

الجزء الثالث والخمسون

من سيرة عنترة بن شداد

(قال الراوى) فعندما اغتنم قيس الفرصة وأراد أن يكشف مابقلبه من الغصة فى فلاق حصنا وهو خارج من باب المضرب وتمطى فى كعوب الرمح وطعنه فى صدره فانقلب حسن على الأرض وتكركب وشرب شراب العطب وأما سنان فإن أسيد طعنه فى صدره أطلع سنان الرمح يلمع من ظهره وبعد ذلك انعطف على مالك بن بدر وطعنه فقتله وعلى الأرض جندله وبعدها صاحت بنو عبس وعدنان وبذلوا فى الأعداء السيف والسنان وأظهروا ما فى قلوبهم من الأحقاد وانحطوا على بنى فزارة انحطاط العقبان فقتلوا منهم نحو المائتين فارس من الأعيان وبعد ذلك دارت ببنى عبس شائر العربان وحملت إليهم من كل جانب ومكان وحملت بنو عبس وقد بذلت فى الأعداء سلاحها وقد أيقنوا بفسادها بعد إصلاحها وقد أحاطت بهم تلك القبائل والجحافل وتساوى بينهم الفارس والراجل فابدلوا بالذل أعزازهم وقتلوا منهم كل فارس نبيل وصار العزيز ذليل وثلثمائة قبيلة حملت على فرد قبيلة واحدة ونساء وعبيد وجوار وبنات أبكار ولم يكن لبنى عبس بهم طاقة ولا على حربهم فكانوا بينهم كالنقطة البيضاء فى الثور الأسود فلم تكن الأسامة حتى فرشوا به بنى بنو عبس على الحصى والجندل وداسوهم فى الأرض بسنابك الخيل دوس الحنظل وجرت دماؤهم على أرض مثل جريان الماء وكانت تلك الواقعة تسلى وقعة الفناء مما حل ببنى عبس من الويل والعناء ولم يسهل من بنى عبس إلا من كان جواده سابق وأكثرهم فدخلت بهم البوالق فكان ممن نجى الملك قيس بن زهير فإنه بعد قتله لحسن بن حذيفه وقد أشفى قلبه من تلك الأمور المخيفة ثاره وصار هائماً على وجهه فى الوادى ونجا بنفسه وابنته خوفا من الفضيحة والشنار وأركبه بعد ابنته العار ولم يزل سائراً مدة أيام وليالى وهو غائص فى البر والآكام وصار يقتات هو وابنته من نبات الأرض والهوام وهو أن أقبل على بحر الفرات فعندما أرخى لجواده اللجام فهوى به فى وسط البحر كأنه النعام أو مثل ريح الجنوب إذا خرج وقد جرى به فى الأمواج واللجج فنجى هو وجواده وابنته فإنها وقعت من خلفه فى البحر فهلكت وماتت موت الفجاة وأما قيس فإنه لما طلع قصد البر والفلاة قارمته التقادير إلى جزيرة كانت هناك قريبة من بلاد الروم فسار فيها يومين وليلتين وأصبح فى أرض واسعة ومياه نابعة وفى وسط تلك الأرض صومعة وفيها راهب من بعض الرهبان فدخل قيس إلى الصومعة وقتل الراهب وجلس فى مكانه وموضعه وترهب قيس وانقطع من تلك الصومعة ومكث فيها ليالى وأياما ينتظر ما يأتى من حوادث

الزمان فهذا ما كان من الملك قيس وما قدر عليه من الأحكام (قال الراوى) وأما ما كان من بنى عبس وما وقع لهم من الكلام فإنهم لما جرى لهم من ذلك الأمر الذى اتفق قاتلوا أعداءهم إلى أن أدركهم الفسق وافترقوا فى ثلاثة فرق الفرقة الأولى طلبت مكة والبيت الحرام والفرقة الثانية طلبت الجبال والآكام والفرقة الثالثة طلبت اليمن وقد خافت أن يحل بها ما حل باصحابها من المحن فكان من الفرقة التى طلبت مكة زهير بن قيس وباقى بنى عبس طلبوا البلاد وخافوا من العدى أن تقطع منهم الأثر فقال لهم زهير يا بنى عمى أن قصدنا البحر وآتينا بانفسنا إليه هلكنا مثل ما هلك أبى وإن دخلنا بلاد اليمن علت بنا المصائب والمحن لانكم كما تعلمون أن ما لنا فى تلك البلاد صديق ولا رفيق ولهم علينا ثار من قديم الزمان من عهد حامينا عنتر وأبى قيس وجدى زهير بن جذيمة وما لنا إلا أننا نقصد مكة والبيت الحرام ونلحق بنى عما ونستجير بالبيت العتيق وتلك المشاعر العظام إلى أن ننظر هذا الرجل الذى يشيعون عنه هذا الكلام إنه يظهر فى تلك الأيام ويدعو الناس إلى الهدى والإسلام ومن بهاته تظله الغمام ويبين للناس الأحكام ويظهر لهم الحلال من الحرام ويرمى من على الكعبة الأوثان والأصنام وتقرب الله أو أن ظهوره يشملنا ببركاته ونوره فلما سمعت بنو عبس ما أشار عليهم زهير من هذا علموا أن رأيه تمام وأن قوله شديد فقالوا له أيها الملك وما تريد فليس لنا عن هذا الأمر محيد ونحن بين يديك أطوع من العبيد ثم أنهم ساروا وقصدوا مكة والبيت والحرام بعد ما دار بينهم من الكلام وقد قطعوا البر والآكام ولما وصلوا إلى مكة كان الموسم قد انقضى وتفرقت قبائل العرب وراح أوان الحج وانقضى (قال الراوى) ومما جرى من الكلام العجيب الذى يذكر قوافيه وقواعده بحسن الترتيب أن الفرقة الأولى كانت قد وصلت إلى مكة وأعلموا أهلها بالخبر وقالوا لأبى طالب عن موت حاميتهم عنتر وكان عبد المطلب قد انتقل بالوفاة وهو الذى كان يتعصب لعنتر فى سائر أموره يتلافاه فلما علموا أهل مكة بموت عنتر فما منهم إلا من بكى عليه وتحسر ولحقهم عليهم الأسف العظيم وصار لهم من أجله الغم المقيم وقالوا وحق زمزم والحطيم ومقام الخليل إبراهيم أنه ما بقى مثل عنتر فى سائر الأقاليم فقالوا لهم بنو عبس أن قبائل العرب بعد موته قد اجتمعت علينا وأقبلت من سائر الجهات وقد فعلوا فينا فعل ذميم وقتلوا منا الأولاد وسبوا الحريم وتفرقنا وانهزمنا عن الأوطان وغاب ملكنا قيس ومعه جماعة من الأخوان فما ندرى ما جرى عليهم من نوائب الزمان وهذا كله لفقد حامينا عنتر الذى كان تهابه لأجله جميع العربان (قال الراوى) فبينما بنو عبس مع أهل مكة فى الحديث وهم يشكون إليهم وإذا بالفرقة الثانية التى فيها زهير بن قيس قد أقبلوا عليهم وسلموا عليهم وأخبروهم بما تم عليهم وناهم ففرحوا بالسلامة بعضهم البعض ووصواهم إلى تلك الأرض وجعلوا يتفارضون بالسلامة

وتلقاهم أيضا أهل مكة بالتحية والاكرام ونزلوا عندهم فى أعز مكان (قال الراوى) وكان الموسم كما ذكرنا قد انقضى وكل من العرب سار إلى دياره ومضى فى لواداطمأنوا على انفسهم فى نزولهم بجوار البيت الحرام وطاب لهم هناك المقام وقد سلوا عما أصاب قومهم وأهلهم من القتل والاعدام وذلك كان ببركة تلك المشاعر العظام وبركة استظارهم إلى المظالل بالغمام فهذا ما كان من بنى عبس وعنتر وما جرى لهم من تصاريف الايام (قال الراوى) وأما ماجرى من حديث عمرو ذو الكلاب وأخيه الهيفا لما ذكرنهما بنو عبس وعنتر فى هاتيك الايام وساروا عنهم ومات عنتر وجرت عليه هذه الاحكام ورحلت بعدهم بنو قضاعة وكل منهم يريد أن يصل إليها فى تلك الساعة (قال الراوى) وكان عمرو ذو الكلب أمير الحلة كما ذكرنا فى أول الخبر وقد تسلى عن الاوطان بمعاشرته لعنتر فلما مات عنتر وحكم فيه القضاء والقدر عادوا راجعين إلى أوطانهم وهى أرض شريف وتلك لوهاد ونزلوا فيها ونصبوا خيامهم ودقوا المضارب والاوتاد وكانت الهيفا أخت عمرو ذو الكلب حاملا من عنتر لاننا ذكرنا الكم أنه تزوج بها قبل دخوله المرة الثانية من أرض الروم ومن بلاد الملك قيصر ولما وصلوا بلادهم ونزلوا فى أماكنهم أستأنست بهم الديار وأقروا فيها القرار وفرحت أهلها بهم واجتمع باصحابهم شملهم ومضت عليهم الايام والشهور وقناصة الرجال ماتدرى ما يفعل بها من الامور وقد قل نشاطها كثر تألمها وعياطها ومازالت هذه حالاتهما إلى أن آن أوان ولادتها أوضعت مولودة وهى كأنها الليلة الظلماء مهدلة الاشداق حمرة الاحداق مفتولة السواعد والاعضاء وهى أشبه الناس بابيها عنتر بن شداد فلما أن رأتها أمها تشبه أباها وهى كأنها إياه قالت فى نفسها سبحان خالق البشر ثم عرضت هذا الامر على أخيها عمرو وقالت له أى شىء يا أخى تسمى هذه الطفلة التى كانت السبب لحركتنا والنقلة قال لها يا أختاه سميها عنيترة عسى إنها تخلف أبيها فى القوه والشجاعه والقمرة ويشيع ذكرها بعد الافتقاد وتطيعها سائر العباد فسموها عنيترة وقد أحسنو فى تربينها الوداد وكل ذلك محبة لابيها فربتها أمها قناصة الرجال وأحسنت تربيتها بالنعم والدلال ومرت على الايام إلى أن صار لها خمس سنين فصارت تنافر الكلاب والذئاب وتخاصم العبيد ترميهم باسهم النشاب ومازالت كذلك إلى أن بلغت من العمر عشر سنين وسارت أمها مع الهيفاء وأخوها عمرو وإذا ركبا يركبوها ويأخذوها معهم ويحصون بها القفار ليلا ونهار ويطاعنوها فى الميدان ويعلموها من أبواب الحرب الزيارة والنقصان إلى أن بهرت وبقيت من أرباب الشجاعة والبابت واشتهرت بالقوة والبراعة فلما تكامل عقلها وحسن حالها واشتدت أوصالها وصارت كل صباح تركب مع بعض رجالها وهى تظن أن عمرو أبوها ولم تعلم أنه خالها (قال الراوى) وقد بلغنى عنها أنها من حين بلغت خمس سنين وهى لا تركب إلا معممة ملثمة

وكانوا بنو عمها يعلمون أنها جارية ويعرفون منها ذلك والغير ما يظن الا انها فحل ذكر وما كان أحد منهم من أهلها ولا من غيرهم يقدر أن يمد يده إليها بسوء ولا يجسر أن يلم بساحتها عدوا (قال الراوى) وأن خالها عمرو ذو الكلب ركب فى يوم من بعض الأيام وخلفه أربعة آلاف فارس من الكرام وطلب الغزو إلى بلاد اليمن وهاتيك الآكام والدمن ولما ان سار هو ورفقته سارت عنيترة صحبته ثم إنهم جدوا فى المسير حتى أبعدوا عن بلادهم بأيام كثيرة فبينما هم على ذلك الجد والتشمير وإذا قد اعترضهم أسد فى قدر الثور الكبير وله زفير وشخير وهو يهدر هدير كأنه رحا فى مدير وله شهيق وعياط وحزم نهض ليس فيه تفريط فالويل كل الويل لمن به وقع وله أنياب ومخاليب كالخناجر وهو كما قال فيه الشاعر

عبوس هزبر البرية ظاهر جرىء على الشجعان الضد ظاهر
برأس كرأس الغول عيناه فى الدجا كجمر الغضى فى وجهه الشر ظاهر
يذل بأنياب حداد بواتر كأنها سيفان عند النواظر
ويسطو بأسنان غلاظ كأنها إذا قلص الأشداق عنها خناجر
وطول يحاكى العود فى عظم قدره ولكنه يأوى ببعض الجزائر

(قال الراوى) فلما عاين الأمير عمرو إلى ذلك الأسد هاله منظره وأراد أن يقتله وهم أن يترجل إليه وإذا بعنيترة قد تقدمت إليه وكان عمرها خمسة عشر سنة وحلفت عليه وقالت له وحق ذمة العرب وشهر رجب والشهب الذى إذا طلب طلب على العين احتجب لا يبرز إليه إلا أنا وأسقيه كاس الفنا ولا أدع كلبا من كلاب البر يسار يك وأ لك الاسد الفلا ثم انها فى ساعة الحال ترجلت عن الجواد وأدارت أذيالها فى دور منطقتها وأخذت سيفها فى يدها وسارت إلى الاسد بقلب أقوى من الجسد وساعد أقوى من العمد قال فلما رآها الاسد وقد أقبلت نحوه هدر وزمجر وزعق زعقة تفلق الحجر فانزعج بها البر الاقفر ثم أن الاسد توطا إلى الارض حتى ما بين طوله من العرض فقصدته عنيترة ولم تعتق به وبرزت السيف حتى لمع الموت من أفرنده لتضاحكت المنايا من حده وطلبته فوثب الاسد إليها بسرعة فاستقبلته عنيترة بضربة جاءت بين عينيه ثم صار السيف يهوى بين فخديه وذلك من شدة الضربة وقوة الهمزة فوقع على الارض قطعتين انقسم فرقتين (قال الاصمعى) وكان ذلك السيف الذى كان فى يدها عمل من صاعقة وكان قد أهداه لعنتر بعض الملوك العمالقة وكان من خيار السيوف وكان قد أداه عنتر لخالها عمرو لما وافقه وأعطاه عمرو لعنيترة فلما قتلت به الاسد تعجب منها كل أحد ثم انها تقدمت الى الاسد ومسحت السيف فى جلده ففرح بها خالها واظهر لها السرور والفرح واتسع صدره وانشرح وشكرها على فعالها وكذلك بنو عمها وأهلها وقال عمرو ذو الكلب فى نفسه من داخل الفؤادة أخلف الله علينا عوض عنتر بن شداد ومن تشبه بأبيه

فما ظلم قال وكان كلما رأى فعالها يتذكر عنتر والدها ثم أنهم بعد ذلك ساروا بالليل والنهار غدوا وأبكار إلى أن وصلوا إلى بلاد اليمن وقاربوا ديار صنعاء وعدن فبانت لهم حلة من بعض حلل العرب بشراعات واصلة من ذهب وكانوا قد أقبلوا عليها عند السحر وقرأوها حلة عظيمة تذهل البصر بقباب وخيام وعبيد وخدم وأموال ونعم ومواشي على مدا مدها تمرح وأغنام تسرح وأهل الحله في هرج ومرج ودخل وخرج (قال الأصمعي) وكانت هذه الحلة لأخت الحارث أبو سبيع الحميري وكانت عمة ذو الخمار وكان عنتر طول عمره ماطرق هذه الديار إلا أن فرسان بني قضاعة غاروا على تلك الحلة وما فيها من الأموال والخيل والعبيد والنوق والجمال وكان في مقدمة الخيل عمرو وذو الكلاب وأخته الهيفا في جماعة من الأبطال وعنتره قدام الكل وهي كأنها الأسد الرئبال فعندها صاح عمرو في أصحابه وقال الخيل يا أرباب الخيل دونكم وهذه الأموال وهذه الغنيمة التي لها قدر وقيمة (قال الراوى) فلما سمعت عنيترة من خالها ذلك الكلام أطبقت على رجال الحلة وهي ومن معها وحطموا على الأموال قطعتها عنيترة وساقها عن بكرة أبيها وتركتها وراءها وهمت أن تلوى عنان جوادها وإذا بالنفير قد وصل إلى الحلة والخيل قد طلعت من بني حمير وفي أوائلها غلام أسمر كأنه الأسد في تقاطيع الأسود يقلب أقوى من الحجر الجلمود وهيبة الامراء عليه وهو كأنه هائشة برية واسع الباع طويل الذراع لا يخاف ولا يرتاع أكحل العينين مقرون الحاجبين قوى العزيمة كثير الهمة فلما قرب من خيل بني قضاعة كشف اللثام عن وجهه وإذا هو كأنه بدر التمام حسن القوام بادى الابتسام وكان هذا الغلام يسمى أسد الفلاة الحميري وكان ابن بنت الورقاء سيدة هذه القبيلة التي ذكرنا تسميتها فلما لحقهم صار ينادى بهم ويصيح ويلكم يا مذلولين أين تنجون من أيدينا أنتم عن يغار على أموال مثلنا وتنهبوا أموال الحية الرقطاء والذئبة المعطاء سيدة بني حمير وقاهرة كل من سكن البر الاقفر التي لا ترهب الابطال ولا تخاف الاقيال معودة القتال التي لا تمل من الشقا سيدة بني حمير الملكة الورقاء حاكمة أرض اليمامة وسيدة أهل رامة وحكمها نافذ إلى حد أرض تهامة أتظنون أنكم تأخذون أموالها وترجعون إلى أوطانكم سالمين وتمضون من بلادها غانمين فإن من دون ذلك جز المعاصم ورى الملاصم وفلق الجماجم وها أنا ابن بنتها أسد الفلاة وسالك طريق العلا ثم انه أشار إليهم على هذا الحال وجعل يوبخهم وهو مع ذلك ينشد ويقول

فها نحن فرسان وقوم أعزة ... ليوث كرام فوق كل الاغارب
ونحمى حمانا بالسيوف وبالقنا ... ونسق الاعادى من شراب المعاطب
وننهبهم بالسيف عمداً وبالقنا ... وأحوالنا مشهورة في الكتائب
أيسمع عنا في البلاد بأننا ... عجزنا عن الاعداء وخوض المواكب

فمن ذا يجارينا ويقصــد حربنا ونحن ليوث عند وقع المضارب
ومن ذا يفاخرنا وسادات قومنـا بنو حمير قوم كرام الأطايب

(قال الراوى) فلما فرغ أسد الفلاة من ذلك الشعر والنظام وسمعت عنيترة ما أشار إليه من ذلك المرام أبدت من هذيانه الضحك والابتسام وقالت له فى است أمك وأم زرقاء معك يا ويلك أقصر من هذا الفشار يامذلول الشارب وأخس فرسان الأعارب فنحن فرسان بنى قضاعة أهل المروءة والشجاعة والفروسية والبراعة ثم أنها قومت نحوه السنان وقالت له دونك والطعان والتقى بعيترة القضاعية التى افتخرت بأجدادها العلية وأبوها عمرو ذو الكلاب الذى ذلت لهيبته فرسان العرب القضية منهم والدنية ثم أنها حملت عليه وصوبت بالدعنة عليه واستقبلته وهى تقول :

ونحن أولو العليا أصولى قضاعة رجال اللقا فى الحرب والنقع ثائر
وفارسنا عمرو فهو خير فارس له الأصل والفرع الطويل الظاهر
له الجود والإفضال والبذل والعطا وفرسانه شبه الأسود دوائر
إذا ما رأوا حرباً يريد شرورهم وما زالوا إليها بالسيوف بواتر
وإنى أنا عنيــترة الوغا جدودى قضاعة ليوث كواسر
أبى قاهر الأبطال والبطل الذى تذل له الأبطال والحرب دائر
قضاعة قومى هم أجل قبيلة وهم منهل للعز والخير وافر
وأنى احامى عن رفاقى وعترتى وأهزم هذا الجيش والسعد ناصر
ونحن سراة الناس أولاد ماجد ليوث الوغل ما بين بادى وحاضر

(قال الراوى) ولما فرغت عنيترة من شعرها حملت على أسد الفلاة وحمل هو أيضا عليها حتى طلع عليهما الغبار ودام بينهما الجولان ساعة من النهار وقد حت حوافر خيلهما نار وتطاعنا بالسنانين وتضاربا بالسيفين والأعين عليهما شاخصة وعقبان الآجال على رؤوسهما واقفة هذا وعنيترة تصول وتجول وأسد الفلاة وقع فى أمر مهول وصار يجول ويصول وأما الجوادان فقد عرقا من الطراد واللقا واعتراهما النصب وأخذوا فى الهزل والجد والصد والرد وما كان غير بعيد حتى بان الفارس الصنديد من الجبان البليد ثم انكشف عنهما الغبار وبان للأبصار وإذا فعنيترة على أسد الفلاة قد استطالت وصاحت صياح اللبوة وانصب عليه انصباب الغيث إذا هطل وضربته بالسيف على عاتقه طلع السيف يلمع من علائقه ثم جالت فى الميدان وقالت هل من مبارز هل من مناجز هذا موقف الطعان والضرب بالسنان (قال الراوى) فعند ذلك برز إليها فارس ثان فقتلته وثالث جندلته ورابع أعدمته وخامس رمته وسادس فى أهله فجعته وسابع فى الحرب خزلته وثامن عجلت منيته وسابع

أموته وعاشر فى الأرض عفرته وما زالت على تلك الحالة حتى قتلت خمسة وعشرين فارس بالتمكين وتركهم على الأرض مطروحين قال ولما رأى بنو حمير إلى هذا الأمر المنكر وإلى ما حل بهم من العبر من بنى قضاعة وقد قتلت خمسة وعشرين فى ساعة أطلقو الأعنة وعنيترة فى أوائلهم وخالها عمرو وذو الكلاب فى مائة فارس وتركوا الباقى حول المال والنوق والجمال ثم أن عنيترة نادت أنا البوة العجاج الضاربة بالحسام الوهاج أنا قاتلة الرجال أنا مبيدة الأبطال ثم صاحت وتمكنت ولم تطل الخطاب ولا كثرت من العتاب ثم أنها حملت كأنها صاعقة نازلة أو كأنها منية واصلة ثم صاحت فى فرسانها وقالت لشجعانها دونكم القوم ودعوا عنكم العتب واللوم واتركوا الدماء على الدروع طرازو انجزوا أمركم غاية الانجاز ثم أنها انقضت على الفوارس وأذاقتهم ضرباً يورث التلاف والوساوس وطعنت فى صدورهم أخرجتها من ظهورهم هذا وهى تحمل بتلك المائة فارس الذين من بنى عمها كانوا فرسان الهياج وليوث العجاج وحمل معهم أيضا عمرو ذو الكلاب وعمل فى القوم كما تعمل نار الحرب وصارت الفرسان قدام عنيترة تكبكب ولها قلب أقوى من الحديد وأصلب وتكسث الفرسان وأبادت الأبطال وأهلكت الأقران وبددت الأعداء من القتلى فى ساحة الميدان ورأى عمرو منها فى ذلك اليوم العجب وأسقت الفرسان شراب العطب وأقبلت أول القوم على آخرهم وشقت بطونهم وفطرت مرائرهم ورأى بنو حمير من عنيترة وأصحابها فرسان وأى فرسان يرون الموت مغنم والحياة مغرم (قال الراوى) فعند ذلك ولوا الأدبار قدام عنيترة هرابهم كأنها ابهائم وتبعهم بنو قضاعة وهم فى ثلاثة آلاف وانفرد منهم الثمانمائة فارس بلا خلاف وساقت الأموال والنوق والجمال وما زال بنو قضاعة خلف بنى حمير حتى تشتتوا فى البر الأقفر وهم يتعثرون بالأطناب والخيام والقباب ولم تكن إلا ساعة حتى وصل الخبر إلى الزرقاء لأنها كانت نازلة على جانب من أودية تلك الأرض وكان بعيداً من موضع الواقعة مقدار فرسخ طولا وعرضاً وهى تتحدث مع أكابر قبيلتها ووجوه عشيرتها وهى فى أكل وشرب ولعب وانشراح وأكل طعام وشرب مدام وقد ذهب عنهم الهم والأتراح وهم من اللهو والطرب لا يعرفون الليل من الصباح فلم تكن إلا ساعة حتى نزلت بهم الاتراح ووصل إليها الخبر بما حل من قومها من العبر ولما سمعت بهذا الخبر قالت لهم ويلكم من هو الذى قدم علينا من ملوك العرب وأتى إلى أرضنا وتسبب بهذا السبب فقالوا لها يامولاتنا خيل بنى قضاعة الاساوس أتوا إلينا فى خمسة آلاف فارس ومعهم فارس أسود أسمر أغبر مضاربه تسبق الموت الأحمر وهو الذى بجميع الفرسان دبر كأنه الموت إذا تصور وهو الذى أغار على ديارنا وساق أموالنا وأخذ نوقنا وجمالنا وقتل ابن بنتك أسد الفلا وأعدمه الحياة وقتل جماعة من الرجال وأهلك الفرسان والأقيال قال فلما سمعته

الزرقاء ذلك الكلام والمقال ما بقت تعرف اليمين من الشمال وقالت لهم أما سمعتم بهذا الفارس
بمن يكنى قالوا بلى سمعناه عند حملته يقول قدام أهله وعشيرته أنا عنيترة بنت عمرو ذو الكلاب
أنا لبوة الاسد القسور أنا بنت قناصة الرجال القضاعية أنا ذئبة البرية وهي التي قصدتك
وقتلت أسد الفلا وأنزلت بأصحابنا البلا (قال الراوى) فلما سمعت الزرقاء ذلك الكلام صار
الضياء في عينيها ظلام ولطمت على وجهها ورأسها ورمت من يديها كاسها وانهدمنها أساسها
وحيرت جميع ناسها وقالت لعبيدها ائتونى بجوادى وعدة جلادى ففى ساعة الحال
أتوها بما طلبت من غير فعند ذلك ركبت جوادها واعتدت بعدة جلادها ونادت بأعلى
صوتها يا للرجال فخرج معها جميع فى الحى من الابطال وكثر القيل والقال حتى تزازلت
الاطلال هذا وقد صاحت الاولاد والنسوان خوفا من السبى والهوان وهرعت الفرسان
حتى تكاملت عدتهم أربعة آلاف وخمسمائة عنان وركضت الملكة الزرقاء وطلبت ساحة
المجال وسارت الرجال خلفها ليشاهدوا ما تفعل من طعانها وضربها وكانت هذه الزرقاء فارسة
العصر وفريدة الدهر وأنها لم تزل على ذلك الحال سائقة ولها هدير وزمجرة حتى لحقت بنى قضاعة
وعنيترة الفارسة القسورة فرأتها قد أحلت ببنى حمير الوبال وأنزلت بهم الذل والخبال
وقلعت الحلقة باطنابها وأذاقت الحميريين من شرابها وأسقت القوم كاس عذابها وأوقعت الخوف
فى قلوب الرجال وأحلت بهم الخبال حتى أنهم صاروا يتنافرون وتمت طاحون الحرب
دائرة والخيل من زعقاتها غائرة ونافرة وقد فعلت هى وخالها فعال الجبابرة وعملت عملا
يبقى ذكره ليوم الآخرة ولما رأت الزرقاء إلى ذلك غضبت غضبا شديد ما عليه من مزيد ثم
قالت لهم ويلكم يا أولاد اللئام غير أولاد الكرام تنهبون مالى وتقتلون رجالى وتسوقون
نوقى وجمالى اليوم أنا أبين لكم فعالى ثم أنها صاحت على أصحابها ويلكم يا لئام الارواح يا من
فعالم قباح أتنهزمون قدام فرسان بنى قضاعة الذين ما لهم نسب وتفزعون من بعض أنذال
العرب وتزلون بين فرسان السبسب فلو حملت عليكم باقى أصحابكم كنتم بقيتم نهبا لخيلهم
ودوابهم ولكن أنا الزرقاء واليوم تظهر الفرسان حقا ثم أنها حملت قدام القوم وقد أكثرت
من العيب واللوم فعند ذلك التقت بهم بنو قضاعة تقدمهم عنيترة وخالها وأنها بقلب
وفراسة فالتقى الجيش وتقابل الفريقان ودام بينهم الضرب والطعان وانطرحوا فى الميدان
وجالوا على بعضهم الفريقان وقتلوا الفرسان والاقران وطلع الغبار إلى العنان وانعقد على
رؤسهم مثل الدخان ودام القتال وعمل الصارم فى الابطال وتطاعنوا بالرماح الطوال
وجالت الخيل يمينا وشمال وكثر فى الارض من شدة الركض والزلزال وقربت الآجال (قال
الراوى) وكانت الزرقاء قد حملت على بنى قضاعة فى خمسة آلاف فارس من بنى حمير وكان
الذين قد لاقوهم من بنى قضاعة اثنين وخمسمائة فارس غضنفر والباقى متأخرون يحفظون

الأموال وما نهبوا من النوق والجمال وكانت عنيترة قدام القوم كما ذكرنا وفعلت في بني حمير عملا يعجز عنه أبوها عنتر في أول منشئه كما قدمنا لأنها في ذلك اليوم كانت الرجال كيلا وأي كيل وقل من بنو حمير عند ملتقى هذه الثلاثة الجبابرة القوى والحيل وصبرت بنى قضاعة على قتلها وطمعت فيها بنو حمير لكثرتها ولما علمت عنيترة أن جيش بنى حمير وجمع غزير حملت طالبة مقدم القوم لأن الزرقاء كانت قد ساقت قدامها القوم وهى تقاتل وبنو قضاعة هاربة من قدامها ومازالت في المواكب وتهزم الكتائب حتى التقت بعنيترة في وسط الميدان وأخذت معها في الضرب والطعان وجالا ساعة وقد ستر هما الغبار عن أعين النظار فرأت الزرقاء من عنيترة حربا ما لها بها طاقة ولا صبر ولا استطاعة وقد رأت أيضا عنيترة من الزرقاء التقصير وعرفت ذلك منها معرفة خبير وأظهرت لها عنيترة الكسل والعجز والفشل حتى طمعت فيها الزرقاء وبان لها عليها مقتل فعند ذلك عادت إلى نشاطها وأظهرت قوتها وانبساطها وحملت عليها عنيترة حملة صادقة وأقلبت السنان والطارقة وطعنت الزرقاء بعقبة في صدرها فرمتها على ظهرها وقد غبت من الطعنة عن صوابها ولم تعرف رشدها من خطاها ثم أن عنيترة انقضت إليها مثل العقاب وأوثقتها كتاف وقوت منها السواعد والأطراف وسلمتها إلى عبيدها وبعد ذلك حملت على سادتها وأماجيدها من بنى حمير وأذاقتهم من كفها الموت الأحمر الذى لا يبقى ولا يذر وحملت في تلك الساعة حملات أبيها عنتر قال ولما رأت بنو قضاعة إلى عنيترة وقد أسرت الزرقاء وضربت فيهم ضرب من لم يخف فقويت قلوبهم وحملوا لحملها وتبعوا من فرسيتها وذاقت بنو حمير من بنى قضاعة ساعة يا لها من ساعة وحرب ما لهم به استطاعة ونظروا إلى سيدتهم قد أسرت والابطال قد قتلت فما كان لهم في سبيل إلا الهرب وتفرقوا في البر والسبسب قال فعند ذلك تبعتهم عنيترة هى وبنو عمها وهى تنشد وتقول

والله تركنا آل حمير بالقنـــا	عند اللقا صرعى تخور من القرب
وزرقاء لعقباء الفلا يا كلونها	يجولون منها كل جزء بمخلب
فابشروا يا آل حمير فى الوغا	فقد وافتكم عنيتره فى الحرب

(قال الراوى) فلما سمعوا بنو حمير كلام عنيترة أوسعوا فى الفلاة وطلبوا لأنفسهم النجاة وخافوا أن يموتوا موت الفجأة هذا وسيوف قضاعة تعمل فى ظهورهم أى عمل واشتد بهم الخوف والوجل وضاق فى أعينهم السهل والجبل وقد طار منهم العقل والنقلة ولما أسرت عنيتره الزرقاء انهزموا أصحابها غربا وشرقا فأمرت عنيتره بتقديم الاسارى بين يديها وأن يعرضوهم عليها ففعلوا ذلك الشأن وإذا هم ألف وخمسمائة فارس والباقى انهزموا فى البرارى والقيعان وما بقى حولهم لا صغير ولا كبير ولا حاجب ولا وزير وانهزم كل من

كان فى الحلة فاتها نهبتها ولم يتركوا شيئا من حواشيها وبعد ذلك رجعوا وعادوا طالبين بلاد شريف وهم بذلك الجيش المنيف وبنو قضاعة سائرة وبين أيديهم أسرى بنى حمير فى غاية الخوف وعنيترة وخالها عمرو وأمها القناصة فى أوائل الخيل وقد نالهم من فرحهم بأ بنتهم غاية النيل وهى سائرة فى أوائلهم فرحانة بما بان منها من الفراسة والقوة والبراعة وهى أمام القوم وقد صارت لا تخشى من أحد لا عتبا ولا لوم ولما رأت نفسها فى تلك الحالات أشارت تنشد وتقول

رجعنا إلى حفظ السلامة والنصر	ومعنا من الاموال ماسد للفقر
لما التقينا مع بنى حمير رأوا	رماحنا فى النحر منهم وفى الظهر
أسرت أنا الزرقاء فى حومة الوغا	وعدت بها فى ذلة الاسر والقهر
وانا القوم لنا الفخر كله	وقد مزحنا جوله العر بالنصر
أبى عمرو المعروف فى حومة الوعى	له الغاية القصوى فى البر والبحر
وأمى هى الهيفيا وقومى قضاعة	ونحن أصول للفخار مدا الدهر
لنا السعد والاقبال والمجد والثنا	وبالجود والاسعاد تضعف لدى عمرى

(قال الراوى) فلما فرغت عنيترة من شعرها وسمعت الزرقاء نظما ونثرها وفهمت ماذكرت من أمرها ونظرت بنى عمها نظرة الحنق وتمنت أنها لم تخلق وبكت وتحسرت ودموعها على خدودها جرت وقالت واأسفاه يابنى عمى كيف أسرتنى هذه العاهرة الذميمة والوغدة اللئيمة نسل اللخنا وفضلة أولاد الزنا ثم انشدت تقول

اتأسرنى القوم اللئام تعديا	واسمى سرى فى الناس شرقا ومغربا
حميت بلاد العرب فى صولة اللقا	وخافت ملوك الأرض منى مهربا
وقاتلت جيش الفرس حتى لقيتهم	وشفيت نفسى من عداى تعجبا

(قال الراوى) ثم أن الزرقاء لما أنشدت هذه الابيات كانت بالقرب من عنيترة وهى بحالة الذل والارغام فلما سمعت عنيترة نظمها ونثرها قالت لها ويلك ياعاهرة النساء وأخس من قسى ومن تمنى يامل وعمى تتكلمى على قدرك وليس شبرك كفترك واعيدى كلامك على نفسك واعرفى قدر من هى قدامك فقد اسرتك طفلة صغيرة السن من بنات فرسان العرب ولكن هى سيدة بنى قضاعه فى الحسب وأبوها أذل سادات العرب والفرس والديلم وفتك فى كل فارس وبطل ونكس راية وعلم وجرى له مع القوم حديث يعلم وسعده قد كتب فى اللوح والقلم وهذا هو عمرو ذو السكلب المحتشم (قال الروى) فلما سمعت الزرقاء كلام عنيترة ندمت على مقالها غاية الندم لما علمت انهم بنت هذا الاسد الضيغم ثم أنهم ساروا إلى بلاد شريف مدة المنى عشر يوما ومعهم من الاموال ماسد مفضاه وملا المسبوى وساروا

حتى وصلوا إلى ديارهم ونزلوا فيها وقر قرارهم وراح كل واحد إلى بيته وآنست المنازل بالنازل والأوطان بالقاطن وقد راحوا واستراحوا عند ذلك أمرت عنيترة أن يضربوا الزرقاء أربع سكك من حديد ويعذبوها العذاب الشديد حتى يسمع صياحها كل قريب وبعيد وجعلت تطلب منها الفداء والأموال والنوق والجمال والزرقاء تقول لعنيترة أيتها السيدة الكريمة مهما طلبتى احضره فبين يديك ولا أبخل به عليك فأرسلى أحدا من عبدك إلى بنى عمى يأتوك بالفداء والمال والنوق والجمال (قال الراوى) فهذا ما كان منهم وأما ما كان من المنهزمين لما رجعوا عنهم بنو قضاعة عادوا طالبين أوطانهم فرأوا الغربان تنوح فى أبياتهم والوحوش ترتع فى ربوعهم وقد شبعوا من لحوم ساداتهم والديار قفرى خراب ومأوى البوم والغراب ولا فيها سارحة ولا رايح وقد صارت منازلهم فضايح قال الراوى ولما رأى الرجال إلى ذلك الحال قال بعضهم لبعض يا بنى عمى البكاء من شأن النساء والصواب أنكم توسلون إلى سبيع قالحارث وتعلموه بأسر عمته الزرقاء وابو ةاللقا فهو يأخذ لكم بالثأر ويكشف عنكم العار (قال الراوى) فعند ذلك استصوبوا هذا الرأى والمقال وأنفذوا إليه بعض الرجال يعلموه هذا الأخبار وما جرى على عمته الزرقاء من الأسر والاضرار وخراب الديار (قال الراوى) فلما سمع بذلك ذوالخار وأعلموه بأسر عمته الزرقاء وموت ابنها أسد الفلا وما جرى لهم من الحرب والقتال من فرسان بنى قضاعة وما أنزلوه بساحتهم من الأمور المرتاعة إلا أنه لما سمع ذلك الكلام شاط وامتلأ قلبه هم وفاض ثم أنه قال الرجل الذى أتاه ويلك ومن هو الذى أسر عمتى من ملوك العرب وما تجرأ عليها من ذوى الرتب فقال له الرجل والله ما أمرها أحد من ذوى الرتب ولا من الملوك وما أسرها إلا عنيترة بنت عمرو ذو الكلب القضاعية التى أقرلها بالفروسية كل من فى البرية وهى التى قد مضت بعمتك ومن معها إلى بلاد شريف وبين يديها عسكر منيف وقد سمعنا بأنها تركتها بين أربع سكك من حديد ووضعتها فى العذاب الشديد (قال الراوى) فلما سمع ذوالخار ذلك الكلام أصبح الضياء فى عينه كالظلام وصاح فى العرب بالحامى مصيبة ما أعظمها ومن بلية ما أيشمها ولكن وحق ذمة العرب وشهر رجب لا نزلن ببنى قضاعة العطب وآخذ بثأر عمى وعمتى وعشيرته ثم أنه نادى فيمن معها من بنى حمير وقال لهم خذوا أهبتكم للسفر فوحق الواحد الأحد الفرض الصمد الدائم إلى الأبد لا خليت من بنى قضاعة من أحد (قال الراوى) فلما سمع بنو حمير مقاله فأجابوه إلى سؤاله وأخذوا أهبتهم الرحيل من غير بطء ولا تطويل وسار معه كل فارس نبيل (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من بنى عبس وما جرى من الأهوال عليهم فانهم لما اجتمعوا فى مكة واجتمعوا بالبيت الحرام وقد آمنوا على أنفسهم من غدرات الليالى والأيام وكان كما ذكرنا أن زهير بن قيس فى جملتهم وهو الحاكم

عليه والمشار إليه لديهم وأن زهيرا كان اجتمع فى بعض الأيام هو وبنو عبس الكرام عند البيت الحرام وقد افتكروا ما قد جرى على أهلهم وعليهم من تلك المصائب والآلام ووافهم الندم على ما حكمت به عليهم الليالى والأيام فقال لهم زهير يا بنى عمى اسمعوا منى ما أقول لكم من الخطاب وهو يكون غاية الصواب وهو إننا كنا جمرة العرب من بعد منها ومن اقترب وحكمنا نافذ على من ضرب البيد وتدا ومد طنب وقد جار علينا الزمان ورمانا بالذل والخذلان والعيشة بعد الأحباب غاية المصاب ولا بقى لنا عيش يطيب بعد فراق الأهل والحبيب فموتوا كراما ولا تعيشوا لئام (قال الراوى) ثم قال والرأى عندى أن تعود بنا إلى لقاء الفرسان والعربان ولكن بعدما نشاور السيد عبد المطلب ونعلمه بذلك السبب ثم أنهم قاموا من وقتهم وساعتهم وساروا إلى السيد عبد المطلب وأعلموه بذلك السبب ثم أنهم انتظروا جوابه فقال لهم السيد عبد المطلب معاذ الله أن ألقى الفتنة بين قبائل العرب وأفنى منهم الفارس والراجل لاسيما وقد آن أوان ظهور سيد الانام مصباح الظلام ورسول الله العلام سيد ولد عدنان الذى ينطق بفضله الغزال ويرمى الاصنام والاوثان ويبين الحلال من الحرام يا من خالق الانام قال الراوى ولما سمع زهير بن قيس وبنو عبس هذا الكلام وما أبداه من النظام زادت بهم الآلام وحلت بهم الاوهام فقال لهم زهير يا بنى عمى أهل الميت أولى بالبكاء وما بقى أحد يقدر على أخذ ثارنا إلا نحن بأيدينا لعل نبلغ من أعدائنا المنا فقالوا له بنو عبس صدقت أيها الأمير فى هذا الرأى والتدبير افعل ما بدا لك فما فينا أحد يخالف مقالك ثم أن زهير لما سمع من بنى عبس ذلك الكلام جمعهم وخرجوا من مكة والبيت الحرام وساروا لكى يأخذوا ثارهم ويكشفوا عنهم عارهم فلم يزالوا سائرين فى ذلك البر والسبسب حتى بعدوا من مكة مسيرة أربعة أيام وهم يقطعون تلك البرارى والآكام ولما كان فى اليوم الخامس وهم فى ذلك البر والسبسب وإذا قد التقت بهم أربع قبائل من قبائل العرب فلما رأوا بنى عبس صاحوا على لسان واحد يا للعرب هؤلاء بنو عبس الاوغاد أسقوهم كاس العطب وما كان يحميهم إلا عنتر بن شداد (قال الراوى) وكانت هذه الاربع قبائل من بنى عيبان وبنى مذحج وبنى سنبس وبنى غيلان فلما وقعت العين على العين حان الحين وزعق عليهم غراب البين وتراموا باليدين وقال الخصم للخصم إلى اين وكالتهم مفرسان كيلا وأى كيل وحل ببنى عبس البلاء والويل وتكردست عليهم الخيل وصبر كل فارس وقيل وكثر عليهم العدد وأتتهم العرب من كل قفر وسبسب واحاطت بهم جميع العربان وأتوهم من كل مكان وما بقى لهم أخ ولا صديق ولا صاحب ولا رفيق ومزقوهم أشد تمزق واجتمعت عليهم سائر العرب من بعد منه ومن اقترب ووقعت الكسرة على بنى عبس وراح أكثرهم تحت السيف وما نجا منهم إلا من أوسع فى البر وهرب ووقع فيهم الفنا وحاف عليهم الزمان حيفا وأى حيف وهج زهير بن قيس على وجهه فى

نفر قليل من أصحابه وكانوا ثمانية عشر فارس والباقى راحوا دوارس وانقطع منهم الاثر حتى ما بقى لهم ذكر يذكر لأنهم انقسموا على ثلاثة أقسام البعض قتل والبعض هرب والبعض أسر ولما انقطع حس بنى عبس واندثر وتسامعت قبائل العرب بما حل بهم من الخسارة تجمعوا وجاؤا إلى بنى فزارة وقال هؤلاء بنى عمهم ولحمهم ودمهم فراحوا إليهم ومالوا عليهم وبذلوا السيف فيهم وقالت بنو فزاره نهارها وأحت نفسها وديارها مدة أيام قلائل وبعد ذلك تكاثرت عليهم العربان وأحرقتهم بنارها وأهلكت كبارها وصغارها وقد فتكوا فيهم بالحسام البتار ونفذت فيهم أحكام الملك الجبار فلما رأى من بقى منهم ما حل بهم من البلاء والأضرار أخذوا فى وسع القفار وولوا الأدبار وركنوا إلى الهرب والفرار وما نجا منهم إلا القليل والباقى بين قتيل وجديل (قال الراوى) وكان عتيبه بن حصن بن حذيفة مع من نجا من الوقعة إلا أنه كثير البكاء والعويل وقد سار واطا بين أرض العراق وتلك النواحى والآفاق وهم هاربون على تلك الحالة إلى أن وصلوا إلى الحيره فتقدم زهير ورجاله الذين قد سلموا إلى مجلس الملك الأسود لأنه كان سبق عتيبة بن حصن فاجتمعوا مع بعضهم وسلموا عليه وقد أرخوا العمائم فى الرقاب وبكوا بذلة وعويل وحكوا له ما جرى عليهم من العبر بعد حاميتهم عنتر فقال لهم الملك الاسود الله حكم على بنى عبس بتشتيت الشمل وفراق الوطن والاهل بعد ذلك الباع الطويل وهذا حكم من ليس له شبه ولا مثيل وفى الحال دعا زهير بن قيس وخلع عليه وأمره مكان أبيه وصاروا عند الملك الأسود فى أعز مكان وكلما ركب يركبون لركوبه وهم إلى جانبه وصاروا عنده أعز من أهله وأقاربه ولم يزالوا كذلك على هذا الحال فبلغهم أنه بعث سيدنا محمد ﷺ وصار له من العمر أربعين عاما وأنزل عليه الوحى والقرآن وظهرت معجزاته والبيان وبلغ خبره إلى الملك الاسود وأنه دعا الناس إلى طاعة رب الارض والسماء وبان له كثير من الآيات والمعجزات فلما سمع قيس بن زهير هذه الاخبار أقبل على بنى عمه ومن معه من بنى عبس الاخبار وقال لهم يا بنى عمى إنى اشتهيت أن أزور هذا النبى العربى لاننى كنت أسمع أخباره من أبى بأن هذا النبى يكشف الضير عن العرب ويدعوهم إلى توحيد رازق الوحش والطير ويعرفهم الحلال من الحرام والنور من الظلام وأنا قد رأيت من الرأى أن نمضى إليه ونسلم على يديه ونشاهد انواره ونتملى بجماله وأكون من جملة أصحابه وأدخل فى هذا الدين القويم والصراط المستقيم (قال الراوى) فلما سمع أصحابه ومن معه كلامه ومقاله أجابوه إلى سؤاله وقال له نعم ما رأيت أيها الامير من هذا الرأى والتدبير وقال له افعل ما بدالك فاننا تابعون فعالك فعند ذلك قام زهير من عندهم ومضى إلى الملك الأسود واعلمه بانه يريد المسير إلى النبى محمد ويبصر إن كانت العرب أطاعته أو قامت على مخالفته فلما سمع الملك الأسود من زهير ذلك المقال قال له افعل

ما بدا لك من الحال فلعلك تأتينا بعلم يقين وتكشف لنا عن هده البراهين (قال الراوى) فعند
ذلك ودعه زهير وخرج طالبا المسير بمن معه من بنى لاعمام وهم بنو عبس الكرام ولما
عزموا على المسير وشدة التشمير عرضوا على عتيبة السفر فيمن معه من بنى عمه الابطال فقال
عتيبة امضوا قداى وأنا الحقكم فى بنى أعمامى (قال الراوى) وكان عتيبة بن حصن قد قال لزهير
ذلك المقال لانه جاف إن رافقه فى الطريق أن يلتق بهم أحد فيعرفهم وبعدمهم التوفيق أو
يلقى أحدا من العرب وسكان البر السبسب فيسقيهم كؤوس العطب ولا يدع منهم رأسا ولا
ذنب (قال الراوى) فعند ذلك سار زهير فيمن معه من بنى عبس وساروا عند مطلع الشمس
وما زالوا سائرين ليلا ونهارا بلا هدو ولا قرار وهم طالبون النبى المختار الى أن وصلوا إلى مكة
وتلك الديار والبيت الحرام قاصدين زيارة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام لاجل أنهم
يسلموا عليه ويسلمون على يديه قال الراوى وكان من جملة من تبقى من بنى عبس أربعة عشر نفسا
من غير إطالة سوى زهير وقضاعة وهم الاكرم بن رماح وسمرة بن وشاح وعياض بن ناشب
وناهض بن ناهب وقراوش بن عناشم ورحمة الجواد بن قراة والعيشوب بن ماجد وفرقد
ابن حنالة وسعد بن حبالة وحبيب بن جبير وفضالة وزهير أولادقيس لاغير وكان الوزير
عمرو بن نفيلة العدوى رضى الله عنه قد سمع النبى ﷺ وأنه ظهرت آياته وبراهينه فترك
زيد ابنه مكانه ومضى إلى حضرة النبى ﷺ وأسلم على يديه وبعد مدة من الزمان ومثل
هؤلاء الاقوام إلى مكة وتلك الأوطان وهم بنو عبس عدنان وزهير أمامهم فاقبلوا على
رسول الله ﷺ ووصلوا إليه واستأذنوا فى الدخول عليه ثم يقدم زهير وحياه وسلم
عليه فرح بهم النبى ﷺ وتبسم فى وجوههم وحياهم وهو أكرم من يلقى الصيفان عند
ملتقاهم وقال لهم يافتيان بنى عبس وحماة بنى عدنان ويافرسان الزمان فماذا أتيتم ولاى
شيء قدمتم فقال له زهير بن قيس أتيناك يارسول الله لنسلم على يديك فانا زهير بن قيس
ابن زهير فابى وجدى كان معدن الجود والخير وهذا أخى وهؤلاء بنى عمى قال الراوى
فعند ذلك عرض النبى ﷺ الاسلام عليهم فكان أول من بادر إلى ذلك زهير بن قيس
وأخوه فضالة وأقروا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدرسول الله وتبادرت بعده بنو عمه
وأسلموا عن بكرة ابيهم ودخل الإسلام فيهم قال ففرح النبى ﷺ وأكرم زهيرا وبنى
عبس غاية الاكرام وأكل هو وإياهم الطعام وقال النبى ﷺ إذا آتاكم كريم قوم فاكرموه
ثم أن زهيرا جعل يحدث النبى ﷺ بحديث بنى عبس جميعهم وما جرى عليهم من القتال
والشتات وكيف تفرقوا فى سائر الجهات ثم حدثه أيضا بحديث عنتر بن شداد وما كان
من فعاله الشداد وما كان يفعل بالعرب الجاهلية من النوى والعناد وكيف كان يشتتهم
فى كل شعب وواد فقال ﷺ لو ادركت عنتر بن شداد لسددت به قطرا من أقطار البلاد

ثم أنه قال لمن كان حوله من أصحابه حدثوا أولادكم بحديث عنتر البطل المغوار فهو يشجعهم على لقاء الكفار ويترك لهم قلبا أصلب من الحجر على لقاء الفجار فلقد كان لبني عبس عبد نجيب * روى هذا الحديثان عن الحمزة عن الزبير بن العوام عن عمر ابن الخطاب عن الإمام على لحل الرجال ونقلهما حازم المكى بن الأصمعى عن البخارى بالأسانيد الصحيحة فعند ذلك أقبل زهير على النبي ﷺ وقال رسول الله أعقد لى عقد الإمارة على قومى فقال له يازهير ماتنعقد الرايه إلا على أربعين رجلا فى الإسلام فقال يارسول الله كنافى عالم عظيم وكان لنافى الفروسية خطب جسيم فأتتنا سيوف العرب وفرقتنا فى كل ففر وسبسب ولم يبق منا إلا ماترى (قال الراوى) فبينما زهير بين يدى النبي ﷺ وهو يحدثه وإذا قد أقبل عتيبة بن حصن فيمن معه من بنى فزارة فلما وردوا على النبي ﷺ وسمع أن زهير وبنى عبس أسلموا فعند ذلك بادرهو ومن معه إلى الإسلام ورغبوا فى دين الملك العلام فقال زهير يارسول الله هؤلاء بنو عمى ولحمى ودمى فاعقد لى عليهم عقدة الإمارة فقال النبي ﷺ الآن صحت لك الامرة يازهير وأمرك يؤول إن شاء الله إلى كل خير ثم أن النبي ﷺ عقد له الإمارة على بنى عبس وبنى فزارة وأعطاه راية سوداء مكتوبا عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وتجددت الإمارة فى بنى عبس بعدما كانوا عليه من الشر والضير وصار عتيبه بن حصن ومن معه من تحت راية زهير بن قيس وصفت قلوبهم لبعضهم البعض وبطل من بينهما الإبرام والنقض وكذلك وقع للأوس والخزرج وانبسطوا وصاروا لبعضهم أحبة مع ما كان بينهم من العداوة والنكبه وقد أنزل الله تعالى فى حق زهير بن قيس وعتيبة بن حصن وهذه الأقوام هذه الآيه قرآنا عظيما وهو قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها وصحت الامرة لزهير بن قيس وكان الذين قد تأمر عليهم من بنى عبس وبنى فزارة أربعين رجلا وأيضا عقد الامارة لعتبة بن حصن على بنى فزارة من تحت زهير بن قيس وأقبل عليهم النبى ﷺ وقال لهم اضربوا لكم الخيام والعتاب وقال لهم تعلموا القرآن والأدب والسكون واضربوا لكم الأطناب والبيوت فقالوا له اعلم يارسول الله إن العرب شىء كثير ونحن قوم يسير وورائنا أولادنا ونساؤنا وباقى حلفائنا ونريد أن نسير ونأتى بالأولاد والحريم ونجعل مقامنا عند زمزم والحطيم ونقرأ بين يديك القرآن العظيم ونقاتل بين يديك من يخالفك من العربان ومن يعصى أمرك كائنا من كان ولهم كسرى أنو شروان وقيصر ملك عباد الصلبان فقال لهم النبى ﷺ افعلوا ما بدا لكم لا اعتراض عليكم فى إصلاح شأنكم سيروا بارك الله فيكم وبالخير والانعام يجازيكم (قال الراوى) ففرحوا بدعاء النبى ﷺ وقبلوا يديه المباركة وودعوه وساروا طالبين الحيرة

حتى يأخذوا الحريم والأولاد ويعودوا بهم إلى مكة المشرفة ويأمنوا من كيد الأعداء والمبغضين والأضداد والحساد بجوار النبي ﷺ زين العباد وساروا يقطعون البرارى والقفار مدة إحدى وأربعين يوم إلى أن وصلوا إلى الحيرة وتلك الديار وعتيبة يقول لزهير دعنا نقصد الملك الأسود ونعلمه لما جرى لنا وندعه أن ينفذ معنا من يخفرنا فى الطريق وينقذنا من كل شدة وضيق إلى أن نوصل إلى ديارنا وأطلالنا قال فلما سمع زهير هذا المقال قال هذا شيء ما أفعله ولا أنا محتاج إليه لأن دعاء رسول الله ﷺ خير لنا من كل أحد من أبيض وأسود وعنايته تمنع عنا من يطلبنا (قال الراوى) وما زالوا على تلك الوتيرة إلى أن وصلوا إلى الحيرة فرأوها منقلبة والخيل منهلبة والأعلام مائلة والدنيا مرتبكة فقالوا اما هذا الخبر وما هذه الحالات فأخبروهم أن الملك الأسود قد مات وشرب شراب الآفات وهذا الذى أعيا الملوك والسادات والأكابر والقادات فدخلوا إلى وسط الإيوان فرأوا قد تولى الملك المنذر بن الملك النعمان على مملكة العربان وهو جالس على تخت المملكة وحوله أرباب الدولة والأجناد والغلمان والناس يقبلون الأرض بين يديه وبنى عمه يعزوه وبالملك يهنوه وهو لا يبدى حركة (قال الراوى) وكان هذا الولد من اخت قيس بن زهير وكان اسمه المنذر لأن اباه النعمان لما قتله كسرى انوشروان وصلب اصحابه على قل الايوان وذلك بعد ما رماه إلى الفيل المجنون وطالبه بالمظالم والغيون وكان من أمره ما كان وقد سبق ذلك الكلام بأيامه وكان هذا الولد طفلا صغيرا وهو مع أمه فلما تزوج بها الملك الأسود بعد أخيه النعمان أقامت معه مدة من الزمان ثم تملها وعجل من الدنيا بترحلها فاخذه عمه الملك الأسود ورباه ولم يترك أحدا سواه يربيه ولم يدع غيره يحكم فيه لأنه على كل حال ابن أخيه وما زال على ذلك الحال وقدت عليه الأيام والليالى حتى كبر وترعرع ومشى فعلمه الخط والبيان وتفرس مع الفرسان وسار يطاعنهم فى حومة الميدان حتى أباد الأقران وفرا وقهر الفرسان وهو عند عمه الملك الأسود فى ذلك الزمان حتى وراه التراب وكان له يوم عظيم الشان ما جرى مثله فى سائر الاعراب وعمل المنذر لعمه العزاء سبعة أيام فلما كان اليوم الثامن سار فى خواص قومه إلى المدائن يجدد مملكته عند الملك كسرى أنوشروان وكان قد صحبه فرسان كثيرة من أصحابه وجندة لأنهم كانوا يحبونه لكون أن اسمه المنذر كان على اسم جده فلما أراد المسير اجتمع إليه الملك زهير بن قيس فيمن معه من الفرسان وعتيبة فى بنى فزارة العربان فاستقبلهم أحسن استقبال وأطلعهم على ما فيه من الحال وأخذ زهير بجانبه اليمين وعتيبة بجانبه الشمال لعلمه أن زهير سيد بنى عبس وأيضا ابن خاله فلأجل ذلك قربه إليه وأطلعه على حاله وأمرهم بالمسير معه إلى المدائن وما زالوا سائرين الليل والنهار يقطعون السهول والأوعار إلى المدائن ودخلوا على الملك الإيوان واستأذنوا فى الدخول على الملك كسرى

أنوشروان فلما أذن لهم دخلوا عليه وأومأوا بالسلام عليه وقبلوا الأرض بين يديه فأذن لهم أن يكون مكان أبيه ملك العربان ففرح الملك المنذر بما ناله فعند ذلك أمر الملك كسرى بالخلع السنية أن تخلع عليه وأن تقاد الجنائب بين يديه فعند ذلك دقت البشائر وفرحت بذلك الأصاغر والأكابر لأنهم يحبون المنذر لأجل أبيه النعمان وما سلف إليهم من قديم الزمان من الجميل والإحسان هذا والملك المنذر قد فرح فرحا عظيما بتلك الخلع والإنعام وأقام عند كسرى فى المدائن سبعة أيام فى إنعام وإكرام زائدين ولما كان فى اليوم الثامن أخذ الإذن من الملك كسرى فى المسير فأذن له وسار معه فى السفر وخلع عليه وعلى زهير وعلى عنيبة وعلى أرباب دولته وقد فرحت العرب بولايته لأنهم كانوا يحبون الملك النعمان وذريته ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى الحيرة فخرج إليهم كل من فى المدينة وقد أظهروا الفرح والزينة وقد فرحت لهم تلك البلد وفرح بولاية المنذر كل أحد ودخلوا إلى بيوتهم بيوم عظيم ما رأوا مثله فى سائر الأقاليم وجلس المنذر بن النعمان وقد صار ملكا على سائر العربان فلما بلغ ذلك إلى جميع عرب البر والقفار بولاية المنذر بن النعمان وأنه قد صار ملكا على سائر العربان أتت إليه من كل قفر وسبسب ومعهم الهدايا والأموال والخيل والجمال وصاروا يدخلون عليه ويقدمون ما معهم من الأموال إليه وكان كلما دخل أمير أو ملك من ملوك العرب ومعه أنصاره ينظرون إلى زهير وعنيبة قاعدين عن يمينه ويساره فتهابهم ملوك العرب ولم يبق لهم يد تمتد إليهم بذلك السبب ولما أعطت جميع الملوك الخدمة للملك المنذر بن النعمان ونظروا كيف خدمته الليالى والأيام وكيف نظروا بنى عبس عنده فى النعمة المخولة وكيف زهير وعنيبة فى أعلا المنزلة فلما بلغ ذلك إلى جميع العرب ممن طلعت عليه الشمس ما بقى أحد منهم يمد يده إلى بنى عبس لأن الدولة صارت لهم وهم وراء الملك المنذر وانكفت عنهم أيدى العرب من بعد منها ومن اقترب هذا وزهير وعنيبة وحصن عند المنذر فى أعز مرتبة وأعلا منزلة وما تقضى حوائج الناس إلا على أيديهم وداموا على ذلك الحال أياما وليالى إلى أن كان فى بعض الأيام إذ قد وصل إليهم أخبار مستكثرة بأن قد انتهى فى بنى قضاعة فارس يقال له عنيترة وهو من أقارب عمرو ذو الكلاب وأنه قد هان كل صعب ولم يوجد مثله فى الشرق ولا فى الغرب فقال زهير هذا والله عمرو ذو الكلب كان مصاحبا لعنتر بن شداد وهو مؤاخيه ولعل أن يكون من محبته فيه قد رزق ولدا ذكرا فسماه بهذا الإسم حبا فى عنتر وبعد ذلك فلا بد لنا أن نقتفى آثاره ونزور ه فى دياره ونكشف عن هذا الخبر (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من حديث ذو الخمار فإنه لما سمع أسر الورقاء عمته وأتته العبيد بالخبر نادى فى بنى عمه وعشيرته أن يسيروا معه إلى نصرته حتى يخلص

إلى عمته فامنهم إلا من أجاب ولبى وفى ساعة الحال ركبوا الخيل العوال واعتقلوا بالرماح الطوال وتقلدوا بالسيوف الصقال وساروا طالبين بنى قضاعة بقوة واستطاعة وذو الخمار أمام القوم حتى لا يدع عليه عتبا ولا لوم وهو ينشد ويقول

أتراع مخيل بالاجل الدقاق	وضرب الروس بالبيض الرقاق
وصوت طنين أطراف العتاق	وحسن المرهفات بالانتشاق
الذلى وأحـــلى من حبيب	وإبريق وكاسات دهاق
ظننتى يا زنيمة أن تعيشى	تمادى للسباع هناك باق
أسمى ذو الخمار وحد سيفى	إذا جردته بلغ التراقى
ولى ذكر سرى فى الأرض جمعا	وإنى فارس الخيل العتاق
وسرت إلى الشام وأرض مصر	وكل العرب والسبع الطباق
ولى فى الحرب وقعات عظام	وضرب فى الاعادى والرفاق
وبارزت الفوارس من معد	وقحطان وأعراب الرفاق
وما الايام إلا مزعجات	وماذا الدهر إلا ذو محاق
ويهدم غالبا ويحط حيط جيدا	وتغلب أسدها عند التلاق

(قال الراوى) ولما فرغ ذو الخمار من شعره طربت بنو عمه من نسمه وعرفت أنه ما بعد عنتر فارس غيره يذكر ثم أنهم ساروا الليل والنهار يقطعون الفيافى والقفار إلى أن وصلوا إلى بلاد شريف وتلك الديار ولما أشرفوا عليها ووصلوا إليها نظر ذو الخمار إلى تلك الأرض والبلاد وقال رحمك الله يا عنتر يا ابن شداد فوالله كانت مهنا منزلته لما دخل على هذه الأرض بسبب ابن خاثر وصار له ما لكا وجائر وكنت أنا والله عنه عاجز لقد كان والله فارس الفرسان وفريد الوقت والزمان وقاهر الفرسان فى ذلك الزمان فوا حسرتاه على قبر حواه وبعد ذلك ما صفا لى الزمان ولا صرت له من الاخوان ولا ابيته ولا صاحبته إلا أخذته منى نوائب الزمان ثم أن ذو الخمار قد خنقته العبرة فبكى بوجد وحرقه ولما هدأ روعه وسكن هلوعه قال لاشك أن الحبل الاعلى رمانى فى يد هذه مثل نوبة غمرة بنت فائز تكون هذه ثانى مرة وأكون أنا على كل حال عاجز لان قلبى من هذه الشيطانة نافر وخائف أن أكون بعد الربح خاسر قال ولما وصل بنو حمير وذو الخمار إلى تلك ارض والديار وطلعت غبرتهم ونظرتهم الرعيان وحققوهم بالعيان فعند ذلك طارت العبيد طالبين الخيام ليعرفوا عنيترة بتلك الغبرة التى كأنها الغمام وما زالوا سائرين وهم متفكرون فى تلك الغبرة حتى وصلوا إلى مضرب عنيترة فوجدوها جالسة وهى على ذلك اللون والصفة والعبيد من حولها مصطفة وهم واقفون فى خدمتها وخائفون من هيبتها وقد سكنت فى قلوبهم سطوتها وأكابر بنى قضاعة بين يديها وقالوا لها يا ملكة يا حامية ارض قضاعة

ياصاحبة القوة والبراعة قد أتت إلينا خيل غائرة غير زائرة وهم يريدون الغارة علينا ويوصلون الأذية لنا (قال الراوى) ولما سمعت عنيترة من العبيد كلامهم وما أبدوه من نظامهم وخطابهم وثبت كأنها الأسد الدرغام على العبيد بالكلام وقالت لهم ويلكم أما سمعتم كلامهم وفهمتم مقالهم فقالوا سمعنا مقالهم ومرادهم ورأينا فى أولهم فارس فى الحديد غاطس كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل وهو للطعن احتفل وينادى إلى أصحابه الغارة الغارة أكشفوا عنكم العار وأزيلوا عبكم الشنار يا بنى حمير أنا سبيع بن الحارث الأسر الهدار الملقب بذو الخمار (قال الراوى) فلما سمعت عنيترة ذلك المقال قالت إن صدقنى حذرى فهذا ذو الخمار عبيد القناعس الذى يعد فى الحرب بسبعة آلاف فارس ثم أنها فى ساعة الحال صاحت على فرسانها والرجال الذين ما منهم إلا كل شجاع رئبال وقالت لهم دونكم وعدوكم ومن أتى يسبى حريمكم وينهب أموالكم ثم صاحت على العبيد أن يقدموا لها جوادًا من الخيل الجياد وأفرغت عليها صدرية زرد مضاعفة العدد كأنها عيون الجرد وتقلدت بحسام مهند وركبت على ظهر جوادها وأخذت رمحها بيدها وركبت الفرسان لركوبها ثم أنها سارت تطلب الطعان وقد تتابعت خلفها الفرسان ودارت بها بنو قضاعة يمينًا وشمالاً وقد علمت أنها بهيبتها تبلغ الآمال إلا أنهم ما خرجوا من الخيام حتى ساق ذو الخمار النوق والجمال والأنعام والأغنام وما كانت خرجت عنيترة من الحلة حتى وكانت بها مائة فارس من الأبطال الشجعان الثقال عشرين من العبيد كأنهم الجمال (قال الراوى) ولما ساق ذو الخمار أموال بنى قضاعة فى تلك الساعة أوقف لها مائتى فارس تحفظها من كل ليث غضنفر ووقف ذو الخمار فى عشرة آلاف فارس من بنى حمير إلا أن عنيترة لما نظرت إلى ذلك الحال ما أهالتها كثرة الرجال بل أكبتت رأسها فى قربوص سرجها وحملت بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرى من تيار البحر إذا زخر وزعقت عند حملتها يا مأخوذين يا مذلولين من أنتم من الفوارس والرجال القناعس حتى تغيروا على أموال بنى قضاعة أهل الفروسية والشجاعة وفيهم عنيترة بنت عمرو ذو الكلب الفارس الندب أم الزوزع وليث الوقائع مردية الأبطال الشداد ومهلكة الأعداء والحساد فارسة الخيل خليفة الأجواد خائضة الليل قاتلة أسد الفلاة وقد أسرت لزرقاء بين الملا وأفنيت الجبابرة العتاة الذين نارهم لا تطفى وذكرهم لا يخفى فخلوا يا ويلكم عن الغنيمة وامشوا فى الطريق المستقيمه وانجوا سالمين ولا رواحكم غانمين ولا حل بكم البلاء وشتت شملكم فى أقطار الفلا ثم أنها حلت وإلى عنان جوادها أرسلت ثم أشارت تنشد وتقول :

سلوا الخيل عنى والحسام المهندى ... ماذا يلاقى القرن فى الحرب من يدى

أنا صورة الموت الذى من تصورت ... له فارق الاوطان والاهل عالدى

إذا الحرب سد الافق وارتبك العدا ... أدير رحاة الحرب فى كل فدفد

وأسقى الفوارس من يدى كل ساعة ... من الموت كاسا وهو نار توقدى
وأفنى رجال الحرب بالسيف والقنا ... وأتركهم فى الروع طعم الأساود
ترى القرن يوم الروع من شاف سطوتى ... يعود مروعا فى الفلاة كأجرد
أنا اللبوة الفرسان فى حومه الوغى ... أبى عمرو المعروف فى كل مشهد
خليلى ما الإنسان إلا ابن يومــــه ... وكم فى الفلا شلو قتيل مهندى

(قال الراوى) فلما فرغت عنيترة من شعرها وسمع ذو الخمار مقالها قال لها تكلمى على قدرك وقيسى قدرك بشبرك ثكلتك أمك وعدمك أهلوك يا ابنة الخنا وفضيلة تربية أولاد الزنا فنحن سادات بنى حمير وفرسان البدو والحضر ومثلك أنت يا زنيمة من يقدر على أسر الزرقاء ولبوة اللقاء المسماة بالحمقا اللبوة الشمطاء والحية الرقطاء والذئبة المعطاء (قال الراوى) فلما سمعت عنيترة خطابه وفهمت مقاله وجوابه قالت له ويلك من تكون من الرجال الدون أنت نصاب أو مجنون فقال لها أنا سبيع بن الحارث بن مزيد بن سبيع الفلا بن أسد البيدا من خيار أبناء التبابعة فارس الأقطار ومشبع الأطيار المعروف بين سادات العرب ذو الخمار ثم أركب رأسه فى قربوص سرجه وحمل على عنيترة وأشار اليها وهو يقول صلوا على طه الرسول :

دعى الفخر فالأيام تبنى وتهـــدم ... وتضحك محزونا وتعطى وتحرم
وترفع من قد عاش فى الذل عمره ... وتنصف من غير اقتصار وتظلم
ومن كان غر بالزمان حلت له ... مشاربه عند الصفا وهو علقم
عدمت عتاق الخيل إن لم أخض بها ... بحار المنايا والغبـــار مخيم
واضرب بالهندى فى حومة الوغا ... وارجع يوم النقع وهو مســـلم
وأبذل دون الحير بين مهجـــتى ... بسمر القنا والمرهفـــات تلعثم
علوت على أبنــاء جنسى تكرما ... فمن ذا يضاهينى وعنى يقــدم

(قال الراوى) فلما فرغ ذو الخمار من شعره همت عنيترة أن تحمل عليه وإذا بفارس من بنى قضاعة قد سبقها وحمل عليه كأنه شاب نار وقال له دونك والطعان فى حومة الميدان من أنت حتى تبرز لك عنيترة يا جبان وهى سيدة الشجعان وهى أم الوعازع ولبوة الوقائع التى ماسمعت المسامع وأنا من بعض بنى عمها وعشيرتها ومن كبراء حلتها قال وكان هذا الفارس القضاعى الذى برز إلى ذو الخمار فارس جبار وبطل مغوار لايقع إليه فى الحرب غبار وكان تحته يومئذ جواد من أزقى الخيول الجياد شديد القوى والخيل له غرة كالقنديل وذيل كالمنديل قوى الركب طويل الذنب لا يأخذه تعب ولا نصب والفارس غارق فى لامته متسربل بالحديد والزرد النضيد متقلد بسيف مشطف كأنه الاسد الأغلب بيده رمح أسمر

من عمل سمهر معتدل الكعوب كأنه أنبوب وعليه زرديةمن الزرد كثيرة العدد لا يعمل فيها المهند ثم أنه حمل على ذي الخمار كأنه الاسد الهدار أو شعلة نار فتصادما وتلاحما وتصارخا وتهاجما وتقاربا وتباعدا وأخذ فى الشباط والمماركة والعياط وتضاربا وتحاربا وعظم بينهما القتال وزادت الأهوال وحمى النزال وطلع عليهم الغبار إلى أن غابا عن الأبصار وشخصت عليهم النظار فبينما هم على تلك الاخبار إذا بزعقة من تحت الغبار وقائل يقول بالحيز الشطار لاشقيت أنا ذو الخمار الأسد الكرار وقد بان من تحت الغبار وهو يقول الفارس القضاعى وهو أسير ذليل حقير ثم سلمه إلى بنى عمه فشدوه كتاف وأوثقوا منه السواعد والأطراف وعاد ذو الخمار إلى الميدان ومحل الضرب والطعان وقال هل من مبارز فبرز إليه عمرو ذو الكلب وأنشد يقول صلوا على طه الرسول:

أنا ابن السيوف وأبطالها إذا جالت الخيل أفيالها
الفت لظاها وقد أظهرت لهم الحادثات أهوالهـــا
وأسقيتها الماء زائداً وزلزلت فى الحرب زلزالها
فدونك والحرت من ضيغم إذا نادت الحرب هيـــا لها
وأسقى رجالا كؤس الفنا وتجرى المقاتـــل أمثالها
كريم النجاة شديد الحسام يخوض الحروب وأهوالهـــا
فدونك ليثاً سديد اللقا ويقهر فى الحرب أبطالهـــا

(قال الراوى) فلما سمع ذو الخمار كلام عمرو ذو الكلب قال له اسكت يا كلب أكلب ويا ذئب أجرب ثكلتك أمك وعدمك أهلك وقومك من أنت من الرجال حتى تقول هذا المقال يا نذل يا ابن الأنذال فلا بد لى من أسرك وأسر رجالك وأكبلكم فى الحديد وأوثقكم الوثاق الشديد ثم أنه أجابه على عروض شعره يقول:

تهدد بالقتال وبالنزال ليوث الحرب يوم المجال
سيوف الهند تعرفنى حقيقا وأسد الغاب تهرب من قتالى
إذا ما قام سوق الحرب يوما بضرب السيف والسمر العوالى
وأنى من أناس فى البرايا كرام للضيوف وللنوال
ونضرب بالسيوف إذ التقينا ونطعن بالرماح وبالنبال
بنو حمير ترى فى وقت حرب تكر على العدا وسط الرجال
وإن كنت تسمى عمرو ذو الكلب فإن اسمى سبيع فى الدحال
وأنى ذو الخمار فريد عصرى وحيد فى الزمان بلا مثال

(قال الراوى) ولما فرغ من شعره حمل على عمرو ذو الكلب وأخذا فى معاناة الحرب

فتلقاه عمرو بضربات أحر من النار حتى علا عليهما الغبار وأخذا في الهزل والجد والكر والفر حتى جرت الخيل من تحتهما خببا وحالا بعدا وقربا (قال الراوى) لهذه الاخبار واختصرنا فيما جرى فى حرب الاثنين فى ذلك النهار صاحا صيحتين عظيمتين كانهما أسدين ضاربين وما زالا على هذه الأخبار إلى أن صار آخر النهار فعند ذلك انفصلا على سلامة وما أحد منهم على علم صاحبه بعلامة ونزل الفريقان وأوقدوا النيران وتحارسوا الجمعان وما زالوا على ذلك إلى الصباح فركبت الفرسان وطلبت الحرب والطعان فعند ذلك حملت بنو حمير على بنى قضاعة بقلوب غير مرتاعة وحملت الرجال على الرجال والتقت الأبطال وكثر القتال بين الفريقين وعظم النزال ودامت الأهوال واختلطت السمر العوال والتقت الصفوف بالصفوف وتكردست المئات والألوف وشربوا كاسات الحتوف وصار قلب الجبان ملهوف والشجاع يسعى ويطوف وكثر الحنق وزاد القلق وتمنى الجبان أنه لم يخلق وجرت الدم واندلق هذا وعنيتره فى حومة الميدان تجول وتصول وتمددا الأقران عرضا وطول وأكثرت الزلزال وساقت قدامها الأبطال وطيرت قحوف الرجال وصارت تضرب فى بنى حمير ذات اليمين والشمال وهى تنادى أنا أم الزعازع ولبوة الوقائع وهى تزعق فى بنى قضاعة الأبطال وتحثهم على الحرب والقتال فأجابوها بقلوب غير مرتاعة وحملوا على بنى حمير حملة صادقة فى تلك الساعة فلله در بنى قضاعة بين الرجال فكم أهلكوا من بنى حمير أقيال وعملوا فيهم أوفى عمل وكم أبادوا من كل بطل وفلقوا الجماجم والقلل ولم تنفع فى ذلك اليوم الخيل وقل من بنى حمير العمل وحان منهم الأجل وكثر عليهم الوجل وضاق عليهم السهل والجبل ووقفت عنيتره ورجالها وفرسانها قدامهم وقفة الغضب وأشبعتهم طعنا وضرب وتكردست الخيل على الخيل وأنزلوا بركابها الذل والويل وكالوهم أوفى كيلا وأى كيل وصار نهارهم كالليل هذا والقتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل وقد عملت عنيترة ورجالها فى بنى حمير أوفى عمل وما زالوا على ذلك الحال إلى أن ولى النهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال (قال الراوى) فعند ذلك افترق الطائفتان من القتال ونزلوا فى الخيام واستقربهم المقام فافتقد رجاله ذو الخمار فوجد قد فقد منهم ألف وخمسمائة فارس أسود عوابس فوقع فى بنى حمير الارتجاف وأيقنوا بالتلاف وعلموا أنه ما بقى لهم أسعاف وأيضا عنيتره وخالها لما نزلوا فى الخيام افتقدوا من قتل لهم من الرجال الكرام فوجدوا أنهم قد قتل منهم خمسمائة فارس همام فلما علمت عنيترة بذلك صعب عليها وكبر فيها وقالت لخالها يا أبتاه أنا عداة غدا أبرز إلى أعدائنا الأنذال أريهم كيف يكون القتال وأول من أقاتل والخمار الخائن الغدار فلما سمع عمرو ذو الكلب من عنيترة ذلك قال لها وما ذو الخمار ما هو إلا فارس جبار ما يوجد مثله فى سائر الأقطار فقالت له يا أبتاه لا كلام إلا غداة غد أريك

ما أفعل به إذا برزت اليه بنفسى وأحامى عن أبناء جنسى فإما أقطع حسه وإما أقطع حسى لأن من قال أنا وقع فى العناء وشرب كاس الفناء ثم أنهم بعد ذلك أكلوا شيئاً من الطعام وقاموا للمنام وباتوا يتحارسون إلى الصباح فعند ذلك سارت الرجال تطلب الحرب والكفاح وركبت خيولها وجردت نصولها واعتقلوا بذبولها وتقدمت لحولها وتدانت الخيل من الخيل وحمل كل فارس قيل وحمل بينهم السيف الصقيل والسنان الطويل وكان بنو قضاعة لبنى حمير كيلا وأى كيل وأحلوا بهم الذل والويل وتركوا دماؤهم تجرى مثل السيل وأخرجوهم من أرضهم بالحسام وخلصوا منهم أموالهم بالجملة فبينما الناس فى قطع الجماجم وجر المعاصم وإذا بمنادى ينادى من بين الرجال ويلكم كفوا أيديكم عن القتال وإذا بفارس منهم قد خرج وهو ضارب اللثام وعليه هيبة واحتشام وهو ينادى يا بنى قضاعة على مهلكم فأنا أقضى هذه الأشغال عنكم وأول بأعدائكم الذل والخبال والشناعة وأفنيهم فى هذه الساعة وإن كنتم ما تعرفون ولا لكم بى خبرة فأنا صاحبة الهمة والمقدرة أم الزعازع عنيترة ابنة عمرو ذو الكلب فارسة المعامع ثم أنها كشفت لثامها وجردت حسامها ونادت بأعلا صوتها ابن سبيع اليمن ابن الحارث الخائن الناكس فليبرز إلى مقام القتال ومحل الطعان وساحة الميدان حتى تنظرنى وتنظره الفرسان ويبين الشجاع من الجبان ويعلم من هو أقوى منا جنان ثم أنها أشارت إلى بنى حمير وأنشدت تقول صلوا على طه الرسول :

أنا الفتاة ابن الفتى من لم يمل	وإن وقع فى الموت عينيه لم تمل
ويضرب بالهندى فى وسط القلل	ويفنى الأبطال ما يخشى ملل
إذا الجبان هار من وقع الأسل	وثاو نقع الحرب نارا تشتعل
أهجم فيها لا أخاف من وحل	واضرب القرم ولا أخشى زلل
أنى أنا الطاعنة بالسمر الأسل	وفكاكة الدورع فى يوم الوجل
أنى أنا ذات الوشاح والكلل	تخاف من الأسد فى يوم الدحل
أنى إذ الموت على القوم نزل	كنت كضرغام وليث وبطل

(قال الراوى) فلما فرغت عنيترة من شعرها طلبت البراز وسألت الانجاز ثم أنها لعبت على جوادها بآل حربها وجلادها حتى لينت عريكة الجواد وكسرت حدته بالطراد وجالت بين الصفوف وتلك الأبطال الوقوف فبينما هى هى تصول وتجول وكل واحد نظره إليها ناظر وإذا قد برز إليها سبيع بن الحارث الباهر المكنى بدم الجبار كأنه أسد هوار وهو فوق الجواد مدخر ليوم الطراد معدود للحرب والجلاد وهو للحرب معدل وبالحديد مسربل ومعتقل وفى يده سيف مسلول برمح تام فى الطول وهو ينشد ويقول

قد علمت ذات اليوم الجيد	أنى أنا الطعان لا أحيد

وعن براز الحرب لا أعود ... إلا برأس البطل الصنديد
والضرب منى هائل شديد ... تبرى به الهامات والقدود
واضرب الشجاع فى الوريد ... أتركه تبكى عليه الغيد
وطعنتى فى النحر والكبود ... بها يفلك الورد النضيد

(قال الراوى) فلما سمعت عنيترة شعر ذو الخمار ونظرت إلى قا .اته بادرت إليه وصدمته وتلقته واحترزت من طعانه ومضاربه وعلمت أنها إن أسرته أفنت عسكره وكسرته فعند ذلك علا عليهما الغبار وغابا عن الأبصار واختفوا عن أعين النظار وجرى بينهم ضرب عوان فى طرائق الجولات وتحيرت منهم الفريقان وتصادما كأنهما مركبان قد التقيا فى بحر ملان وأخذا فى الحرب والطعين والضرب وجرى بينهما كل أمر صعب وعاد القتال عليهم مثل الضباب وعقد على رؤسهم كثبان التراب وكلت منهم المفاصل والأعصاب وتضاربوا بالسيوف والتوت وقال الخصم لخصمه عند المضايقة من أين تفوت وتلقيا على أظهر السروج وتعلمت الفرسان منها الدخول والخروج وزاد منهم الم اج وعلا عليهم العجاج وضاق بهم الفجاج وازرقت الأحداق والأدواج وهانت عليهم الأرواح وباعوها بيع السماح بعدما كانوا بها شحاح وزاد منها الصراخ وكلت الأيدى وكثر انتفاخ وحمى عليهم الحر وعاد صلاحهم إلى فساد وتضاربوا بالسيف الحداد والرماح المداد وأخذوا فى الكر والفر حتى حمى عليهم الحر وكلوا عن البراز وطلبوا الانحاز واشتد بينهما الدعاس وضاقت منهم الأنفاس وبرد الحواس ونظر ذو الخمار من عنيترة حرباً عمره ما نظر مثله ولا ذاق شكله فوقع فى الاندهاش ونوى فى نفسه انه ما عاد يذكر حرباً مدة ما عاش فعند ذلك آيس من الخلاص لما ذاق حرباً تشيب من هوله النواص ونادى المنادى لذو الخمار بالانتقاص وقل منه القوى والانتشاط وعدم الفرح والانبساط وما بقى له فسحة ولا انبساط فى الأشباع ولا وجد فى السلامة أطماع وكان طول الباع فقصر من القراع وما قاسى من عنيترة من القتال الشديد والحرب الأكيد وأيقن بالهلاك والتلاف فأراد الهزيمة من بين يديها والانصراف ثم عاد وقوى قلبه وخاف من العار وأن العرب تعايره بالهزيمة والفرار فأخذ معها فى العراق والشباك وقد أيقن عند ذلك بالهلاك (قال الأصمعى) وكانت عنيترة كلما طال عراكها تزيد قوتها ونشاطها وحربها ونزالها وكانت أقوى من ذو الخمار فى حومة المجال كأنها اللبوة التى فقدت الأشبال لأنها ابنة قاهر الرجال لا تكترث الأبطال ولا تضجر من القتال هذا وعنترة قد شيبت من ذو الخمار اللمم وأورثته العدم وصارت تهجم وتصدمه إذا صدم وهى مثل الأسد الضيغم وكان أم سبيع أن يلوى رأس جواده وينهزم فتلزمه مالا يلزم وما زالت معه على هذا الشأن حتى خذل منهما الزندان وكلت الساعدان فرأى سبيع أنه مع عنيترة فى حال العدم فهجم عليها وقحم

وقام فى ركابه وتمطى فى بدانه وجمل حيله كله على سرجه فانقطع سير الركاب وعثر به الجواد على وجه الأرض كأنه طرد من الأطراد (قال الراوى) فعند ذلك انقضت عليه عنيترة فوقع فى وسط الميدان وأخذته أسير بعد ان ضربه بالسيف على قرنه فأمرت عبيدها بشده كتاف فلما علم الأمير عمرو ذو الكلاب ذلك توجل إليه وعلم أنه ما بقى أحد من العبيد يقدر عليه فوقع فى ساعة الحال عليه وشد يديه مع رجليه شداً أصعب بعدما مزق جلده من الضرب وسلمه إلى جماعة من الفرسان وركب عمرو جواده وطلب الميدان هذا وقد قويت قلوب بنى قضاعة لما بان لهم من عنيترة من الفروسية والقوة والبراعة وراوها قد أسرت ذوا الخار وهو فارس الأقطار فعظمت فى أعين الناس وزال عنهم العناء والبأس ولما رأت بنو حمير إلى ذو الخار وقد أسر وهو فى أيديهم ذليل حقير حملوا عن بكرة أبيهم وقد علموا أنه ما بقى لهم من يحميهم فصاحوا وأميراه واسيداه ثم أنهم هجموا على بنى قضاعة بجمعهم وأرادوا خلاصة من يد قضاعة فعندما تلقتهم بنو قضاعة وكانت لهم ساعة يالها من ساعة قاتل فيها البطل بما عنده من الفروسة وقاتل الجبان على قدر الاستطاعة هذا وقد التقتهم بنو قضاعة وانزلوا ببنى حمير الذل والشناعة وكشف الموت لهم قناعة ومد اليهم الموت باعه هذا وقد تقدمت من سادات بنى قضاعة فى تلك الساعة ما هو مثل عمر وذو الكلاب الفارس الندب ومثل سعيد بن الديان الفارس الريبال ومثل داود بن سنان ومثل أسد بن ضبيان ومثل ربيعه بن فرقد ومثل ابن حازم ومثل عكاش ومثل المهلب بن مجلد ومثل كرار وكان هؤلاء الفرسان تضرب بهم الأمثال فى ذلك الزمان وقد أمهم أم الزعازع وخائضة الوقائع وهم يقهرون الفرسان ويبدون الأقران فى حومة الميدان ويدحرجون رؤس الأبطال مثل الاكر وعنيترة مثل الأسد وقد ضربوا بفعالها المثل فى السهل والجبل وساقت لهم الموت العجل ولم تزل النار قائمة وعقبان المنايا حائمة إلى أن مالت الشمس إلى الاصفرار وأتى آخر النهار قال عند ذلك ولت بنو حمير الأدبار وركنت إلى الفرار وتفرقت فى الأقطار هذا وبنو قضاعة وراءهم وقد أهلكوا كبارهم وفتيانهم واسقوهم كأس الممات وعجلوا فناهم ومازالوا يأسرون منهم ويقتلون مسيرة أربع فراسخ والضرب فى أقفيتهم راسخ ثم أنهم بعد ذلك رجعوا عنهم لما دخل عليهم الليل وحل ببنى حمير الذل والويل وتركدهم على وجه الأرض طرحى وحازوا اغنامهم وأموالهم وخيولهم وأسلابهم ونوقهم وجمالهم ووضعت الحرب أوزارها وخمدت لهيب نارها وبعد ذلك أمرت عنيترة الناس أن يسرعوا بالنقلة إلى تلك الوديان الفساح ففعلوا ذلك عند الصباح وأوسعوا فى البرارى والفلا حتى يستريحوا من روائح القتل فلما سمع القوم مقالها استصوبوا رأيها ورحلوا فى ساعة الحال من ذلك المكان إلى مقدار فرسخ بعيد عن حلهم ونزلوا فى مكان

الماء فيه كثير ونصبوا الخيام وركزوا الأعلام وداموا فى أكل طعام وشرب مدام وقد صفا لهم الزمان وراقت لهم الليالى والأيام فصارت الناس ما تخاف إلا بحيث عنيترة وافروا لها بالسمع والطاعة هذا وقد أمرت بشد سبيع بن الحارث إلى جانب عمته الزرقاء فى بعض المضارب ووضعتها الخيام ووكلت لهم عبيد وجوار لخدمتهم وجعلت الأسرى فى مضرب واحد بعيد عنهم وأقاموا على ذلك الحال وهم فى ذلك الضرر والأذلال (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من المنهزمين فانهم صاروا ألفا وما ئتين فارس قد حل بهم الذل والوساوس وتفكروا بحالهم وما صار لديهم ثم أنهم تشاوروا فيما يفعلون وبمن من الملوك يستغيثون فقال بعضهم لبعض اطلبوا بنا الملك المنذر بن النعمان وأحكوا له ما سرى وكان وعرفوه فهذا الشأن وكيف أذت عنيترة هؤلاء الفرسان فان كل قبيلة تضام أو يحل بها نوائب الزمان تأتى إليه وتشكوا ما جرى عليها حتى يأخذ لها حقها ويقابلها بما يستحقها قال فلما اتفقوا على هذا الاتفاق ساروا طالبين بلاد العراق وهم يقطعون البرارى والآفاق وما زالوا على هذه الوتيرة حتى وصلوا إلى أرض الحيرة ودخلوا على المنذر بن الملك النعمان وعرفوه بما جرى وكان فقال لهم ما الذى دهاكم ومن بشره رماكم فقالوا أيها الملك قد بلينا بقوم كانهم جبال وهم رجال وأى رجال أفنوا السادات والأبطال وهم بنو قضاعة أهل الشدة والفراسة وأول من فتك فينا حاميتهم عنيترة وأظهرت فينا المقدرة وقد أسهرت الزرقاء فارسة الخيل وأبلتها بالذل والويل ومضى سبيع حتى يخلصها فأخذته أسير ذليل حقير وقد حملت علينا فرسان بنى قضاعة وقتلوا منا ألفين وخمسمائة بطل فى ساعة وما كان لنا على حربهم استطاعة وبلينا منهم بشىء ما لنا قدرة على اندفاعه فأفنونا بشفار السيوف ولم نقدر بين أيديهم على الوقوف وها قد أتينا لأيها الملك هاجين وهاربين وإلى النجاة طالبين وبك مستشفعين وإلى جنابك قاصدين فلما سمع الملك المنذر مقالهم رق لهم ورثى لحالهم وقال لهم قروا الأعين والأنفس ولا تخافوا على أسراركم فأنا لا بد أن أسير إلى غرمائكم واقتل رجالهم وأسبى نساءهم وعيالهم وانهب أموالهم (قال الراوى) وكان الملك المنذر صاحب همة قوية وعزيمة عربية وهكذا كانت الملوك فأمر باحضار العشائر وبقية العساكر فجهزت الفرسان شأنها للقتال وعبت عدتها للحرب والنزال وداموا على ذلك الحال ثلاثة أيام وبعد ذلك عزموا على الرحيل وسرعة التشمير فخرجت العشائر والفرسان وهم حول المنذر بن النعمان وسار فى ستة آلاف عنان من بنى شيبان وسنبس وهمدان وترك له الحيرة نائبه زيد بن عمرو بن نفيلة باقى العشائر والجيوش والعساكر ورحل الملك بهذه الشرمة القليلة لأنه خاف أن يسير فى جيش كبير فيخرق ناموس المملكة وقال إن سرت إلى بنى قضاعة

فى سبعين ألف عنان أخاف من معرة العربان وملوك الزمان وأنا بهذه الفئة اليسيرة وهذه الجنود دفا مضى بهذا المراد وأعود ببلوغ الأغراض وإزالة الأمراض ثم أنه سار يقطع البرارى والقفار والسهول والأوعار أناء الليل وأطراف النهار وهم طالبون بلاد شريف وتلك الديار ولم يزالوا مجدين المسير وسرعة التشمير أياماً متوالية فى الأودية والبرارى الخالية إلى أن بقى بينهم وبين منازل بنى قضاعة نصف النهار فوصلوا إلى مكان المعمعة التى تقدمت ما بين بنى قضاعة وبنى حمير والذئاب حول القتلى تعوى والطيور وتحوم عليهم فى تلك البقاع فعدلوا وابعدوا هذا ولما علم الملك المنذر أنه وصل إلى أرض بنى قضاعة أمر العشائر بالنزول وأمر فى تلك الساعة أن يكتب كتاب ويرسل إلى بنى قضاعة الحذر والتنذير من قبل أن الحرب بيننا وبينكم يسير فعند ذلك تقدم الكاتب وكتب عن لسان الملك المنذر ملك العرب يقال باسمك اللهم رب الأرباب ومعتق الرقاب هذا من الملك المنذر ملك الأعراب إلى عنيترة ابنة عمرو ذو الكلب الفارس الندب بعد السلام عليك وعلى جميع المقدمين وفرسان بنى قضاعة ومن فيها حاسر فى الساعة أقول أنه ساعة وقوفكم من هذا الكتاب لا يكن لكم جواب أنكم تطلقوا سبيع وعمته من الأسر والعذاب ولا تخفوا من الأسباب فاترك دياركم خراب مأوى البوم والغراب وقد حرر من أنذر وانصف من حذر وإلا كنتم كما يقال عنكم فدونكم واللقاء ولا تظنوا أنى كمن لاقيتم من العربان والفرسان والملوك السفهاء وتنظروا بعينكم من يسعد ومن يشقى وأنا ما أخاف من كثرة القبائل ولا من الفارس والراجل والسلام على من أطاع ووافق واللعنة على من عصى ونافق ثم أنه دعا بنجاب وإعطاء ذلك الكتاب ودعى بعشرة رجال انجاب وأمرهم أن يسيروا مع النجاب فى الوقت والساعة فوصلوا إلى أرض بنى قضاعة وسألوا عن عنيترة فدلوهم الخدام فسار النجاب إليها فى عاجل الحال وقصد الضرب واستأذن فى الدخول عليها فاذنت له بذلك الحال ولما تمثل بين يديها قالت له أتيت وما معك من الاخبار فقال لها أنا نجاب وحامل كتاب من عند ملك الأعراب الملك المنذر بن النعمان الحاكم على قبائل العربان نائب الملك كسرى أنوشروان فعندها تقدم إليها واعطاها الكتاب فاخذته منه عنوة وناولته لزيد بن عروة فقراه وفهمت معناه فقابلته بالتهديد والوعد والوعيد فعندما أمرت بصلبه ومن معه وأكثرت لهم من الاهانة والعذاب وفى الحال مزقت الكتاب وابيضت شفتها واحمرت عينها وتوردخدها وقالت له والله لولا المخافة من معيرة العرب يقولوا عنيترة استسنت سنة لكنت ضربت رقبتك واطلت عذابك قبل قتلك فلا كان المنذر ولا استكان ولا عمرت الأوطان ولعنت أمه وأم ابنه النعمان ولا كان كسرى صاحب الإيوان ولا كانت بنو لخم وجذام وشيبان ولا جميع العربان لمثلى يهدد المنذر بمثل هذا الكلام وأنا أم الزعازع

وخائضة الوقائع والمدامع والأهوال ثم أنها صرخت فى بنى عمها النفير فى هذه الساعة يا بنى قضاعة يا أصحاب القوة والبراعة يا أهل المروءة والفروسية فلم تكن إلا ساعة حتى ركبوا وتأهبوا للمسير وقد اعتقلوا الرماح وطلبوا الحدب والكفاح وما أبعدوا عن الحلة حتى طلع عليهم الغبار وسد منافس الأقطار وبعدها تمزق وتقطع وانجلى وبان من تحته عشائر الملك المنذر بنى لخم وشيبان والمنذر فى أوائلهم ومن حوله الأبطال والفرسان وكان سبب ركوبه الرسول لما طردته عنيترة سار إليه وهو فى أتباع العذاب وعرفه بتقطيع الكتاب فصاح يا أربابها فشدت على السروج ركابها وسار بهذا الجيش الجرار إلى أنه التقى بنى قضاعة فى تلك الساعة ووقعت العين على العين وانطبقوا على بعضهم الفريقين وحان بينهما الحين وزعق عليهما غراب البين وتزامت منهم اليدين وتوافوا من بعضهم البعض ما كان لهم من الدين وقلعت الأسنة الأعين وجرت الأبطال وزادت الفتن وصار الدرع لصاحبة كفن وقال الخصم لخصمه إلى أين ودمدمت عليهم سباع البرية وكثرت البلية ونادت عنيترة فى بنى عمها يا بنى عمى أحيلوها ورقة الانفصال واسقوا الأعداء كاس الوبال فعندها نخت الفرسان بعضها بعض وارتجت من ركض الأرض وكثر الرفع والخفض وعمل الصفاح وطعن الرماح وامتلأت بالقتلى البطاح ونادت الفرسان لا براح وتساوى عندهم المساء والصباح وتصادمت الأبطال كتصادم الكباش البطاح وبان الفارس الوقاح وولى الجبان وراح فكم من راس قد طاح ودم قد ساح كل ذلك وعنيترة أمام القوم وقد بطل العتب واللوم وتكردست الفرسان وأهلكت الأقران وسقت الفرسان من سيفها كاس الهوان وزادت الحرب وهى تهدر وتزمجر وقد جعلت قصدها الملك المنذر ومازالت تخترق الصفوف وتخذل الكفوف وتطير القحوف وتمزق المئات والألوف إلى أن وصلت إلى الملك المنذر وهو تحت الأعلام وقد طعنت صاحب العلم فى فاه فأخرجت الرمح من نقرة قفاه وفرقت الرجال من حول الملك المنذر بالطعن المتواتر وقد بقى المنذر وحده وتباعدت عنه فرسانه وجنده وكانت عنيترة أخذت العلم قبل أن يقع وصاحت على المنذر أدهشته وخبلته وأرعشته وانقضت عليه أخذته أسير وقادته ذليلا حقيرا وما خلاه يصل الأرض بل رفعته على زندها بما عليه من لبسه وعدته وبقى فى يدها كالطفل الصغير وهو بحالة الذل والتغيير ولما رأت قومها أميرهم قد اخذت المنذر هجمت على بنى لخم وجذام وشيبان وجودوا الطعن بالمران والضرب بالسيف اليمان وسقوا أعداءهم كاس الهوان وأسروا منهم فى ساعة الحال الفا وخمسمائة فارس أقيال وقتلوا منهم الفين فى أقل من طرفة عين وحان عليهم الحين وزعق فيهم غراب البين قال الراوى فعند ذلك ولوا منهزمين وإلى ديارهم طالبين وتبعوهم بنو قضاعة مقدار فرسخين وبعد ذلك رجعوا

غنهم وجمعوا الأسلاب والخيل والذهاب ونالوا من أعدائهم غاية المراد ثم أن بنى قضاعة بعد ذلك سارت الأسارى ذليلين حيارى والملك المنذر فى جملتهم وهم طالبون حلتهم والملك المنذر يقول لبنى قضاعة أنسيتم ضيفة النعمان وفضله عليكم والشأن وكيف كان يفضلكم على جميع الفرسان وعلى أهل خراسان (قال الراوى) فلما سمعت نبيترة كلام الملك المنذر قالت له است أمك وأم أبيك النعمان معك وأست أم كسرى أنوشروان وسائر العرب وملوك خراسان فوالله لا أزال أقاتل سائر العربان وجميع العباد حتى أملك البلاد وأول ما أبدأ ببنى شيبان حتى أخذ بثار جميع من قتل من الفرسان وأخذ بثار أخى وأبى الذى كان يسمى عنتر بن شداد من بنى نبهان ومن سائر العربان ثم أنهم بعد ذلك الشأن تموا سائرين فى القفار طالبين الديار حتى وصلوا اليها فتلقتهم العبيد والأحرار وفرحت المنازل بالمنازل والأوطان بالسكان واستقروا فى المكان وأمنوا من غدرات الزمان فهذا ماكان من بنى قضاعة وأما المنهزمون فانهم لما هربوا من تلك الديار وهجوا على وجوههم القفار وتموا سائرين يقطعون السهول والأوعار ليلا ونهار من ضرب البتار وهم فى ذلة وحيرة حتى وصلوا إلى أرض الحيرة والقوا فيها النفير بعد ما بكوا بكاء شديد ونعوا الملك المنذر إلى الكبير والصغير والأمير والحقير واخبروهم أنه فى الاسر وكيف جرت عليه نوائب الدهر وقد قال القائل فى المعنى هذا الشعر .

وكم أسد مات من دبابة وملك أحوجه الدهر إلى لبابة

(قال الراوى) وكناقد ذكرنا قبل هذا الكلام بأن زهير بن قيس وعتيبة بن حصن قد صار عند الملك المنذر من خواص دولته وأعز من أهله وعشيرته وأقاربه وندماء فلما سمع زهير وعتيبة عند الملك المنذر ذلك الكلام صار الضياء فى أعينهما ظلام لأنهم كانوا مقيمين فى الحيرة كما ذكرنا عند وزيره زيد بن عمر بن نفيلة وهما عنده بمنزلة جليلة فقالوا ايها الوزير ماعندك من الرأى والتدبير فى خلاص الملك المنذر مما هو فيه وإنقاذه من أعاديه فقال الوزير أننا نأخذ العشائر ونسير اليه ويكون معنا بعض المنهزمين حتى يدلونا على الطريق لأن عند الضيق يتبين كل صديق فقال زهير الأمر أقرب من هذا يا وزير الملوك واعلم أن لنا صداقة عند عمرو ذو الكلب من أيام حاميتنا عنتر ومن الرأى أننى أسير معك فى بنى عبس وبنى فزارة لاغير ونأتى بالمنذر من غير تنكير لأن عمرو ذو الكلب لا يقصر من جهتنا لانه مؤاخينا ثم أن الملك زهير فى عاجل الحال أمر بنى عبس وبنى فزارة بأخذ الأهبة للارتحال وفى ثانى يوم ساروا وأخذ الوزير معه وبعض أكابر بنى شيبان وساروا يقطعون البر والقفار بعد ما أخذوا بعض المنهزمين ليدلوهم على الطريق ومازالوا سائرين قاصدين ديار بنى قضاعة وزهير يحدث الوزير بصداقة عمر ذو الكلب لعنتر وأنه كيف أقام عندهم

ليالى وأياما فى العم السعدى وأما عنيترة هذه فما تعلم ما هى وكان بنو عبس وزهير ما يعرفون أن عنيتره بنت عنتر ولا عندهم بذلك خبر وما زوج بقناصة الرجال إلا وهو على بحر الفرات ولا سمع أحد بزواجه ولا رآه إلا أن عنتر لما مات كانت قناصة الرجال منه حامل بادن من سبر الحامل كما ذكرنا وولدت عنيترة بعد موته كما قدمنا وجرى ماجرى لبنى عبس وتشتتوا فى القفار واندرس رسمهم والآثار ومات من مات وعاش من عاش ولدى بقى منهم ومن بنى فزارة أربعون إنسانا أسلموا على يد النبى ﷺ وأتوا إلى الحيرة بعد ماجرى لهم أمور كثيره وعلم الملك المنذر أنهم أقرباؤه وأن زهير ابن خاله فاقاموا عنده فى أعلى المنزل وأحسن إليهم وما زالوا مقيمين حتى جرى ماجرى على الملك المنذر من الأمور المقدره وأسرته عنيترة وأما زهير فانه طالب أن يسير إلى عمرو ذو الكلاب ويسأله فى المنذر لأجل ادلاله عليا كل ذلك وما يعرفون بحال عنيترة وسار زهير وعتيبا وسارت المؤمنين تخبر زهيرا بفعل عنيترة وكيف أسرت سبع الفلاه والورقامع ذى الخمار وما فعلت من هذه الأمور المحققة وهو يتعجب من تقلبات الليالى والأيام وهو يقول ما الدهر إلا عجب والأيام تأتى بكل سبب وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى بلاد شريف فلما وصلوا إلى الأحياء رفع النفير وركب من قضاعة الصغير والكبير للقضاء على بنى عبس وملكهم زهير فعندها تقدم زهير أمام القوم وقال لا بأس عليكم ولا لوم نحن بنو عبس أنا زهير بن قيس ملك بنى عبس فلما سمع عمرو ذو الكلاب بذكر بنى عبس وعرف زهير ابن قيس قبل الأرض بين يديه وقبل رجل الملك زهير فى الركاب وكان على رأس الملك زهير راية أبنه العقاب وتحته جواد يسمى السحاب فعند ذلك تذكر عمرو أيام عنتر بن شداد ففاضت دموعه كثر هلوعه وكانت أخته قناصة الرجال التقت بالملك زهير وقبلت ركابه وشكرته قدام عنيترة وبكت على عنتر بن شداد وعظم بكاها وزاد وعنيترة تتعجب وقد حارت وأخذتها هيبة والانبهار من فعالهم ونادت لعمرو ذو الكلاب يا أبتاه لم تفعل أنت وأمى هذه الفعال المذلون لاحد من الرجال راكبة على ظهر جوادى الصهال وبيدى رمحى العسال وحسامى الفصالى وأنا تخضع لى أسد الرجال فقال لها عمرو يا أم الذعازع ولبوه الوقائع قد ظهر الحق وعاد شائع وهؤلاء بنو عمك ومن لحمك ودمك وهم بنو عبس الفرسان وقد ظهر البرهان وبقى إعلان ظهر المغطى بعد الكتمان وعاد إلى بيان وأنت ابنة مذل الفرسان عنتر بن شداد وقد رجعت الوديعة إلى أهلها واللبوه إلى شبلها والاولاد إلى آبائها وأجدادها وأهلها وما وسعنى كتمانها أكثر من هذا الحال فلما سمعت عنيترة من خالها ذلك الكلام قالت له وقد تحيرت يا والدى أراك تبعد نسبى أما أنت أبى وهذه أمى فقال لها عمرو وكل الناس باهتون والملك زهير ومن معه متحيرون والله يا عنيتره إن صدقت هذه الهيفاء أمك وأما أبوك فهو عنتر بن شداد فارس الطراد وشجاع الجلاد من عبس الاجواد وهؤلاء بنى عبس بنو عمه وأهل الجود

والخبر وهذا المقدم عليهم الملك زهير وكلهم بنو عمك والحك ودمك وقد رجع الحق لأصحابه والسيف إلى قرابه واعلمى أنى ما أنكرتك هذه الايام إلا لما سمعت عن بنى عبس أنهم قطعوا عن دابر إنسان والبعض منهم تشتت فى القيعان والآن قدعاد الزمان وأنت لهم بين العربان ثم أن عمرو ذو الكتاب ابتدأ وحدثهم بالحديث من أوله إلى آخره وأطلعهم على باطنه وظاهره فلما سمعت عنيترة ذلك الكلام تعجبت وأظهرت الفرح والابتسام وترجلت فى الحال عن جوادها وسلمت على زهير بحشمة وأدب وقبلت رجله فى الركاب وأما زهير فإنه لما سمع كلام عمرو ومنشأ عنيتر تعجب غاية العجب وأخذه من تلك الكلام الطرب وقال الايام تأتى بكل عجب ولما ترجلت عنيتره ترجلت بنو قضاعة وكذلك ترجلت بنو عبس وزهير ومن كان معه من الفرسان ونزل الجميع فى الخيام وأخذوا فى اصطناع الطعام وترويق المدام ودامت الولائم سبعة أيام وقد حيا زهير لعنترة وقال الحمد لله الذى أخلف علينا عنتر بن شداد حتى نردكلنا عليه من الاحياء والبلاد ثم أن زهيرا حدث عمرو بأن الملك المنذر بن النعمان وأن أمه المتجردة بنت الملك زهير ملك بنى عبس وعدنان فلما سمع عمرو وعنيترة هذا الكلام أمروا العبيد أن يطلقوا الملك المنذر من الاسر والاعتقال وكذلك فعلوا بالورقاء وشبيع الحارث الفارس الريبال كرامة للملك زهير ومن معه من الأبطال وخلعوا عليهم الخلع وجددوا الولائم ورتع القاعد والقائم وشربوا المدام وأقاموا على ذلك سبعة أيام وبعد ذلك سئل عن جلية الخبر فأخبروه أن عنيترة بنت عنتر فقال ماهو عجب أن تكون هذه اللبوة من ذلك الاسد وبكى سبيع لى عنتر وانهمل دمعه وانحدر وقال وحق الملك الجبار الواحد القهار أنا قد حسبت هذا الحساب وقرأت عنوان هذا الكتاب وعلمت أن هذه الوقعة ما تكون إلا من مثل هذه الشجرة ثم أنه قام وقبل يد عنيترة وقال لها وذمة العرب لو تعارفنا ما تحاربنا فاعتذرت الاخرى من أسرها له وأطلقت جميع أسراهم وخلعت عليهم الخلع السنية الغالية البهية ومدت لهم الولائم ورتع فيها القاعد والقائم ثم أن ذا الخمار حدث عنيتره بما جرى له مع أبيها عنتر البطل القسور من الحروب والمعاداه وفى الآخر خاواه وصار بينهما الوداد فتعجبوا من هذه الامور والايراد ومن تقلبات الايام والدهور ثم أن ذا الخمار طلب الرواح فاهدت له عشرين جواد من أرق الخيل الجياد وطلب العودة إلى دياره وأن ينزل فيها فرارده فقالت له عنيترة أما تقيم عندنا حتى تاخذ بثار والدنا ولك ما لنا وعليك ما علينا فقال ذا الخمار وحق العلى الاعلى لاحضرت قتالا ولا باشرت نزالا بعد عنتر بن شداد فلا تفصبينى بأمره على ما لا أريد ولا أتكبر عن صحبتك بل أكون لك أقل من العبيد ولا بدلى من الرواح لأنى ما بقيت بعد إظهار هذا الامر يلذلى شراب راح (قال الراوى) ولما رأت الزرقاء إلى ما فعل ابن أخيها ذا الخمار ما وجدت لها على فرقته اصطبار فقالت لعنترة يا بنت الكرام وأنا كذلك ائذنى لى

بالسفر لانى ما بقى لى بعد رواح ابن أخى مصظهر فاذنت لهم عنيترة فى المسير وأطلقت أسارى من جميع حمير وخلعت عليهم وتبعوا سيدتهم الزرقا على الاثر ثم أن عنيترة ودعت الزرقا وذو الخمار وجميع بنى حمير وصار كل منهم شاكر لعنيترة ابنة عنتر فهذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من الملك المنذر فى الإقامة فى بنى قضاعة والحضر فإنه أقام فى غاية الإكرام تمام سبعة أيام لاجل أن يأخذوا حظهم منه وليكرموه غاية الإكرام ولما كان اليوم الثامن طلب المنذر من عنيترة الإذن فى السفر وقال لها يا أم الزعازع إنى أريد الرواح إلى الديار والاوطان لئلا تسمع العرب أنى عندكم فى الاسر والهوان فتقوم تنقلب العرب عليكم من سائر البلدان ويأتوكم من كل جانب ومكان وربما يكون مالكم بهم من طاقة ولا بحربهم استطاقة فلما سمعت عنيترة كلام المنذر ومقاله من تلك الأمور المشفقة علمت أنه ما قال ذلك الكلام إلا من نوع المحبة والشفقة فقالت له يا مولاى أعرك أعلا وقولك أسنى وأولى فعندها تجهز الملك المنذر إلى الرحيل وساروا معه يومين حتى أنهم تبطنوا ذلك البر الاقفر وودعوه وعادوا عنه بعد ما حلف عليهم وردهم وسار هو فيمن معه من العسكر وعادت عنيترة وخالها عمرو ذو الكلب راجعين إلى الديار والاطلال وعاد معها زهير بن قيس ومن معه من بنى عبس الابطال لأن عنيترة كانت منعت زهيرا ومن معه من الرواح مع المنذر وساروا إلى أن وصلوا إلى الديار ونزلوا فيها وقر قرارهم فأخذت عنيترة فى إكرام الملك زهير بكل ما تقدر عليه وتود أنها توصل الكرامة الزائدة إليه وصارت تكرام بنى عبس غاية الإكرام وتروج لهم قدور الطعام وتروق لهم بواطى المدام إلى أن كان يوم من بعض الايام جاور المشورة والكلام فقالت عنيترة لزهير يا ملك وحق البيت الحرام وزمزم والمقام وحق الملك العلام لا بد أن أدع الملوك تنقاد صاغرة إلى بين يديك وتخضع باعناقها إليك ونقابل من سطا عليكم بالهوان ونجازى من أحسن إليكم بالجميل والاحسان ولا بد أن نفنى العرب وجميع القبائل وأهلك منهم بما فعلوا الفارس والراحل لا يحمل ما فعلوا بعد موت أبى عنتر ولا أرجع عنهم حتى أذيقهم الموت الاحمر فقال لها الملك زهير وبنو عبس أعلى ما بدا لك فما فيا أحد يخالف مقالك ولا ترك عما تقولى وتريدى أن تمليه من أعمالك فعندها أخذت فى مكاتيب من يلوذ بها من العربان والاصحاب والخلان وكان لها أصدقاء من يوم تفرست وركبت الخيل عن يقر لها بالطاعة وهم أهل قوة وشجاعة وتحت بطشها ستة آلاف من بنى قضاعة وقالت لزهير وبنى عبس كانوا أنتم من تعلموا من أصحابكم وأصدقائكم وأحبابكم لاننى عزمت على المسير أولا إلى بنى عامر ونقتل منهم الاكابر والاصاغر لما بلغنى من عامر أنه قتل عبلة وأمها وأبيها وأخيها وكيف أخذ أموالها وأموال أبى بالجملة وقد كانت أمها الهيفاء قناصة الرجال وخالها عمرو ذو الكلب قد حكوا لها على جميع ما كان من تلك الاحوال فصار لها بذلك معرفة واستدلال

وقالت أنا ما أفعل هذا الفعال إلا أنه قد حكى أنه قد كان صاحب أبي وكان عنده بمال ولما مات أبي خانه وأخذ جميع ماله وقتل عيلة وعمل هذه الأعمال وفعل تلك الإهانة ومن حين بلغني عنه هذه الخيانة لا بد أن أبليه بالذل والاهانة فلما سمعت بنو عبس وزهير بن قيس كلام عنيترة لم يقولوا الالم ولا ايس بل كتبوا في عاجل الحال إلى من لهم من الخلفاء والأبطال والأصحاب مثل بني غطفان وبني ذبيان وبني مرة ومن يجرى مجراهم من الأصدقاء والأخوان وكذلك فعلت عنيترة وكتبت الكتب وأرسلتها لحلفائها ومن تعتمد عليه في شدتها ورخاها وكانوا أربعة آلاف فارس من فتيان العرب الذين قد سمعوا بشجاعتها وكيف أذلت فرسان البر والسبسب وقد أسرت مثل الزرقاء وذوا الخمار وقتلت أسد الفلاة الفارس المغوار وأسرت الملك المنذر ابن الملك النعمان وأحلت بهم الأضرار وقال الرجال قد أخلف الله بني عبس بعد ما أصابها من الضرر بهذه أم الزعازع عنيترة بنت عنتر فصارت العرب تراعيها وتهاديها من جميع القبائل وجميع سكان المناهل وقد صارت عبيد عنيترة بالكتب إلى قبائل العرب من بعد منها ومن اقترب وكانت كتب زهير وبني عبس وصلت إلى عمرو ابن معدى بكرب الزبيدي وأيضا إلى الأمير هاني بن مسعود وأتى دريد بن الصمة فأول واحد منهم أتى إليهم وقال كل منهم أتى بعد عنتر ما بقيت أقاتل ولكن دريد ابن الصمة قال أنا ما أخيب مساعيهم وقصدهم فأرسل لهم خمسة آلاف فارس من كل مدرع ولابس من دثار بن رزق وخفاف بن ندبة والعباس ابن مرداس السلمى وساروا إلى بني عبس وعدنان وكذلك تتابعت القبائل من كل شعب ووادٍ إلى عنيترة بنت عنتر الفارس الريبال وما زالت القبائل تقدم عليها حتى ملؤا الأودية والتلال وكل من قدم عليها من الرجال تكثر له من الطعام والمدام وأقامت بضيافتهم ثلاثة أيام وكان من قدم عليها أيضا عتيبة بن حصن واجتمع عليه من بني فزارة ألف فارس تمام لاننا ذكرنا أنه كان في الحيرة في ذلك المكان فلما أن سمع من عنيترة وبني عبس ذلك الكلام اشتاقت نفسه إلى الحرب والصدام فجمع من قدر عليه من بني عمي الاخيار وسار حتى شاركوا بني عبس في أخذ الثار فلما تكامل جمعهم ساروا في عددهم وعديدهم إلى أن وصلوا إلى بني عبس وعدنان ولما رآهم زهير قام إليهم وتلقاهم وأكرمهم وأحسن مثواهم وقال لعنيترة هؤلاء بنو عمنا ولحمنا ودمنا فاستقبلتهم وأكرمتهم غاية الإكرام مدة ثلاثة أيام وبعدها أمرتهم بالرحيل فساروا في عددهم وعديدهم لما تكاملت عساكرهم وجنودهم وصارت عنيترة وخالها عمرو أمام القوم وزهير بن قيس وعتيبة بن حصن في السائقة وقد نشرت فوق رؤسهم الاعلام وسارت من حولهم يقطعون البرارى والاكام وقد هربت الوحوش من الاوكار من ركض خيولهم في السهول والاوعار وعنيترة سائرة أمام القوم كما

تقدم طالبة ديار بني عامر وقد تيقنت من نفسها أنها ما بقيت ترجع عنهم حتى تمحقهم بالسيوف البواتر ومازالت سائرة إلى أن أقبلت على ديار بني عبس وعدنان وهي أرض الشربة والعلم السعدي وتلك الأوطان ومافي بني عبس الأمن حين مرت بهم نزلت دموعه على خدوده كالغدر أن ودأنه ما بقي رجل منها ولا يبدي ولاسيما زهير وعتيبة بـ حصـ لمارأوا ديارهم حرابا بلاقع ولم يجدوا فيها ناطقا ولا سامع ولا فيها إلا اليوم ساكن ورائع وحش في سائر واضع وقد صارت الذئاب والثعالب والوحوش فيها مقيمة وبعد الأنس قد صارت قديمة فعند ذلك بكى زهير بن قيس وعتيبة بالدموع الغزار وتحادرت من أعينهم كأنها الأمطار وكذلك فعلت عنيتره ولحقها الأخوى الحزن والضجرة وزادت في البكار الانين والاشتكا وقالت ما للدار من بعدهم فقراء خراب يزعق فيهما اليوم والغراب وصارت لاتجيب منادى ولا متكلم فيها من حاضر وبادي وخارت بنو عبس في تلك الاحوال وكذلك زهير وعتيبة زادت بهم الاهوال وعنيترة قد تنفست صعدا وأبدت لوعة وكمدا وقالت يا هذه الديار أراك قد شمتت مالك الاعداء فوالله الذي لا إله إلا هو الملك الجبار لآخذن لبني عبس بالثار واكشف عنهم ما نزل بهم من العار والذل والشنار لانه قد التهب في فؤادها وقيد النار فأشارت ترثي الديار بما خطر في بالها من الاشعار بعد الصلاة على النبي المختار عليها والصلاة والسلام

ما للديار تنكرت من أهلها	وتغيرت جناباتها الوادى
ياويحها من بعد فقد أحبة	فلمن اسائل عنهموا وأنادى
والبين والتفريق اقلق مهجتي	ورمى سهام البعد وسط أوادى
لما وقفت على الديار مسائلا	ماشمت من أحد سوى الوراد
كل ينوح بدمعه مسفوحة	من أجل سادات مضوا برشاد
يا ال عبس كنتم ذا نجدة	كنز الفقير وكهف كل منادى
ما أصابكم إلا عيون حواسد	نالوا مناهم منكم بايادى
لهفي عليكم كيف صرتم في الثرى	اشمتتم الاضداد الحسادى
ياويح دهرى فيكم لما رمى	من كيد قوس فيكم ماقادى
قد أصبحت أوطانكم قفرا ولا	فيها انيس غير صوت الغادى

(قال الراوى) ثم أنهم لما رأوا ذلك الحال ازعجوا أنفسهم وكثروا من القليل والقال ثم أنهم أقاموا فيها ونصبوا أبياتهم وقد كثرت ضجاتهم وكذلك أولادهم ونساؤهم وبناتهم وأكثروا من البكاء والاهوال وقد أقاموا ثلاثة أيام وهم في هرج ومرج وأكل طعام وقد اجتمع عليهم لما شاعت أخبارهم من كان مشتتا من بني عبس في البخارى والاكام وبعد ذلك طلبوا المسير إلى ديار بني عامر بعد جمعهم تلك العساكر وسارت القبائل والعشائر لانهم

قد صاروا ثلاثة قبائل ما منهم إلا كل فارس وراجل يقدمهم عنترة وبنو قضاعة أهل الفروسية والشجاعة ويتلوهم فزارة بنو عبس الذئاب الطلس وساروا على ذلك الترتيب وما منهم الا كل صديق وحبيب حتى قطعوا فى مسيرهم خمسة أيام ولما كان فى اليوم السادس وقد تبطنوا فى ذلك البر والا كام وإذاهم باثنين نجابة راكبين على نجيبين وهما وتهما يغدوا فى ذلك البر كأنهما ارتان وعيونهم تلهب فى وجوههم كأنها عيون ثعبان قال الراوى ثم أن النجابين لما أن راو إلى كثرة تلك العساكر وهم قد انفرشوا فى ذلك البر الأقفر يقدمهم الاميرة عنيترة بنت عنتر وهى راكبة على جوادها ومشتملة آلة حربها وجلادها وهى كأنها الأسد القسور فعندها نزلوا عن النجيبين وهربوا وأوسعوا فى البر وطلبوا النجاة وعدوا فى البر ركضا وخببا كأنهما ليوثان إذا طلبا والماء إذا كان منسكبا وفى الساعة الحال غابوا عن العين فى تلك التلال والرمال وقد حيروا بفعالهم من نظر إليهم من الرجال ولما أن رأت عنترة وخالها عمرو وزهير بن قيس وعتيبة بن حصن إلى ذلك الأمر وكان معهم زيد بن عروة بن الورد وقد ذكرنا كيف أوصى عليه عنتر لعمرو فى حال حياته فصار عنده أعز من روحه الى بين جنبيه بعد مماته وكان كما ذكرنا فى أول منشئه ذا شجاعة وشهامة وفروسية وبراعة فقال زيد لعنترة ومن معها من الأبطال لاشك أن هذين النجابين لهم حال من الأحوال فعند ذلك ركضت عنيترة وخالها عمرو وزهير بن قيس وكان تحتهما خيل جياد لم يوجد مثلها فى سائر البلاد فارسها النجابان فى الحرب وأخذ الآخرون لهم فى الطلب ساعة من النهار فلم يلحقوا لهما غير الغبار فى تلك القفار وكانوا لما أن رأوا الخيل فرت منهم وزاد عليهم الغبار فعند ذلك أوسعوا فى والأوعار فوا حد عدل إلى يمين والآخر إلى يسار فلما رأوا الغلبة عن اللحاق بهم فى تلك الفرسان صاحوا بهم ياويلكم قفوا وعليكم الأمان منا وأبعدنا من سائر مضى من العربان فنحن بنو عبس وعدنان وفزارة ذبيان أتنا قد التم علينا جميع العربان (قال الراوى) ولما سمع النجابان كلامهم وندائهم وقفوا إليهم إلى أن قربوا منهم قرانهم عنيترة وعمرو وذو الكلاب وزهير بن قيس وعتيبة بن حصن وزيد بن عروة ولما أنهم تشاقوا وكذلك النجابان عادوا إليهم وقربوا منهم وظهرت عليهم الفطنة وقالوا نحن أيضا من بنى عبس وعدنان ولكن نحن خائفون منهزمون من سائر أعدائنا ونحن مظلومون فبحق شهر رجب لاتعينوا علينا أحد من العربان فتقدم إليهما زهير وقال لهما من أنتما من بنى عبس الكرام حياكم الله بين الأنام واعلموا أنى أنا ابن عمكم زهير بن قيس فلما أن سمع النجابان كلامه استبشروا وحصل الخير ثم أنهم تقدموا إليه وقبلوا يديه فتبينهما زهير بن قيس وعمرو وذو الكلب ومن معهم من الجماعة وإذا بواحد منهم صغير السن ولكنه بطل نحرير والآخر شيخ كبير إلا أن ذلك الشيخ يعد برجال كثيرة لأنهم

رأ ا منه عضو يشبه نسلهم لما أنه على وجه الأرض تقدم وهو أسمر غميق السمرة والآخر أحور العين يضرب لونه إلى حمرة فتبينهما زهير ومن معه فمر فوهما وقد خفت عنهما بمعرفتهما الكروب وإذا أحدهم جرير أخو عنتر والآخر الخذروف بن شيبوب فعندها ترجل إليهم زهير بن قيس لما أن عرفهم كذلك عمرو ذو الكلب سلم عليهم وفي اللقاء أنصفهم وكذلك كل من حضر من الرجال اعتنقهم وسلموا عليهم وحصل لهم الابتهال وكل منهم يبكي بكاء شديداً من حلاة اللقاء وكان السبب في مجيء الخذروف وعمه جرير وملتقاهم ببني عبس في هذا المكان حديث عجيب وأمر مطرب غريب وذلك أن جرير لما مات أخوه عنتر خاف على نفسه وعلم أن بني عبس بعده ما انتفع وتنفر عليهم العرب ويحصل لهم الضرر فأخذ الخذروف في المسير وطلب البر الاقفر لينظر له مكانا يأوي إليه ويحميه من الضرر والشر وسار هو وابن أخيه في البراري والقفار وهم يقطعون السهول والأوعاد إلى أن رمتهم المقادير على حي بني سعد الأخيار فالتقت بهم الرعيان وسلموا عليهم وقال لهم من أي أرض أقبلتم ومن أي مكان أنتم فقالوا يا بني الخالة نحن من عبيد بني عبس وعدنان وقد جار على موالينا الزمان ورموا بطوارق الحدثان ونحن قد رامتنا المقادير إلى هذه الأوطان فمن هو صاحب هذه القبيلة حياه الله بين العربان ومن هو الحاكم عليها ومن يقال له من الشجعان فقال لهم العبيد أقيموا عندنا يا بني الخالة على الرحب والسعه والكرامة والدعاء فإن الذي تسألون عنه وهو الحاكم على هذه الحلة ما عنده بخل ولا في ماله قلة وهو الأمير روضة ابن منيع سيد بني سعد فارس الزمان وليث الميدان وحاوي قصب الرهان فلما سمع جرير والخذروف يذكر روضة ابن منيع الفارس النبيل فرحوا فرحا غير قليل وعلموا أن سعدهم مستطيل وقال جرير هذا والله صاحب أخي عنتر وكان يذكره بالخير إن غاب أو حضر وكانت اتصلت المعرفة بينهم من حين أسره أخي عنتر لما خلص من شاس بن الملك زهير من بني كندة حين أن صيغته المرأة العجوز أم النبات وجرى عليه ما جرى من تلك النائبات وعاد عنتر وشاس طالبين ديار بني عبس والتقى بروضة في الطريق ومعه أمه وأخوته وكان سائر يخطب عبلة وبارزه عنتر وأسره وأطلقه لهم واصطنعه وعرف روضة صنيع عنتر وجميله ووهبه الذي كان قد أتى به ليعطيه لعبلة مهرها وودعه روضة وعاد إلى دياره وقد كانت الإمارة لأبيه فلما توفي أبوه أخذها بعد عمه ولما مات عمه تولى هو مكانه وعلا عند قومه شأنه وتشيدت قواعد أركانه وراق له زمانه وما زال في إمارة الحي إلى أن أتى جرير والخذروف وجرى لهم من العبيد ما جرى وكان قد أتاهم العبيد بشيء من الطعام وأكلوا وهم غاية الإكرام ولما كان وقت العصر انصرفت الرعاة من المرعى فقال جرير والخذروف بين يديهم يسعى حتى دخلوا إلى الحي وشقوا بين الخيام وهم يتأملون إلى ذلك المقام فنظروا إلى حلة عامرة وعبيد كثيرة وخيل وجمال وأغنام

ورماح مركوزة ورحال مفرورزة ومضارب مضروبة وقباب منصوبة وأعلام منشورة ورايات منشورة فقالوا له ما تنظر إلى المحل الرفيع فتقدم فى عاجل الحال وتوصل حتى صار بين يديه رآه فى أمر جميل من الرجال والعبيد والغلمان بين يديه غير قليل والكل واقفون على الأقدام وهو جالس بينهم كأنه ملك من الملوك العظام وعليه هيبة واحتشام وهو فى دست الإمارة يشبه البدر التمام فتقرب جرير منه وابتدأه بالسلام وقال له حيا الله الأمير والبطل النحرير والملك الكبير صاحب السيف والعلم والسماحة والكرم والهيبة وحسن الشيم فقال له روضة لما أن سمع كلامه وأعجبه فصاحة لسانه وثبات جنانه من أين وإلى أين يا مولد العرب وتربية أصحاب النسب والحسب فقال جرير نحن من بنى عبس يا مولاى يا من عليه المعتمد فى شدة ورخاء فلما سمع روضة ذلك الكلام وذكر بنى عبس تزحزح عن مكانه وانطلق بالشكر لسانه وقال لجرير حياك الله يا كريم النسب وحيا عربك الذين هم من أهل الشجاعة وحييتم فى كل وقت وساعة كيف حالكم بعد فارس الزمان وشجاع وقته والأوان الذى كانت تفتخر به الفرسان ثم إن روضة بكى وأن واشتكى فى ساعة زمانية وأكثر من التعداد وقال يا حسرتا عليك يا أمير عنتر يا ابن شداد والله لذلى بعده طعام ولا هنالى نوم على وساد ثم قال لجرير ومن تكون من بنى عبس أمن عبيدها أو من رجالها وصناديدها فقال يا مولاى أنا جرير أخو عنتر وهذا ابن أخى شيبوب البطل القسور فلما سمع روضة كلام جرير كاد أن يطير وقام فى ساعة الحال قدميه وسعى إلى جرير وحضنه وقبله بين عينيه وكذلك فعل بالخذروف واستقبله بفؤاد ملهوف وقال لهم لقد شرفتم بكم أرضنا وزاد بكم حظنا ثم أن روضة أخذ جرير وأجلسه إلى جانبه وقرب الخذروف حتى من بعض حبائبه فى ساعة الحال أمر العبيد باصطناع الولائم وترويج الطعام فنحرت النحور وجزرت الجزوع وذبحت الأغنام وعلقوا فى ساعة الحال القدور واصلحت فى عاجل الوقت الأمور وأقبلت العبيد ومدوا السماط وأصلحوا ما يليق بهم من الآلات واصطفت فى المجلس السادات وجلس روضة بين تلك السادات وأخذ جرير إلى جانبه اليسار وأكلت العبيد والاحرار إلى أن امتلؤا من الطعام وبعد ذلك احضروا المدام وشربوا الكاس والجام وضربته بالمزاهر المولدات وعزفت القينات وطربت السادات وأقام جرير وابن أخيه الخذروف فى الضيافة سبعة أيام وفى اليوم الثامن دن عزل روضة لجرير والخذروف مضارب وخيام وعبيداً وخدام وجمالا وأغنام ومولدات وجوار وأكثر لهم من الاموال والايسار وقال لهم هذا الفعل فى حقكم يسير لانى قد شممت فيكم رائحة ذلك الفارس البطل النحرير وأسقاه على ذلك الهمام بطول الايام الذى هو بأمور الحرب خبير وأقام جرير والخذروف عند روضة فى أهنا عيش وأمان وراحة سرور واطمئنان مدة من الزمان إلى أن كان يوم من بعض الايام دخل جرير

على روضة لأجل السلام فوجده قد جمع سادات قومه وهم فى شورة كلام وهو يقول يا بنى عمى خذوا أهبتكم لأنى أريد أن أغزو لكم بنى ضمرة لأنهم كما تعلمون قتلوا أبى وعمى وأطلقوا فى قلبى أحر جمرة ولا بد لى من أخذ الثار وكشف العار فخذوا أهبتكم للسفر فلما كان بعد ثلاثة أيام رحلوا طالبين بنى ضمرة وقد تبطنوا فى ذلك البر والآكام وجريرا كب إلى جانب روضة فى جحفل وكذلك الخذروف عن يساره فى حال مستقيم وكل منهم راكب على جواد من الخيل الجياد وهو تحته يتدفق مثل الماء إذ خرج من ضيق الانبوب هذا وقد سار بنو عبس فى سبعة آلاف فارس ما منهم إلا كل مدرع ولابس وساروا يقطعون البرارى والقفار والسهول والأوعار مدة عشر أيام وفى اليوم الحادى عشر أقبلوا على أرض بنى ضمرة فى تلك الآكام فتبادرت الفرسان إلى صوب المراعى وساقوا الأموال وأحثوا على النوق والجمال وهلعت الرعاة طالبين الحلل وعقل كل واحد منهم قد انزهل لأنهم رأوا فرسانا كأنهم العقبان ووقع النفير فى بنى ضمرة فركبت الفرسان وتتابعت الشجعان وتبادرت الأفطان وطلبوا البر والخيام والتقوا ببنى سعد واصطدموا معهم أى اصطدام قال وكان المقدم على بنى ضمرة ملك من الملوك الكبار يقال له عطارد بن نبهان وكان من جملة الفرسان المشهورين فى ذلك الزمان وقد خرج فى ذلك اليوم وهو راكب على حجرة حمراء ما تلحق الخيل لها غبار وتسبق الطير إذا طار وطلبت بنى سعد بصدره واستجارهم بكره وفره وحمت بنو ضمير فى الحرب ظهره والتقى الفريقان وعمل السيف والسنان وحمل الشجاع وضرب بالبتار وبادى الجبان وزنهار لم يزالوا على قتال وصدام إلى أن ولى النهار على التمام وأقبل الظلام وافترقت الطائفتان وأشعلوا النيران وتحارس الفريقان وكان الرابح فى ذلك اليوم بنى سعد لأنهم قاتلوا قتالا واستحرا منهم كل بطل أجود ورأى عطارد من روضة ما لم يره من أحد لأنه قاتله ذلك اليوم قتالا شديداً وجرحه فى موضعين ولما انفصل القتال وتراجعت الفريقان وافتقد روضة رجاله فوجد أنه قتل منهم سبعون فارس وافتقد عطارد ملك بنى ضمرة فرسانه فوجدهم قد قتل منهم أربعمائة وعشرون فارس من الأسود العوابس ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت الفرسان واعتدت الطائفتان وتقابل الجيشان وحضرت وعمل بينهم السيف والسنان وطلع عليهم الغبار وغابوا عن الأبصار وارتجت من شدة ركض الخيل الاقطار وأظلم ضوء النهار وهال فى ذلك اليوم الشجاع وما نجا إلا طويل الباع وصمة من قعقعة السلاح الاسماع وتهمت الفرسان كأنهم السباع وحامت الطيور على القتلى وأتت على رائحتهم الضباع وما بقى بين الفرسان وبين الموت إلا باع أو ذراع وعملت السيوف البواتر فى الرقاب والاضلاع وأما الجبان فانه قاسى من شدة الخوف والنزاع وزادت من بنى سعد فى بنى ضمرة الاطماع فتقهقرت إلى ورائها بنى ضمرة وقد آيسوا من

النصرة وكسرهم بنو سعد كسره وأى كسره وأذاقوهم ساعة مرة ولبوهم بحد الحسام البتار وأكسروا فيهم الطعن بالأسمر الخطار ولم يكن على حربهم طاقة ولا اصطبار فولوا الأدبار وركنوا إلى الانفرار وانهزموا فى البرارى والقفار وطلبوا بطون الأودية والأوعار وخلوا المضارب والخيام والنساء والأولاد والخدام والخيل والجمل والانعام واكتسبوا ثوبا من الذل والشنار فعندها دخلت بنو عبس إلى المضارب والخيام وسبوا النساء والبنات والخدام والخيل والجمال والأنعام وصارت بنو سعد تنهب من حلة بنى ضمرة ماقدرت عليه حتى أن الفارس صار يحمل ويحمل فرسه لما بقى النهب سايب وزادت تلك المصائب وما وقع من الانفاق الذى تم وجرى هو أن جرير والخذروف دخلوا مع حلة الفرسان إلى أبيات بنى ضمرة وتوصلوا إلى أبيات الملك عطارد مقدم العشيرة وكان قدامهم وعميت منه البصيرة وقد لحقه الانذهال والحيرة فوجدوا فيه من الأموال ما تكمل حملة الجمال وأروا فى البيت بنت ملك بنى ضمرة ولها وجه مثل نجمة الزهرة وكان اسمها أمية وهى واقفة متحيرة مما جرى لها من تلك الرزية فأخذها الخذروف وعمه جرير وأخذا ما كان فى البيت من المال والأمتعة الغوال ولم يدعوا فى ذلك البيت عقار وجمعوا تلك الأموال وأخذوها والثياب الحرير نهبوها والبنات الكحال سبوها وسلموها إلى عبيدهم ورجالهم لأننا قد ذكرنا لكم أن الملك روضة بن منيع كان قد انتخب جماعة من العبيد وأعطاهم وكانوا معه فى ذلك الوقت فى خدمتهم وكان الخذروف فى تلك الساعة قد نظر إلى أمية بن عطارد سيد بنى ضمرة فنظرها نظرة أوقعت فى قلبه حسرة وانطلق فى فؤاده من جهتها حرره وكان بغنى أن لها من الجمال ما يسمى النساء والرجال ونهبت بنو سعد بنات بنى ضمرة بعد ما كسروهم أيشم كسره وما خلوا فى بيوتهم إلا مالا ينتفع به مثل قدمادم أو مضرب مقطع وقد أقاموا بنو سعد ذلك اليوم حتى هدأ روعهم من الوقعة وقرارهم ومن الغد رحلوا وساروا طالبين ديارهم إلى أن وصلوا إلى الحى سالمين غانمين فتلقاهم أهلهم وهم فرحون وقد فرحت المقيمون بالقادمين وأنزلوا ما معهم من الغنائم والخيام واستمروا على اصطناع الولائم وأكل الطعام وجعلت تدور عليهم كاسات المدام وأخذوا فى اللهو والطرب والأفراح الرجال والعبيد والخدام واستقوت المنازل بالمنازل وفرحت الأوطان بالقطان وأقاموا يرتعون فى أكل الطعام وشرب المدام وخير زاد وكثرة أنعام تمام سبعة أيام ولما أن كان اليوم الثامن من ذلك المقام شور جرير روضة فى زواج أمية بنت عطارد للخذروف بن شيبوب لعل أن تطمئن منهم القلوب فأنعم له بذلك وفرح غاية الفرح واتسع صدره بذلك وانشرح قال وحق ذمة العرب وشهر رجب لا يكلف عرسها إلا أنا وليس علينا فى ذلك عتب لاغنائم أن الأمير روضة بن منيع أمر العبيد بنحر النحور ونصب القدور وتزويق الخدور وتجديد الولائم أيضا ثلاثة أيام قد رتع فى ذلك الخاص والعام

إلى أن انقضت ثلاثة أيام ولما كان فى الليلة الرابعة زفت الجارية أمية بنت عطارد على الخذروف لأن قلبه عليها ملهوف وضربت قبة الزفاف وانقضى الأمر وما بقى فيه اختلاف ودخل بها الخذروف من ليلته قد وقعت بينهما الموافقة وقد زالت حسرته وقد أحبها والأخرى أحبه وأقاما مع بعضهما فى أرغد عيش وأهناه مدة أيام وقد سار لجرير والخذروف رونق وحظ وإقبال فى بنى سعد وكانوا يجلسون على مراتب عالية بجانب روضة بن منيع والعبيد والجوار تخدمهم الليل والنهار وقد صار لهم قيمة مقدار وأقاموا على ذلك برهة من الزمان ولم يغير ما هم فيه من ذلك الشأن فهذا ما كان من جرير والخذروف (وأما ما كان) من الملك عطارد وقومه من بنى ضمرة فإنهم لما جرى لهم من بنى سعد ما جرى وانكسروا قدامهم وهجم عليهم ملكهم الملك عطارد وقومه فى البرارى والقفار وجعل يطوف سائر الأقطار ويشكو إلى أمراء القبائل حالهم ويحكى لهم ما جرى وقد اجتمعت له الأصدقاء والأحباب ومن له من الخلفاء والأصحاب لما حصل له من المصائب واجتمعت عليه جماعة كثيرة من فرسان العرب وأتوا إليه يريدون معونته من كل بدو وسبسب وانضمت إليه من بنى ضمرة الذين انهزموا من تلك الوقعة وسمعت بما كان من هذه الأخبار فعادت إلى ملكها الآخذ ثارها وقد أتوا من سائر الأودية والهضاب يريدون من أخذ لهم من والنساء والبنات والأموال والأولاد وقد سار الملك عطارد فى تسعة آلاف من كل ملك مداعس ما منهم إلا مدرع ولابس وسار طالب ديار بنى سعد وكان قد أقبل عليهم فى ذلك اليوم الأقيال والسعدى وقد سار بهذه العساكر الجميع يريد أخذ ثاره من روضة بن منيع ويجازيه على ما فعل فى حقه من ذلك الصنيع وما زالوا يجدون فى سيرهم إلى أن قاربوا ديار بنى سعد وبعد ذلك وقع فى الحالة النفير فركب الكبير منهم والصغير فعندها انعقدت العساكر جالبين الأهوال وقد عزموا على القتال والحرب والنزال والتقت الرجال بالرجال وانطرحت الفرسان على الرمال هذا وقد طلع الغبار وغابت الطائفتان عن الأبصار وما صبرت بنو سعد غير ساعة ولم يجدوا على قتال العساكر الاصطبار فولوا الأدبار فتبعهم بنو ضمرة وانكسر بنو سعد أيشم كسره وكانت هذه النوبة على بنى ضمرة أسعد سفره ونجا بنفسه كل فارس همام فنهبت بنو ضمرة ما وقع فى أيديهم من النوق والجمال وقد سبوا النساء والبنات الأبكار واجتمع عطارد بابنته أمية زوجة الخذروف لأنه كان على خلاصها ملهوف وأخذ ما حوته يد الخذروف ونهبوا أيضا بيت روضة بن منيع وما حوله من المضارب الجميع وما فيها من الخيرات والأنعام وقد أحلوا بهم المصائب والآلام (قال الراوى) وأما جرير والخذروف فإنهم لما رأوا ما حل ببنى سعد من المصائب وما طرقهم من النوائب ركب كل واحد منهم على نجيب من النجب الملاح وطلبوا الهرب فى ذلك البر وخافوا على أنفسهم من موت الفجأة

فطلبوا لأنفسهم النجاة وما زالوا سائرين على تلك النجب يقطعون البرارى والقفار مدة أحد عشر يوما وفى اليوم الثانى عشر التقوا بفرسان بنى عبس الاخيار كما ذكرنا يقدمهم عنيترة بنت عنتر وزهير بن قيس وعتيبة بن حصن وزيد بن عروة وعمر ذو الكلب وقد عرفهم زهير ومن معه من الرجال وجرى من الحديث وما وصفناه من ذلك المقال وقد رجعنا إلى سياق الحديث والخبر بعد الصلاة والسلام على سيد البشر ﷺ (قال الراوى) ثم انهم لما فرغوا من المعرفة والكلام رجعوا بهم وقد أكرموهم غاية الاكرام وبعدها ساروا طالبين أرض بنى عامر بعد أن حلفت عليهم عنيترة وعلى عمها جرير وابن عمها الخذروف وأركبتهم الخيل الجياد وخلعت عليهم مما عليها من ذلك الخير الوافر وساروا يقطعون الفيافى والقفار وكذلك السهول والأوعار إلى أن بقى بينهم وبين أرض بنى عامر مسيرة يومين وقالت تلك العساكر فى بعض المواضع فقال الخذروف لابنة عمه عنيترة يا بنت العم الرأى عندى أن أتقدم أمامكم وأكشف لكم الأخبار وأعود على الآثار فقالت له عنيترة نعم ما به قد أشرت سر على بركة الله تعالى فما قد عزمت فسار الخذروف وقد غير زيه واختفى عن سائر العربان وسار يقطع البرارى والقفار إلى أن وصل إلى ديار بنى عامر فوجدهم على ينعة من أمرهم وهم على ما هم عليه من ذلك الخير الوافر وقد أخذوا أهبتهم للحرب والقتال واستعدوا للطعن والنزال لأنه كان وصل إليهم من بعض العبيد الخبر بأن الواصل لكم عنيترة بنت عنتر وكان ذلك العبد ماهر وكان قد أرسله مولاه الأمير عامر فى بعض اشغاله لعرب يقال لهم بنو ضبية فقابل عنيترة ومعها هؤلاء العساكر المسميه وهى طالبة ديار بنى عامر فى تلك الهمة القوية فرجع على أثره كأنه الطير الطائر وقد أخبره قومه بنى عامر فلذلك أخذوا أهبتهم للحرب والقتال وقد رأى الخذروف إلى ذلك الحال فعاد على أثره يقطع البرارى والتلال واعلم ابنة عمه عنيترة وزهيرا بما فيه بنو عامر من ذلك الأمر النكير فقال الملك زهير وحق خالق الليل والنهار لابد من قتل عامر بن الطفيل وأن أنزل به الذل والويل فقالت عنيترة لابد من هذه الفعال واجندل منهم الابطال وأدحرج رؤس الأقيال ولا أرضى بقتل فارس واحد فى قتل عمى وأولاده الأقيال قال الراوى هذا وقد أمرت عنيترة الجيش بالرحيل فرحلت العرب من غير تهاون ولا تطويل وساروا ذلك اليوم وتلك الليلة يقطعون الروابى والبطاح فصبحوا حى بنى عامر أيشم صباح ولما قربوا البيوت أكثروا من الصياح وظهرت بنو عامر أيضا وقد ضاقت عليهم الأماكن الفساح وتدانت من بعضهم رجال الفريقين وحان بينهما الحين وزعق عليهما غراب البين وتراموا باليدين والرجلين وأصابتهما العين وصار حالهما شين وقربت المواكب من المواكب وهزوا فى أيديهم القواضب وقد بان المغلوب من الغالب وصاروا بين مغلوب

وغالب ومنكوب وناكب ومنهوب وناهب ومضروب وضارب وظهرت بينهم العجائب والغرائب وما نفع فى تلك الساعة لا خل ولا صاحب (قال الأصمعى) الراوى لهذا الديوان وكان فى أوائل الفرسان أربعة وهم حماة بنى عبس وعدنان وأشهروا فى أيديهم السنان وبينهم عنيترة بنت عنتر سيد الفرسان وخالها عمرو وذو الكلب الأسد الغضبان وزهير بن الملك قيس سيد العربان وزيد بن الأمير عروة بن الورد سيد الفتيان وعتيبة بن حصن الفارس القسور ثم انهم حملوا على ذلك الجيش وأذاقوا بنى عامر فى ذلك اليوم الموت الأحمر والبلاء الأكبر واوروهم فى أرواحهم العبر من سيوف لا تبقى ولا تذر (قال الراوى) لهذا الكلام العجيب والأمر المطرب الغريب الذى يجب أن نسوقه على الترتيب فعند ذلك التقاهم عامر ابن الطفيل وملاعب الأسنة والأحوص بن جعفر وكان لهم يوم شديداً غبر كأنه من أيام الساعة التى هى أدهى وأمر وحمل أيضا مع بنى عبس خفاف بن ندبه ودثار بن روق ولهم هزيمة وهمة وكانوا كما ذكرنا قد أرسلهم لهم الأمير دريد بن الصمه وحمل أيضا سبيع اليمن بن مقرى الوحش فارس النياق وحمل فى أثره عيينة بن حصن بن حذيفة وبذلوا فى بنى عامر السيوف والرماح وأظهروا ما عندهم من الشجاعة والقوة ولم يأخذهم فزع وزادت منهم المروة وصاحوا صياح الليوث العوابس وانصبوا على مواكب بنى عامر انصباب الليث العابس وقد أسروا ثلاثين كأنهم الجن والأبالس (قال الأصمعى) وقد قام بنو عبس وبنو قضاعة وأقاموا الحرب على قدم وساق وطوقوا بالدم الرقاب والأطواق وضربوا الرؤس وبروا الأعناق ومحقوهم أى امتحاق وبلغت الأرواح التراق وأكثروا الصياح والزعاق وذهبت من شدة الكرب والأخلاق وجالت الخيل على بعضها البعض وانطرحت الأجساد على بسط الأرض ورأت فرسان بنى عامر وكلاب من بنى عبس وبنى قضاعة سا .ة وأى ساعة فعند ذلك قال علقمة بن علاثة وكان من فرسان بنى عامر الموصوفة وشجعانهم المعروفة لبنى عامر يا ويلكم دونكم وهؤلاء الانزال لا تدعوا منهم سامعاً ولا ناظراً وقربوا منهم الآجال راسقوهم كأس الهوان والوبال وضيقوا عليهم المجال وأرموهم ذات اليمين والشمال وخذوا بثاركم منهم فلما سمعت بنو عامر ذلك المقال والقيل مالوا على بنى عبس وبنى قضاعة كل الميل وحمل قدامهم علقمة بن علاثة ومروان بن سراقة وعامر بن الطفيل فاستقبلهم عنيتره وعمرو وذو الكلب وزهير بن قيس وعتيبة بن حصن بن حذيفة وزيد بن عروة ودثار بن روق وخفاف بن ندبة وقناصة الرجال وسبيع اليمن بن مقرى الوحش صديق عنتر وباقى الفرسان وأوقعوا ببنى عامر الذل والهوان وأبلوهم بالحرب والطعان وأبادوا منهم الشجعان واهلكوا الأقران ولم يزل الحرب يعمل والدم يبذل والرجال تتجندل ونار الحرب تشعل إلى آخر النهار فدقوا طبول الانفصال وعادوا إلى الخيام والأطلال

وباتوا يتحارسون إلى الصباح ولما ظهر الفجر ولاح ركبت الفرسان على الجرد القداح بعد ما اعتقلوا بالسلاح وطلبوا من بعضهم الحرب والكفاح ونادى عليهم الموت لا براح لمن يبيع روحه بين الأرواح فعند ذلك برزت الفرسان إلى حومة الميدان فكان أول من برز من بني عامر ملاعب الأسنة ورداد الأعنة فصاح وطلب البراز فبرز إليه واحد من بني عبس فقتله وثانى جندله وأسر منهم خمسة فرسان أقيال فلما رأت عنيترة إلى هذا الحال خافت على رجالها من الوبال فبرزت إليه فى عاجل الحال وقالت له دونك والحرب يا ابن الأنذال ويا فضيلة أوباش الرجال فصاح بها غشم بن مالك وحمل عليها حملة الأسد الرئبال فقتلته عنيترة كأنها السمر الجرد أن وجالا الاثنان فى المجال وطعنته وأظهر الأهوال وكانت عنيترة أثبت منه فى القتال وراوغته وضايقته فى المجال وطعنته بالسنان فى صدره أطلعته يلمع من ظهره فانجدل ومال كأنه قطعة من بعض الجبال فلما رأى بنو عامر هذا الحال حملوا على عنيترة من اليمين والشمال عند ذلك تلقهم بنو عبس وبنو قضاعة كأنه أسود الدحال وطال بهم المطال والحرب والقتال وجرى الدم وسال كأنه السيل إذا سال وزادت نار الحرب اشتعال إلى آخر النهار فدقوا طبول الانفصال ورجعوا عن المجال لما أقبل الليل بالانسدال وعول النهار على الارتحال ولما كان ثانى الأيام برزت عنيترة للمجال وطلبت الحرب والقتال وهى تنادى يا بنى عامر دونكم والقتال والطعن والنزال ولا يبرز إلا فارسكم عامر بن الطفيل الذى خان العهود والمواثيق وأنكر صحبة الصديق وقتل زوجة أبى وأباها وأخاها وحمل هذه العملة ولم يعلم أن صاحب الثار لا ينام فليبرز ذلك اليوم إلى الحرب والصدام إلا أنها ما استتمت كلامها حتى صار عامر بن الطفيل قدامها فلما نظرته عنيترة علمت بما فى مراده فعند ذلك أنشدت تقول :

أيا عامر يا ابن بنت العواهر	أتاك القضا من كف بنت الأكابر
أبى عنتر المعروف فى حومة الوغا	همام البرايا ضارب بالبواتر
فكافأته لما توفى بفعلة	وجازيته بئس الجزا بالعشائر
أما كنت ترعى حرمة الود بينكم	وتكرم له عبلة بطيب العناصر
ولكن جرى المقدور فيها لا تكن	يعز عليك اليوم ضرب العناتر
فقد قيل فى الأمثال بيت مجرب	جرى ذكره بين الورى فى العناصر
ومن يفعل المعروف فى غير أهله	يلاقى كما لاقى مجير أم عامر

(قال الراوى) ولما فرغت عنيترة من شعرها وما أنشأته من نظمها ونثرها حملت على عامر ابن الطفيل حملة الأسد الضرغام وتضاربا بالحسام الصمصام وتطاعنا بالرماح المعتدلة القوام وأخذ معها عامر فى الجد والكر والأخذ والرد والاقتراب والابتعاد وكثر بينهما الشر

والصاد وكان لهال ساعة تقشعر منها الأجساد ونظر عامر بن الطفيل من بين الفريقين الغبرة
ما رأى عمره مثله في الزمان لا من فارس ولا من عشرة وسرتهما على أعلاميرة عنيترة حربا
وعلمت أم الزعازع أن عامراً بقي قدامها قليل المقدار فسطت عليه بقوتها سطوة جبار وحملت
عليه حملة صادقة ماعليها عيار وضربته بالسيف صفحا على قنة فوقع من على الجواد وكادت
ان تعدمه مهجته وبقي ممداً على الأرض من غشوته لأن الضربة نزلت عن رأسه مثل حجر
المنجنيق فعدم منها السعادة والتوفيق وما أفاق عامر من غشوته حتى انقض عليه
وشده شدا وثيقا وساقه قدمه وهو في بحار الهم غريق (قال الراوى) ولما نظرت بنو عامر
إلى حاميها قد أسر وبعد العز ذل وقهر انحلت عزائمها وارتعدت من الفزع قوائمها وحملت
تروم خلاصة يد قناصة فاستقبلتهم بنو عبس وبنو قضاعة بقلوب غير مرتاعة وصدقوا
في حملاتهم في تلك الساعة وكانت عنيترة بعد أسرها لعامر بن الطفيل حملت على بني عامر هي
وخالها عمرو ذو الكلب وزهير بن قيس وزيد بن عروة وسبع اليمن ودنار بن روق
وخفاف ابن ندبة ودعثوا في بني عامر وأذاقوهم الحرب المتعاسر وافنوا منهم الأكابر
الأصاغر وعدم صبر بني عامر حتى لم يبق فيهم من يحارب ولا يضارب ودخل في قلوبهم ما حير
الخواطر وأبهر النواظر وانصب عليهم بنو عبس كأنهم الأسود الكواسر فلم يجدوا لهم بها طاقة
ولا على حربهم استطاقة فلم يكن لهم أرفق من الهرب فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار لأنهم لم
يبقى لهم على الثبات قوة ولا اصطبار فهجوا على وجوههم في القفار وتفرقوا في السهول
والأوغار وتبعتهم بنو عبس وبنو قضاعة ومكنوا منهم الصارم البتار ومازالوا خلفهم إلى
آخر النهار فرجعوا عنهم وقد حصل لهم الفرح والاستبشار ونهبت العرب أحياء بني عامر
وأخذوا أموالهم ونياقهم وجمالهم وبعد ذلك دخلت عنيترة أبيات عامر بن الطفيل
ونهبت هي ورجالها ما فيها من الخيرات وأسرت كبشة أم عامر وأخته وأحلت بهم الذلة وذلك
لتأخذ منهم بثار عمها مالك وولده عمرو وابنته عبلة وأخذت جميع ما كان تبقى من أموالها
وبذلك أخبرتها رجالها وفرح زهير بن قيس بما كان من أحوالها وأخذت من عنده الدروع
التي كانت لأبيها عنتر ومن جملتهم الدرع واغاحيجى وسيفه الضامي الابتر وأخذت الخيل
الى كانت له ولم يعدم منها سوى الأبجر لأنه كما ذكرنا شرد عند وقوع عنتر من عليه
وتوحش في البر الاقفر لأن عبلة كانت أخذتهم معها لما تزوج بها عامر كما أمرها عنتر وسارت
كبشة أم عامر لما رأت ما حل بها من ذلك الأمر الجسيم تقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم والله أن ولدى كان عليكم ظالم وقد أصبح اليوم على فعله نادم وحرمة العزيز الدائم هذا
وبنو عبس قد نهبوا المضارب والخيام وسبوا الجوار والمولدات والخدام وشالوا الحلة
وأخذوا كل ما فيها ولم يدعو شيئا له منتفع وقد هج على وجهه الاخوص بن جعفر ورأى

بمينه الموت الاحمر وبات بنو عبس وبنو قضاعة فى ذلك المكان وفرحوا بأخذ الثأر وعلو الشأن ومن الغد عادوا طالبين الديار والأطلال قاصدين أرض الشربة والعلم السعدى ليعمروا المنازل ويؤنسوا الديار ولا يعود أحد يتعدى عليهم (قال الراوى) ولم يزالوا إلى أن وصلوا إلى الأوطان والديار ونزلوا فيها وقد فرحت بهم الديار وتعمرت الأوطان بالقطار والمنازل بالسكان ولما نزلوا ضربوا الخيام واركزوا الأعلام وروجوا قدور الطعام وقدموا بواطى المدام وقد أخذوا فى اصطناع الولائم مدة سبعة أيام وضربوا لعنيترة مضرباً مكان أبيها على غدير ذات الارصاد واتتها الشعراء والقصاد وكذلك زهير ابن قيس نزل من منزل أبيه وخرج بنو عبس وملكهم بما هو وكذلك عتيبة بن حصن نزل فى منازل بنى فزارة وحصلت لهم الفائدة بعد الخسارة وتعمرت الديار بعد الخراب واستأنست بأهلها بعد أن كانوا عنها غياب وهراب وكانت قفراء خراب لا يأويها إلا البوم والغراب فسبحان الله العزيز الوهاب الملك العظيم التواب الذى إذا دعا أجاب وإذا سئل أعطى بغير حساب يحكم فى خلقه ويريد وله البقاء والنصر والتأييد قال الراوى واقامت بنو عبس فى منازلهم والأوطان وقد خافت منهم وحسبت حسابهم جميع القبائل والعربان من بنى عدنان وبنى شيبان وبنى قحطان وخافت وهابت من عنيترة جميع الشجعان والأقران وقالوا لبعضهم ها قد عاد ملك بنى عبس أحسن ما كان وقد تعرضوا عن عنتر بابنته عنيترة التى أذلت الشجعان وقهرت الأقران وأسرت مثل ذو الخمار ومثل عمته الورقاء الذين هم معدودون من فرسان الحرب واللقا وأسرت مثل عامر ابن الطفيل وقتلت ابن خالته ملاعب الأسنة وأحلت به الفنا والويل وأخذت منهم بالثار وكشفت عن عبس العار وشتتت بنى عامر فى البرارى والقفار وخلت منازلهم قفراء ما فيها ديار ولا نافخ نار (قال الراوى) وقــــد مضت الأخبار بذلك إلى عمرو بن معد يكرب فتعجب كل العجب من ذلك واحتفل فى سادات قومه وسار إلى بنى عبس السادات الغر ولبهنى عنيترة بما أتاها من النصر والظفر وما زال سائراً إلى أن وصل الى بنى عبس ومن عندهم من القبائل فوجد المنازل قد أ.ـت بالنوازل وازداد عددهم كما كانوا فى تلك الايام الاوائل لانهم كانوا فى أيام عنتر أربعة آلاف فارس والآن قد صارت عنيترة وزهير فى اثنى عشر ألف فارس لان زهير قد اجتمع عليه من بنى عبس الذين تفرقوا ألف فارس وبنو قضاعة قد جاءوا مع عنيترة وخالها عمرو فى خمسة آلاف فارس وبنى فزارة قد اجتمع منها خمسمائة فارس ممن كانوا قد اختفوا فى الجبال وشىء منهم قد تخفى وسكن فى أحانيق الرمال والباقى من فرسان العرب الذين قد أتت إلى خدمة عنيترة ولما بان منها هذه الشجاعة والقوة والبراعة وهم مثل دثار بن روق وخفاف بن

تدبه لأنهم رأعوا ما كان بينهم وبين والدها عنتر من المودة والصحبة وكان كما ذكرنا قد أمرهم بذلك شيخ العرب دريد بن الصمة فاجتمعوا بجماعة من هوازن أهل العزيمة والهمم وكانوا قد ألفوها وأحبوا المقام عندهم لأنهم رأوها جيدة الخصال ولأجل ما كسبوا بسببها من المال والنوق والجمال (قال الراوى) ولما أتى الامير عمرو بن معد يكرب إلى زيادة عنيترة رحبت به وأكرمته غاية الإكرام وقد وجد عندها الأمير هانى بن مسعود فى جماعة من فرسان بنى شيبان الكرام لانه كان الآخر قد أتى إلى عنيترة لاجل السلام هذا وعنيترة قد قامت لجميع العربان بالضيافات والعلوفات وأكثرت لهم من الخيرات الزائدات وأصبحت أرض الشربة والعلم السعدى ترتج بسكانها وتفرح بقطانها وقد صارت أحسن ما كانت فى أول زمانها وصار سادات العرب ما لهم حديث إلا فى عنيترة مما بان منها من الشجاعة والقوة والكرم وحسن الشيم وجعلوا يقولون لقد أحيت عنيترة ذكر بنى عبس بعد ما كانوا كما مضى من أمس لانه من خلف مثلها ما مات لانها قد أسرت جماعة من الفرسان والسادات مثل ذو الخمار وعمته الزرقاء وأردتهما فى الحرب واللقاء وقتلت ابن منها أسد الفلاة وورثته الفنا قال الراوى وقد ذكرنا أن عامر بن الطفيل عندها مأسور وقد أحلت به البلا والثبور وقتلت ابن خالته ملاعب الاسنة غشيم بن مالك وأنزلت به المهالك وكذلك عندها والدته وأخته فى الاسر والهوان فلما اجتمعوا عندها سادات العربان لم يجدوا لهم كلاماً سوى ذلك الشأن وخلاص عامر مما هو فيه من الاسر والهوان لانه كما قدمناه معدود من جملة الشجعان فعند ذلك سألها الامير هانىء بن مسعود وعمرو ابن معد يكرب بعامر بن الطفيل لاجل من معه من النسوان فأجابتهم عنيترة إلى ذلك السؤال ولم تغلظ عليهم فى ذلك المقال ولم يخطر لها ذلك الامر على بال ثم أنها أمرت باطلاقه فى عاجل الحال وخلعت عليه وأحضرته فى جملة الرجال ثم قاموا عندها فى أرغد عيش واهنى بال مدة سبعة أيام وهى فى أكل طعام وشرب مدام وبعد ذلك استأذنوها فى الانصراف فأذنت فى ذلك ولم يكن عندها خلاف بعد ما خلعت عليهم الخلع الحسان وساروا من عندها وهم يتعايدون ما فعلت فى حقهم من الاحسان وأقامت هى بعد ذلك وقومها وما اجتمع عليها من العربان وهم فى أمان واطمئنان برهة من الزمان (قال الراوى) وأما الفرسان الذين انصرفوا من عندها فكل منهم قصد ماله من الاوطان ومن جملتهم عامر بن الطفيل وقد ناله ما حل به من الاسر والذل والويل لكن شقاوة غالبة عليه بما قضاه الله تعالى من إيصال الكفر اليه وذلك أن عامر لما وصل إلى دياره ونزل فيها وقر قراره وراح تممت عليه العربان الذين كانوا قد انهزموا فى البرارى والقيعان ونزلوا واستقرت بهم الاوطان قال الراوى وبما قضاه الملك الديان أنه لما بعث سيدنا محمد سيد

ولد عدنان وشاعت أخباره فى سائر الأماكن والبلدان ودعا الناس إلى الاسلام والايمان ورمى ما كان على البيت الحرام من الأصنام والأوثان فبلغ ذلك إلى عامر بن الطفيل فمن خبث نفسه ما يلحقه من ذلك فتور ولا توان بل قال أريد أن أمضى إلى هذا الرجل الذى شاعت أخباره وأغزوه فى داره فقد بلغنى أنه بمكة مقيم وأنه قد دعا الناس إلى دين قديم وحط القصائد عن البيت الحرام وأطاعته أصحاب كثيرة من الخاص والعام ولما عزم عامر ابن الطفيل عن ذلك أقبل على فارس كان قد نشأ فى بنى عامر يقال زيد بن ربيعة وكان الآخر كافراً جاهداً فقال له يا زيد هلم لنقتل هذا الرجل الذى قد ظهر ونقطع منه الأثر وندع لنا ذلك خبراً يذكر فقال له افعل ما بدا لك فإنى مطيعك فى جميع أفعالك ثم اتفقوا على ذلك الحال وساروا يقطعون البرارى والتلال وما زالوا كذلك إلى أن وصلوا إلى مكة شرفها الله تعالى ونزلوا فى بيت امرأة تسمى سلوى وكانوا يعرفونها قبل تلك القضية وهى أخت عبد الله ابن سلول المنافق لعنة الله تعالى عليه (قال الراوى) ولما أن نزلوا عندها واستقروا فى دارها سارت تخدمهم هى وخدامها وجوارها وأقاموا عندها يريدون فرصة من رسول الله ﷺ فبينما النبى ﷺ جالس فى بيت خديجة الكبرى والدة فاطمة الزهراء وإذا بجبريل قد هبط عليه وقال يا رسول الله ربك يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك إن رجلين من بنى عامر يقال لأحدهما عامر بن الطفيل والثانى يسمى زيد بن ربيعة العامرى قد أتيا إليك ليقتلوك وهما قد نزلا فى بيت أخت عبد الله بن سلول المنافق وأنهم قد أملوا أملا بعيداً وقد أضلهما الله تعالى ضلالا شديداً وكبهما كل جبار عنيد وربك يقول لك يا محمد إن أردت خسفت بهم الارض كما خسف الله دار قارون ومهما اخترت فهم على كل حال يهلكون فقال رسول الله ﷺ رب اهد قومى فانهم لا يعلمون وقال يا أخى يا جبريل دعهما فى عيهما وجهلهما يعمهون وقد وصف الله أخلاقه فى القرآن فقال عز من قائل وإنك لعلى خلق عظيم وخرج النبى ﷺ وجلس فى المسجد وإذا بعبد الله بن سلول المنافق قد أقبل المسجد فى جملة الصحابة ودخل وكان النبى ﷺ يعرف المنافق من المؤمن الصادق ولكن كان المنافق يحقن دمه وماله بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله قال الراوى ولما أقبل عبد الله بن سلول إلى المسجد قال له رسول الله ﷺ يا عبد الله امض إلى دار أختك والذى بمن عندها من بنى عامر فسار عبد الله إلى دار أخته لما سمع كلام رسول الله ﷺ وطرق الباب ففتحت له أخته وقالت له أهلا وسهلا بك يا أخى هل من حاجة فقال لها عبد الله يا أختاه هل عندك ضيوف من بنى عامر فقرأت ما لك فقالت له نعم فقال لها دعيهم ينجوا بأنفسهم وإلى أهلهم محمد بن عبد الله فلما سمعت ذلك منه تغير لونها واضطرب كونها ودخلت من وقتها وساعتها إلى عامر بن الطفيل وإلى زيد بن ربيعة العامرى وقالت لهما النجوة

بأنفسكما من العطب وإلا قتلكم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أشر قتلة ومثل بكما أقبح مثلة فلما سمعوا ذلك الكلام من أخت عبد الله قاما إلى خيولهما فركبوها وإلى عددهما لبسوها وخرجوا من وقتهما وساعتهما وساروا في البر على وجوههما هاربين وإلى النجاة طالبين وقد صاروا في حيرة عظيمة في ذلك البر الأقفر واعتراهم الخوف والكدر إلى أن وصلوا إلى بني عامر وكل واحد منهم عقله من رأسه طاير وعلم أن رسول الله ﷺ أن الاعتداء من عامر بن الطفيل قد دعا عليه وقال ابتلاه الله بغدة كغدة البعير فطلع له شيء في رقبته يسمى الخوانيق فلما وصلوا إلى عامر ضعفوا أياماً كثيرة وأجيبت دعوة رسول الله ﷺ في عامر وطلع له غدة في رقبته حتى صارت كالطبل العظيم ولم يزل بها حتى هلك فلعنة الله عليه (قال الراوي) فهذا ما كان من هؤلاء وما كان من عنيترة وبني عبس وأحوالهم فإنهم لما أقاموا في أرض الشربة والعلم السعدي وقد بلغوا من النصر على الأعداء وآمالهم وهم في العيش الرغيد والجمع العديد وإذا بنجاب على ناقة طويلة الخطام قد أقبل من بين تلك الروابي والآكام حتى أشرف على أرض الشربة والعلم السعدي وهو راكب على ناقته وهو بها يخدي ويعيد ويبدي فلما بانت له الخيام وظهرت له الرايات والأعلام ونظرته العرب تسابق عليه العبيد والخدام فرأوه قد ترجل من نجيبه في طرف الخيام ثم صار ماشياً على الأقدام وسأل عن مضرب الأميرة عنيترة فارشده إليه الخدام ومازال سائراً حتى وصل إليها وقدم عليها وصار بين يديها فرآها جالسة في مضربها وعندها سادات العرب وهي بينهم كأنها الأسد الأغلب وكل منهم ينظر إلى ما أعطاها الله تعالى من الهيبة ومن شجاعتها وهي أيضاً تتعجب كيف أذلت بفروسيتها فرسان البر والسبسب (قال الراوي) وإذا بالنجاب قد أقبل فاستأذن له الخدام فأذنت له في الدخول فدخل فترحبت به ولديها أقبل ولما هدأ المكان من السلام والخطاب أخرج من عمامته إلى عنيترة كتاب وقال لها إذا قرأتيه وعرفتي ما فيه اتردي الجواب فأخذته عنيترة وسلمته إلى زيد بن عروة وقد ذكرنا أن زيد بن عروة لما مات عنتر كان صغير السن فوصى عليه عمر ذو الكلاب فقبل فيه الوصية ورباه أحسن تربية في العيشة الهنية المرضية وكنا قد ذكرنا أيضاً أن أباه قبل عاته علمه الخط والنجابة والفروسية والتصق بعد ذلك إلى هذا الفارس الجسيم فخرج منه هذا المخرج العظيم وصار له يد طويلة في الخط والقراءة والشجاعة وقد كان ذا قوة وبراعة فصار عند الأميرة عنيترة في أعلا مكان والعاطف عالي الشأن وهو الذي كان يكاتب لها سادات العرب وكان فيه فضل وأدب

((تم الجزء الثالث والخمسون ويليه الجزء الرابع والخمسون))

الجزء الرابع والخمسون

من سيرة عنترة بن شداد

(قال الراوى) ومما اتفق من الأمر أنه كان فى تلك الأيام لا زوجة له ترضيه لأن زوجته كانت قد توفيت والتى كان قد تزوجها فى زمن أبيه وكان للأمير عمرو ذو الكلب ابنة يقال لها الرباب ولم يوجد لها نظير فى الحسن والأدب وكانت من ذوى الأحساب والأنساب مليحة القد قاعدة النهد لها خصر نحيل وردف ثقيل وكان من محبة يزيد بن عروة عند الأمير عمرو ذو الكلب زوجه ابنته وأقام عنده فى نعمته وعمل له الولائم ودام لهما العز الدائم سبعة أيام وفى اليوم الثامن ضربت الزفاف وانقضى الأمر ولم يبق فيه خلاف ودخل بها يزيد بن عروة ووقعت بين الاثنين المحبة والنخوة وأقامت معه مدة من الأيام ورزق منها ولدا ذكر كأنه بدر التمام فسماه عروة على اسم أبيه وتربى على أيدى العبيد والخدام وقد صار ليزيد بن عروة خيل وجمال ونعم وأموال وصار بعد ذلك من الأبطال وصارت عنيترة لا تفارقه بحال من الأحوال (قال الراوى) ولما أتى ذلك النجاب وناول عنيترة الكتاب منه وأعطته إلى زيد بن عروة وأمرته أن يقرأه حتى أنها تسمعه وتعرف معناه وإذا به من عند الملك المنذر بن النعمان وكان لذلك الكتاب شأن وأى شأن قال وكان السبب فى ذلك هو أن الملك المنذر كان فى كل سنة يحمل حملا إلى الملك كسرى أنوشروان وهو شىء كثير من الأموال والهدايا والذخائر والتحف الغوالى فاتفق من الأمر العجيب والحديث المطرب الغريب أن المنذر قد جهز الحمل فى تلك السنة على مجرى العادة وأرسله إلى المدائن وسارت به الرجال وكان وصحبه الحمل ألفان من الفرسان السادات وكان المقدم عليهم عمرو بن هند. أخو النعمان الذى كان قد أرسله إلى بلاد اليمن ليرد بنى عبس لما أن كان النعمان عليهم غضبان وعاديهم وأنزلهم فى أرض بنى عامر كما أمره أخوه النعمان وكان عمرو بن هند قد رزق هذا الولد النفيس وكان فارسا ورئيس بعد إذا برز إلى الميدان بألف بطل من الشجعان وكان يسمى ماء السماء ولما أراد الملك المنذر أن يرسل الحمل إلى كسرى أنوشروان انتدب له ابن عمه ماء السماء حتى يكون لتلك الأموال حافظا وحمى وأرسله مع الحمل وصحبته ألف فارس أبطال وسار ماء السماء بما معه من الأموال والنوق والجمال والصناديق الملآنة من الذهب والجواهر الغوالى وطالب مدائن كسرى وتلك الأبطال وما زالوا كذلك سائرين على ذلك الحال وهم فى السوق الشديد إلى أن وصلوا إلى برية وبعيد والدواب بين أيديهم تسوقها الخدام والعبيد وإذا قد طلع من جانب الوادى ألف عنان وهم على خيول أخف من الغزلان والكل من منتصره العربان

وكانوا خمسمائة من الروم الذين هم عبده الصلبان يقدمهم فارس كأنه الأسد الغضبان وهو أسمر اللون مليح الكون وقد نادى برفيع صوته بلسان فصيح ونطق مليح يا ويلكم يا عباد النار والهيب ويامن غضب عليكم الصليب خلوا ما فى أيديكم من المال والنوق والجمال وانجو بأنفسكم فى هذه البرارى الخوال وإلا وحق المسيح ومارى حنا المعمدان أتركم رؤسا بلا أبدان وتحوم عليكم النسور والعقبان (قال الراوى) ولما سمع ماء السماء بن عمرو ابن هند مقدم الجيش ذلك الخطاب من ذلك الفارس المهاب نادى يا ويلكم من تكونون الروم الكلاب أو من أصحاب الأصول والأنساب فعند ذلك تقدم إليه ذلك الفارس وانطبق عليه مثل انطباق السحاب وقال لماء السماء يا ويلك أيقال لمثلى هذا الخطاب وأنا أسد الدحال ومقتنص الابطال أو هذا المقال يعرف عم أو خال أو تذكر أحساب وأنساب هذا مقام الضرب بالصارم القرضاب ومحل قطع الرقاب ثم أن فارس الروم بعد هذا الكلام انصب على فرسان بنى لخم انصباب الغمام وتبعته الخمسمائة فارس والفارس بالدمه كأنه أسد الهيجا وحملت معه الألف الذين من العرب المنتصرة وطلعت على الطائفتين الغبرة ورهقتهم القتره وتضاربوا ضربات متواترة وصارت عقبان المنايا على رؤسهم طائرة ودارت عليهم الدائرة وطمعت فيهم فرسان الروم والعرب المنتصرة وذلك الفارس الرومى الذى على الفرسان تقدم قد ساق الفرسان قدامه سوق الغنم ويرى كل ذراع ومعصم وقد ذل من بنى شيبان القدم (قال الراوى) وكان هذا الفارس الرومى ينادى يقول أنا فارس الروم والعجم أنا الغضنفر فارس هذه الارض وابن الملكة مريم ثم أنه صار يجول على الارض والدحال ويكردس بين يديه الرجال ويردى الاقيال ويرميهم ذات الشمال فعند ذلك هابته الشجعان وولت من قدامته الاقران وتجاروا فى الميدان وكل منهم يقول ليس الخبر كالعيان وكانت ساعة من ساعة الزمان انهزمت بنى شيبان وبنو لخم عن الغنيمة وطلبوا الهرب والهزيمة واعترض الغضنفر إلى ماء السماء وقد طلب الآخر الفرار فتلقاه قبل أن ينهزم وقد طعنه فى صدره بعقب الرمح وأرماه فى تلك القفار فغاب عن الدنيا وكاد أن يحل به الدمار وتسلمته غلمانه الذين حواليه وأوثقوا بالشد يديه ورجليه وبعد ذلك انحط على بنى شيبان وشتتهم فى البرارى والقيعان وما زال يقتل فيهم ويأسر إلى أن صار آخر النهار وعاد عنهم وقد خلص الغنيمة وهو ذو فرح واستبشار وصار أمام قومه وهو كأنه قد غرق فى بحر من الدم مما سال عليه من أدمية الفرسان وقد قتل من الروم مائة وخمسين فارسا ومن القوم المنتصرة مثل ذلك ونزل الغضنفر وقد ضربت له الخيام ووقفت بين يديه العبيد والخدام عرضوا الغنيمة التى أخذوها من العساكر التى هى سائرة إلى كسرى فوجدوا فيها شيئا كثيرا لا يكيف ولا يرى من لؤلؤ وذهب وياقوت أحمر وقطع الزمرد الاخضر وفصوص

المعادن والجوهر وأشياء تذهل العقول والبصر عند رؤيتها وشيء كثير من الخيول والجمال. والنوق العصافيرية والبغال وأكثرها محملة من الهدايا الغوال وأيضا معهم جوار وخدم وأموال ونعم تعجز على جمع مثلها ملوك العرب والعجم (قال الراوى) ففرح الغضنفر بذلك فرحا عظيما وعلم أن طالعه مستقيم وقد أقام هناك ذلك اليوم وتلك الليلة ورحل بما معه من الأموال وقد تعجبت من فروسيته الأبطال وكيف كسر بنى لخم وشيبان بشدة عزمه وقوة ماعنده وهم ألف عنان وأسر ماء السماء ابن عم الملك المنذر وأخذه معه أسير وقد شدوا بين يديه الأموال تسوقها الخدم والعبيد وقد بلغ من زمانه ما يريد وتلك الغنيمة قد سدت الفضاء وملأت المستوى ومازال سائرا إلى أن وصل إلى قلعة أهل الرشاق ومعه جميع أصحابه وجماعته (قال الراوى) وقد أخبرت الرواة أن الغضنفر كان يحكم على أكثر من عشرة آلاف فارس من الروم منها خمسة الاف من أصحابه وخواصه وكان عبيده فى القلعة مقيمين ومنها خمسة الاف فى الطباع والرساتيق دائرين وكان الغضنفر قد نشأ فى ذلك المكان وقد طلع فارسا لا يوجد مثله فى الآفاق ولا نظر أحد شكله لا فى الشام ولا فى العراق (قال الراوى). ولقد سألت عن هذا الفارس ونسبته وفى أى أرض وبلاد كان منشؤه وتربيته لأن حديثه عجيب وقصته توجب الطرب وكيف لا أسأل عنه وقد كسر فى ساعة واحدة ألفين فارس من بنى شيبان ولخم وهما من سادات العربان وفيهم مثل ماء السماء وكان يعد بألف فارس من الشجعان وأيضا كان الغضنفر هذا صبين يقاتل يحامى عن نفسه وعن جميع من معه من أهل قلعته ومن فرسانها ورجالها مثل ماتحامى اللبوة عن أشبالها وذلك أن هذا الفارس كان قد نشأ فى القسطنطينية عند ملك الروم قيصر وكانت والدته بنت أخى الملك يقال لها المليكة مريم وقيل ان من خواص ... ابيه وقد رقت هذا الولد وكان أسمر اللون وله سواعد شداد مثل العمد وكان الملك قيصر كلما رآه مال قلبه إليه وأحبه ولكن كان فى بعض الأوقات طبعه ينفر منه لاجل سواد لونه دون الروم ولما دخل فى قلبه الشك من اجل ذلك اللون الذى صار فيه قدمه قدمه على خمسة الاف فارس من الروم وهو دون البلوغ وأرسله هو وأمه وجوارها وجميع أموالها وذخائرها وما يعز عليها إلى قلعة برقعيد وكانت هذه القلعة حد ملك قيصر من ملك الفرس كسرى وكان الملك قيصر أنعى مراده أن يجعله فى تلك القلعة ليكون فى وجه العدو وليدفع من يريده بسوء فسار الغضنفر بعسكره كما رسم له عمه إلى أن أتى إلى قلعة برقعيد وكانت هذه القلعة عظيمة فوجدها قلعة حصينة ولكن أرضها برية مخيفة غير أمينة فصعد إلى تلك القلعة وأقام فيها وجعل معه فى القلعة من ذلك الجيش من هو مثله فى العمر وأكبر منه ودونه والبعض كان من قرائبه وقرائب أمه ثم انه استخدم ايضا من كان قد انضاف اليه خمسة الاف بالديوان وجعلهم فى الضياع والرساتيق لأنه عمر تلك الافاق

وجعلهم يستخلصون له الخراج ويرفعون إليه الأموال فى كل عام (قال الراوى) ثم بعد ذلك تفرس الغضنفر وصار يركب فى خمسمائة فارس وأكثر ويتصيد بهم طول النهار ويهجم الغابات ويقتنص منها السباع الضاريات ويقهرها بقوة ساعده فى كل الاوقات وقد صار له بهذا عادات ومازال على ذلك الحال أياما عديدة وليالى إلى أن بقى له من العمر عشرون سنة صار يبارز الفرسان ويقهر الشجعان ويرميهم فى الميدان مدة من الأيام وسطا على الفرسان وزاد أمره وعظم شره ومارأى قافلة دخلت عليه من تلك الأرض إلا ويلقاها وحده وما معه إلا فرسان قلائل من جيشه وجنده وما زال على ذلك الشأن إلى أن سمع بتلك الغنيمة سائرة إلى كسرى أنوشروان من عند الملك المنذر واخبره الذى أتى إليه بالخبر أن معها ألفين فارس من بنى لخم وشيبان فقال وحق المسيح لاسرب إليهم إلا وحدى ولا آخذ معى أحداً من جيش ولا من جندى فقالت له والدته بحق المسيح ياولد لا تفعل هذه الفعال وخذ معك من يعينك من الرجال وكذلت قامت عليه أرباب دولته وجماعة من أهله وعشيرته فصحب معه تلك الخمسمائة من الروم والألف من العرب المتنصرة وسار فى طلب الغنيمة وقد وقف مرتقبا للفرسان فى فم المضيق حتى أنهم يعبرون على الطريق وكان ذلك الموضع مسيرة يوم وليلة من القلعة فى ذلك البر الأقفر وقد سار الغضنفر وله قلب أقوى من الصخر (قال الراوى) فبينما هو كذلك سائر قدام قومه فى تلك القفار إلى أن عبر عليهم نصف النهار وقد نفخ عليهم البرنار وإذا قد اعترضهم أسد فى تلك الطريق وهجم عليهم ومنعهم عن المسير والتعويق وكان ذلك الأسد قد خرج عليهم من بين الغابات والشجر وهو أسد أغبر المحجر يطير من عينيه الشرر ويقلب الوداع بالصياح إذا زأر وزمجر له أنياب أحد من النوائب ومخاليب أشد من المصائب واسع الأشداق عبوس ضيغم أفطس الأنف أدغم يسمع من غرغرته الرعد إذا همز وهمهم وتنظر البرق من عينيه اذا أظلم الليل واقتم الليل وهو كأنه القضاء المبرم وهو كما قال فيه الشاعر هذه الأبيات

وليث عبوس تصدع القلب وثبته	وترتعد الابدان من عظم صرخته
بشدق كبير كالقليب وعجه	كشعلة نار فى الدياجى وظلمته
وأنيابه مثل الكلاليب اذ بدت	يروخ قلوب الناظرين برؤيته
اذا مارأته الخيل صارت شوردا	إلى القاع تخشى من صواعد سطوته

(قال الراوى) ثم ان ذلك الأسد طلب الخيل وهو يتمايل على جنبيه وفى مشيه يتمخطر ولما رآه الغضنفر قال لأصحابه لا أحد منكم يخطى من مكانه حتى تنظروا ما يكون من شأنى وشأنه ثم ان الغضنفر ترجل عن ظهر جواده وخلع عن عدته وأدار أذياله فى دور منطقته وأخذ سيفه بيمينه وأخذ فى شماله ورقته وتقدم يخطر إلى الأسد بقلب أقوى من الصخر والجلد

وما زال ماشيا على قدميه حتى قرب منه ووصل إليه فلما نظره الاسد امتد حتى صار كمثليه ثم انجمع بعد ذلك حتى صار كمثليه وحمل على الغضنفر وحمل الآخر عليه وضربه بالسيف بين عينيه في قوة الضربة وشدة حمل الاسد طلع السيف يلمع من فخذيه فعندها ارتاعت قلوب الفرسان من تلك الضربة لما نظروا إليه (قال الراوى) هذا وقد رجع الغضنفر بعدما مسح سيفه في جلد الاسد وقد تركه على التراب عدد وركب على جواده وفي ماجل الحال كأنه ما عمل شيأ من تلك الاعمال ولم يزل سائرا هو ومن معه من الفرسان إلى أن التقى بماء السماء بن عمرو ابن هند أخي النعمان وجرى له معه ومع قومه ما جرى من ذلك الشان واحتوى الغضنفر على جميع الغنيمة وطالب بنو لخم وبنو شيبان الهزيمة ورجع هو وقومه قاصدا إلى قلعته وطلع إليها واجتمع باهله وعشيرته ونظرت والدته الملكة مريمان إلى ما قدامه معه الاموال والذخائر المثمنة والنوق والجمال وتلك الصناديق المحملة على البغال ففرحت بما بان منه فرحا شديدا زائدا عن الحد ليكون أن ولدها قد صار حامية تلك الارض (قال الراوى) هذا ما كان من الغضنفر ورجاله وما جرى لهم (واما) ما كان من حديث المنهزمين الذين هم من بنى لخم وشيبان واحوالهم فانهم لم يزالوا في هزيمتهم إلى أن وصلوا إلى مدينة الحيرة وكل منهم في ذل وحيرة ودخلوا على الملك المنذر وقد عميت منهم البصيرة وهم صارخون مولولون وقد حل بهم الذل والخبال وجعلوا ينادوا ويقولوا أيها الملك نهبت الحلال والاموال وقتلت الرجال وسارت بها الاحوال قال الراوى فلما سمع الملك المنذر ذلك المقال تغيرت منه الاحوال وتغير لونه واضطرب كونه وقال لوزيره انظر ما ترى من الرأى والتدبير واضرف همتك إلى ما ترى في هذا الأمر الذى قد صار عسير وكان وزير المنذر في ذلك الزمان زيد بن عمرو بن نفيله العدوى وزير الملك النعمان كان قد طلع مثل أبيه رجلا فاضلا خبيرا وكان ذا عقل ورياسة وأدب وفضل وسياسة فقال له أيها الملك انى سمعت عن هذا الغضنفر أنه في ذلك الزمان فارس البدو والحضر وأنه فارس لا كالفرسان وبطل تخضع لفروسيته الشجعان وما له إلا فارس مثله وبطل شكله كشكله ويكون يفعل في الحرب كفعله وما يوجد اليوم له مثيل في الزمان والخبر إلا ان كانت أم الزعارع عنتيرة بنت عنتر التى من بعض فعالها أنها أسرت ذوالخمار وعامر بن الطفيل الفارس المغوار وقتلت مثل ملاعب الاسنة فارس بنى عامر واحلت به الويل ولهذا أرسلنا إليها نعلمها بذلك الخبر فهى تاتى إلى الخدمه بقوة قلبها وشدة عزمها وتكشف هذا الضرور ونرجو على يديها النصر والظفر والا يا ملك إن ارسلنا إلى الغضنفر جيشا اخر فانه يكسره ويخرق الهيبه ويبقى الامر وضيعا منكرا ويروح منك ناموس الملك ويحل بنا العبر وأنا الرأى عندى أيها الملك أن ترسل إلى ابن خالك زهير بن قيس الذى قدر باك على يديه قبل الان على الخير فانه يامر ابنة عمه عنيتره بالمسير هى وبنى عبس وبنى قضاعة

فانى أعلم منها أنها إذا سمعت بذلك تأتى ولا تتأخر وترسلها من ههنا أنت إلى الغضنفر فانها تذيقه الموت الأحمر وتنزل به بشجاعتها الذل والعبر (قال الراوى) فلما سمع الملك المنذر من وزيره ذلك الكلام فرح واستبشر بهذه الأسباب وأمر الوزير فى عاجل الحال أن يكتب اليهم كتاب وأن يشرع بارساله مع النجاب ففعل الوزير ما أمره به لما سمع من المنذر ذلك الخطاب فارسل بالوقت لنجاب فسار من وقته وساعته طالبا أرض الشربة والعلم السعدى وهو يلعلع فى ذلك البر ولناقته يحدى حتى صار إلى الديار والأطلال فرأى إلى حلل ترتج بسكانها من كثرة ما فيها من الرجال والأموال وفيه بعض العبيد فسأله عما جاء فيه من الأحوال فقال النجاب أريد الأميرة عنيترة بنت عنتر فقال له العبد ألا تنظر إلى ذلك البيت الرفيع العماد الأحمر فامض إليها واستأذن بالدخول عليها واشرح لها حالتك فانها تقضى لك حاجتك وإن كنت مظلوما فانها تعينك على ظلامتك (قال الراوى) فسار النجاب قاصد المضرب فرأى العبيد تمرح وتلعب وهم فى أمن من غيرة الزمان وفى غاية ما يكون من الإحسان فلما رأى العبيد إلى النجاب تسارعوا إليه وأعلنوا بالسلام عليه وسألوه عما جاء فيه وليبدى فيه الأمر ولا يخفيه فاستأذنوا له فى الدخول فأذنت لهم بدخول الرسول وكانت جالسه وفى حضرتها من قدمنا ذكرهم من الأصحاب وإلى جانبها الملك زهير بن قيس وهو كأنه الأسد الوثاب فدخل عليهم النجاب فى عاجل الحال وقبل يديها وأوصلها الكتاب فأخذته وناولته لزيد بن عروة وأمرته أن يقرأه حتى يسمع كل الحاضرين ما فيه وتعرف معناه (قال الراوى) ورجعنا إلى سياق الحديث والخبر فعند ذلك فضه زيد وقرأه ولما سمعت عنيترة والملك زهير ومن حضرهم من الأصحاب ما قرأه زيد بن عروة من الكتاب قالت عنيترة للملك زهير ما ترى يا ملك فى هذا الحال وأى شىء الذى تراه من الأعمال فقال لها زهير ما الأمر إلا المسير وسرعة الجد والتشمير ونكشف عن ابن عمى الملك المنذر فى قضاء حاجته وكذلك قال كل من حاضر القراء هذا الكتاب وسمعوا ما جاء به النجاب وعرفوا ما جرى من تلك الأسباب وهم كما قدمناه فرسان الأعراب الذين كانوا قد أتوا للسلام والتهنئة بما وصل إليهم من الأنعام فقالوا كلنا نسير فى خدمة أم الوعازع ولبوة الوقائع فقالت عنيترة ولاحق ذمة العرب وشهر رجب لا سار إلى الملك المنذر فى قضاء حاجته إلا أنا وحدى وبنى عمى لا غير ولا يكون فى صحبتنا إلا ابن عمى الملك زهير وأما أنتم أيها السادات الأخيار فاننا ما ندخركم إلا للمهمات الكبار وإذا أتانا شىء أقوى من هذا فذلك الوقت يكون ما تريدونه من الاختيار فتعجبوا الحاضرون من قوتها وما منهم إلا من أعزها وأحبها وتمت فرسان العرب على ما هم عليه وما هم فيه بقية ذلك اليوم فى أكلهم وشربهم (قال نجد) ولما كان من الغد ودعت عنيترة والملك زهير من كان عندهم من الفرسان وسار كل منهم يطلب دياره والأوطان ولما أن تفرقت سادات العرب من عند عنيترة وقد

أوصلت إليهم الخير الكثير فقالت للملك زهير با ملك ما بقى غير المسير فقال لها اعلمي ما تفعلين وما اليه الهم يا ابنة العم تشيرين فعند ذلك أمرت عنيترة الفرسان بتجهيز حالها فسمع الجميع لمقالها واهتموا فى إصلاح العدد والسلاح وقد تجهزوا للسفر والرواح (قال الراوى) ولما كان بعد ثلاثة أيام سارت بنو عبس وبنو قضاعة يقدمهم عنيترة وزهير وعتيبة بن حصن وزيد بن عروة وشبيع اليمن بن مقرى والوحش ومن شا كلهم من الأبطال وأقامت الهيفاء وأم عنيترة هى وبعض الرجال لاحق حفظ المنازل والأطلال وسارت الجيوش والفرسان يقطعون الأودية والقيعان وينزلون على المنازل والوديان والمناهل والغدران وما زالوا كذلك إلى أن وصلوا إلى الحيرة فوجدوا عليها جيوشا كثيرة فنزلت العشائر فى المضارب والخيام ودخل الملك زهير وعنيترة على الملك المنذر لأجل السلام وفى حال دخولهم كانت عنيترة داخلة وإلى جانبها اليمن زهير بن قيس البطل الهمام وإلى جانبها اليسار عتيبة بن حصن وبين يديهم العبيد والخدام ولما رآهم الملك المنذر فرح بهم وقام لهم على الأقدام وترحب بهم غاية الترحيب لأن كلا منهم له قريب ونسيب وأجلسهم إلى جانبه وصاروا عنده أعز من أهله وأقاربه وقد قرب عنيترة اليه من دونه غاية القرب لأنه سمع عنها كل أمر عجيب وجعل يحادثهم ويباسطهم فى الكلام إلى أن حضرت الرجال بالطعام فأكلوا ما طاب لهم ورفعت الأوانى الخدام وبعد ذلك قال الملك المنذر يا أم الزعازع ولبوة الوقائع قد حدث علينا أمر سريع وحال شنيع وهو إنى أرسلت الحمل إلى الملك كسرى حكم الرسم والعاده وأرسلت معهم ألفين فارس والمقدم عليهم ابن عمى ماء السماء والمشيئة والارادة رافقتهم فى الطريق قلت السعادة والتوفيق فخرجت عليهم خيل من برية قعيد وهم مقدار ألفين فارس صناديد بلغنى أنه قد كان المقدم عليهم بطلا عنيد وفارسا صنديد وذلك الفارس يقال له الغضنفر ابن دادة الملك قيصر وقيل أنه ابن أبنه أخى الملك وهكذا قالوا عنه فى الخبر وقد خرج منه فارس عظيم لا كالفرسان وبطل لا كالشجعان وقد قطع عليهم الطريق واعدمهم السعادة والتوفيق وأخذ منهم الحمل بعد قتل الفرسان وأسر ابن عمى وقد حل بهم الذل والهوان وقد زاد لذلك همى وغمى والمراد ومن احسانك يا أم الزعازع ولبوة الوقائع أن تسيرى بمن معك من بنى عبس وبنى قضاعة وأسعفك أيضا بعشرة آلاف فارس ممن يعرف بالفروسية والشجاعة ليوث عوابس وسيرى بهم إلى قلعة برقعيد لتخلصى الحمل وابن عمى ماء السماء من ذلك البطل العنيد وتخربى تلك القلعة وتعودى إلى فى عاجل الحال مسرعه (قال الراوى) فلما سمعت عنيترة ما أخبرها الملك المنذر من ذلك المرام فقالت له أيها الملك الهمام وحق البيت الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام وحرمة الواحد الأحد الفرد الصمد الذى خلق الإنسان من ماء مهين وجعله أبيض وأسود وأحمر وأخرج الماء من صم الحجر

الجلمدما تبعني من فرسانك أحدلا أبيض ولا أسود ولا آخذمعي غير الف فارس من بني عمي وخمسمائة من بني قضاعة واقضي حاجتك واعود عمثله الامر بالسمع والطاعة (قال الراوي) فلما سمع الملك المنذر من عنيترة ذلك الكلام تعجب وأخذه الفرح والطرب وقال ماقد اخلف الله على بني عبس عنيترة ابنة عنتر بن شداد واحيا ذكره بين العباد في سائر البلاد وقال يا أم الرعازع ليس بالكثره من باس ولا يذمها أحد من الناس فقالت عنيترة أيها الملك وحق من يعلم تودد الانفاس وخلق هذه الصورة الآدميا وما فيها من الحواس ما أسير إلى هذا الأمر في أكثر من ألف فارس ممن يكونوا يحملوا همي وضيزي ولا أرسل في هذا الحاجه غيري ولا أكون قد ساريت أكثر الناس (قال الراوي) فقال لها الملك المنذر يا أم الرعازع افعلي ما بدالك فما ههنا أحد يخالف مقالك فلما سمعت عنيترة كلام الملك المنذر فرحت بمقاله واعجبها سائر أحواله وانطلق لها جميع اقواله ثم انها قامت من وقتها وساعتها وأخذت من بني عمها ألف فارس ممن يبادروا إلى طاعتها فيهم مثل خالها عمرو وذو الكلب الملك زهير بن قيس وزيد بن عروه وسبيع اليمن وعتيبه بن حصن ومن يجري مجراهم من الابطال والشجعان وصارت تنتخبهم وتقول فلان وفلان إلى أن عزلت ألف فارس من كل مدرع ولابس وبرزوا كانهم الاشود القناعس وهي امام القوم كانها اللبوة شمطاء وما زالت سائر الليل والنهار تقطع البراري والقفار إلى أن وصلت إلى بريه برقعيد ونظرت إلى ذلك البر والبيد وبانت لها الضياع والرساتيق ورأت الخيل سائبه ترعى في تلك الأوديه والآفاق ورأت إلى شيء كثير من الخيل الجمال والنياق قال الراوي ولما رأت عنيترة إلى تلك الاحوال أمرت الفوسان بنهب الاموال وأخذ الخيل والنوق والجمال فتبادرت الفرسان اليها وداروا واحاطوا عليها وسائر الأموال وهربت الرعاة وطلبت الاودية والجبال ومنهم من طلب القلعة فوصلوا اليها في عاجل الحال والقوا النفير في الرستاق وأكثروا من الصياح والزعاق ووصل الخبر إلى القلعة واعلموا في عاجل الحال الغضنفر بما كان من تلك العجمه وأنه لما سمع ذلك الكلام صار الضياء في عينيه ظلام وزيغت عينيه في أم راسه واضطربت جميع حواسه وهمهم ودمدم حتى هابته جميع جلاسه وصرح في العبيد وقال لهم ياويلكم يابني الزواني من ذا الذي طرق ارضي من قاص وداني فقالوا له أيها الملك ما طرق ديارنا عشائر ولا جيوش ولا عساكر اوما اغار على أموالنا واحدجمالنا والنياق غير ألف فارس ونظنهم من فرسان العراق لاننا سمعناهم يتكلمون بلغة أهل تلك الافاق ورأينا يا ملك يقدمهم فارس اسمر وله صوت مثل الرعد إذا هدر وكالأسد إذا رأى الفرسية قدامه اندعر وسمعناه يتكنى ويقول أنا عنيترة بنت عنتر الذى كان فارس البدو والحضر (قال الراوي) فلما سمع الغضنفر من العبيد ذلك الخبر هدر وزمجر وطار من عينيه لهيب الشرر وزعق على الفرسان فركبت وإلى نحو الصياح طلبت ثم أنه في عاجل الحال ركب جواده واعتده

بعدة جلاده وركب أمام الخيل وطلب فرسان بنى عبس وبنى قضاعة وقد انصب عليهم انصباب السيل فراهم فدخر والرستاق وأفسدوا جميع ما بين أيديهم فى تلك الآفاق فلما رأى إلى ذلك الشأن حمل وحملت معه الفرسان فتلقتهم بنو قضاعة وبنو عبس وعدنان وعمل بينهم السيف والسنان والتقت الفرسان بالفرسان والأقران والشجعان بالشجعان وطلع على رؤسهم الغبار إلى العنان (قال الراوى) هذا وعنيترة قد كردست الأبطال وأرمتهم ذات اليمين وذات الشمال وجندلت الأقران على الرمال وكذلك فعل الغضنفر ورأت فرسان بنى عبس وبنى قضاعة منه الموت الأحمر وعاينوا من طعنه وضربه الأمر المنكر وقاتل قتال من لا يبقى ولا يذر وخسف الصدور وقلع العيون وأفسد وما زال القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل والسؤال لا يقبل إلى أن أظلم الظلام ومنع الناس من ضرب الحسام وقد افترقت الفتيان وانفصل الجمعان وأكثروا وقيد النار وتحارس الفريقان وما زالوا على ذلك الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح واصطفت الصفوف وتعدلت الالوف وجردت وعزم الفريقان على شرب كاسات الحتوف وإذا بفارس قد برز إلى الميدان ومشى فى ركابه مائة فارس أعيان وهو بينهم كالأسد الغضبان راكب على حصان خفيف الجريان أشقر اللون مليح الكون سابل الغرة مليح الطرة ظريف الوفرة هضرب شعره إلى حمرة راكبه من الحدثان فى أمان يطير فى الهواء كأنه الطير فى الطيران وهو كما قال فيه الشاعر :

يسابق الريح فما يسبقه ... لأنه يسبق لمح البصر
كأنه فى حسنه غادة ... محسنها تسبى عقول البشر
راكبه فى عيشة راضية ... لأنه دوما قرير النظر

(قال الراوى) وعلى الفارس درع مكوكب مذهب مقصب وفى صدره مرآة من الجوهر يغبو عنها الصارم الذكر يأخذ نورها بالبصر ومن فوق الكل ثوب أطلس أصفر مليح الزى والمنظر محشوا بالمسك الأذفر تتوه فى حسن نقشه الفكر وأكمامه قد عقدها إلى وراه بشراريب إبريسم حرير أخضر وقد أخرج الفارس يده من جلباب درعه فى ذلك الوقت وفى كفه صارم ذكر لو ضرب به حبل لطار منه الشرر وعلى صدره صليب عجيب يساوى من الذهب الأحمر خراج إقليم والفارس له عينان كأنهما شرايان أو نجم بارق اللمعان والصليب مكلل بالياقوت والمرجان وقد خرج ذلك الفارس فى هذا الزى والمنظر الذى تحير فيه الفكر وكان هذا الفارس هو الغضنفر فلما توسط الميدان رجعت من حوله الرجال والأقران فوقف فى ذلك المكان ونادى يطلب البراز والطعان ولما تبينته فرسان بنى عبس وبنى قضاعة عرفته عنيترة من تلك الساعة وهمت أن تبرز اليه وتحمل عليه وإذا قد سبقها فارس مليح الشمائل أليق الخصائل للفروسية عليه علائم ودلائل وهو راكب على حصان أبلق يحاكى النجم إذا خرق والطير إذا انطلق مليح الرونق سابل الغرة كبير الحدق وعلى ذلك الفارس زردية

فكثيرة العدد وهو متقلد بحسام مهند ومعتقل برمح مسدد فتبينته فرسان بنى عبس وإذا به زيد بن عروة ذو الفروسية والبراعة وقد برز إلى لقاء الغضنفر وهو كأنه الأسد القسور (قال الراوى) ولما صار وسط الميدان ومعرك ذا الجولان حمل عليه الغضنفر وانقض عليه مثل السيل إذا انحدر والنمر إذا انذعر وصاح عليه ويلك من تكون من فرسان بنى عبس يا أخس من طلعت عليه الشمس فقال له زيد بن عروة الويل لابيك وأقاربك وذريك يا ويلك أنا زيد بن عروة بن الورد صاحب الفروسية والشجاعة والمخوة فمال الغضنفر بئس الفارس المهين وأنت أحقر أن تكون لى قرين ثم أن الغضنفر حمل عليه وصدمه بالطعنة إليه فالتقى زيد الطعنة بحسن صناعته وقد سحبها على درقته وأبطلها بقوة همته فسل سيفه الغضنفر وهجم عليه هجوم الاسد القسورة وتضاربا وتباعدا وتواصلا وتكافحا وتراجعا وقد رأى زيد ابن عروة من الغضنفر فارساً لا كالفرسان وبطلا تبطل عند قتاله قوة الشجعان وقد زاد عليه الدرهم قنطاراً بالقبان هذا وقد قل منه الاصطبار وسطا عليه الغضنفر سطوه جبار وهجم عليه هجمة الأسد الهدار وضربه بالسيف صفحا على رأسه فكاد أن يجمد أنفاسه وانقلب إلى الأرض بثقل ما عليه من الزرد فصار كأنه الجذع الممدود فانقض عليه وأخذه أسيراً وقاده ذليلا حقيراً وانكشف بعد ذلك الغبار وبان للاعين النظار وإذا زيد بن عروة منقاداً أمام الغضنفر أسيراً فلما رأت عنيترة إلى ذلك الحال همت أن تبرز إليه لعلها أن تخلص يزيداً من الاعتقال وإذا بفارس قد برز إليه وسبقها عليه وتقدم بين يديه لا فزعا ولا خائفا فتبينته عنيترة وإذا به عتيبة بن حصن بن حذيفة وقد طلب البراز وسأل الانجاز فتلقاه عتيبة الغضنفر بقلب أقوى من الحجر وجنان أقوى من تيار البحر إذا زخر وكذلك تلقاه الآخر وتضاربا أحر من الجمر وأمر من الصبر وتباعدا وتقاربا وتضاربا وتقلاقلا ثم أن الغضنفر همز بجواده وتمطى فى بداده وطلب عتيبة إلى أن حك الركاب بالركاب ومسك درع عتيبة من الجلباب وجذبه إليه بعد أن عرف دخله من خروجه وصاح به واقتلعه من بحر سرجه وساق مغلولا فى يده بعد أن كاد يعمى عليه وقد ملكه أسيراً وقاده ذليلا حقيراً وسلمه إلى بعض الغلمان وعاد بعد ذلك إلى الميدان وطلب الضرب والطعان فبرز إليه عمرو ذو الكلب ولم يخف من لوم ولا عتب فتلاقيا من غير كلام ولا خطاب وطلع عليهما الغبار وغابا عن الابصار وجرى بينهما قتال يحير الافكار ويقصر الاعمار ومازالا كذلك إلى آخر النهار وأقبل عليهما الليل بغياهب الاعتكار وافترقا على سلامة وكل منهما يأكل كفيه على صاحبه ندامة وبات الفريقان إلى الصباح وكل منهما قد أراح واستراح (قال الراوى) ولما طلع النهار وبان ضوءه للابصار برز الغضنفر إلى الميدان وطلب الضرب والطعان وما استقر به المكان حتى برز إليه عمرو ذو الكلب وصارت الحالة بين الطائفتين وإذا بعنيترة قد خرجت من حرقة

قلبها على خالها وحسن ودادها وأطلقت فى عاجل الحال رأس جوادها ومرت مثل البرق الخاطف أو السحاب الواكف فقد ردت خالها عن البراز وقد طابت بذلك الانجاز الاىجاز فلما رآها الغضنفر داخله بها الطمع وقد التقته عنيترة مثل الأسد لا ادرع وحملت عليه حملة البطل الصميدع وتضاربا ضربا يحير الأفكار ويعمى الابصار ورأى الغضنفر من عنيترة أمراً مهولاً وقتالا يحير العقول وأخذا فى الميدان عرضا وطولا وكلما همت عنيترة أن تضرب الغضنفر يأخذها عليه الرأفة والفكرة وتلحقها عليه الجنة وهى لا تعرف أى شىء لحقها من تلك المحنة ولا تدرى ماذلك الحال وما وجدت لها يداً تمد إليه بالحرب والقتال وحملت عليه وقومت السنان إليه وكذلك فعل الغضنفر وكان بينهما فى الحرب أمر منكر وقد أخذوا فى الكد والجد والأخذ والرد والملاصقة والمفارقة والمباعدة والمطابقة وسطا كل منهما على بعضهما بعض حتى تدكدكت من تحت خيلهما الأرض وقد أخذوا فى الإبرام والنقض فعند ذلك قام الغضنفر فى ركابه وتمطى فى بداده وضرب عنيترة ضربا واصلة وقال إنها تكون لعمرها فاصلة ولها قاتلة فتلقت الضربة بقوة ساعدها فنزلت على الدرقة أسرع من طبق العين فانقسمت الدرقة نصفين ورمتها من يدها قطعتين وهجمت عليه أن تفعل له كما فعل بها وشالت بالسيف يدها وضربته بقوة جنان فتقهقر إلى خلفه بالحصان وإذا وقعت رجلاه فى بيب اليربوع فما كان له بد من الوقوع فوقع على الأرض وقد تمدد عن جواده بالارض فانقضت عليه أخذته أسيراً وقد جعلت حمائل سيفها فى رقبته وسار بين يديها حقيراً ذليلا وقد ضجت الجيشان وتعجبت من هذا الاتفاق الفريقان (قال الراوى) ولما رأت بنو عبس وبنو قضاعة إلى عنيترة وقد أسرت الغضنفر أخذهم الفرح والطرب وأيقنوا بالنصر والظفر فعند ذلك حملوا حملة منكرة وكردسوا الروم خمسة خمسة وعشرة عشرة وعمرو وذو الكلاب أمام الجحفل وأنزلوا بالروم البلا والويل وجعل عمرو يكيل الرجال كيلا وأى كيل وقد قل من الروم القوى والحيل وأخذوا فى الهرب وأعطوا ظهورهم للعرب وأوسعوا فى جنبات تلك الأرض ولعب السيف فيهم طولا وعرضا وانهزموا طالبين قلعة برقعيد وما نجى منهم بنفسه إلا من كان تحته جواد جليد وتبعهم بنو عبس وبنو قضاعة إلى منازلهم والخيام وقد كلوا وملوا من ضرب الحسام ولكن قد نهبوا فى أموال الروم ومضاربهم وخيامهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولما نزلوا واستقروا فى الخيام وأكلوا ما راج لهم من الطعام فعند ذلك أحضرت عنيترة إلى بين يديها الغضنفر وقد بان منه أن قلبه قد انكسر وقالت له ويلك ياولد الزنا وتربية اللخنا وحق الدائم الباقى بلا زوال ولا فناء الذى جعل الليل كننا والنهار معاشا لئن لم تفد نفسك بمن عندك من الأسارى والأموال وإلا عذبتك عذابا لا تحمله الأرض ولا الجبال وفيهم مازن بن عروة

وعتيبة وحصن ومن معهم من الرجال ثم أن عنيترة سلت سيفها ووثبت عليه وأرادت أن تبطش به فما طاوعها ذلك ولكن ما تدرى ما هذا الأمر الموجب لذلك وقد ارتعدت يدها وتحرك كل عضو فى جسدها فأرمت السيف من كفها وأمرت العبيد أن تقيده بالحبال وتعيده إلى ما كان فيه من الشد والاعتقال فقال لها الغضنفر لما رأى نفسه قد صار فى هذا الحال أيها الأميرة اطلبى ما تريدين من المال وخلاص الرجال واحمليني إلى تحت القلعة التى لنا إذ أردت نجاة نفسك من المهالك فإن أمى تفديني بكل ما تملك يدها بسرعة فقالت غداً أفعل ذلك (قال الراوى) ثم أن العبيد تسلموا الغضنفر وأمرتهم بالحفظ عليه ولكن لا تأتى عليه من الحنية التى أخذتها عليه فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم وأما ما كان من الروم المنهزمين وأحوالهم فإنهم مازالوا فى هزيمتهم إلى أن وصلوا إلى القلعة وأكثروا من الصياح والزعاق وأخبروا بما نزل بهم من تلك الفجعة فوصل الخبر إلى السيدة مريم أم الغضنفر التى قدمنا ذكرها أنها ابنة أخى الملك قيصر وأن ولدها قد أسرته عنيترة بنت عنتر وقد حكم بذلك القضاء والقدر فلما سمعت بذلك الحديث والخبر انقطف لونها وتغير كونها ثم أن رجال ولدها أحضروا بين يديها المأسورين وهم زيد بن عروة وعتيبة بن حصن وما معهم من الرجال وأخبروها بما جرى لهم من الحرب والقتال ولما رأتهم قالت دعوهم فى الشد والاعتقال ويتوكل بهم إلى عداة غد جماعة من الرجال لعلى أن أفدى بهم ولدى مما هو فيه من الخيال فقال لها رجالها سمعاً وطاعة أنهم فعلوا ما أمرتهم به فى تلك الساعة (قال الراوى) وكان هذا الغضنفر بن عنتر من مريم هذه وقد ذكرنا كتابنا هذا فيما تقدم كيف تزوج بها فى رومة الكبرى لما كان أرسله الملك قيصر إلى بلاد الافرنج وقتل بهند أخى خيلار ملك الافرنج وقد ذكرنا أصل زواجه بها وكيف أخذها من عند أخيها ابن أخى الملك قيصر وأتى بها إلى القسطنطينية وخلاها عند عمها ويقال فى الأقوال أنها من بعض سراريه الخواص (قال الرواى) وأن القول الصحيح الثابت الذى ليس ينكر أنها ما كانت إلى بنت أخى الملك قيصر ولما أبقاها عنده وسار طالبا بحر الفرات وجرى له ما جرى من الأسد الرهيص وقتل ومات وكان موته بذلك الحال رخيص لكن ما تم نعيم إلا ويكون وراءه تنغص وذلك كما قيل فى المعنى وأى نعيم لا يغيره الدهر وقد ولدت مريم هذا الولد الغضنفر وكان أشبه مناس أبيه عنتر ولما رآه الملك قيصر نفر قلبه عنه لما رآه على ذلك اللون الاحمر وقال فى نفسه إن الذى أراه من الرأى المدبر أننى أعطى هذا وأمه بعض القلاع يتمشون فيها ويكون معهم جيش فأخفاه عنده وما أخلى أحداً ينظره لا من جيشه ولا من جنده ومازال عنده كذلك إلى أن صار للغضنفر من العمر عشر سنين فأعطاه خمسة آلاف من خواص جيشه وأمره بالرواح إلى قلعة برقعيد وأرسل معه أمه بجميع ما معها من

الأموال والخدم والجوار والعبيد والحلى والحلل وسار بينهم الغضنفر وهو كأنه الأسد القسور إلى أن وصل إلى تلك القلعة فرآها ازهى أرض وأحسن بقعه ووجدا أيضاً فى صناعها خمسة آلاف فلاحين من متنصرة العرب وهم فى تلك الأرض مقيمون فصار الحاكم على الرفيع منهم والوضيع وانتشى وكبر وصار له شأن وظهرت منه الفروسية وقهر كثيراً من الشجعان وأذل الأقران وهابه الأبطال وخافت باسمه الرجال وشاع ذكره فى سائر الأقطار والبيان ومن جملة ما وقع من الاتفاق أن وصل إليه خبر الحمل الذى أرسله المنذر من أرض العراق إلى كسرى وجرى ما جرى من الأمور وسار إلى الغنيمة وأحوى عليها وأسر ماء السماء ابن عم الملك المنذر هذا ومريم تطول روحها عليه وتعلم أنه لا بد لبنى عبس من القدوم عليه بعد ذلك تعرفه باهله وتجتمع بهم شمله ووصلت إليه أخته عنيترة وأسرته وحكم عليه القضاء والقدر وذلك كله لاجل تدبير رب البشر ووصل إلى أمه ذلك الخبر ففرحت فى قلبها وشكرت على ذلك ربها وما زالت صابرة إلى أن أصبح بالصباح وأضاء بنوره ولاح وأمرت من بقى عندها من الفرسان أن يسيروا معها حتى أنها تخلص ولدها وتطفىء بخلاصه نار كبدها وقد أخذت معها ماء السماء ابن عم المنذر الذى أسره الغضنفر فى النوبة الأولى لما أخذ حمل كسرى ثم أخذت أيضاً زيد بن عروة وعتيبة بن حصن ومن كان معهم من بقية الرجال وسارت الست مريم فى أربعة آلاف فارس من أهل الرستاق وخلت المنهزمين مقيمين فى القلعة إلى أن تعود لما يقع من الاتفاق وسارت بمن معها ذلك النهار وتلك الليلة فصبحت القوم صباحاً وأمرت جيوشها بالنزول فملأوا ذلك الوادى عرضاً وطولاً ثم انها لما استقرت أرسلته فى ساعة الحال إلى عنيترة رسول وكتبت معه كتاب واعلمته بما يقول (قال الراوى) وكان الذى كتبته فى الكتاب بعد السلام أما بعد فان الذى اعرضه بين يديك يا أميرة من الكلام بأن الدهر كثير العجب وهو باهله ينقلب والعاقل من اعتبر وتعلم بمن مضى قبله من الأمم وأنى أريد منك يا أم الزعاع وليوة الوقائع المهلة إلى الليلة وتبطل اليوم القتال وركوب الخيل ومهما أردت بعد ذلك حملت الك ما تريدينه من المال وقد أتيت معى بجميع الاسارى وهم مطلقون من الاعتقال وهذا الذى أريد منك والسلام ولكن أريد الاجتماع بك فى هذه الليلة عند المنام (قال الراوى) فسار الرسول بذلك الكتاب إلى عنيترة فلما وصل إلى مضربها استأذن عليها فاذنت له بالدخول فلما دخل عليها وجدها جالسة فى ذلك المضرب ولها هيبة تفلق الحجر وإلى جانبها اليمين زهير بن قيس وإلى جانبها اليسار خالها عمرو ذو الكلب ولا أحد فى ذلك المضرب والحضر يجسر أن يقول لا لم لا ليس فلما حضر الرسول ناولها الكتاب فأخذته منه واعطته الملك زهير بن قيس فقراه وعرف جميعهم معناه فقالت عنيترة للرسول سلم على الست مريم وقل لها قد سمعت لها بكل ما تريدين وأكون بين يديها كبعض الخدم ومهما قالته وفعلته

خالى ما أخالفها فيما به تتكلم (قال الراوى) فسار الرسول إلى الست مريم بغير كتاب واعلمها بما ردت عليه من الجواب لأنها قد عرفت ما فى الكتاب من الخطاب ففرحت بما تيسر من تلك الاسباب وصبرت إلى الليل وقامت هى بنفسها بعد ما أمرت الغلمان بحل الأسارى من حبسها فأتوا بهم إلى بين يديها وعرضوا هم خلعت عليهم الخلع الغالية الثمينه وانعمت عليهم بالنعم الشاملة وأحسنت اليهم غاية الإحسان وأخذتهم بين يديها وخرجت من ذلك المقام وأخذت معها مائة غلام وبين يديها أربعة من خوص الخدام وما زالت سائرة وقد سمعت لاجل خلاص ولدها بالمال والنفس إلى أن وصلت إلى قرب جيش بنى عبس وأخذت الاذن من الحرس وطلبت منهم المشورة فمضى بعضهم وشاور الامير عنتر فأذن لهم بالدخول عليها وأن يحضروها إلى بين يديها فعند ذلك دخلت عليها المضرب وبين يديها الخدام الاربعة فقامت اليها عنيترة قائمة على الاقدام وتمشت اليها واستقبلتها أحسن استقبال وكانت المضارب فى ذلك الوقت خالية من الرجال فسلمت عليها وأخذتها بالاحضان وكل منهما فيما هو فيه من ذلك معز والشأن وعادت بين يديها وجلست على السرير وأخذتها بجانبها وقربتها إليها وتميزتها فرأتها فى ضوء الشمس المكور فرأشبه الخلق بولدها الغضنفر فقالت فى نفسها سبحان خالق الصور الذى انبع الماء من الحجر ثم أنها بكت وأنت واشتكت فقالت عنيترة مم تبكى أيها الملكة الاميرة والسيدة الكبيرة إن كان خوفا على ولدك فانه لاجل قدومك علينا قد نجا من المهالك وها أنا الساعة أحضره إلى بين يديك وأقر برؤيته عينيك فقالت لها مريم أيها الاميرة وحق المسيح إن كان الكذب حجة فالصدق أحسن وأنجى وهو شىء مليح وإنى أخبرك بما كان من الامر الصحيح واشرح لك فى هذه الساعة حديثا أعجب من كل عجيب وكلاما تلتذ به المسامع وتطرب له الاذان ويؤرخ الدفاتر ويكتب وهو أن هذا ولدى الغضنفر هو أخوك من أبيك عنتر وحق خالق البشر لان حديثى وحديثه عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن تبصر وذلك أنه تزوج بى لما أرسله إلينا عمى الملك قيصر وأتى إلى رومة الكبرى وكسر الافرنج وأحل بهم العبر والدليل على ذلك أن ولدى مثلك أسمر وذلك بخلاف أهل بلاد الروم وهذا الكلام صحيح وحق الحى القيوم (قال الراوى) فلما سمعت عنيترة من الست مريم ذلك الخطاب والكلام ظهر الفرح على وجهها ولحقها الوجد والهيام وفرحت به غاية الفرح واتسع صدرها وانشرح وقالت عنيترة وحق مالك الممالك المنجى من المهالك لقد صدقت أيها الملكة فى ذلك لانى كنت كلما رمت أن أضر به ونحن فى الحرب والقتال لا تطاوعنى نفسى على هذه الاعمال وكان يأخذنى من ذلك العجب لانى قاتلت وقتلت كثيرا من فرسان العرب وما رأيت هذا العجب (قال الراوى) فلما فرغوا مما دار بينهما من القيل والقال قامت عنيترة فى سرعة الحال ودارت بها الغلمان يمينا وشمالا وسارت إلى المضرب

الذي فيه أخوها الغضنفر وهي تكاد أن قلبها من الفرح ينفطر ومازالت كذلك حتى دخلت عليه وأمرت الغلمان فحلوا يديه ورجليه وأمه معهم قد حضرت إذ ذاك المكان وصارت تقول سبحان الجنان المنان الذي كل يوم هو شأن وأقبلت عنيترة على أخيها الغضنفر وانكبت عليه وصارت تقبل صدره وبين عينيه وهي تقول سبحان من جامع الشتات الذي يعلم ما مضى وما هو آت الغضنفر يتعجب من ذلك غاية العجب ولا يدري ما الأمر الذي أوجب ذلك السبب وإذا بأمه قد أقبلت عليه وصارت تقبل رأسه وبين عينيه وتقول له يا ولدي إن الله تعالى رد الوديعة إلى أهلها وكانوا أحق بها وأولى بها فلما رأى أمه جعلت تفعل ذلك أمن على نفسه من شرب كأس المهالك وقال لها بلسان عربي معتبر يا ويلك أعلميني ما الخبر وأي شيء هذا الذي قد ظهر فقالت له الملكة مريم يا ولدي أتيت لأخبرك بما تقرر وذلك أنك أخو هذه الأميرة عنيترة وأبوكم عنتر كان فارس الفرسان وأبا الفوارس عند الطعان وقد ظهر ما كان قد اختفى ومضى الحقد واعتفا فقال لها ويلك يا أماه ولما لا كنت أعلمتيني من زمان وحدثتيني بما جرى من ذلك الشأن فقالت أمه يا ولدي كانت بنو عبس قد انقطعت وطلبتهم جميع العربان وفيهم طمعت وخفت أني قول لك أنك ابن عنتر فتخرج من يدي وتغلبك الأعداء وربما قلموا منك الأثر والمرضي عنهم الزمان وجمع شملهم الواحد المنان وعادوا إلى منازلهم والأوطان وخافتهم جميع العربان لحياة أختك أم الزمازم عنيترة قاهرة الشجعان وقاتلة الأبطال والأقران وقد عوضت أباها عنتر سيد الفرسان ما كان تجمع شمل العشيرة من كل جانب ومكان وأخذت حمل كسرى وجرى لك مع ماء السماء ابن عم المنذر ما جرى فعلمت أنه لا بد أن تطلبك بنو عبس وكان ظني أنك تأسر منهم من يفدوه بالمال والنفس وأعرفك بعد ذلك أنهم بنو عمك وربما أر أحد منهم يقيم عندك وما كان ظني أن فيهم ومثل هذه الأميرة عنيترة ولا أن لها في الحرب مثل هذه الصولة والمقدرة فلما أسرتك وفعلت هذه الفعال ما بقي لي صبر على إخفاء الحال فأسرعت وأتيت عندك وأعلمتك بما كان من الأحوال وأن هذه أختك الأميرة عنيترة بنت أبيك من الهيفاء قناصة الرجال وقد عادت وعمرت بلادهم التي هي العلم السعدي وأرض الشربة واجتمعت عليها الأصحاب وأتت إليها سائر الأحبة وخافت من هيبتها جميع العرب من بعد منها ومن اقترب (قال الراوي) فقالت عنيترة وحق الملك الجبار الذي يعلم ما تكنه الصدور وما تخفيه الأسرار وهو الله الواحد القهار أني ما أسرته لا بقوة ولا باقتدار لأنه والله فارس في الحرب ما عليه عيار ولكن ما ساعدني عليه إلا الأقدار حتى يتضح الخفي وتصح الأخبار (قال الراوي) فلما سمع الغضنفر كلام أمه وأخته تعجب غاية العجب وعلم أن الدهر بأهله يتقلب وفرح إذ ظهر أن بني عبس أقاربه وأن عنيترة أم الزعازع أخته وأن عنتر ابن شداد أبوه لأن اسم بني عبس كان بين العرب كبير ولا سيما بذكر عنتر بن شداد الفارس

النحرير ثم أنه قال لأمه الآن عرفت من هو أبي ومن قومي وعرابي ثم أنه أسرع إلى أخته عنيترة وقبل رأسها ويديها واستقر بذلك أ ء وقبلت الأخرى يديه وصدره وباست عارضيه ونحره وخلعت عليه في عاجل الحال وسمعت سائر الأبطال فأتاها الملك زهير ليهنيها بما صار من تلك الأحوال وكذلك خالها وعمرو ذو الكلب أتى إليها في الرجال وهناها أيضا الجماعة الذين خلصوا من الإعتقال وقد زادت البشائر وارتفع بذلك قدر بني عبس في العشائر وكانت لهم ليالي وأيام ما رأوا مثلها في سائر الأيام وكان أفرح الخلق بذلك الملكة مريم وذلك باظهار نسب ولدها وارتفاع قدره بين العرب والعجم ثم أنهم أقاموا في ذلك المنزل ثلاثة أيام وهم في أكل طعام وشرب مدام وأيامهم كأنها أضغاث أحلام مما فاض عليهم من الخير والإنعام لأنه قد تسامعت بذلك فرسان قلعة برقعيد فأتوا لأجل ملكهم الغضنفر بالخير المزيد وبعد ذلك قالت عنيترة لأخيها الغضنفر يا أخي إذا سمعت العرب أنك أخي ويشتهر ذلك الأمر ويظهر فيهم ويحسدوني وربما أن يبرز شيء من الحقود الكامنة ويكون ذلك أمرا وضيعا منكرا والرأي عندي أن تسير معي إلى ديارنا والأوطان وتكون عندي في أعظم منزلة وأعلى مكان وإذا كنا مجتمعين مع بعضنا تهابنا العربان ومعي وجه آخر وهو أن لنا ثار على قوم يسمون بني نبهان فنريد نأخذه منهم وتكشف عن أنفسنا العار ونزيل عنا الهم والشنار فقال الغضنفر هذا هو الرأي الصواب والأمر الذي يهاب وتكون كلما يدا واحدة على ما ترجوه منا المعونة والمساعدة (قال الراوي) لهذا الكلام ثم أنهما لما اتفق بينهما ذلك الرأي أقاما في هذا المنزل بقية الثلاثة أيام هما ومن معهما من الرجال الكرام وهم بنو قضاعة وبنو عبس فرسان المنايا والموت الزؤام وفي اليوم الرابع عزموا على المسير والجد والتشمير فقال الغضنفر لعنيترة يا أختاه لا بد لي من العودة إلى قلعتي لأقضي منها حاجتي وأخذ منها ما عز علي من مالي ومالا والدتي (قال الراوي) ثم أنه سار في عاجل الحال طالب قلعته وأمه ورجاله في صحبته وقد دارت به من كل مكان أرباب دولته وكبراء عشيرته وقد سار في ستة آلاف فارس ما منهم إلا كل مدرع ولابس وقد ذكرنا فيما تقدم من هذه الأقوال النفائس أنه حاكم على عشرة آلاف فارس وكان خلي في القلعة ألفين فارس لأجل حفظ أموالها والألفين الأخرى متفرقة في القرى والضياع لأجل قضاء أشغالها ولما كان ثالث يوم كان قد قضى أشغاله وحاجته وعاد طالبا أخته عنيترة كما اتفق بينهما الميعاد وكان من الأرض قدمنا أنهما خلصوا ماء السماء ابن عم الملك المنذر وزد عروة وعتيبة بن حصن سيد بني فزارة وقد خلعت عن ماء السماء خلعة سنية تساوي ألف دينار كسروية وأعطته جميع ما كان أخذه أخوها الملك الغضنفر من الجمل بتاع الملك كسرى أنوشروان الذي كان من تحت رأسه هذا السقر فانهم لما تعارفوا وشاع الخبر لم يكن له منكر ولا جاحد بلى أنه قال لها يا أختاه هو عندي

ولم ينقص منه الدرهم الواحد وان الله تعالى على ذلك وكيل وشاهد (قال الراوى) وأنه لما مضى إلى القلعة ليقضى منها اشغاله أتى بالحمل جميعه وفى صحبته أمواله ولما عزمت عنيترة هى وأخوها على المسير سيرت ابن عمها ماء السماء بذلك الحمل والمال الكثير وسيرت معه ألف فارس من بنى قضاعة وبنى عبس الرجال الاقيال ليحفظوا ما معه من تلك الاموال وسارت الاميرة عنيترة بعد ذلك طالبة أرض الحجاز ومنازل بنى عبس وصحبتها الامير الغضنفر أخوها ابن الامير عنتر وأمه تود أن تفديه بالمال و النفس و السمع والبصر وذلك لما رقع فى قلبها من الوداد والاخوة والمحبة وجعلوا قصدهم العلم السعدى وأرض الشربة (قال الناقل) المصنف لهذا الكلام وكان مسيرهم على على أرض الشام ولم يخافوا من أحد من سائر الايام لانهم قد كبرت شوكتهم وعلت كلمتهم واشتدت هيبتهم ولاسيما من حين اجتمعت عليهم هؤلاء الفرسان والتمت عليهم تلك الاقران وقد اجتمعت عليهم وحواليهم جيوش كثيرة من العربان من بنى قضاعة وبنى فزارة ومن الروم وبنى عبس وعدنان قال الناقل المرتب لهذا الديوان فبينما هم سائرون فى تلك البرارى والقفار وهم يقطعون السهول والاوعار وإذا بغبار عن يمينهم قد ثار وبعد ساعة تقطع وماره انكشف عن خمسمائة فارس كرار ما منهم إلا كل شجاع مغوار وفى مقدمتهم فارس كأنهما الاقمار وما على مثل فرسيتهم عيار فأما الاول فهو أسمر أكحل تضرب سمرته إلى الحمرة وكان الآخر أبيض أشقر كأنه من أولاد الملوك الكبار (قال الناقل) المصنف لهذه الاخبار فلما رأت عنيترة وأخوها الغضنفر إلى ذلك الجيش الجرار قالوا الواحد من الفرسان الذين بين أيديهم اكشف لنا عن هذه الاخبار وانظر لنا ما تحت هذا الغبار فان كان أصدقاء فبشراهم وان كانوا أعداء فبشرهم بدمارهم وفنائهم فسار ذلك الفارس حتى أنه التقى بتلك الفرسان وإذا بهم على رؤسهم رايات وصلبان و ملابسهم تدل على أنهم من بنى غسان ومنتصرة العربان (قال الراوى) فلما وصل إليهم ذلك الفارس من نادام هذه الابطال القناعش أخبرونى من تكونوا من العربان فانا نرى عليكم زى فرسان بنى غسان وأيضاً منتصرة العربان وأعلمكم أن هذه الفوارس المقبلة عليكم هى من فرسان بنى عبس وعدنان وفزارة وذبيان والمقدم عليهم أم الزعازع عنيترة وأخوها الغضنفر أولاد الامير عنتر بن شداد الذى كان شجاع الزمان ومقنص الشجعان والملك زهير بن الملك قيس ملك بنى عبس وعدنان (قال الراوى) فما هو إلا أن سمعت تلك الفرسان من ذلك الرجل الذى قاله من الكلام حتى أنهم نادوا عن لسان واحد وابشراه بملتقى أحباء وأصدقاء وتخبركم ها نحن فرسان بنى عبس وعدنان الكرام المعروفين بين الانام بفرسان المنايا

والموت الزؤام واخبركم عن هذين الفارسين أحدهما يسمى ياسر بن ميسرة القابس الغضنفر والثانى يسمى ليث الميدان بن مازن بن شداد ابو الامير الذى ذكره قد ملأ السهل والجبل وهو باق إلى يوم المحشر (قال الناقل) المحرر لهذا الخبر وقد كان السبب فى ذلك الأمر الذى تقرر أن عنتر لما تمسك فى مدينة دمشق عند الحارث سيد بنى غسان بحيلة الربيع بن زياد القرنان وأيضاً ابى حارثة سنان وقعد فيها مدة كبيرة من الزمان وسار الحارث بجيشه لقتال الفرس ودشاكر الخيرسان وأتى أبو الدوح ابن أخى الحارث وهجم على البلد هو ومن معه من الفرسان من أجل ابنة عمه حليمة كما قدمنا فى هذا الديوان ودخلت حليمة على عنتر هى ومن معها النسوان وأخبروه بما صار لهم من ذلك الشأن وأطلقوه هو ومن معه من بنى عمه من القيود بعدما أخذوا عليه الإيمان العهود وقتل أبو الدوح وأحيا البلد بإعطاء الامان وعاد إلى القيود والاصفاد كما كان ولما عاد الحارث سيد بنى صفان وأخبرته ابنته بذلك الشأن وبعد ذلك اصطلحوا وكان منهم ما كان وأهدى الحارث إلى عنتر الثلاث جوارى الحسان لما أراد السفر والرواح إلى الأوطان فأعطى واحدة لميسرة وأعطى لأخيه مازن الجارية الاخرى واعطى لعروة الورد الثالثة من غير تهاون ولا فترة وقد عادوا بعد ذلك راجعين إلى الأوطان وأقاموا عندهم برهة من الزمان ورزقوا منهم هذين الولدين باذن مكون الاكوان فلما قتلا ميسرة ومازن وشربا كاس الهوان ورحل عنتر إلى بحر الفرات وأقاموا فى ذلك المكان واشتهت الجوارى على عنتر أن يروحوا إلى ستهم حليمة ويزوروها لهم فمضى لها الولدان وكانوا اتربوا على صدرها صغار وبعدها قتل عنتر شرب كاس البوار وحكم عليه بذلك العزيز الجبار الذى ما لاحد من حكمه مهرب ولا فرار وأقام هذا الولدان مع أمهاتهما إلى أن صارا كبار وهم يسمعون عن بنى عبس تلك الأخبار وبعد ذلك سمعوا من بعض السفار أنه قد انتشى فى بنى عبس فارسة تسمى أم الزعازع وقد ظهرت مثل ذو الخمار وقد اجتمع عليها بنو عبس الكبار منهم والصغار فعند ذلك استأذنوا ستهم حليمه وأخاها عمرو الفارس القمقام وقد سارا فى هؤلاء الخمسمائة فارس لينظروا ما كان جرى من تلك الأخبار والنقوا فى تلك البيد والقفار فعندها سار ياسر بن ميسرة وليث الميدان حتى التقوا بعنيترة وأخيها الغضنفر شجيع الزمان وتعارفوا وكان منهم ما كان وتلقتهم عنيترة وأخوها والملك زهير ومن معهم من الفرسان بالترحيب والكرامة وأحسنوا لهم غاية الاحسان وساروا الكل طالبين أرض الشربة وعلم السعدى ومنازل بنى عدنان وما كان معها فى الطريق سوى مائة فارس ممن كان صحبها من الفرسان وأناف اليها تلك الخمسمائة فارس الذين مع ياسر وليث الميدان لاننا قدمنا فى هذا الديوان أنها خلفت فرسانها فى الحيرة عند الملك المنذر وسارت هى فى الف فارس من الاعيان لخلاص الجل فانقضى الشغل وهان ايضاً أرسلت من

كان معها من الفرسان مع ماء السماء ليحفظوا الحل من شياطين العربان وأمرت بنى عبس الذين ساروا إلى الحيرة مع ماء السماء أن يأخذوا من كان متخلفا فى الحيرة من بنى عبس وعدنان وبنى قضاعة ويسيروا بهم إلى أرض الشربة والعلم السعدى وتلك الوديان ول النائل لهذا الشأن ولما وصلت عنيترة وأخوها الغضنفر ومن معها من الفرسان تباشر بهم كل من مكان فى ذلك المكان واستأنست بهم الديار كثر فيهم الفرح والاستبشار واطمأنت المنازل بالنازل والأوطان بالقطان وشاع ذكرهم وصار إلى أهل مكان وما أقامت عنيترة وأخوها الغضنفر ومن معهم إلا الأيام قلائل حتى وصلت بنو عبس وعدنان من عند الملك المنذر ومعهم الخلع والملابس الحسان والنوق والجمال والخيل المسومة الغالية الأثمان ومن النوق العصافيرية خمسمائة نوق ببعض الألوان أرسلها الملك المنذر لعنيترة خاصة من دون الفرسان وبعضها يحمل خزا وبزا من تحف العراق وشيئا كثير لا يحصيه ديوان ومال كثير تنفقه من عندها من الشجعان وأخبروا عنيترة أن الملك المنذر عليها غضبان كيف أنها ما سارت مع ابن عمه ماء السماء وكانوا يجتمعون مع بعضهم برهة من الزمان فقالت لهم والله يا بنى عمى ما فعلت ذلك احتقاراً به ولا أردت بذلك إلا التخفيف عنه وأنى ما أريد أن آخذ على ما فعلت من جميل جزاء ومع هذا فانه قد غمرنا بجملة وأرسل لنا ما فيه الكفاية وفوق النهاية وزاد عليه بتفضيله فقال الملك زهير والله يا أم الزعازع أن المنذر أكرمنا غاية الإكرام وأقام بواجب حقنا بما نريد من الأنام وذلك كله إكراما لك ويريد أن يجازيك على فعلك معه فقالت له عنيترة والله يا ملك أن الفضل لكم على وأنتم الذين أحسنتم إلى غاية الاحسان وأنى بسيوفكم أضرب وبهيبتكم أغلب وما أضرب فارساً إلا بحسامكم وما أطعن بالرمح إلا بعزمكم ولا سيما من حين وصلنا وجاءنا أخى هذا الفارس الغضنفر الفارس الكرار والليث المغوار وهؤلاء الفارسان الاخران ابن أخى ياسر وابن عمى ليث الميدان واجتمعت علينا هذه الشجعان فلابد لنا من حين يخلى بالنا وتلتئم رجالنا أن نسير إلى أخذ الثار وكشف العار من بنى نبهان اللئام الفجار فشكرها الحاضرون وزهير بن قيس على كلامها وقوة قلبها وحسن اهتمامها وأقامت بنو عبس ومن اجتمع عليها فى اصطناع الولائم وقد رتع فى تلك الخيرات القاعد القائم وقد خافتهم جميع العرب من بعد منها ومن اقترب وعاد عزهم أعظم ما كان وأخلف عليهم الزمان أقوى من حاميتهم عنتر بن شداد الذى كان قاهر الأقران وقد صارت بيوت قراد أحسن ما كانت فى أول الزمان لأنه انضاف إلى بيوت عنيترة أخوها الغضنفر بمن معه من الفرسان وأيضا ياسر بن ميسرة وابن عمه ليث الميدان ومن قدمعهم من بنى غسان . وكذلك عمهم جرير وابن عمهم الخذروف وأيضاً زخمة الجواد أخو شداد ... بن اليمن بنى مقرى الوحش ليث الطراد وزايد بن عروة والأمير عمرو

ذي الكلب وأحته الهيفاء قناصة الرجال وكان قد انتشى لغصوب بن عنتر في بنى قضاعة ولد لما غصب من عدوه وسار طالب مكة وجرى له مع أبيه ما جرى وانتشى ذلك الولد وبقى لرسالقسور وانضاف إلى عنيترة وإلى أخيها الغضنفر وكان فارسا شديدا يسمى أسيد (قال الراوى) وكان أيضا قد ظهر الغضنفر من زوجته ولدا وكان اسمه الديال وكان يعد في الحرف بألف فارس من الأبطال وكان الآخر قد انضاف إليهم على ذلك المثال وكان كل واحد من هؤلاء الذين ذكرناهم من الأهل والأقارب يحكم على رجال وأبطال وله خيام ومضارب ونوق وجمال ونعم وأموال وخيول وجنائب وأما بنو زهير فإنهم ما بقى منهم سوى زهير بن قيس وبعض أعمامه الكبار وكانت عنيترة توقره غاية الوقار وما تعده إلا من جملة الملوك الكبار مثل ما كان أبوها عنتر يعمل مع الملك قيس فإنه كما ذكرنا كان عنده جليل المقدار وأما بنو زياد فإنهم انقطعوا من بنى عبس وبعد فيهم حكم رب العباد لأن عنتر لما قتل الربيع ابن زياد وأخاه عمارة القواد وأذل بهم الذل والخسارة ورحل إلى بحر الفرات وأقام هناك على ما قدمناه من تلك العبارة أنزل الله بعد رحيله على بنى زياد الهلاك والفناء والذى تبقى منهم انقطع يوم وقعة بنى عبس وحل بهم الارتباك (وذكر الأصمعى) مصنف هذا الكلام أنه لم يبق منهم ولا تخلف منهم غير الشمر بن زياد الذى قتل سيدنا الحسين بن على بن أبى طالب في أرض كربلاء وذلك بأمر رب المشارق والمغارب وكانت قد سبقت فيه دعوة رسول الله ﷺ لأنه دعا عليه بالعطش والظمأ فصار كل يوم يشرب عشر مرات من الماء ولا يروى حتى انقطعت بطنه ومات وذلك بدعوة رسول الله ﷺ سيد السادات ونرجع إلى ما كنا من الكلام وأقامت عنيترة حامية ديار بنى عبس هى وأخوها مثل ما كان أبوها عنتر وقد هابتها سائر العربان وخافت من بأسها سائر الأقران (قال الأصمعى) راوى هذا الديوان فهذا ما جرى من الأمر والشأن وأما ما كان من الأمير قيس بن الملك زهير وإخوته فإنهم قد دخلوا إلى الصومعة وعملوا رهبانا لأننا قد ذكرنا أنه لما مات عنتر وانتهم العرب من كل سهل ووعر وجرى عليهم من ذلك الأمر المنكر ومحى شأنهم واندثر وانقطع منهم الأثر أخذ قيس ابنته الجانة على كفل جواده داحس وسار بها أياما حتى وصل إلى بحر الفرات فارمى روحه فيه وهو من الحياة آيس فقطع به الجواد البحر وقد أمل النجاة فوقعت ابنته من خلفه فغرقت وماتت موت الفجاة ونجا قيس وطلع من البحر وركب على ظهر جواده وسار هائما على وجهه وآيس من بلوغ مراده إلى أن وصل إلى الصومعة التى ذكرناها وقتل الراهب وقد سكن موضعه وصار من الأمر ما قدمناه وبقى مدة من الزمان وقد طالت نوبته (قال الراوى) فبينما هو قاعد إذ قد أتى إليه ثلاثة من إخوته وقد خافوا على أنفسهم من الموت لما رأوا إلى بنى عبس قد انقطعوا وفات فيهم الفوت وقصدوا إلى تلك الصومعة وهم يظنون أن فيها أحد.

من الرهبان وهو مقيم فيها من قديم الزمان فارمتهم المقادير على أخيهم قيس فلما عرفوه وعرفهم عولوا على الاقامة فى ذلك المكان وكادوا أن يخرجوا من عقولهم من حسن هذا الاتفاق الذى لم يسمع بمثله فى سائر الآفاق وكانوا الثلاثة الذين قدموا على قيس من أخوته أحمر ا عنهم من ذكر هذا القول بالتحرير أنهم كانوا ورقة ونوفل وكثيرا فأقاموا عند أخيهم جملة من الأعوام وقد أمنوا من حوادث الليالى والأيام وهم فى تلك البرارى والآكام وكانت مدة أقامتهم عشر أعوام إلى أن بلغهم ما جرى لبنى عبس وعدنان وكيف عادت دولتهم مثل ما كانوا فى أول الزمان وقد خافتهم سائر العربان وقد انتشى فيهم فارسة ما تهاب الموت الأحمر يقال لها عنيترة بنت عنتر وأمها الهيفاء قناصه الرجال أخت عمرو ذو الكلاب سيد بنى قضاعة وقد أطاعت عنيترة سائر القبائل بالسمع والطاعة وساروا نازلين فى أرض الشربة والعلم السعدى ومن الهيبة التى لها فى قلوب الناس لم يكن أحد على أحد متعدى وزهير بن قيس حاكم على ألف وخمسمائة إنسان وهم من بنى عبس وفزارة وبنى عطفان وعنيترة وخالها وأخوها الغضنفر قد صاروا فى عشرة آلاف فارس وأكثرهم اليوم فى أمان واطمئنان هابت بنو عبس وبنو قضاعة سائر العربان (قال حازم المكى) ناقل هذا الديوان ولما تحقق قيس واخوته ذلك الكلام من السمار والعابرين بهم فى الليل والنهار ممن يهدون لهم الهدايا ويقربوا لهم القربان وهم يعتقدون أنهم رهبان واتضح ذلك القول والبرهان فقال قيس لاخوته ما عندكم من الرأى الرشيد فقالوا له أنت أحق منا بالقول السديد والأمر الحميد والعرب تستديك قيس الرأى فافعل ما تريد (قال الراوى) فلما سمع كلام اخوته وعلم ما اتفقوا عليه من اتباع مشورته قال لهم أن الرأى أن تسير وتطلب أرض الشربة والعلم السعدى وانى الزمان يكون قد غير الأحوال فقالوا له اخوته نعم ما ذكرت والصواب ما به أشرت قال الراوى وكانت خيولهم سائبة فى تلك الأرض عندهم كل هذا الزمان تأكل من ذلك الأودية وتشرب من تلك الغدران وقد كانوا اكلهم فما كان لهم دأب إلا أنهم شدوا على خيولهم وأخفوا أحوالهم والأمور التى يعرفوها وساروا طالبين ديارهم وأطلالهم وهم يتأسفون على ما جرى فى أموالهم وعيالهم (قال الراوى) أنهم لم يزالوا يقطعون البرارى والقيعان حتى أرمتهم المقادير على أرض بنى نبهان وكان جوازهم عليها فى جوف الليل فكروا عند ذلك من تحت الخيل فأصبح صبحهم على أطراف بلادهم وتحققهم الرعيان وكانت سائر قبائل العرب تعرف فرسان بنى عبس عبيدها وصناديدها وتعرف أوباشها من أماجيدها إلا أنها كانت طائفة قليلة وأعوادها كثيرة وقد فعلوا بهم ما فعلوا فى تلك الوقعات الكبار ولا سيما الملك قيس بن زهير وإخوته وما فعلوا فى العرب فى أيام عنتر وشجاعته فقام عليهم العائط من الرعيان وتجمعت خلفهم عبيد بنى نبهان وداروا حواليهم من كل ناحية

ومكان وقد تبع قيس وأخوته أوفى من ثلثمائة عبد من العبيد لشداد فونف قيس وفتيانه المعروفة ووقعت أخوته وتجالدوا أشد جلاد وقال لهم يا بنى أبى موتوا كراما ولا تموتوا لئام فانا لا بدلنا من ضرب الحسام فقال له أخوه نوفل نعم ماقلت يا أخى من هذا الكلام (قال الراوى) ثم أنهم أكبوا رؤسهم فى قرابيص سروجهم وحملوا على العبيد وحملت العبيد عليهم وهؤلاء فرسان بنى عبس الأماجيد وليوثها الصناديد وهؤلاء الذين التقوا بهم على كل حال رعيان وعبيد فما كان الاساعة حتى أرمو منهم تسعين عبد على الصعيد وقد تثر رهم فى الميدان ومددوهم على الصحصحار وقد سالت الدماء من السيوف وتناهلوا كاسات الحتوف وبان كل بطل موصوف (قال الراوى) وكان قيس وأخوته كما قدمنا من شجعان العرب وقد قدمنا ذكر قيس وما جرى له يوم الجبلين مع معديكرب فقتل هو واخوته فى تلك الساعة أكثر من نصف وأيسلوا بهم العطب وقد عول الباقون على الفرار والهرب يطلبون لأنفسهم النجاة فى ذلك البر والسبسب (قال الراوى) وإذا بالغبار قد علا من ناحية بنى نبهان بعد ساعة وبانت من تحته الفرسان وقد ظهرت الشجعان وكانوا أوفى من ثلاثة الاف هند وقد أتوا إلى قتل الملك قيس بن زهير وأخوته ليعدموا كلا منهم مهجته لأن العبيد مضوا فى عاجل الحال وأعموا السادات بذلك الشأن فركبت فى الوقت والساعة فرسان بنى نبهان وطلبوهم فى تلك البرارى والكثبان (قال الراوى) هذا الديوان ولما رأى قيس وأخوته ما أتاهم من فرسان العرب قال لهم يا بنى أبى أطلبوا بنا الهرب والا متنا موت الهجا وحل بنا العطب فقال ورقة نعم ماقلت يا أخى من هذا الرأى الصائب ثم أنهم ألووا رؤس خيولهم وطلبوا النجاة فى ذلك البر والسبسب ولما رأنهم فرسان بنى نبهان وقد فعلوا تلك الفعال أخذوا عليهم سائر الطرقات وطلبوهم من جميع الجهات فلحقوا منهم نوفلا وتكاثروا عليه فقتلوه وأحلوا به التدمير (قال الراوى) وأما قيس فكان تحته داحس وقد ذكرنا فيما مضى من حديث هذا الجواد ما كان فيه من الأمور النفائس فطار بقيس فى ذلك البر والتلال وطلبته الخيل من اليمين والشمال فما لحقوا منه إلا الغبار ونجا بقيس وتبطن فى تلك البرارى والقفار وطلب ناحية البحر الاعظم وقد خاف قيس على نفسه من الهلاك والعدم وما زال كذلك وهو قدامهم وهم وراءه حتى أرمى روحه فى بحر الفرات هو وجواده داحس ففرقوا الاثنين وحان عليهم الحين قال الراوى هذا وبنو نبهان لما عاينت ذلك الحال ورأوا ما فعل قيس من تلك الفعال وانه أرمى روحه فى البحر وغرق شرب كاس الوبال ولا رضى بمن يحكم فيه وينزل به الاذلال قالوا لبعضهم يا لك من فارس من بين الفرسان اخترت الموت على الذل والهوان ثم أنهم جعوا منه نادمين وفيما فعلوا خاسرين ومنهم من بكى عليه ولاموا أنفسهم بما اساؤا عليه (قال الراوى) فهذا ما كان من قيس وما جرى له وأما ما كان ورقة أخيه

وأحواله فإنه لما اشتغل عنه بنو نبهان فى اتباعهم لقيس فى تلك البرارى والقيعان وتبلهم لأخيه نوفل فنجا بنفسه وقد اشتغلت عنه الخيل ومازال ساريا بجواده إلى أن دخل عليه الليل وكان هذا الجواد التى تحته معدوم المثال فى الخيل وكان الحق سبحانه وتعالى قد أسكن القوى والحيل ولما أنه أقبل عليه سار طول ليله إلى أن أصبح عليه الصباح وقد أيقن أنه نجا بنفسه من ذلك الأمر العامر فرأى روحه قد قارب ديار بنى عامر فتحايد عن الطريق وسار فى أودية وأوعار إلى أن صار آخر النهار ونزل على بعض الغدران وأراح واستراح إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركب جواده وسار طالبا الالسعدى وأرض الشربة وهو مشتاق إلى من الأهل والأحبة وقد أنكبه الدهر فى إخوته أى نكبة (قال الراوى) ومازال سائرا إلى أن اقبل على الديار والأوطان وبانت له المضارب والخيام والغدران فتهاطلت دموعه على خديه مثل الجمان ومازال كذلك إلى أن شق بجواده بين المضارب والخيام وكان ذلك بعد ثمانية عشر من الأيام فتبادر إليه أهل الحلة وعرفوه بالصياح والزعاق وانهملت الدموع من الآماق وتبادرت إلى صوت وقفة الرجال وأقبلت عليه الأبطال ووصل الخبر إلى الملك زهير بن قيس فخرج للقائه ماشيا على رجليه وقد كاد من الفرح أن يغشى عليه ومازال إلى أن التقى عمه ورقه وهو لا يصدق أن ذلك الأمر صدق ولا يؤمل أنه يراه حقا ولما رآه ورقة ترجل إليه واعتنقه وضمه إلى صدره وسلم عليه وصار يقبله فى عارضه ونحره وبين عينيه وأقبلت أيضا عنيترة وأخوها الغضنفر وحالطاعر ذو الكلب الأمير وأقبل أيضا جرير وابن أخيه الخذروف وكل منهم على لقاء ورقة ملهوف وصار الناس متعجبين من هذا الأمر وهم وقوف فسلمت عنيترة على ورقة غاية السلام وتبادر إليه جرير والخذروف وسلما عليه وساروا مع جملة الناس وجعلوا يتذاكرون ما مضى وقد تباكوا ما جرى عليهم وحكم به القدر والقضاء ولما انتهوا إلى السلام انعزل كل خل بحله وقد سار الملك زهير ومعه عمه ورقة وقد كاد قلبه من فرحه يطير وينفطر كذلك الأميرة عنيترة بنت عنتر وأخوها الملك الغضنفر وعمها جرير وابن عمها الخذروف وسبيع اليمن بن مقرى الوحش وزيد بن عروة وعتيبة ابن حصن ووجوه القبيلة ومازالوا كذلك إلى أن وصلوا إلى مضرب الملك زهير وجلسوا للحديث والكلام بعد ما فرغوا من بعضهم من السلام وقد جعل ورقة يحكى لزهير ولمن حضر ما جرى له وما عليه قد تم من هذا الأمر المنكر وعلى إخوته من بنى نبهان وكيف مات أخاه نوفل وكثير وقد أخبرهم كيف غرق قيس وجواده وابنته فى النهر والله أعلم (قال الراوى) فلما سمع زهير كلام عمه ورقة بكى بكاء شديدا وبكت الجماعة الحاضرين بكاء شديد ما عليه من زيد فقالت له عنيترة ما بالك أيها الملك تبكى لا أبكى الله لك عينا ولا أشمت بك إنسان وكيف تبكى يا ملك الزمان وحولك هنا رجال مثل العقبان وكل فارس منا يقوم

بجماعة من العربان فدع عنك البكاء والأنين والاشتكاء وسر بنا إلى بني نبهان لنقلع آثارهم ونخرب ديارهم ونزل بهم الذل والهوان ونأخذ منهم بثار أبيك وأعمامك وأيضا ثار أبي سيد الفرسان وأخلي ديارهم مثل أمس مضى وكان ونفعل بهم ذلك وحرمة الملك الديان المنان الذي لا يشغله شأن عن شأن (قال الراوي) ثم ان عنيترة التفتت إلى أخيها الغضنفر حوله من الفرسان وإلى خالها عمرو وذو الكلب ومن تحت يده من الشجعان وقالت لهم خذوا أهبتكم حتى أننا نسير للحرب والقتال ونأخذ ثارنا من بني نبهان ثم قالت لهم كل منكم يسوي رجاله ويوصي أبطاله ثم أنها الأخرى صرخت في بني عبس وبني فزارة وكان قد التم منهم جماعة كثيرة وساروا من تحت يد عمها زحمة الجواد وقالت الخيل يا أرباب الخيل ارفعوا عن أنفسكم ما حل بكم من الويل (قال الراوي) فركبت بنو عبس لوقتها وساعتها وصرخت أيضا فيمن تحت يدها من الفرسان وقالت لهم خذوا أهبتكم وكذلك قالت للملك زهير قم يا ملك وأزل عن قلبك بأخذ ثارك وما قد اعتراك من الهم والضير فقام الملك زهير قائما على الأقدام لما سمع منها ما أبدته من ذلك الكلام وقدموا له الجواد النوبة والعبيد والخدم فركب وركبت لركوبه سائر الفرسان ومن قد اجتمع عليهم من قبائل العربان وكانوا خفيفين الظهر متأهبين لهذا الشأن ولم يأخذهم من ذلك اهمال ولا توان وساروا في عاجل الحال طالبين أرض بني نبهان وهي يحرقه التلاف تقول لابد ما أشتت شملهم في الفلا وحرمة العلي الأعلى (قال الراوي) ثم سارت القبائل تتبع بعضها بعض أطلاب أطلاب وهم بنو عبس وبنو قضاعة ومن يليهم من الاعراب وتبعهم أيضا بني فزارة وكان قد اجتمع عليهم ألف وخمسمائة فارس عن لهم من الخلان والأصحاب وكذلك المنصرين الذين أتوا مع الغضنفر وهو سائر بين أيديهم كأنه الأسد القسور وقد كملت عدتهم اثنى عشر ألف فارس وقد كانوا بالأمس ألفين فارس أعيان لأن عدة من كان قد اجتمع عليهم من بني عبس وعدنان ألفا فارس أعيان من كانوا قد اجتمعوا في الجبال وسكنوا في الأودية الخوال (قال الراوي) وقد ذكرنا أن الغضنفر قد أتى في أربعة آلاف وعنيترة وخالها عمرو وذو الكلب من بني قضاعة في أربعة آلاف فارس أنجاب وانضاف عليهم من بني فزارة الخلفاء والأصحاب ستة آلاف وأكثرهم من القرائب والأحباب فصاروا في ذلك اليوم أربعة عشر ألف فارس انجاب وقد قدمنا في هذه الأقوال النفائس أن بني عبس كان عدتهم في زمان عنتر أربعة آلاف فارس فولا قد زاد بهم الأمر عن حد القياس وقد زاد في قلوبهم لهيب النار لأخذ الثار ولأجل أن يخمدوا منهم الانفاس فساروا يقطعون البراري والقفار والقيعان طالبين ديار بني نبهان ليحلوا بهم الذل والهوان ويكشفوا عن أنفسهم العار والذل والشنار (قال الراوي) لهذه الأخبار فبينما هم سائرون على ذلك المسار وهم يقطعون المناهل في الليل والنهار ولا يقر لهم قرار إلى أن كان يوم

من بعض الأيام وإذا قد ثار من بين أيديهم غبار وقتام ساعة وقد انكشف ذلك الظلام وبان من تحت ألف فارس كأنهم الأسود العوابس وبين أيديهم هودج عال والرهج من كثرة الذهب الذي عليه يتلألا وهو مقبل بين يدي تلك الأبطال السائرين على عجل طالبين أرض الحجاز من غير مهل وكان إقباله من ناحية أرض الشام وتلك الفرسان محتاطون به في ذلك البر والآكام (قال الراوي) لهذا الكلام العجيب فلما رأت فرسان بني عبس إلى ذلك الحال وإلى تلك الفرسان المقبلة وما معهم من المال قالت الأميرة عنيترة لابن أخيها ياسر وابن عمها ليث الميدان أن انظروا ما هؤلاء الفرسان فاني أراهم مقبلين من أرض الشام وتلك الفرسان من بني غسان فعند ذلك سارا كما أمرتهما إلى أن قارباتلك الفرسان وتبينوهم فعرفوهم وإذاهم من منتصرة العربان والراكبة التي في تلك الهودج هي الست حليمة بنت الحارث والوهاب وبين أياديها خدمها ورجالها وجماعة من الأصحاب فلما رآهما في عاجل الحال ترجلا عن خيولهما وقبلا بين أياديها الأرض والمهاد وكان قد تبعهما جماعة من الرجال فلما رأوهما قد فعلا تلك الفعال عاد الرجال إلى عنيتره وأخيها الغضنفر وأخبرهما بذلك الحال فعند ذلك سارت عنيترة والغضنفر في مقدمة الرجال والتقيا ببعضهم البعض فرأهم قد أبركوا الجمل الذي عليه الهودج ونزلت الست حليمة إلى وجه الأرض فعند ذلك ترجلت إليها عنيترة هي وأخوها الغضنفر ولما رأو عليها من جلالة القدر وحسن المنظر وقد انذهل من رؤيتها كل من حضر وقد تلقتهم بالبكاء والنحيب وأكثرت من الصراخ والعديد حتى انزعج كل من كان حولها من الفرسان الاماجيد (قال الراوي) فتقدمت الأميره عنيترة واعتنقها وجعلت تردها عن البكاء والاعوال وتسألها عما جرى لها من تلك الأحوال التي هو سبب ذلك النحيب والاعوال ثم أنها أمرت بنزول الجيوش فنصبت الخيام حتى يأخذالهم راحة في ذلك المقام ونصب أيضا رجال الملكة حليمة لها سرادقا من الحرير مرموقا بفصوص الجواهر ولما نزلوا واستقر بهم القرار بدأت تحدثهم بما كان لها من الكلام (قال الراوي) وقد كان السبب الذي أوجبت تلك الأحوال وأتى بهذه الملكة حليمة إلى ههنا بحالة الإذلال بعد ما كانت بغاية العز والأمان هو أن الست حليمه وأخاها عمر ولما ولاهما عنتر وكان قد سار كما ذكرنا إلى جانب الفرات وأعلم ما فعل معهم من ذلك الأمر قد أقاما بعده من تحت يد الملك قيصر على هذه الأحكام مدة هذه الأعوام إلى أن كان في بعض الأيام فبينما هما في غفلة مما تحدثه الليالي والأيام وإذا قد بلغهما الخبر أنه قد ظهر من البحر جيوش بعدد الرمل وقطر المطر وإنهم قادمون على أرض دمشق وما بينهما من الأقاليم والأحكام ولهم ملك ما رأى أحد مثله في سائر الانام وقد قتل الرجال وأباد الأبطال وخرب الديار والأطلال ونهب ما ادخرته الملوك من الأموال وفعل فعلا لم يفعله قبله أحد

من الملوك ولا من الأبطال وقد نقلوا عنه أنه جبار عنيد وشيطان مريد لا يهاب الرجال ولا يخشى من الأبطال فى يوم الحرب والمجال (قال الراوى) لهذا الكلام فلما سمع الغضنفر كلامها وما حدثته من مرامها طار من عينيه الشرار وقال لها اى شىء دين هذا الملك أما يعبد الصليب ويشد الزنار فقالت يا مولاى هو على دين المسيح بن مريم ويعرف قدر الإنجيل المعظم فقال أما وما السبب الموجب لقتاله فى أهل دينه حتى أحل بهم المهالك فقالت يا مولاى وحق المسيح ما نعلم بذلك وهذا الذى سمعنا به من أحواله وما وصل إلينا أعلمناك به وأطلعناك عليه وقد ذكروا لنا عنه أيضاً أن له عند عرب الحجاز ثاراً يريد أن يستوفيه وكذلك له عند قيصر ملك الروم يريد أن يقضيه (قال الراوى) فلما فرغت من كلامها وفهم الغضنفر مرامها أشار إلى بنى عمه وجميع مقدمى الجيوش وقال لهم يا بنى العم ما ترون فى هذا الأمر المنكر والحال الذى قد ظهر فقالت عنيترة وجميع من حضر يا أمير الرأى عندنا أننا نسير إلى هذا العدو وظامية ونكفى الناس شره وما يأتى منه من ضرر فإذا أمنا من شره وذواهيه عدنا إلى إلى الأمر الذى كنا فيه وعزمنا على أخذ ثارنا عارنا فقالت عنيترة يا أخى وحق ذمة العرب هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب وإن لم نفعل هذا الأمر فى الأول وإلا انقلبت علينا الأعداء وقصدوا الأمر نجدنا وإنا ويشغلوا خواطرنا وأسرارنا وتصير العرب جميعاً مع الأعداء علينا وينفتح باب ما نقدر أن نسده ولا نعلم بعد ذلك ما نلتقى وما يحدثه فينا الدهر فاستصوب جميع الحاضرين هذا الرأى وباتوا تلك الليلة وهم عازمون على المسير إلى دمشق الشام ويلقوا هذا العدو الذى هو الجوفران بن الملك كوبرت ملك جزيرة الكافور وتلك البلدان ولما فرقوا من ذلك الكلام بذل الملك الغضنفر للملكة حليمة ومن معها غاية الإكرام وردها على أعلى مقام وتولى خدمتها تلك الليلة ياسر بن ميسرة وليث الميدان وتذاكر جميلها وما لها عندهما من الاحسان (قال الراوى) حتى لما أصبح الله بالصباح وبان لهم الضوء من الشرق ولاح أمر الغضنفر أن ينادى المنادى بالرحيل وأن يعتدوا بآلة الحرب التحويل فرحل جميع الجيوش طالبين بلاد الشام ونشرت على رؤسهم الرايات والأعلام على رؤس السادات والفرسان الكرام ونشرت على رأس الملك زهير بن قيس راية أبيه العقاب وكانت الراية أخذتها عنيترة من بنى عامر لما وقع لبنى عبس ما وقع مع القبائل والأعراب فأوصلها عامر بن الطفيل إليهم فى جملة المال الذى كان أنفذه مع كوكب مع ما كان عليه كما قدمنا ورفعوا حليمة إلى هودجها بعدما طيبوا قلبها ووعدوها بانكسار العدو عن بلدها وتسليم غنائمها إليها وسار الجيش وفى المقدمة عنيترة بنت عنتر وخالها عمرو ذو الكلاب وياسر بن ميسرة وليث الميدان الآخر وفى القلب الملك زهير وفى الميسرة الملك الغضنفر وسادات بنى عبس وفى الميمنة أسد بن غصوب والملك الغضنفر

يترنم وينشد ويقول :

ساعد للحدثان طعنا وأعد للأعداء عدا أنا لى حسام قد قد
البيض والأبدان قدا وعلمت أنى من بنى عبس الكرام أبا وجد
قوم إذا لبسوا الحديد تراهموا كالنار وقدا كل امرىء يجرى إلى
يوم الهياج بما استعدا لما رأيت الصارخات يصحن باذ الهزم شدا
وأتت حليمة كالبدر التمام ذا تبدى وبدت محاسنها التى
قد جوزت للحسن حدا لما رأيت نساءنا يمددن الأحزان شد
ما إن جزعت ولا هلعت ولا يرد بكاى زندا أفى فناء الذاهبين
وأعد الأعداء عدا ذهب الذين أحبهم وبقيت مثل السيف فردا

ليس الجمال بمئزر فاعلم وإن رديت بردا
إن الجمال معادن ومناقب أورثن مجدا

(قال الراوى) المصنف لهذه المقالات وكان الغضنفر وكان ينشد هذه الأبيات والخذروف بين يديه يبكيان بغزير العبادات ويظهران أكبر الحسرات فقال لهما الغضنفر لأى شىء تبكيان لا أبكى الله لكما عينا فقال جرير وحق ذمة العرب يا ابن الأخ ما بكائى إلا أنى تذكرت أبيك عنتر ونحن سائرون قدامه طالبين دمشق وعندك شيبوب فى صحبتنا وأخى عنتر ندامنا ينشد أبياتا تقارب هذه الأبيات فوحق عالم الخفيات العالم بما مضى وبما هو آت أبكانى أسمع أباك وهو ينشد هذا الكلام وهذا الشعر فى النظام وكأنك ما خلعت من أبيك شيئا من خلقه هذا الأمر الذى جرى فى خاطرى وأجرى دموعى بماجرى وفصح الجميع من حولهم بالبكاء والعويل وقد تذكروا ما جرى على بنى عبس من الويل والتنكيد والتعذيب الطويل (قال الراوى) لهذه الأخبار ولم يزالوا سائرين الليل والنهار وهم على ما هم عليه من قطع الأودية والقفار والسهول والأوعار إلى أن أشرفوا على غوطة دمشق وتلك الديار وكان دخولهم فى النهار فلما رأوا إلى الدوهر فى وسط البساتين قال الغضنفر لجرير هذه البساتين تمنعنا عن المجال وترد الناس عن الوصول إلى هؤلاء الأنذال فقال لهم الخذروف اتبعوا أثرى حتى أقطع بكم هذه البساتين بالرمان وأرميكم على الأعداء فى أرض خالية من الأشجار الطوال فقال له جرير افعل هذا فانه الصواب والأمر الذى لا يعاب ثم أنهم ساروا خلف الخذروف طول الليل فى ذلك المدا فما طلعت الشمس إلا وقد صاروا من غربى الأعداء (قال الراوى) وطلع الغبار الذى ظللهم حتى أظلمت منه الأقطار وصارت الافرنج طالبة الغبار والقتال وقد ظنوا أن بعض ملوك الافرنج قد وصل اليهم من بعض جزائر البحار (قال الراوى) فلما وقعت العين وصحت الأخبار ونظرت الافرنج إلى قلة جيش العرب وهم فى تلك

البيداء وقد تف قوا[ف] قطعت فيهم وحلت حملة الحنق فالتقتهم العرب بقلوب جريئة من غير فزع ولا قلق وتصادموا بالسيوف والرماح والدرق حتى فاض الدم من الأجساد وانهرق وانطبقت عليهم الافرنج مثل انطباق البحر إذا اندفق وماجت الجيوش فى بعضها البعض حتى ساروا مثل البحار الزواخر وانعقدت على رؤسهم الزوابع والغبار (قال الراوى) ونادى الغضنفر فى عشائره اجملوا الطعن والضرب من كل جانب فاصدمت الفرسان والمواكب وخاضت الشجعان فى الكتائب وطارت الرؤس عن المناكب وحميت عنيترة فى ذلك اليوم وأظهرت العجائب وحمل من خلفها ياسر بن ميسرة وليث الميدان والديال بن العضبان وسبيع اليمن بن مقرى الوحش شجاع الزمان وعمرو ذو الكلاب ودريد بن الصمة شيخ مشايخ العربان ودثار بن روق وخفاف بن ندبة فتى الفتيان وكذلك فعل الملك زهير بن قيس فى ذلك اليوم فعلا يحير الأعيان وصاحت الافراد وصرخت الفرسان وبربرت الشجعان وطلع الغبار إلى العنان وتعبت الخيل من كثرة الجولان وحميت على بعضها بعض تلك الطوائف المختلفه والجموع التى هى غير مؤلفة (قال الراوى) وكانت بنو عبس قد داخلهم من كثرة الجموع القلق ولمع حسام الموت على رؤسهم وبرق وتقطعت الأكباد وتمزقت القلوب من كثرة الجزع وضاق بهم البر المتسع وصاح الصائح فلم يسمع (قال الراوى) لهذا الديوان هذا وقد نظر الغضنفر إلى كثرة الجيوش وازدحام الكتائب والعصائر فصار يضرب ضربا يرده الدروع ولا المغفر ولا تقية الزرديات ولا العدد ولا يخاف الموت إذا ورد ويطعن شجاع قادر يخرق به الزرد فتركهم كلهم مطروحين على الأرض مثل العمد وصارت الرجال بين يديه مثل الغنم وعمل فى ذلك اليوم عملا يحير الالباب والاذهان مع فرسان الحجاز والشجعان (قال الراوى) ولولا أن عشائر الافرنج كثيرة وإلا كانت كسرتها عشائر العرب وأحلت بها الدمار والعطب وكان هذا القتال كله والملك الجوفران واقف تحت الاعلام والصلبان كأنه شيطان من شياطين الجان وهو يقول وحق المسيح أن فرسان الحجاز هم ليوث الميدان وأبطال الزمان ولا بد أن برز غدا إليهم وآخذ فرسانهم وأفرشجعانهم وإلا فما أبلغ منهم مراد ولا تقع هيبتى فى قلوب العباد (قال الراوى) وكان جيش بنى عبس ثمانية آلاف وعشائر الملك الجوفران اثنين وستين ألف لأنه كان قد فرق عشائره على القلاع والحصون وأيضا سير ثلاثين ألف إلى انطاكية فساروا فى أسرع ما يكون وكان المقدم عليهم بطريق من بطارقة الافرنج وهو جسم وسيم كأنه الفيل العظيم وكان الذى تبقى عند الجوفران على حصار دمشق هؤلاء الاثنين ألف فارس ما منهم إلا كل مدرع ولابس وذلك لعلمه أن ما فى البلد من بلغاء ولا له عدو يقصده ولا يطالب ملتقاه وأنه هو قاصد الأعداء ويريد أن يحل بهم الردى وما كان يقول أن عرب الحجاز تقدم عليه ولا تسير بهذه العشائر إليه (قال

الراوى) ويحارب الطائفتان فى تلك البطاح إلى أن أقبل عليهم الظلام وهم على ما هم عليه من الحرب والكفاح وانفصلوا الطائفتان وتباعدوا عن بعضهم الفريقان ونزلوا إلى الميدان لراحة الأبدان إلى أن بزق الصباح وبان وأشرق نوره ولاح على الكثبان فتقدموا عند ذلك إلى الميدان يطلبون الحرب والكفاح راكبين على صهوات الجرد القداح وهم متقلدون بالسيوف ومعتقلون بالرماح قال الراوى هذا والصياح فى البلد قد علا حتى بلغ إلى وسيع الفلا وصاروا يدعون للعرب بالنصر والحما ويطلبون لهم الظفر من رب الأرض والسما فلم تكن إلا ساعة ودقت فى عساكر الافرنج النفرات وعلت بينهم الضجات وقد أخذتهم الفرحات والمسرات وركب الملك الجوفران ونشرت على رأسه الرايات والصلبان وتقدمت بين يديه الفرسان (قال الراوى) ولما اعتدلت الصفوف وترتبت المئات والالوف برز من عشائر الافرنج فارس فى الحديد غاطس راكب على جواد باق كبير الحدق له بين الخيول لزى وورونق متقلد بسيف أبتر نوره يأخذ بالبصر وهو معتقل بقنطارية خلنجية ثم أنه سار على ذلك الجواد الموصوف حتى بقى بين الصفوف وأشار بيديه يطلب البراز ويسأل الانجاز فما استتم كلامه وما أشار به من مرامة إلا وقد برز إليه ياسر بن ميسرة وله همهمة قوة ومقدرة وهو راكب على جواد أجرد متقلد بسيف مهند ومعتقل برمح أسمر من عمل سمهر ثم أنه جال بجواده حتى صار مع الافرنجى فى الميدان وقاربه حتى سار الحصان فعند ذلك وقف ياسر وأنشد يقول هذه الأبيات :

سل السيوف وخوض الصفوف . وقرب الحتوف وضرب القلل
ونقع العجاجة فى الخافقين . تريك المنايا برؤس الاسل
ألذ واشهى من الغانيات وشرب المدامه يوم الظلل

(قال الأصمعى) ثم أن ياسر حمل على الافرنجى حملة جبار لا يبقى ولا يذر وكذلك الافرنجى التقاه بقلب أقوى من تيار البحر إذا زخر وتطاعنا بالرماح حتى تكسرت وتضاربا بالسيوف حتى تثلمت وأخذ فى الحرب الشديد والقتال العنيد وأبدعا فى الكر والفر والهزل والجد والأخذ والرد والبعد والقرب والملاصقة والموافقة والمطابقة حتى قل من الافرنجى الحيل وضعف عن خصمه وحل به الويل فعند ذلك أطبق عليه ياسر وضربه بالسيف على عاتقه أطلعه يلمع من علائقه وقد انهد أساسه وخمدت أنفاسه قال الراوى فعند ذلك برز إليه أخو المقتول فما أمهله ولا تركه يجول حتى سعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره ثم أنه وقف بالميدان ونادى يامعاشر الافرنج من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما أن خفى أنا أعرفه بنفسى أنا يا ميسرة الفتى القسور صاحب الهمة والمقدرة فابرزوا إلى فرسانكم المذكورة وشجعانكم المشهورة (قال الراوى) فلما سمعوا منه ذلك الكلام لم يمهلوا دون أن برز إليه

فارس وهو لابس درعا حديدو هو كانه قصر مشيد فأمهله ياسر يجول حتى تركه على الأرض يجدول وقد ضربه على هامه أرمى رأسه قدامه ثم أنه طالب البراز وسأل الانجاز فبرز إليه رابع فقتله وخامس فجندله والسادس أهواه والسابع أرداه والثامن عجل فناه وألحقه برفقاه وتركهم مطروحين فى الفلا ولم يزل يخرج إليه فارس بعد فارس وهو يقرب دماره ويعجل بواره حتى قتل من الافرنج ثلاثين فارس وهم فرسان عوابس إلى ان قرب المساء واعتمت الدنيا وتخندس الظلام ورجعت الطائفتان إلى الخيام هذا الملك الحوفران قد حار ولحقه الانبهار لما شاهده من فرسان العرب وكان كلما هم أن يبرز ليأسره لم يمكنوه أرباب دولته وخواص مملكته وأما بنو عبس فانهم فرحوا بياسر مفرح الا كبر وشكروه وأثنى عليه الملك الغضنفر وكذلك عنيترة بنت عنتر ثم قام الغضنفر وتولى الحرس بنفسه وقد أراد بذلك ان يفدى أبناء جنسه وقد اشعلوا النيران وتحارس الفريقان قال الراوى لهذا الديوان ولما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركب الفرسان الخيول واعتقلوا بالذبول وتقلدوا بالنصول وبعد ذلك اشتهرت السيوف وتعدلت الالوف وقابلت المواكب وترتبت الكتائب وصهلت الجنائب وهمت الطوائف أن تحمل بعضها على بعض وقد ارتجت من ركض خيلهم جنبات الأرض واذا بفارس قد برز من فرسان الافرنج وهو كانه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل وهو بالحديد مسربل فجال فى الميدان ولعب بالرمح ساعة على ظهر الحصان ومسك العنان واشار إلى ناحية بنى عبس بطرف السنان وكانت اشارته انه يطلب البراز ويسال الانجاز فهم ياسر بن ميسره ان يبرز إليه فسبقه ليث الميدان بن مازن وحمل عليه وسار فى وسط الميدان وساوى الافرنجى فى موقف الطعان وكان عليه درع داودى ومن فوقه زردية فضية وعلى رأسه طاسة بيضاء عادية ترد مضارب السيوف الهندية وهو متقلد بصمصامة كسروية بشراب الموت مسقية وهو كما قال فيه وهب بن عطية هذه الابيات الشعرية

أتاك غداة الروع شهم كانه ... من الله فى قبض النفوس رسول
وكان على افرنجة موج لجة ... يقاصر فى صحصاحة ويطول
إذا ما انتضى للسيف مرجنباته ... فلابد من رءوس هناك تميل

(قال الراوى) وهو معتقل برمح يخرق صم الجلامد وعلى رأسه سنان ممدود وكان راكبا على جواد من الخيل الجياد وقوى الاعصاب وقوائمه طوال وفى اجال صبور على ملاقاة الابطال فى ساحة المجال وهو على صهوته كانه الاسد الرئبال وحمل على الافرنجى حملة الغضنفر لكى يسقيه كاس العطب وهو ينشد ويقول

أعاذلى كفى ملامك اننى ... مشرق إلى نار لها الحرب تشعل

وشرب دما الابطال فى وهج الوغا ... ألذ من الصهباء والكاس ينقل
وصوت طنين المشرفى على الطلا ... ألذ وأشهى من حبيب يغلل

(قال الراوى) فما استتم ليث الميدان كلامه وشعره ونظامه حتى تقرب منه الافرنجى وصار قدمه وقد انقض عليه انقضاض القضاء والقدر وضربه بالقنطارية أسرع من لمح البصر ونظر ليث الميدان إلى القنطارية وهى واصلة إليه فعلم انه أن توانى عن نفسه قضت عليه فمال عنها أسرع من البرق إذا تناها ولحقها بالحسام طير أعلاها وعطف على الافرنجى وضربه بالسيف على رأسه فشق البيضة والرفادة والبطانه ونزل إلى السيف إلى حد رأسه فما عن الجواد وهو يخور فى دمه ويضطرب فى عندمه وبعد ذلك صال وجال وطلب البراز والقتال (قال الراوى) ابرز إليه فارس من خواص الجوفران وسار حتى ساواه فى حرمه الميدان وقيل انه كان من الفرسان المذكورة والابطال التى فى الحرب مشهوره وكان قد لقى وقعات كثيرة وله مواقف هائلات خطيرة فحمل على ليث الميدان وأخذ فى الضرب والطعان وتصادما بالابدان وتقاتلا بالسيف والسنان (قال الراوى) ولم يزالا فى حرب وكفاح حتى وتكسرت فى أيديهما الرماح وتثلمت من الضرب على الدرق الصفاح وانهما لم يزالا على ذلك الرواح إلى نصف النهار حتى كل الافرنجى ومل ولحقه الانبهار فرأى منه ليث الميدان التقصير وعرف ذلك منه معرفه فتمطى فى كعوب الرمح وطعنه فى صدره خرج السنان يلمع من ظهره ثم صال وجال وطلب البراز والقتال ونادى وقال هل من مبارز هل من ناجز فلا يبرز إلى هذا المقام لا جبان ولا عاجز الا من يكون بطل الهزاهز فلم يزل يبرز إليه فارس بعد فارس وهو يقتل ويأسر حتى فعل ذلك بخمسة عشر فارس (قال الراوى) فعند ذلك حملت عليه الافرنج وحملت على ليث الميدان باذن الجوفران ولما نظرت بنو عبس إلى غدر الافرنج اللئام صرخ فيهم الملك الغضنفر الحملة الحملة يا بنى الاعمام هذا يوم الحرب والصدام فعند ذلك أكبت رؤسها فى قرابيص سروجها وطلبت بنفوسها وطلقت أعنة خيولها تؤمل وترتجى بلوغ مأمولها والتقت قنطاريات الافرنج بصدورها وطعنتها برماحها فى صدورها ونحورها (قال الراوى) وقد التقت الاقران بالاقران والشجعان بالشجعان وطلع عليهم الغبار حتى حجبهم عن أعين النظارة وتسلطل النقع المواروزادمن القوم الافتكار وحمى على رؤسهم من حرارة الشمس النهار وقدحت الارض فى ذلك الوقت شرار النار واخذلت النفوس وذل الفارس العبوس وفر الجبان المنحوس وقاتلت الفرسان الشوس وعظمت الاهوال على الرجال وقل القيل والقال وتقصفت الرماح الطوال وجاء الجد وذهب المزاح والمجال وتجالدوا بالصفاح وسمحوا بالارواح بعدما كانوا بها شحاح ونادى الشجاع لا براح وتصايحوا أعظم صياح وتنا من شرب المنية اقداح وعدموا فى

ذلك اليوم الصلاح وسالت الدماء من الجراح وتقلعت المقل الصحاح ودام القتال وعظم النزال وارتجت الأرض بالزلزال ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى ولى النهار بأنواره وأقبل الليل باعتكاره ونادى منادى الانفصال في الفريقين ورجعوا إلى المضارب والخيام وهم سكارى من شرب كاس الحمام لأجل الراحة والمنام وتذكرت بنو عبس ما جرى لهم في يومهم من عظم القتال وما لاقوا فيه من الأهوال الثقال وكثر عدد الأبطال فقالت عنترة والغضنفر أن هؤلاء القوم ما لهم إلا البراز والنزال لعل أن نأخذ منهم الأبطال وأنا وأخى نفعل هذه الفعال وباتوا على ذلك الحال وقد تناولوا الطعام وأخذوا الراحة بالمنام (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وما دبروا من المرام (وأما) ما كان من الملك الجوفران ومن فرسان الحرب والصدام فانهم لما نزلوا من الحرب واستقر بهم المقام أخذوا يتنادمون في الحديث والكلام وقد رغبوا كما فعل بنو عبس في الراحة وأكل الطعام وقال لهم الجوفران لا بد من خروجى غداة غد إلى الميدان وأفعل بهم كما فعلت اليوم بالفرسان وأخذ منهم الأبطال والأقران والشجعان وإلا فما تنكسر حدتهم ولا يصغر لهم شأن ثم أن كلا منهم قام إلى منامه بعد ما فرغ كل واحد منهم من كلامه ولم يزالوا على ذلك الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فعند ذلك اصطف الجيشان وتقابلت الفريقان ووقفوا ينتظرون من يفتح باب الحرب ويصول على الطعن والضرب ولما اعتدلت الصفوف وترتبت الألوف فقفز من بين عشائر بنى عبس فارس فى الحديد غاطس راكب على جواد أبلق كبير الحلق له بين الخيول زى ورونق وهو متقلد بسيف أبتر نوره يأخذ بالبصر ثم أنه سار حتى بقى بين الصفوف وأشار يطلب البراز ويسأل الانجاز فلما استتم كلامه وما أشار به من مرامه حتى ترجل من عشائر الإفرنج مقدار ألف فارس وبينهم فارس راكب والكل يمشون قدامه فلما صار فى وسط الميدان عاد الكل عنه وقد نادى بلسان عربى طليق أنا الملك الجوفران وكان راكبا على جواد ما مثله فى الخيول الجياد ومعتقلا بقنطارية خلنجة من صنعة معلمين الافرنج ذلك الزمان ثم أنه حمل على ذلك الفارس الذى ذكرناه والبطل الذى وصفناه فما هو إلا أن قاربه حتى طعنه بعقب تلك القنطارية ألقاه على وجه الأرض فتبادرت إليه الأفرنج فشدوه كتاف واوثقوا منه الأطراف (قال الراوى) ثم أنه صال وجال وافتخر على أبناء جنسه وقال يا فرسان الحجاز دونكم والبراز ومقام الانجاز إنى أقسمت بالتوراة والانجيل والصليب والزنار أنى لا أدع أحدا منكم يعود إلى أهله والديار لأن البترك قد بخرنى بزجيجة الشائع فى الأقطار فليبرز إلى منكم كل فارس وبطل مغوار (قال الراوى) فلما استتم كلامه وما نطق به من مرامه حتى قفز إليه ليث الميدان وصوب إلى ناحيته بالسنان وحمل عليه حملا منكرة وزعق عليه زعقة لها هدير وزمجرة

وصال عليه صولة من له على الحرب مقدرة فثبت له الجوفران ثبات من له عادة بلقاء الأقران. وتمثل عليه حتى جاوزه بالحصان وأخرج رجله من الركاب ورفس ليث الميدان أرماه على وجه الصحصحان فانكب عليه رجلان فأخذوه في عاجل الحال اسيراً وقادره ذليل حقير وما زال الجوفران على حالة فى الميدان ويطلب براز الفرسان ولقاء الأقران فبرز إليه خفاف بن ندبة فما أمهله يجول معه سير صبر عليه حتى حاذاه في الجولان ضايقه وساواه فعلق به وقبض على أطواقه وجذبه بمقدرته من ازياقه فاقتلعه من على ظهر الحصان وحذفه من يده على قاع الصحصحان فشده الرجلان اللذان خلفه كتاف وقووا منه السواعد والأطراف وقد أشرف على التلاف وبعد ذلك نادى الجوفران بلسان عربي يفهمه كل من حضر هل من مبارز هل من مناجز هذا مقام الخطر فبرز إليه دثار بن روق كأنه نار محرقة أو صاعقة مبرقة . فباره الجوفران بضربة صادقة فنزلت عليه كأنها بازقة وكانت الضربة بالسيف صفحا فلم يتمكن أن يقيم فى يده الطارقة فجاءت الضربة على البيضة كأنها صاعقة فانقلب عن الجواد إلى الأرض والدم دفاسرعت إليه الغلمان من غير خلاف وأوثقوه كتاف وقووا منه السواعد والأطراف وقادره إلى الجيش أسير وهو ذليل حقير قال الراوى هذا وقد ضجت القسوس والرهبان ورفعت الأنجيل وشالت الروم صلبانها ثم أن الملك الجوفران جال وصال فى حومة الميدان وقد شرك بجميع البطاريك وطلب البراز من فرسان وسأل الإنجاز حتى يشتفى من الأقران فتعجب العرب مما رأت من ذلك الشيطان من الفروسية وقوة الجنان وحسن قتالة الشجعان فعند ذلك برز إليه دريد بن الصمة على العزيمة والهمة وكان لما رأى فعل الجوفران بأصحابه قد اعتد للقتال ولبس آلة الحرب والنزال وسار حتى قارب الملك الجوفران وقد عيره الكبر وأوهنه طول الزمان مناداه احترز على نفسك ياشيخ من الطعان ثم أنه بعد ذلك الكلام انطبق عليه انطباق الغمام فالتقاه دريد بقلب أقوى من وصخر وجنان أجرى من تيار البحر إذا زخر وأخذا فى الكر والفر والانطلاق والمستقر والهز والجد والصد والرد وتطابقا وتضايقا وعاد افرقا بعد ما كانا قد التصقا وافترقا عن بعضهما فى تلك الساحة ووقفا متعابلين لأجل الراحة قال الراوى فقال الجوفران لدريد لما رأى قتاله وما شاهد من حربه ونزاله ياشيخ المسيح ما طلع ظنى فيك صحيح فقال له دريد وما كان ظنك يافارس الفرسان وحق دينى وما اعتقد من عبادة الصلبان لما نظرت إليك وإلى كبرك ورأيت دموعك جارية على خديك ظننت أنك تموت من شدة خوفك من الحرب وكثرة فزعك من الطعن والضرب (قال الراوى) فناداه دريد وقال له خاب والله أملك وأخطأ ما أملته من سهمك على أننى وحق البيت الحرام وزمزم والمقام ما أنا إلا غارق .

بقى بحر فكرتك ومتحير فى أمرك وقضيتك فقال له وكيف ذلك يا شيخ فقال دريد لاننى أراك فصيح اللسان بكلام العرب وعندك فضل زائد وأدب وقد خالفت صفة الافرنج وبنى الاصفر فى اللون والزى والخبر فقال له الجوفران اعلم أن الخالق الرازق قادر أن يخلق الابيض من الاسود والاسود من الابيض وليس عليه من ذلك معترض وأما كلامى فن أمى تعلمته وأتقنته وفهمته وانى أحب لسان العرب دون الافرنج محبة متكاثرة لان فيه معانى ظاهرة وأشياء فاخرة فقال له دريد بن الصمة يا فارس الخيل وأما سبب بكائى فما هو من خوف الموت ولا من ارتباك القوت لانى قد بلغت من العمر خمسمائة عام وأنا لا أشتهى إلا ضرب الحسام والخوض فى الظلام وما بكائى إلا على فارس كان فيما مضى من الزمان قد ساد على الفرسان وعلا بشجاعته على سائر الاقران وقتل بغيا وعدوان فلما أن برزت إلى حومة الميدان تذكرت فعاله وقتاله للاقران ثم أن دريد لما فرغ مما دار بينه وبين الجوفران من الكلام أشار يعنى عنترا بهذه الابيات ويقول

على شهم جليل القدر ليث ... وحيد فى الزمان بلا مثال
فتى تبكيه جن الارض طردا ... وتنعيه الاكابر والموالى
فقد كان الحى لجميع عبس ... وتخشاه الملوك ذووا المعالى

(قال الراوى) فلما فرغ دريد من شعره وذلك النظام اطبق عليه الجوفران كأنه الباشق إذا انقض على الحمام وهو مثل الاسد الغضبان وتضاربا بالقضب اليمان ضربات تتهدم منها مردة الجان علا الغبار على رؤوسهما إلى العنان وسار تارة يظهران للعينان وتارة يغيبان عن أعين الفرسان وهما فى منازلة ومجاولة ومطاولة وقد أخذا فى الكد والصد والاخذ والرد والانطباق والالتصاق والبعد والاقتراب وقد اتسع عليهما المجال بالميدان وضاقت العينان ونظر دريد من الجوفران ما حير منه وكذلك نظر الملك الجوفران من دريد ما توقف به البنان ويذهل عقول الشجعان وكان فى نفسه قد غيره الكبر وما علم أنه مثل النسر المعمر إلا أن دريدا كل ومل فى آخر النهار ووهى عزمه واضمحل فحمل عليه الملك الجوفران حملة جبار قد مارس الاهوال ومارس الاخطار ولاصقه وضايقه وسد عليه طرائقه وقبضه من جلباب درعه واقتلعه من سرجه وأخذه أسيرا وقاده ذليلا حقيرا وعاد به إلى خيامه وسلمه إلى غلمانه وحده والليل قد أقبل بظلامه (قال الراوى) فعند ذلك انحلت عزائم العربان وخافته سائر الشجعان والاقران هذا والغضنفر قد لحقته الآلام والاحزان وما ذاق تلك الليلة شيأ من الطعام ولا التذ بمنام حتى طلع الصباح بالابتسام وولت كتائب الظلام وركبت الطائفتان تطلب القتال ومعاناة الحرب والنزال وتقدمت تطلب بعضها بعض وانتشروا فى جنبات تلك الأرض (قال الاصمعى) الراوى لهذا الكلام ولما اكتملت

الصفوف وترتبت الألوف وإذا بالملك الجوفران قد خرج للبراز فى الميدان بزيه المعروف. وجواده الموصوف ونادى بلسان عربى يسمعه كل إنسان ولا يحتاج مع ذلك إلى ترجمان. فتكلم وقال هل من مبارز هل من مناجز فإن هذا يوم الهزاهز فلا يبرز فيه جبان ولا عاجز إلا من يكون فى الحرب بطلا وان كان بقى فيكم بطل مقاتل فليبرز ويدع التكاسل وإن كنتم عجزتم عن الحرب والقتال وخفتم من الموت وقرب الآجال فسلموا إلينا الخيول والاسلاب واطلبوا لأنفسكم النجاة والذهاب وأن لم تقدروا على البراز وما فيه من الأمور النفائس فابرزوا فارسا بفارس أو مائة فارس أو ألفا لفارس وأن بيتم والبغى أبيتم فاحملوا بجمعكم على فانى بحربكم وفى بقتالكم ملى (قال الراوى) وما تم الجوفران من كلامه وما نطق به من مرامه إلا وعنيترة بنت عنتر قد سارت قدامه بعد ما تعلق بها أخوها الغضنفر فاقسمت بمن خلق الشمس والقمر وبحق تربة أبيها عنتر لا أدعك تبرز إلى هذا الشيطان إلا أن أموت وأقبر أو يكون الاسر على مقدور فذلك الوقت افعل ما تقدر (قال الراوى) فسمح لها بذلك أخوها الغضنفر فعند ذلك خرجت إلى الميدان أسرع من لمح البصر وحملت على الملك الجوفراز بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرى من تيار البحر إذا زخر وكانت راكبة على جواد أحمر مليح المنظر عظيم المخبر وهو فى حدة الابجر الذى كان لأبيها عنتر ناعم الملمس أن حبسه انحبس وإذا ضايقته الخيل تركها واختلس وكان عليها يومئذ درع من دروع الأكاسرة من التى كانت عند أبيها عنتر مدخرة وعلى رأسها خوذة عادية تزد أسباب المنية. وتضرب بها الرجال المسممة وتدفع مضارب السيوف الهندية وبيدها صارم أبتر صقيل المتن مجوهر فى حده الموت الأحمر ومتقلد برمح اسمر من عمل مهر وعلى رأسها سنان يلتهب. كأنه عقرب أو قبس على مركب أو نار ذات لهب (قال الراوى) وحمل كل واحد منهما على صاحبه والتقى طعنه وضاربه وأبدى كل واحد منهما فى الحرب عجائبه وغرائبه واغتم عليهما مشارق الأرض ومغاربها وهدر كل واحد منهما كأنه الأسد الهدار أو البحر الزخار وعلمت عنيترة أن الجوفراز فارس مغوار وبطل كرار ليس فى الحرب عليه عيار وصرخا فى وجوه بعضهما بعض صرخات متواترات فكادت أن تزول من شدتهما الجبال الراسيات. ولم يزالا كذلك حتى تتابعت منهما الصرخات مع الهزات إلى أن بقيت القلوب مرتاعة وكانا فارسين تبطل عندهما الشجاعة وكان لهما ساعة وأى ساعة كشف الحق فيها قناعه وصرخا على بعضهما صرختين صرت الخيل لها آذانها وارتعدت أبدانها قال الراوى إلا أن عنيترة بينما هى فى شدة جولانها وإذا قد عثر بها حصانها فانقلبت من عليه كأنها جذع نخل أو شجرة باسقة تكسرت أغصانها فانقض عليها الجوفران قبل أن تثور كانقضاض الباز على أضعف الطيور فاخذها اسيرة وقادها بعد أن وضع حمائل سيفه فى رقبتها ذليلة حقيرة.

وسلمها إلى غلمانه وقد حلت بها الدهشة والحيرة وأقربوها إلى الاسرى وتحير الغضنفر مما جرى (قال الراوى) ثم أن الملك الجوفران بعد ذلك عاد إلى ساحة الميدان وهو كأنه الأسد الغضبان وقد اعجبته لما رأى نصرته على تلك الاقران وصولته على تلك الفرسان وبعد ذلك صال وجال وطلب الحرب والقتال ونادى وقال ويلكم ابرزوا يامعاشر الأبطال ودعونا من هذا التكاسل فقد طال بنا المطال فانى من أمرى على استعجال (قال الراوى) فلم يتم مقاله حتى صار عمرو ذو الكلب قباله بعدان تعلق به الغضنفر فاقسم عليه بتربة أبيه عنتر أن يدعه قتال من برازهذا الفارس الوطر ثم أنه مال على الجوفران بقلب من الحنق ملان وفؤاد غير فزعان وقد ذكرنا فرسية هذا الأمير عمرو ذو الكلب فى غير هذا الديوان فتلقاه الجوفران بقلب غير خائف ولا وجلان وانفسحا فى حومة الميدان وكانت ساعة بينهما تقشعر منها الابدان وقد صار الغبار على رؤسهما مثل الدخان وعايا عن الابصار وتعجبت مما جرى بينهما النظار ورأوا أن الوصول إلى بعضهما بعيد والدنو إلى ما بينهما صعب شديد فالقوا عند ذلك من أيديهما رماحهما وجذبا بعد ذلك سيوفهما كانت أعجل لقبض الأرواح ووقع الجد بينهما وطال الكفاح وذهب من بينهما اللعب والمزاح وعلا منهما الزعاق والصياح ولم يزالا فى ذلك الأمر إلا أن تثلمت فى أيديهما الصفاح هذا وقد أرتعدت من قتالهما قلوب الرجال وخرس النظار وانذهل الجبان وقد تعبت من تحتهما الأبدان وأيقنا بحلول الاجل الاثنين إلى أن انقضى عليهما النهار ولبست الشمس حلة الاصفرار ولحقهما التعب والانبهار وأيقنا من بعضهما بالبوار ولم يزالا على ذلك الحال إلى أن ولى النهار واستحال وأقبل الليل بالانسدال ونادى المنادى بهما بالانفصال فافترقا على سلامة ولم يعلم أحدهما على صاحبه بعلامة وعاد كل منهما إلى جيشه وقومه وكل منهما يذكر ما لقى من خصمه فى يومه وكل واحد تلقاه رفقته وفرحوا به وهنوه بسلامته (قال الراوى) ولما رأى الغضنفر إلى ذلك تغض بالمضض ولم يبلغ عمرو ذو الكلب من خصمه الغرض فاقسم بمن خلق الأرض والسماء وعلم آدم الاسماء لابرز فى غد إلى هذا الجوفران إلا أنا لعل أن أظفر به وأستريح من التعب والعنا، إن كانت الأخرى ولم تصل يدى إليه فتهيؤا كلكم فى أمر تعتمدوا عليه ثم انهم تناولوا شيأ من الطعام وأخذوا الراحة للمنام إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤس الروابى والبطاح وترتبت الطوائف تطلب الحرب والكفاح فعند ذلك الملك الجوفران برز به المعروف إلى ساحة الميدان واشتهر بين الفريقين وجال وصال حتى لين عريكة الحصان ينادى كما سبق له فى الايام الخالية من الزمان وسمعت نداءه العربى جميع الفرسان من شدة عزمه واهتمامه فلم يتركه الغضنفر يتم كلامه حتى برز إليه وصار قدامه بعد ما تعلق به عمرو ذو الكلب فلم يفعل وكذلك زهير بن

قيس فلم يقبل ولا جل ما فى قلبه من الأهوال لم يسمع لاحد منهما مقال (قال الراوى) ثم أنه لما سار فى الميدان جال وصال حتى لين عريكة الحصان وكان عليه فى ذلك اليوم درع أبيه المانع وهو متقلد بسيفه الضامى القاطع وجال قدام خصمه فى ساحة الميدان ونادى وقال له ويلك يا قرنان يا ابن ألف قرنان يا كثير الفشل الهذيان دونك والحرب والطعان ثم مد إليه لسان السنان وصال وجال وترنم وأنشد وقال هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

ألم تعلموا انى همام عشيرتى	شديد القوى والحرب غاية مقصدى
فان ماجد فى القوم أبدى فخره	فجدى فيها باسق غير مفقد
وأنى من قوم كرام أعزة	نحامى عن الأخوان بالرمح واليد
وانى لقتال الرجال بصارم	فرى فى مجال الحرب ألف مهند
ولست من الحرب العوان بفازع	ولم أك رعديدا ولا رعش اليد

(قال الراوى) فلما سمع الجوفران شعر المضنفر شخر ونخر وتجبر واخذته الحمية ونخوه الجاهلية والعزيمة القوية وقد هاج كأنه الأسد القسور ونطق بالشعر لسانه وماقصر لأنه قريبة بنى الأصفر وأجابه على شعره يقول

أنا البطل الندب الذى شاع ذكره	ببذل المعالى واكتساب الرغائب
فمالى مبذول لكل مؤمل	وسيفى فى هام العدا والترائب
يعلى هام العالمين ذبابه	وما كنت رعديدا بكل الثعالب
ففى السلم سلام وفى الحرب قاهر	وللجود مبذال وفى الحرب غالب
أنا الجوفران الندب سيد قومه	أبيد الاعادى بالسيوف القواضب

(قال الراوى) ولما فرغ الجوفران من شعره ونظامه سل فى يده حسامه وأبدى ماعنده من وجده وغرامه وحمل على الملك المضنفر حملة ليث اسور فالتقاه الملك المضنفر بوجه لشوش أزهر وجنان أجرى من تيار البحر إذا زخر وتجاريا وتطاعنا بالرمحين وتماشقا فى أيديهما بالسيفين حتى تحيرت من فعالهما الطائفتان وقد كل من تحتهما الجوادان (قال الراوى) ودام بينهما القتال واستطالا فى الحرب والنزال وعظمت الأهوال وتضاربا بالنضال وتكسرت فى ايديهما الرماح الطوال واذلوا بالأهوال الثقال واصطدما بالابدان كأنهما الجبال وطلع عليهم الغبار إلى العنان وتغيرت منهما الوجوه وخاب ما كانوا يؤملونه ويرجوه وانشقت السنتهما من العطش وحار كل منهما واندهش ولم يزالا على ذلك الحال وهما فى حرب وقتال إلى أن أذن الله للنهار بالارتحال وأقبل الليل بالاسدال ورجعت الطائفتان إلى الخيام لأجل الراحة والمنام وقد التقى بنو عبس بالمضنفر وسألوه عن خصمه وما كان بينهما من ذلك الأمر المنكر فقال لهم وذمة العرب ما رأيت مثله فى الحرب

أقوى همه وقد تعبت فى هذا اليوم من قتاله وحربه ونزاله ولكن غداة غد يكون نهاية حربه وانفصاله ويكون النصر لواحد منا إمالى وإماله (قال الراوى) هذا ما كان من الغضنفر وأما إما كان من الجوفران فان أصحابه وأرباب دولته التقوه وسألوه عن خصمه وما رأى من شجاعته فقال لهم وحق المسيح ماهو إلا فارس مليح وهو جسور القلب فى طعنه وضرابه ولكن لولا المساء أدركنى ما كنت عدت الا به ثم انهم أحضروا إليه الطعام فاكل وبعد ذلك انكأ لأجل الراحة والمنام بعدما أوصى أصحابه بالحرص ونام (قال الراوى) ولما كان الغد عند الصباح ركبت الطوائف تطلب الحرب والكفاح وركب فى مقدمتهم الملك الجوفران وسار قدام الدساكر إلى حومة الميدان فرأى الغضنفر قد ركب وسبقه إلى الميدان ومكان الضرب والطعان فعند ذلك برز إليه الجوفران وناداه دونك والمبارزة فانى ما أبقيت عليك بالأمس الاحتى تنظر شجاعتى وتخبر من عندك من الفرسان عند مفارقتى فيشهدوا إلى أنى أوحد الزمان فى فروسيتى فرعق فيه الغضنفر بصوت مذعر وقال اقصر يدك عن هذايا كلب بنى الأصفر ثم أنه أشار إليه يقول هذه الابيات

أنا الفارس القمقام يوم الكتائب ... أخا المجد والعليا كريم المناسب
أكر وأحمى الجار حقا ولا أرى ... لنفسى روعا عند وقع القواضب
ولا عجيبا فيما أقول لاننى ... أبيد كماة الحرب عند التضارب
فهيجنى ليث يصول مبارزا ... وعزمى فى الميدان ليس بكاذب

(قال الراوى) فلما سمع الملك الجوفران منه ذلك الكلام والنظام اندبق عليه كانطباق الغمام وأجابه على شعره يقول

لست بالحايد المحيد عن الحرب ... لاولا بالجبان عند الضراب
وإذا كانت النفوس جميعا ... تختشى من الفرسان عند الطلاب
وأنا الفارس المقدم فى الحرب ... كريم من سادة انجاب
ليس لى فى الحروب كفؤ وإنى ... لشجاع لاانثنى عن حراب

(قال الراوى) ثم بعد ذلك حمل الفارسان على بعضهما بعض واتسعا فى جنبات تلك الأرض وأخذوا فى معاناة الطعن والضرب حتى عقد عليهما الغبار وبقيا عن أعين الناظرين فى حجاب وحارت مما وقع بينهما أولو الالباب وحكمت فيهما السيوف الرقاق وجرى لهما ما بهر الأخلاق وحير الاحداق الا أن الغضنفر طعن الجوفران طعنة هائلة قاتلة وكانت إلى صدره واصلة وقال لهخذها ملوفارس عبس وعدنان فوقعت فى كتف الملك الجوفران فابذل دمه وارتعد منها وصار فى رجفان ولكن قوى عزمه وهدى روعه وصبر عليه وطاول خصمه إلى أن أقبل الليل وعاد كل منهما عن صاحبه وهو يتأسف على خصمه ويتحسر وعاد الملك الجوفران وهو

مرتبك مما قد اعتراه فالتفت إليه أرباب دولته وصاروا ينشفون له دماءه وكانت الجراح قد أوهنته وعن المنام منعته فوضعوا له الرهبان عليها حشائش يعرفونها وشدوها شداً وثيقاً وقد زادت به الاشجان وبات وهو يقلق كأنه النمر الحردان ولم ينم تلك الليلة مما ناله من الهيمان (قال الراوى) ومزال على ذلك الشان إلى أن أصبح الله بالصباح وماصدق الصباح أن يصبح حتى ركب وخرج إلى الميدان ونادى وطلب البراز وسأل الانجاز وإذا بالغضنفر بما به من الحنق قد خرج إليه مثل البرق أو الغيث إذا اندفق أو السهم إذا انطلق ثم أنهما حملا على بعضهما بعض وجالا طولا وعرضا حتى تدكدكت من تحت أرجل خيلهما الارض وصار طويلا واعتركا وميلا وأخذا ميمنة وميسرة وصارت الخيل تجرى بهم تارة خبباً وتارة تهقرى وشخصت لهم أعين الفريقين لانه جرى بينهما حرب تحيرت منه كل الطائفتين واندهلت الفرسان مما جرى لهؤلاء البطلين من شدة ماصار بينهما من القتال وما لقوا فى ذلك اليوم من الأهوال وقد صرخا صرختين تفطرت منهما القلوب وكادت الاكباد منهما تذوب وجرى بينهما حرب شديد يحير منه المطر الصنديد ويشيب له الطفل الوليد ولم يزالا على ذلك وهما فى حرب أكيد وقتال عتيد زهما على ما هم عليه من ذلك الحال إلى أن أقبل الليل بالانسدال وعزم النهار على الارتحال وعادعن بعضهما بسلامة ولم يبلغ أحدهما من صاحبه غرضه ومرامه ورجع كل واحد إلى أصحابه وقد زادت به أوصابه وكل منهما تلقاه قومه وأجناده وقد امتلا بالحنق فؤاده وقال عمرو ذو الكلاب الغضنفر كيف رأيت خصمك فى هذا اليوم الاغبر فقال لعن الله الكذب فانه يزرى بالرجل ولو كان من أكابر القوم والله ماهو إلا فارس عظيم وبطل جسيم ولقد لاقيت منه فى هذا اليوم ثبات شهم جسيم وهو بذلك الجرح العظيم مثل مالاقيه منه بالامس وهو سليم وفى غداة غد يكون الانفصال بمشيئة الملك المتعال (قال الراوى) فهذا ما كان من الغضنفر ومانم له من الاهوال مع قومه وأما ما كان من الملك الجوقران فانه التقاه خواصه وقومه باحسن استقبال وقالوا له كيف رأيت خصمك فقال لهم وحق المسيح ومزمار دواد والحوارى المليح ماهو إلا فارس شديد وبطل صنديد وهو جيد الحرب والنزال وغدا يكون بينى وبينه الانفصال (قال الراوى) ثم أنهم تناولوا الطعام وأخذوا الراحة لاجل صحة الاجسام وباتوا تلك الليلة على ذلك الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وركبت الطوائف تطلب الحرب والكفاح وترتبت الصفوف وتدانت الالوف وبرقت فى أيديهم السيوف (قال القائل) فعند ذلك ركب الملك الجوقران وصار فى عاجل الحال فى وسط الميدان وطلب البراز وسأل الانجاز ونادى وقال هيا يافرسان الحجاز ابرزوا إلى فارسكم المغوار وبطلكم

الذى عندكم بطل الطراز فلما تم الجوفران كلامه إلا والغضنفر حمل اليه وصار قدامه وكان قد خرج على مهل من غير انزعاج ولا عجل والجوفران يظن ذلك من الخوف فعند ذلك قصده الغضنفر وانطبق عليه انطباق الأسد القسور وقامت فى رأسه حمية أبيه عنتر فاشار يقول .

سلوا الخيل عنى حين اعلو سروجها   واسرى بها نحو الاعادى مسرعا
أليس أنا الموت المفجع للعدا   إذا اشتبكت زرق الاسنة طلعا
أبيدكماة الحرب فى حومة الوغا   وامنحهم فى السلم أفضل موضعا
أقوم بهم لاعطى الحرب حقها   اجندل منهم كل قرم تصدعا
ادير عليهم كاس حتف من الردا   تمازج سما فى الجوانب ناقعا

(قال الروای) فلما فرغ الغضنفر من شعره وما أبداه من نظمه ونثره حمل على الملك الجوفران واطلق الجواد العنان وقوم بين أذانه السنان فالتقاه الجوفران بقلب أقوى من الصوان واوسع معه فى الميدان وأجابه على عروض شعره بفصاحة اللسان وقوى عزم وثبات جنان

الاسائلا عبس يوم الوغا   عداة التقينا جميعا معا
دهمتهمو فى وسيع الفلا   على صافنات لها أربعا
جندلت بالبيض هاماتهم   وقطعت يوم الوغا من سعى

(قال الراوى) ولما فرغ الجوفران من شعره والنظام انطبقا على بعضهما بعض وأخذو المجال طولا وعرض وأخذ الغضنفر من الجوفران الحذر وكافحه الحسام الذكر وصار بينهما حرب تذكر ماطلعت الشمس والقمر وكان لها ساعة تقشعر منها الجلود وظن كل واحد أنه لا يعود وحملا على بعضهما بقوة وزمجرة وتصادما صدمات منكرة ورات الفرسان ومنهما فى ذلك الوقت ساعة عسرة وجالا حولانا طويل واعتركا غير قليل ولم يزالا فى كر مفر ومقام ومستقر واخذ ورد وهزل وجد وطعان ونزال حتى تحطمت من طعناتهما الملك القنطاريات الطوال وتثلمت فى أيديهما من كثرة الضرب السيوف الصقال ولم يزالا على ذلك الحال وهم فى مجاولة ومحاولة ومقاتلة حتى قاربت الشمس إلى الزوال وتيقن كل واحد منهما أنه لا يرجع إلى دياره مما اوقدوا فى الحرب عليهما من ناره وخاف الغضنفر أن ينقضى عليه النهار ولم يبلغ من خصمه ما يختار فلاصق الغضنفر الملك الجوفران وطابقه وسد عليه طرائقه وقام فى ركابه وتمطى بين يديه وأراد أن يضربه بالسيف يقضى عليه والجوفران قد احترز من ضربته واستتر بدرقته فمن قوة حنق الغضنفر قام بركابه وضرب الجوفران فعند ذلك انقطع به الركاب وقد سقط عن الجواد ووقع على التراب وقد انوهن بعضه فى بعض فانقض عليه الجوفران أسرع من البرق وعجل به قبل نزول الدق وأخذه من

على وجه الارض بسرعة وهو متوهن من تلك الواقعة وعاد به وهو فى صفة الاموات وقد علت من تلك الافرنج الاصوات ودقت الطبول والكاسات وصرخت الرجال ونعرت البوقات وحملت فرسان بنى عبس على الاثر وأيضا بنو هوازن وبنو قضاعة صاروا يرومون خلاص الغضنفر فالتقتهم الافرنج كأنهم السيل إذا انحدر وعمل بينهم الصارم الذكر ولعبت الخيل بجماجم الرجال كأنهم الاكر وعمل الشجاع أعمالا تحير البصر وانهزم الجبان وتقهقر ولم تزل الابصار حائرة خاسرة والسيوف أحكامها فى الابدان جائرة وأفاعى الرماح الى نهش الارواح متبادرة والوحوش إلى جثث القتلى نافرة وقلوب بنى عبس على الغضنفر متطايرة (قال الراوى) هذا وقد عمل الحسام فى الروس والاجسام واختلفت رسل الحمام ولمعت نجوم الاسنة من تحت سحائب القتام وقامت عروس الحرب على الاقدام وانتشرت عليها جماجم الكرام ومازال السيف يعمل والدم يذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى الليل وانسدل وانفصلت الطوائف عن الحرب والعمل وعادت فرسان العرب وهى تخوض فى بطون القتلى وقد حل بهم من أسر عنيترة والغضنفر البلا وما أحمى نار الحرب إلا عمرو ذو الكلب فانه هو الذى دفع عن قومه فى ذلك اليوم البلا ورجعت الطوائف عن بعضها بعض وفيهم من هو آمن وخاف وبات بنو عبس وما فيهم من استطعم رقدة ولا تهنا برقاد ولا قوله فؤاد (قال الراوى) هذا وعمرو ذو الكلب يقول مابقى الامر إلا فى غداة غد أبرز إلى الميدان وأطلب براز الملك الجوفران وأبذل فى قتاله المجهود فاما أن أرجع بنيل المقصود أو أبقى معفرا فى الثرى ملحود وافترق الجمعان وباتت الطائفتان وتحارس الفريقان وبات عمرو ذو الكلب على هذه النية وقلبه وقلوب بنى عبس على حر النار مشويه (قال الراوى) هذا ماجرى لهؤلاء وما وقع لهم من الاحكام وأما ما كان من الملك الجوفران وما يريد أن يدبر من المرام فانه أقبل إلى سرادقه وهو فرحان ومن حوله الابطال والفرسان ودار به القسس والرهبان وقد صلوا عليه صلاة الموتى بطيب الالحان وهو مما لاقاه من الحرب سكران قال الراوى وبات الحرس يدور بين الطائفتين إلى أن أصبح الله بالصباح واسفر بنوره الوضاح فعند ذلك ركبت بنو عبس ومن معها من الطوائف واصطفت الصفوف واهتزت الذوابل واشهرت السيوف وفى ذلك الوقت أقبل على عمرو ذو الكلب ابن شيبوب الخذروف وقال له ياأميرنا لابد لى إذا شتملتم فى هذا اليوم بالحرب والصدام إن اختلط بالافرنج إذا عادوا أعود معهم إلى الخيام وأتسبب فى خلاص أولاد عمى عنيترة والغضنفر ولو أنى ألاقى فى خلاصهم الموت الاحمر (قال الراوى) فقال له عمرو نخاف عليك أن تعرف فتهلك ويعدمك قومك وأهلك فقال له الخذروف يا أمير ما يكون من الرب العظيم إلا كل خير كثير ثم أنه خلع عنه أثوابه وليس أثوابا تصلح لهذه

الاشغال لأنه كان قد خلف أباه وفاق عنه وتكامل فى المكر والمحال ثم ألقى ساقيه للريح وطلب البر الفسيح وكان قد عصب رأسه بعصابة حرير ولبس فوقها كنوشاً أسود كبير وشد وسطه بسير عريض وأخذ فى يده عكازاً كبيراً غليظاً وافق مع تلك العصا عصاة ألطف منها وشد الاثنين شداً وثيق وأخذ فى يده الآخرى قطعة خلنج وأبريق وعمل على صدره صورة صليب مزمك بعقيق ولبس برجليه ملابس بطاريق وتزيا بزى شماس عتيق وخرج من الجيش كأنه شيطان أو من بعض عمار الجان وأخذ فى عراض الجيش ودخل من بين البساتين كأنه الذئب الأغبر وقطع فى الفلاة ساعة زمنية إلى أن علم أنه صار أخلف جيوش الافرنجية فعند ذلك عرج وأتى من خلفهم حتى أنه يتجسس ويدخل إلى جيوشهم (قال الراوى) وكان الاتفاق وقد ركبت الافرنج للقتال لما رأت بنى عبس قد اختشت للنزال لأنهم طمعوا فيهم بعد أسر حماتهم عنترة وأخيه الغضنفر الأسد الريبال هذ وقد ارتجت الاقطار وأظلم ضوء النهار وهتكت الاستار وذهلت من هول ما عاينت الأبصار وحار من شدة الحرب نظر النظار وحملت الصفوف على الصفوف وتلاطمت الالوف مع الألوف وتقطعت المناكب والكفوف وحكمت الأجسام الرماح والسيوف وقاتل فى ذلك اليوم عمرو ذو الكلب القتال الموصوف وجعل يكف الفرسان عن قومه فى البطاح ويتلقى عنهم بصدره أسنة الرماح وأما أم عنيترة قناصة الرجال فانها حيرت بفعالها الشجعان وأذهلت بقتالها نظر العينان ونكست عن السروج الأقران من شدة الطعان وضرب بالسيف اليمان وهى إلى جانب أخيها عمر وكأنها الأسد الغضبان ولله در سبيع اليمن بن مقرى الوحش وما فعل فى ذلك اليوم العظيم الشأن وسابق وآخره لاحق يا ما فعلوا فى حومة الميدان وكذلك الدأل بن الغضبان فإنه حير بفعاله الفرسان واقتتل الجيشان وتثبت الفرسان وفر الجبان وهو منذهل العقل حيران (قال الراوى) ولله در الجوفران وما عمل فى ذلك اليوم بالأقران والشجعان وكان قد التقى بعمر ذو الكلب آخر النهار وجرى بينهما حروب يحير النظار ويذهل الأبصار وافترقوا عند اقبال الظلام لطلب الراحة والمنام وكذلك افترق الجيشان ورجع عن القتال الطائفتان وباتوا يتحارسون الفريقان (قال الراوى) ونزل الملك الجوفران فى سرادقه وقد كاد الغيظ مما قاسى فى ذلك اليوم أن يخنقه وقد أشعلت الشموع بين يديه والبطارقة والحجاب دائرة من حواليه وهو يدير فيهم عينيه ويجلس خواصه ومن يعز عليه وينظر إلى الاسارى ويريد أن يقدمهم إليه فحانت منه التفاتة فنظر إلى الخذروف وهو واقف بين الصفوف وهو ينظر إلى الخيمة التى فيها الاسارى بنظر خفيف فقال لبعض خدامه ائتونى بذلك الرجل الضعيف صاحب الجسد النحيف. فما كان بأسرع من أن أحضروه بين يديه ولما حضر الخذروف بين يديه أومأ بالسلام عليه

وصلب على وجهه وكشف رأسه وسكم والتراب قبل قال وركع الراوى فقال له الجوفران من أنت ومن أين تكون وما هو دينك من الأديان اصدق بالحق إلا وحق المسيح ومارى حنا المعمدان ضربت رقبتك بهذا السيف اليمانى وأنزلت بك الهوان فقال له الخذروف يامولاى أنت من بلاد الملك ساسا وقد جار على الزمان ورمانى منه الحرمان وقد فقدت الأهل والخلان قال الراوى فقال له الجوفران ومن فعل بك هذا الفعال من أهل ملة الصلبان فقال له الخذروف يا مولاى وحق المسيح ودبرقته وصومعة الرهبان ما فعل بى هذا الفعال إلا هؤلاء الأسارى الذين هم أوشم العربان الذين فى قبضتك الآن وقد فعلوا بى ذلك على زمن الملك خيلجان وأنت بنو عبس وجمع العربان وهم فى عرمة وهمة وخلصوا الاسارى مع هذا الشيخ الذى يسمى دريد بن الصمة الذى فى قلبى منه ألف رزية وغمة ولو حصل هذا الشيخ فى يدى يامولاى لأكلت لحمه وشربت دمه لأنهم قتلوا إلى ثلاثة أخوة وولدى وقد فطروا فؤادى وكبدى وقد هدوا اقواى وجسدى وكانوا قد أخذونى معهم أسير بحالة الويل والتنكيد والتعسير وكنت قد بقيت معهم أسوق الأموال والنوق والجمال ووصلت معهم وقد قربت من هذه البلاد فهربت منهم وبقيت مشتتا وحيداً على حالة الانفراد وبعد ذلك توصلت إلى أن دخلت القسطنطينية وخدمت فى بعض مكنائس لأهل ملة النصرانية إلى أن أتت هذه الأيام وسمعت أنك أيها الملك الهمام والبطل الضرغام قد استأسرت من بعض بنى عبس أقوام فاتيت إلى ههنا لأنظرهم النظر التام ولئن قتلت منهم أحد أيها الملك وأبدت عزمه وشويت لحمة أكلته وتلطخت بدمه (قال الراوى) ثم ان الخذروف أظهر الحسرات وتصاعدت منه الزفرات واسأل العبرات وأشار يقول صلوا على طه الرسول

لا تعجبا من عبرتى ونحيبى	يا صاحبى فليس ذا بعجيب
ونخوفا يوم الفراق ذاته	لا شىء أعظم من فراق حبيب
ترك الفراق العاشقين كأنما	أجسامهم خلقت بغير قلوب
من لم يكن عرف الغرام وذاقه	فلقد أخذت من الهوى بنصيبى
أرأيت يا هذا أشد بلية	كتبت على بشر فراق حبيبى

(قال الراوى) ثم ان الخذروف أظهر البكاء والأحزان وأجرى دموعه من الأجفان حتى رحمه الملك الجوفران وبكى كل من كان حاضراً فى ذلك المكان وقال له الملك الجوفران يا هذا أقلل من بكائك فنحن نأخذ ثارك ونبلغك مناك وتأمرك أن تضرب منهم اشقاب وترمى لحومهم إلى الكلاب فقم وادخل إلى الخيمة واصنع بهم ما شئت من العذاب ولكن لا تقتل منهم أحدا حتى انى أوبخهم وأعاتبهم فقد وكلتك بهم حتى انك تعذبهم (قال الراوى) فنهض

الخذروف إلى خيمة الاسارى التى جعلت لهم فى ذلك المكان وكانت إلى جانب سرادق الملك الجوفران فرفع سجاف الخيمة ونظر إليهم من خلف ظهورهم وإذ بكل مقيدين حيارى فى أمورهم لما حل بهم من ذلك الامر الذى قافت منه صدورهم فعند ذلك تقدم إليهم الخذروف حتى أنه فارنهم بعزيمة وهمة فوقعت عينيه على دريد بن الصمة فصرخ عند نظره إليه صرخة عظيمة وقد زاد له فى السب والشتيمة وقال له وحق المسيح وما مسح وحق البيعة الكبيرة والمذبح ان هذا هو شيخ الذى قتل ولدى وأحرق عليه كبدى واضنى بفراقى له جسدى ثم أنه فى عاجل الحال تقدم إليه وطعنه بين كتفيه وسام بعض اذنيه ويضربه بهاتين العصاتين اللتين فى يده على يديه ورجليه هذا والملك الجوفران يضحك عليه ودريد يصرخ فيه ويقول يا ابن الملعونة أوضح لى معرفتك فلعن الله مرضعتك واهلك وقومك وعشيرتك. قال الراوى فتبسم الخذروف لما سمع من دريد ذلك الكلام فعرفه الغضنفر معرفة تامة وقال لدريد يا أبا النظر لا تشتمه فانه ابن عمى الخذروف وماأتى إلا ليسعى فى خلاصنا من هذا الامر المنكر ويتسبب فى أطلاقنا مما نحن فيه من العبر قال الراوى فقال له دريد يا هذا ومن أين الخذروف يقدر أن يأتى إلى هذا المكان وإنما هذا رجل قد افقره الزمان وهو من فقراء مدينة ساسان إلا أنه قد احرق ظهرى بالضرب هذا الا اف قرنان ثم تحقق فيه ينظره فعرفه فقال له يا ابن الملعونة قد قطعت لحمى باسنانك ومتى قتلت أنا ولدك ونهبت مالك وبددت شانك فتبسم الجوفران وغمز دريد بن الصمة فزاد فى شتم الخذروف وفى سبه والملك الجوفران يضحك عليهم هو ومن حوله من الرجال فبينما هم على ذلك الحال وإذا نضجة قد أقبلت وعشرة جوار قد ارتحلت وعلى الملك الجوفران سلمت وبينهن جارية صاحبة حلل وافتخار ولها هيبة ووقار وعليها حلة سابلة معقودة بالجواهر الكبار (قال الراوى) ولما قربت من الجوفران قام لها على الاقدام وكذلك كل من كان حاضرا فجلست إلى جانبه وهى كانها من خيار قومه وأقاربه وليس هذا عند الافرنج بقبيح فانهم يجلسون بين الرجال بالزى المليح فلما جلست واستقر بها المقام بادرته بالكلام وقالت له مالى أراك أيها الملك ضحكك صار عاليا بزيادة وما عهدت منك أراك بهذه عادة فقال لها ياأما أضحكنى هذا الرجل الساسانى فى خدمة الملوك فانه ليس له فى خدمة الملوك ثانى قال الرواة ثم أنه قص عليها بجىء الخذروف وقصته وما سمعه من كلامه وحيلته قال الراوى وكانت نازلة بعيدا عنه فى غير ذلك المكان واتفق أنها جاءت إليه فى ذلك الوقت والاوان فقالت له وأين هذا الرجل الساسانى الذى ذكرته فقال لها عند هذه الاسارى الذين قد أسرتهم فقالت على به وأمرت أن يحمل إليها فاتوا به وأحضروه بين يديها فرمقته له وميزت إليه بالنظر وحققت فيه العينان ثم التفتت إلى الملك وكلمته باغسان فلما سمع كلامها عند ذلك التفت إلى الخذروف وأمر بالقبض عليه

قال الراوى وكانت قد قالت له ياولدى أعلم ان هذا الرجل سلامى قد أتى يطلب أن يخلص منك الاسارى بالمحال فوحق المسيح لولا وصولى فى هذه الساعة لكان قد تم عليك محاله وخداعه فعند ذلك أمر الملك الجوفران بأن يوثقوه كتافا بالحبال وهو بذلك الزى الموصوف ولما رأى روحه على ذلك الحال لحقته الحيرة والانذهال وكذلك دريد وعنيترة والغضنفر وما منهم إلا من انذهل وتحير مما رأوا فى أمورهم وضاقت من تلك الفعلة صدورهم وكذلك من معهم من الفرسان وهم ثار وخفاف وياسر وليث الميدان لأنهم كانوا قد أملوا به الخلاص من الذل والهوان وبعد ذلك قدمه إلى بين يدى الملك الجوفران وقال له ياملعون أصدقنى فيم جئت فى هذا الأمور والشان والا وحق المسيح ومزمار داود والدين الصحيح ضربت رقبتك وتركت دمك فى هذه الساعة على الأرض يسيح قال الراوى فقال له الخذروف يا ملك النصرانية لاتفعل فانى ما تكلمت بين يديك إلا بالصحيح وما أنا إلا رجل من بنى ساسان وحالى وضيح وقد رمانى لزمانى بالذل والحرمان وهذا من تمام الذل والهوان قال الراوى فبقى الملك الجوفران من كلام الخذروف حيران ثم أنه نادى ببعض حجابه وأمرهم باحضار الغضنفر إليه ففى عاجل الحال أتى به واحضروه إلى بين يديه فقال الجوفران ياهذا قد صح عندى أنك شجاع والكذب لا يليق بالشجاع والصدق أحسن ما تزين به الرجال فبحق ما تعتقده من رب زمزم والمقام وبحق البيت الحرام والمشاعر العظام هل تعرف هذا الولد نسل الزنا وابن اللئام قال الراوى فعند ذلك قال الملك الغضنفر وقد تعجب مما حلفه به من تلك الايمان وتحير وقال له ياملك لا تسبه فان الكذب قبيح وما أقول والله إلا الصحيح أنه ابن عمى ولحمى ودمى ومفرج همى وغمى وقد أتى ليخلصنى بالحيلة فوقع فى يدك بهذه الوسيلة قال الراوى فلما سمع الخذروف كلام الغضنفر قال الذنب ما هو لكم ولكن الذنب لمن أتى خلفكم يشمر ويروم خلاصكم من هذا الأمر المنكر فقال له الغضنفر ويلك ياخذروف فانا ما كنت أكذب وأنا قد صرت بين العرب معروف وهو قد حلفنى برب زمزم منى المستحق الحمد والثنا فقال له الخذروف لا تكذب ياولد الزنا بل أنت سلكت طريقة أبيك عنتر العبد الزنيم واوقعتنى بصدقك فى هذا الهول العظيم فقاسوا الذل والهوان والعذاب الأليم ولعن الله الحاكم أجمعين قال الراوى هذا الملك الجوفران قد تعجب من فصاحة الخذروف وجسارته وصدق الغضنفر وهم فى مقام الخطر وقوف ثم أنه قال للخذروف ياولد الزنا وتربية الأمة اللخنا لابد ان أعذبك العذاب الأليم الشديد وأربطك مع الكلاب فى القيود الحديد بتهجمك على مقامات الملوك وأنت فقير صعلوك ثم أمر أن يقيد بقيد ثقيل وثيق ووكل به والاسارى عشرين بطريق كل واحد منهم مثل حجر المنجنيق وأوصاهم عليهم بالاحتراز لكونه ثبت عندهم فرسان الحجاز (قال الراوى) وبعد

ذلك أمرهم بالانصراف من بين يديه وقام إلى منامه لأجل الراحة إلى بدنه فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وكبت الطوائف وتقابلت ببعضهم البعض وانتشرت الفرسان فى جنبات تلك الأرض وحملت الشجعان واتسعوا بالجولان فى الميدان وتضاربوا بالبتار وطلع عليهما الغبار حتى غطوا عن الابصار وسطا السيف فى حكمه وجار ونثرت الرؤس من الابدان وثبت الفارس الكرار وولى الجبان الادبار وركن إلى الفرار وجرى بين الجيشين العجائب وشابت الذوائب واهتزت من تحت أرجلهم الأرض من ركض الجنائب وعدم الحبيب الحبايب ودارت عليهم الدوائر وقد اصطدمت عليهم العساكر واختلطت العشائر حتى صار الأول منهم ما لحق الآخر ولم يزالوا على ذلك الحال وهم فى قتال ونزال ومدافعة وجدال حتى حطت الحرب أوزارها وأوقدت الحرب نارها وطلبت كل طائفة الأخرى بثارها ونادت بنو عبس بكناها وافتخارها وكذلك بنو قضاعة وفارسها الأمير عمرو ذو الكلب وأخته قناصة الرجال أثاروا فى الحرب غبارها وخاضوا قساطلها وقتارها وعملت منهم الرماح فى الأشباح ولبست الأجساد من الدما وشاح ونادى المنادى بلا جناح وصاح وتمنى الفارس أن طير بلا جناح وبيعت الأنفس بيع السماح وتساوى فى أعين الفريقين المساء والصباح وبات فى وجوههم شخص الموت ولاح وعبست الوجوه الصباح وضجت الفرسان من ألم الجراح ضجيج النوق عند الرحيل والرواح وزعق غراب البين وناح وفر الجبان وطلب الرواح وضاقت على الهارب الأماكن الفساح ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار وارتحل وأقبل الليل وانسدل وقد تحير الملك الجوفران وتبلبل من قتال بنى عبس وما عملت فى ذلك اليوم من العمل لأنه ما ظن أنهم يثبتون بين يديه لضرب السيوف ولا علم ان كل واحد منهم يعد بألوف لاسيما وقد معهم الأمير عمرو ذو الكلب البطل الموصوف وأخته قناصة الرجال وهى كأنها اللبوة إذا فقدت أشبالها وعادت الطائفتان عن الحرب والطعان وكل منهم ما يصدق بالخلاص من الميدان (قال الراوى) واعجب ما جرى فى هذه القصة الحجازية من أحاديث العربان أن الملك الجوفران لما نزل فى سرادقه وأحاطت به البطارقة والرهبان من كل جانب ومكان أقبلت أمه على جرى عادتها ومن حولها أكابر دولتها وأرباب خبرتها وكان قد انحرف عنها لأجل الكلام وما لاقى فى ذلك اليوم من الحرب والصدام وقد خلت إلى الاسارى فوجدتهم بما حل بهم من الأسر حيارى فتعجبت من أمرهم وأهالها عظم صبرهم فقالت لهم من أى البلاد أنتم ومن أى القبائل ومن أى العرب قد تجمعتم (قال الراوى) فقال لها دريد بن الصمة يا ملكة أما نحن فمن قبيلة واحدة وان قبائلنا من بعضها متباعدة ونحن من ثلاث قبائل ولكننا من قوم كرام أصايل أنا من هوازن وجشم

وهذا الفتى ورفيقه ينتسبون إلى باولاد عمى وأشار إلى دنار بن رورق وخفاف بن ندبه وكانت رحمتهم الملكة مما حل بهم من تلك الأمور الصعبة وهؤلاء الأربعة من بنى عبس وعدنان وأشار إلى الغضنفر وعنترة وياسر وليث الميدان وكذلك هذا الولد ابن الونا وأشار إلى الجذروف وأنه من دوننا بالمكر والخداع موصوف (قال الراوى) فعند ذلك تقدمت الملكة أم الملك الجوفران ووقفت على رأس الغضنفر وكذلك أم الزعازع عنيترة بنت عنتر وقالت له يافتى أنت من بنى عبس كما تقرر فما يكون منك ابن شداد عنتر فقال لها ياسيدتى هو أبى كان فقالت ما أصابه من غدرات الزمان فقال الغضنفر قتل ظلما وعدوان فقالت له وابنه عبلة ما فعل بها الزمان فقال لها قد قتلها شخص من بنى عامر وأحل بها الهوان وكان يقال له عامر بن الطفيل ولكن كان من شجعان الزمان وقد زوجها بعد أبى ورحلته لما قتل وحانت منيته (قال الراوى) ثم حدثها بالحديث على جليته فقالت له وأنت أمك تزوج بها أبوك بعد عوده من عند الملك قيصر قال بل أن أمى أقرب ما يكون إلى الملك من دون البشر وهى بنت أخيه وتسمى الملكة مريم وكان قد تزوجها من الملك قيصر بحضور أخيها بالمقام وكان ذلك منه الاكرام لما أتى إليه فى مدينة الكبرى وله فى حمايتها خدم لما سطا عليه الملك بمند أخو الملك خيلجان الذى قتله أبى عنتر فى بلاد العجم وكان ذلك منه فيما تقدم فقالت له وما تكون منك هذه الفارسة السمرة اللون المليحة المنظر والكون فقال لها يا ملكة هذه أختى من أبى وقد حل بها من قتل والدى ما حل بى وهى تسمى أم الزعازع ولبوة الوقائع وجامعة نملنا وحاميتنا كلنا فقالت له وأمها تزوج بها أبوك بعد رجوعه من بلاد الروم فقال كذلك أبى عاد إلى الحجاز وتلك الرسوم وأمها تسمى الهيفاء قناصة الرجال أخت الأمير عمرو ذو الكاب الفتى الرئبال فقالت وهؤلاء الفرسان الآخران ما يكونان يافتى منك فأخبرنى بالصدق وأبشر بزوال الضيق عنهما وعنك وكانت قد عنت باشارتها على ياسر وليث الميدان وكانت قد ظنت فى نفسها أنهما أخوان (قال الراوى) فقال لها الغضنفر ياملكة أما هذا فهو ابن أخى ميسرة بن عنتر وأما هذا فهو ابن عمى مازن أخى أبى وكان الأصغر وأننا ما اجتمعنا عليهم إلا بعدة لأبى وأنذر لأمهما وبيا عند الملكة حليمة بنت صاحب الشام وكانا أوهما قتل قبل أبى وربما أفتاه ولكن عندها وعند أخيها الملك عمرو وفى خيرات وإنعام (قال الراوى) فقالت له الملكة وهذا السلال هو ابن عمك شيبوب فقال نعم هو ذلك ياقوت القلوب فقالت له وعمك شيبوب ما كان منه فقال قتل وانقبر قبل أبى بشمان سنين أو أكثر فقال لها الغضنفر ما أراك ياملكة إلا عارفة بنا عالمة المعرفة وتصفى أنسابنا بهذه الصفة فمن أين لك علم ومعرفة بهذه الأخبار فقالت له أو كم كانت تصل إلينا مع السفار ولكن طيبوا قلوبكم فأنا إن شاء الله أكون السبب فى خلاصكم وإزالة كروبكم وأسيركم إلى بلادكم بما تبقى من جيوشكم وأجنادكم وأجتهد فى خلاصكم (قال الراوى) ففرح الجماعة بمقالها وشكروها على ما أبدت من

جميل فعالها ثم أنها مضت من عندهم بعد ما وعدتهم بخلاصهم من ضيق سجنهم وأرسلت مأكولا ومشروبا من الطعام ثم أنها أقامت إلى أن انفصل القتال فى اليوم الثالث وقد خافت من ولدها أن يحدث فى حقهم شيئاً من الحوادث (قال الراوى) وبينما هم على هذا الحال وقد انفصلت الطوائف عن القتال ورجع كل جيش إلى مقامه وأقبل الجوفران إلى سرادقه ومحل منامه وغلمانه وخدامه يمشون قدامه وقد أتى وهو ممتلىء غيظا وحنقا كيف لم ينل من كسر جيوش بنى عبس مرامه فما أكل طعام ولا غمضت عينه إلا بشىء قليل من المنام فرأى فى منامه ما أزعجه وأبهره فضاق صدره وزاد تكدره وصار من تلك الساعة لا يأخذه منام ولا التذ بأكل طعام ولم يزل على ذلك الحال حتى طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح وبطل فى ذلك اليوم القتال حتى ينظر ما يكون له من الأحوال ويفسر ما رآه فى المنام على أحد يكون يعرف فى تأويل الأحلام وكان من أمره ومنامه عجب لكل ما يأتى على الإنسان له سبب وذلك أنه لما أصبح الله بالصباح وجلس فى مقامه وطلب أن يفسر ما رآه فى منامه وقد انزعج لذلك وضاق صدره وزادت آلامه أمر باحضار القسس والرهبان حتى أنهم يعبرون له رؤياه فحضر قسيس ومطران وأحضر أيضاً البترك الكبير والمعمدان فقالوا له أيها الملك أبد لنا ما رأيته فى منامك ولذيذ أحلامك وأعلمنا ما هو الذى أزعجك من أحلامك (قال الراوى) فأقبل عليهم يحدثهم بما رآه ويبدى لهم ما نظره فى رؤياه وقال لهم إنى رأيت كأنى أقبلت إلى سرداقى هذا وجلست على سريرى كذا وإذا أنا بكتفى اليمين قد اختلج اختلاجا عظيم قد طلع منه يد مثل يدى هذه ولها ساعد مستقيم وامتدت من أصل كتفى حتى أنها لحقت بأصابعى وكفى فقلت فى نفسى وحق المسيح لقد بطلت همتى عن القتال وقد عجزت عن مكافحة الحرب والنزال وأننى خائف من هذه الأحوال وإذا بها قد التمت وصارت يدا واحدة وعادت إلى ما كانت عليه وبقيت فى أمورها متساندة وانتهيت بعد ذلك من منامى واستيقظت من أحلامى وأنا خائف مرعوب متكدر الخاطر وفى أمرى مكروب من عاقبة ما رأيته من أحلامى فبينوا لى شرح ما أنا لكم قائل إن كان أحد فيكم عارف بتفسيره عاجل فبينوا لى هذا المنام وفسروه قوام (قال الراوى) فتحيروا الجميع من ذلك المنام وعجز الكل عن تفسيره وبلوغ المرام فقالوا له بأجمعهم يا ملك النصرانية وسيد أهل ماء المعمودية أعلم أننا ما لنا علم بتفسير المنامات ولا نعلم بهذه الكائنات وحق المسيح والسبع كلمات وتربة الراهب ساحات الذى قعد أربعين سنة فى دير الزرزور ولم يغسل وجهه إلا من المعموديات ما عندنا علم بتفسير هذه المنامات

{ تم الجزء الرابع والخمسون ويليه الجزء الخامس والخمسون }

الجزء الخامس والخمسون

(من سيرة عنتر بن شداد)

(قال الراوى) فاغتاظ الملك الجوفران غيظاً شديداً ماعليه من مزيد من خطابهم وما أبدوا الرهبان من جوابهم فبينما هو على ذلك الحال الذى قد حصل إليه وإذا براهب من بعض الرهبان قد قام على قدميه وتقدم عنده وقبل الأرض بين يديه وقال له يا ملك الزمان أن أردت أن تعلم تأويل هذا المنام وما فيه من البرهان فأحضر الاسارى الذين عندك من هؤلاء العربان واستخبرهم فإنهم عارفون بمثل هذا ويبدون لك ما يكون من التأويل وما كان (قال الراوى) فاستصوت الملك كلام ذلك الراهب من دون الرهبان ثم أمر بإحضار الغضنفر وأصحابه اليه فمضى الحاجب وأحضر جميع الاسارى إلى بين يديه (قال الراوى) وكان من القضاء والقدر ومن جملة الأمر الذى فى علم الله مدبر أن الغضنفر أيضاً رأى مناماً فى تلك الليلة وهو منه فى هم وقعد فى ذلك الوقت يفسره على شيخ العرب دريد بن الصمة وليس عنده فى ذلك الأمر حيلة فقال له يا أبا النظر لقد رأيت الليلة فى منامى أمراً عجيباً وأرجو من الرب القديم أن يكون عاقبته إلى خير قريب فقال له دريد بن الصمة حامية عبس ما الذى رأيت أبده ولا تخفيه لعل أن أعرفه وأبين لك معانيه فقال له اعلم أنى رأيت كأنى فى حفيره على صفة القبر وهى حربة مدثورة وكان اقواماً يهددون بالقتل وقد ألقونى فى تلك الحفيرة ومضوا حتى وتركونى فيها فقمت وقفت على أقدامى أريد الخروج منها فرأيت الحفيرة منطقة من ذهب أحمر مرصعة بأنواع الدر والجوهر فمددت يدى اليها وقد مسكتها ومن الأرض على ساعدى رفعتها وتأملت فيها وتبينتها وإذا بها قد صارت منطقتين فشددت وسطى بهما الاثنين ثم تميزتهما وإذا بهما قد صارا منطقة واحدة وهذا منامى فبينه لى عسى أن يكون فيه الفائدة يا أبا النظر لانه عبرة لمن اعتبر قال الراوى فقال دريد وحق الإله السميع المجيب أن تفسير منامك هذا يدل على أن يظهر لك أخ عن قريب فقال الغضنفر يا أبا النظر أن هذا لا يصير ولا يتم ومن أين يتفق هذا وأبى قد عدم فقال دريد على طريق الملاعبة والمجون أنا أخبرك عن هذا الامر بما يكون وما فى الامر إلا أمك الملكة مريم تتزوج ببعض وترزق منه ولداً فيصير أخاك (قال الراوى) فقال له الغضنفر أى شىء هذا هذا القول المنكر يا أبا النظر فقال لهم الخذروف وقد زاد به الغضب وامتلأ غيظاً وأنت ربما أن يكون هذا الملك الجوافران أخاك وقد حملت به بعض النساء من أبيك فمال نفسك بهذه الافعال لانه يشابهك فى الزى واللون والقد والهيكل (قال الراوى) فعند ذلك

أجابهم دريد بكلام مذعر وقال وحق البيت والحجر والركن اليماني المطهر أن هذا الملك الجوفران أشبه الخلق بالملك الغضنفر وقد ضحك الخذروف من هذا الكلام فقال لا زلتم تعللون أنفسكم بالمحال والخلاص من القيود والأغلال (قال الراوى) فبينما هم فى المشاجرة والكلام الذى هم عليه وإذا بحاجب الملك الجوفران قد دخل عليهم وأمرهم بالحضور إلى بين يديه فامتثلوا أمره وقاموا إلى الملك الجوفران ودخلوا عليه وقبلوا الارض بين يديه ووقفوا مع جملة الحجاب القيوم فامرهم بالجلوس ليقص عليهم ما رآه فى المنام وسألهم عن تفسير تلك الأحلام وذكر لهم الرؤيا كما وصفناها على جليتها (قال الراوى) فقال له دريد أيها الملك أن الذى قد ظهر لى من تعبير أحلامك وتفسير ما رأيته فى منامك أن يظهر لك أخ ويكون له جيش مثل جيشك وأجناد مثل أجنادك أو يتغلب عليك بعض الملوك ويأخذ منك بلادك ويقهر جميع أجنادك فقال الملك الجوهران ياشيخ أبى قد مات وأمى ما بقيت تتزوج أبداً على مدى الأوقات وما هو إلا قد ذكرت أن يتغلب على بعض الملوك الذين هم لى من جملة الاعداء فقال له دريد هذا ما عندى من شرح ذلك المنام (قال الراوى) ثم أنه لما سمع من دريد ذلك الكلام وسمع تفسير المنام أخذه هم كثير ووسواس حتى ضاقت منه الأنفاس وقال فى نفسه ما فى الأمر إلا أنى أرمى رؤس الذين أسرتهم إلى أصحابهم حتى تنحل عزائمهم وأعمل بعد ذلك على عشائرهم وأبيد عساكرهم وأعود إلى بلادى من قريب قبل أن يظهر لى عدو غريب (قال الراوى) ولما قويت همته على ذلك عول أن يضرب رقابهم ويسقيهم كاس المهالك ثم أنه فى عاجل الحال دعا بسيافه وأمره أن يضرب رقاب الاسارى ويسقى كلا منهم كاس اتلافه فقال له الخذروف لا ستر الله عليك واحل بك الارتباك هذا يكون جزاؤنا منك على تعبير رؤياك ثم أنه التفت إلى دريد وقال له وحق البيت الحرام ما جلب لنا هذا البلاء والانتقام إلا انت بتفسيرك لهذا المنام وقد خاف على بلاده لما سمع تفسير منامه وقال فى نفسه إذا نحن قتلنا انكسرت عشائرنا قدامه فقالت لهم عنيترة سلمنا امرنا إلى رب العباد ومنشىء السحاب الذى إذا دعى اجاب هذا والملك الجوفران قد صرخ فى سيافه بصوت مريع وامره بضرب رقاب الأسارى الجميع فاقبل عليهم السياف واول ما وقف على راس الغضنفر واشهر فوق راسه حساما ابتر ورفع يده لينزل بالضربة عليه وإذا بام الملك الجوفران قد وصلت إليه وفى عاجل الحال حصلت بين يديه لان الخبر قد وصل اليها بما قد عول عليه ففى ساعة الحال اتت والى نحوه سعت واشرعت فنهض قائما اليها واجلسها إلى جانبه وسألها عن سبب مجيئها فقالت له ايها الملك على ماذا عولت فانى اراك فى همة فاخبرنى على ما عزمت عليه من تلك الملمة فقال لها قد عولت على قتل هؤلاء الأسارى الذين فى قبضتى وارمى برؤسهم إلى اصحابهم واشفى بذلك علتى حتى تنحل عزائمهم واحل عليهم وافرق جمعهم واطرحهم على الصعيد واطحنهم

طحن الحصيد وأبلغ منهم ما أريد وأرجع إلى بلادى عن قريب غير بعيد فقالت له أمه ياولدى ماهذا صواب وربما ينفتح من هذا أبواب لأنك تعلم أن وراء هؤلاء من لا يغفل عنهم وأن قبلت الراى فلا تقتلهم إلا إذا وصلت بهم إلى بلادك وجزائرك ومعك جيوشك وأجنادك حتى علم سائر الطوائف الذين كانو يترقبون عارك وانك قتلت الذين يعاروك بهم وانك قد احذت بثارك (قال الراوى) فلما هو إلا ان سمع الملك الجوفران من امه ذلك الكلام حتى قال لها وحق المسيح ما بقيت استطعم فى ليلتى هذه بطعام ولا اذوق طعم منام حتى ابرى رؤسهم عن الأجسام فقالت له يابنى لا تفعل فربما تندم ويحل بك الندم فغضب لما سمع منها ذلك الكلام الذى يوجب الخلاف وغضب عند ذلك ولح على السياف وامره ان يضرب رقابهم ويحل بهم التلاف والسياف يتقدم فى ذلك ويتأخر ويترقب كلامها لما رآها قد اكثرت فى ذلك اهتمامها ثم انها لما راته مصمما على قتلهم تقدمت إليه وقد علمت انها إن توانت عليه قتلهم وفعل ما عزم عليه فعند ذلك تذكرت جميل عنتر وإحسانه إليهم وما صنع معهم من المكرمات وتفضلاته عليهم وكيف قتل عدوهم الملك صافات وكيف سلموا إليهم جزائر الواحات فعند ذلك اقبلت بلسان الافرنج على الملك الجوفران ولاطفت له فى الكلام حتى أنه لان وقالت له ياولدى كيف تطيب نفسك ان تقتل اخوتك واولاد عمك (قال الراوى) فلما سمع ولدها كلامها سارت عيناه مثل لظى الجمر وصار كأنه قد شرب كثيراً من الخمر وقال لها ومن هم اخوتى واولاد عمى وماهذا الكلام وما اظنك إلا فى اضغاث احلام فقالت ياولدى وحق الإنجيل المكرم والمسيح المعظم وحق السيدة ام النور مريم ان هؤلاء الاثنين اخوتك ونسبتهما لاحقة بنسبك وابوهما عنتر ابوك وهذه عنيترة اختك وهذا الغضنفر اخوك (قال الراوى) فلما سمع الجوفران كلامها وما ابدته له من مرامها قامت عيناه فى ام راسه وخاف من سطوته جميع جلاسه وقال لها من شده ماضاقت انفاسه ويلك ياملعونة ابليس ابى الملك كوبرت فقالت له ياولدى اسمع ما به إليك اشرت فان حديثى عجيب وامرى مع ابيك غريب لأنه لو كتب بالذهب على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن تبصر ثم انها انعطفت عليه وتقربت بنفسها اليه وابتدات تحدثه بحديثها وكان الكلام بينهما بلسانها وحكت له من اول الأمر إلى آخره وعرضت عليه باطنه وظاهره وماجرى لها من اول الزمان وما سبق حديثه فى هذا الديوان من امر عنتر بن شداد وما جرى له مع ملك قيصر لما حضر عنده القسطنطينية وتلك البلاد وكيف اهداها له الملك قيصر لأبى الفوارس عنتر وكيف باتت عنده ليالى كثيرة وكيف كان قد لحقها من رؤيته الانبهار والحيرة وكيف اراد شيبوب قتلها والأمر الذى كان بين كوبرت وبينها وكانت قد علقت من عنتر لما اهداها له الملك قيصر وايضاً اخبرته بمسير ابيه عنتر مع هرقل ابن الملك قيصر وقتله للملك اليلمان وابنه سرجوان وزواج الملك هرقل

بالملكة مريمان ابنة الليلمان وأيضاً حدثته بحديث المرج والقصر وما جرى لها مع شيبوب وما كان وأظهرت له سرها وبان الكتمان وقالت له ياولدى والآن قد صح الخبر وبان الامر واشتهر وأنت بعد هذا ورأيك أخبر وقد أطلعتك على ما كان من الأمور المخفية ولم أكتم عنك شيئاً من هذه القضية (قال الراوى) ولما سمع الجوفران من أمه هذه الأخبار أخذته الحيرة والانبهار وقال لها ياأماه ما كان من هؤلاء القوم أحد معكم فى ذلك الزمان حاضر حتى أسأله من حديثكم أولاً وآخراً ويكون الذى قلتيه له عندى تأكيد وبيان وتقوم لك بذلك الحجة والبرهان فقالت له أمه ياولدى وحق المسيح لقد قلت قولا صحيح أعلم ياولدى أن من صحة الخبران أباك الأمير عنتر لما دخل الجزائر ما كان معه إلا مرقل الملك قيصر وأخوه شيبوب وكذلك هذا ابنه الخذروف الآخر فقال لها ومن هو بين هؤلاء الجماعة الخذروف فأشارت اليه وقالت له هاهو هذا السلال الذى هو باللصوصية والخداع موصوف وهو الذى أتى بتلك الحيلة ليخلص منك الرجال من الشد والاعتقال (قال الراوى) فعند ذلك أمر الجوفران بإحضار الخذروف اليه فقدم فى ساعة الحال إلى بين يديه وجميع جوارحه تخفق الخوف اليه فقال له الجوفران أنت الخذروف فقال له نعم أنا ابن شيبوب الذى أخوه عنتر بن شداد المعروف فقال له الجوفران ويلك ياخذروف أبوك شيبوب قد دخل إلى جزيرة الكافور وحضر مع عمك عنتر فى فتح قلعة البلور كان كذلك فاشتهى منك أن تخبرنى كيف كانت هذه الامور (قال الراوى) فلما سمع الخذروف من الملك الجوفران هذا الخطاب خاف من عاقبة هذه الاسباب وقال فى نفسه ربما يكون عمى قد قتل الملك الجوفران من يقرب اليه فيريدان يأخذ بثارة عنا ويقضى علينا فبقى مرتبكا فى أمره وقصته ولكن قد علم أن لا بد له من إجابته فقال له نعم يا مولاى كان ذلك من عمى عنتر قبل موته (قال الراوى) ثم أن الخذروف تذكر أيام أبيه شيبوب وعمه عنتر فجرت دموعه على خديه كأنها المطر وتنهد وتحسر وكذلك أولاد عمه عنيترة والغضنفر (قال الراوى) هذا والملك الجوفران قد أخذه عند بكائهم الدمع والرجفان وقال للخذروف هل تعرف أحد إذا رأيته من أهل ذلك المكان من الرجال أو من النسوان فقال والله يامولاى ما أعرف غير الملكة مريم والملك كوبرت وكنت من نحو خمسة وعشرين سنة من عندهم قررت فقال له الملك الجوفران وأنت إذا رأيت الملكة مريم فى غير جزيرة الكافور اتعرفها فقال له الخذروف نعم يامولاى وحلاها وأوصافها فقال له الملك الجوفران فهل اجتمعت عليها فى جزيرة الكافور فقال له نعم يامولاى وفى مدينة القسطنطينية ومضى لنا فيها أيام ذات بهجة رضية (قال الراوى) ثم انه انه ابتدا يحدثه بالقصة من أولها إلى آخرها وشرح له فيها جميع باطنها وظاهرها وما جرى لعنتر وللملك كوبرت وقال له هذه حكايتى فلما سمع كلامه وافق كلام الملكة مريم وما حكمت

له عليه فصح عند الملك الجوفران أنه ابن عنتر وأنه من بنى عبس وعدنان لما بانت له تلك العلائم والبرهان فعند ذلك قال له يا خذروف والجارية مريم فى ذلك الزمان كانت قد حملت من عنتر قال أى وحق خالق البشر ولأجل هذا كان يريد قتلها عمى عنتر حتى لا يخلف منها فى بلاد الأفرنج ولد (قال الراوى) فعند ذلك أمر الجوفران باحضار عشر جوار وقال لأمه أذهبى واخفى نفسك عن هؤلاء الرجال الحضار فاذا طلبتك اتى إلى ويكون صحبتك هؤلاء العشر جوار ويكون ملبوسكم ملبوساً واحداً حتى يكون ذلك أقوى برهان وأعظم شاهد فأجابته بالسمع والطاعة وقامت من حضرته فى تلك الساعة ثم أن الملك الجوفران من وقته وساعته أمر بإحضار الجوار إلى حضرته وكان لهم كما أمرهم لبس واحد وزى واحد وصفة واحدة فاتين إليه ووقفن صفاً واحداً بين يديه وصاح عند ذلك على الخذروف وقال له ياهذا هدىء روعك وارفع عنك الفزع والخوف واخبرنى من هى الملكة مريم فى هؤلاء الجوار (قال الراوى) فرمقهم الخذروف وحققهم بالنظر وناداه يامولاى وحق العزيز الغفار أن الملكة مريم ماهى بين هؤلاء الجوار وحاشا تلك الملكة أن تتمثل إلا بنساء الملوك الكبار وهى ملكة وزوجة ملك صاحب قلاع وأمصار فتبسم من كلامه الملك الجوفران وطاب قلب الخذروف من تبسمه وأيقن بالأمان (قال الراوى) هذا كله يجرى والغضنفر عنيترة بنت عنتر ودريد بن الصمة وبقية الفرسان الآخر قد حاروا فى أمورهم وتقطعت من شدة الخوف من القتل ظهورهم بعد ما كانوا قد صبروا أنفسهم على مرارة القتل والهوان كل هذا السياف واقف على رؤسهم ينتظر أمر الملك الجوفران (قال الراوى) ثم أنه استدعى بأمه فى تلك الساعة فحضرت كما أمر فى جملة عشر جوار آخر وقد لبست الجميع حلل الافتخار ووقفن بين يدى الجوفران بذلك الزى والملبوس بعد ماسلمن وحدمن وأمرهن بالجلوس ثم ألتفت إلى الخذروف وقال له بعد أن قعدت الجوار من الوقوف أيتهن الملكة مريم من بين هؤلاء الجوار فقال له أؤمرهن أن يكشفن لى وجوههن لأتحقق الأخبار (قال الراوى) فأمرهن بذلك فكشفن عن وجوه مثل الأقمار فاطال الخذروف فى وجوههن الانتظار إلى أن أتى تسعة من الجوار وآخرها كشف عن وجهها الملكة مريم فكان وجهها شمس النهار (قال الراوى) فلما نظر إليها ضرج بملء رأسه وقد زال عنه الخوف والفزع وكاد من شدة الفرح أن يغشى عليه ويقع وقال له ياملك وحق البيت الحرام وبئر زمزم والمقام هذه هى الملكة مريم زوجة عمى عنتر البطل الهمام قال الراوى فعند ذلك أمر الملك لبعض البطارقة بالوقوف أن يتقدموا ويحلو وثاق الخذروف فعند ذلك قام الخذروف على قدميه وتقدم قدام الملك الجوفران ووقعت بين يديه فنظرت إليه الملكة مريم بعيون أحد من السيف فانكب على يديها وهو بقلب ملهوف وصار يقبلها

وقد استقر منه فؤاده المرجوف قال الراوى فعند ذلك دمعت عين الملك الجوفران وأخذته حنانة الإخوة ولحقته الرعدة والرجفان وطار قلبه إلى إخوته عنيترة والغضنفر فقام فى عاجل الحال بنفسه وهو مثل الأسد القسور وقد أخذ السيف من يد السياف فعند ذلك أيقن الأسارى بالتلاف لأنهم لم يعرفوا ما وقع بين الملك وبين والدته من الاختلاف وما ذكرناه من تلك الأوصاف أنه تقدم إلى أخيه الغضنفر وحل كتافه من يديه وفك قيده من رجليه وكذلك فعل بعنيترة وأمرهما بالقيام فقاما على أقدامهما وكأنهما قاما من مقبرة وقد قبض على يد الملك الغضنفر بيده اليمنى وقبض على يد عنيترة بيده اليسرى وأجلسهما معه على السرير وقد نال بذلك الفرح والتبشير ثم أنه قدم بقية الأسارى بين يديه وقد أزال من عليهم الوثاق والقيود وهم لا يعلمون لذلك سبباً محدود وكل منهم قد أقر بذلك عينيه ولا يعرف من أين الفرج أتى اليه (قال الراوى) ثم أن الملك الجوفران قال لأمه يا أمى اشرحى حديثك لهؤلاء الفرسان كما حدثتينى فى الأول بهذا الشأن فأخبريهم كما أخبرتينى ليزدادوا بذلك يقيناً وبرهاناً (قال الراوى) فعند ذلك شرعت الملكة مريم دريداً والجماعة المأسورين بلسان عربى فصيح وأخبرتهم بحديثهم من أوله إلى آخره وما كان من ذلك القول الصحيح والخذروف يصادقها على ذلك بالتصريح وفى آخر الحديث قالت إن هؤلاء الأميرة عنيترة وأخوها الغضنفر إخوة ولدى هذا من أبيهم عنتر (قال الراوى) وأعجب ما فى هذا الديوان أن الخرزة التى كنا ذكرناها فى كتابنا من قديم الزمان التى كانت أعطتها مريم لعنتر عند دخوله القصر من أجل الطعام المسموم لما جرى بينه وبين الخذروف ما جرى من ذلك الكلام المعلوم وكانوا ثلاثة فأعطت لعنتر واحداً والخذروف واحدة وادخرت الثالثة عندها لأمور تكون عائدة وكان عنتر لما تزوج بالقناصة وجرى له ما جرى أعطاها تلك الخرزة وأوصاها بحفظها وأعلمها بما يكون منافعها فلما وضعت بنتها عنيترة بنت عنتر وظهر منها ما ظهر خافت عليها من مكايدة العرب وعواقبها فوضعت تلك الخرزة فى عنقها وأوصتها عليها وأعلمتها بمنافعها قال الراوى وفى تلك الساعة نظرت الملكة مريم بعين الخبرة فرأت الخرزة فى رقبة عنيترة فصاحت صيحة عالية وقد بان لى فى هذا الوقت الأمر الصحيح فقال لها وما هو هذا التلويح فقالت أن الخرزة التى أعطيتك إياها وأمرتك أن تجعلها فى عنقك لتقيك من كل أمر محذر كنت أعطيت لأبيك عنتر خرزة مثلها وها هى فى عنق أختك عنيترة وقد بان الحق وظهر ثم أنها قالت لعنيترة يا بنتى أرينى هذه الخرزة التى فى عنقك لعل أن يكون كمال إظهار الحق ببركتك قال الراوى فنزعتها عنيترة وناولتها للملكة مريم وسألت عن الخذروف على الخرزة التى ذكرها تقدم وما صنع بها من الأمر المحكم فحدثها بحديث رواجه بأمية الضمرية وكيف أعطاها لها ليلة دخوله عليها وما جرى لها من تلك الأمور المبقية وكيف التبست حالتها وما

جرى بها من السبي وما أصابها من الرزية قال الراوي وما جرت هذه الامور في تلك الساعة حتى أيقن الجوفران وتحقق أنه ابن عنتر فوثب قائماً على قدميه وقبل وجوه إخوته عنيتره والغضنفر وبان الامر له ولكل من في ذلك المقام حضر ثم أنه عانق دريدو بني عمه كذلك بني عبس السادات وفي دون ساعة دقت الكؤسات ونعرت البوقات وزادت الضجات وعظمت المسرات فسمع بنو عبس أصوات الزمور وحس النقارات وصهيل الخيل الصافنات فركبت الرجال والفرسان وركب عمرو ذو الكلب وأخته الهيفاء وجميع الشجعان وركب زيد بن عروة والديال بن المضبان وقالوا ما هذه الفرحة التي في جيوش أهل ملة الصلبان إلا أنهم قتلوا أصحابنا وسقوهم كاس الهوان قال الراوي ونظرت الافرنج إلى خيل العرب وقد ركب والرجال على القتال قد عولت فأخبروا الملك الجوفران بما قد جرى فأمر ابن عمه الخذروف أن يسير إلى بني عبس ويعلمهم بما جرى وأن الملك الجوفران قد بان أنه ابن عنتر وهو أخو عنيترة والغضنفر فما كانت إلا ساعة كلمح البصر حتى صار الخذروف بين يدي عمرو ذو الكلب وهو كأنه النار ذات الشرر فوجده طائر العقل وهو في غاية الخوف والحذر فناداه يا أمير ليزول همك ويطمئن قلبك فاشكر إله السماء على ما أوصلك من الفضل والنعمة فقال له عمرو اكشف لنا صحة الخبر وأزل عن قلبي هذا الفكر هل خلص من الاسر عنيترة والغضنفر فقال له نعم يا أمير الامرا وابشر لا ببشارة اخرى تسرك وتزيل عن قلبك الضرر وتبقى في الكتب تؤرخ وتذكر وقد صح الخبر بأن الملك الجوفران قد ظهر انه ابن عمي عنتر وهو اخو عنيترة والغضنفر فلما سمع عمرو ذو الكلب هذا الخبر قد لحقه التعجب والفكر فقال اخبرني عاجلا واوضح لي عند هذا القول المشتهر فقال له الخذروف هو صحيح ما قلته لك وحق البيت العتيق المطهر وحق زمزم والمقام والركن اليماني والحجر قد صح ان الملك الجوفران اخو اولاد عمي عنيترة والغضنفر وقد أبان هذا الامر واشتهر قال الراوي ثم أن الخذروف ابتدا وشرح لعمرو ذو الكلب بما جرى وكان وأوضح له عن طريق الهدى والبرهان فزادت سماع تلك القصة أفراحه وكثرت مسراته وزاد انشراحه واشتاق إلى رؤية أم الزعازع عنيترة وأخيها الغضنفر والجوفران ومن معهم من الفرسان فركب مع الملك زهير وزيد بن عروة وسبيع اليمن والديال بن المضبان وسادات بني عبس ومن معهم من بني قضاعة الشجعان وركبت الهيفاء قناصة الرجال قد اشتاق قلبها إلى رؤية ابنتها أم الزعازع قتالة الابطال وساروا إلى ملتقى بعضهم بالسرور والاقبال بعدما كانوا عازمين على الحرب والقتال ولم يزالوا سائرين والخذروف أمامهم حتى وصلوا الى سرادق الملك الجوفران ونظر الغضنفر إلى الملك زهير وإلى عمرو ذو الكلب وسادات بني عبس وعدنان وقد أقبلوا وجوههم متباشرة بالقبول والرضوان فقال للجوفران يا أخي هذا

الملك زهير سيد بنى عبس وغطفان وهذا الذى بجانبه الأمير عمرو ذو الكلب سيد بنى قضاعة إلى حد بلاد السودان فعند ذلك قام لهم الملك الجوفران وتلقاهم بالفرح والهناء والاطمئنان وخدم الملك زهير تلقاهم أحسن الملتقى وزال عن الطائفتان تعب الحرب والبؤس والشقا وكذلك عنيترة والغضنفر التقوا بعمر ذو الكلب ومن معه من الفرسان وأخته قناصة الرجال وظهر الحق وبان الكتمان وزال الشك واتضح البرهان وجلس الملك زهير إلى جانب الملك الجوفران بعدما سلمت الفرسان على الفرسان ثم أنهم اجتمعوا فى السرداق وحققت لهم الحقائق وبلغوا من بعضهم البعض المراد وزالت من قلوب الطائفتين الأضغان والاحقاد (قال الراوى) هذا والملك عمرو بن الوهاب وأخته حليمة على أسوار دمشق وقد أخذهم الخوف وهم يظنون أن بنى عبس قد اصطلحوا مع الأفرنج على تخليص الاسارى وضاقت صدورهم وبقوا متبكين وفى أمورهم حيارى وما خفى حالهم على الغضنفر فأرسل إليهم السور ونادى وأعلن بالفرح والسرور وصاح بأعلا صوته أنا الخذروف بن شيبوب وقد عاتيتكم بما يسر القلوب ويزيل الكروب فعند ذلك فتحوا له الباب وفى عاجل الحال أحضروه إلى بين يدى الملك عمرو بن الحارث الوهاب وأخته حليمة قد أخذها من ذلك الأمر الذى حصل الخوف والارتباك وكذلك أخوها وعن عنده من الحجاب وقد أوقدت من قلوبهم نار الالتهاب فقال لهم الخذروف ياملوكنا يهنيكم الفرح والسرور وإزالة المحذور ثم أنه ابتداء حدثهم بجميع أموره فهنا لك دقت الكاسات ونعرت البوقات وزادت الفرحات وعظمت المسرات وأمر الملك بفتح أبواب البلد وأظهروا الزينة والسلاح والعدد وفرقوا الصدقات على الأيتام والأرامل وزالت عنهم المخاوف وفى عاجل الحال ركب الملك عمر وفى خواص قومه وحجارته وقرائبه وأصحابه وساروا إلى خدمة الملك الجوفران وأخيه الغضنفر وأختهم أم الوعازع الأميرة عنيترة بنت عنتر وقد لبسوا ألوان المنسوجات من الثياب والتقوا الملوك فى أطراف الخيام والاطناب وسلموا على بعضهم البعض بعدما حققت الحقائق واستقر بينهم الحال وانقطع القيل والقال قال الراوى كان السبب فى طلوع الجوفران وفى هذه الأحوال وأصل هذا القتال سببا عجيبا وأمرا مطربا غريبا لأنه هو وأخوته أصل هذه السيرة وأخبارها وفروعها وبسبب أبيهم كان وقوعها حتى تكمل لهم لذة الكمال وذلك أن عنتر لما كان أتى إلى عند الملك قيصر وفعل ما فعل من ذلك الأمر تحرر وكيف أهدى له الجارية مريم وباتت معها ليالى عديدة كما تقدم وكانت قد حملت من عنتر وما أراد أن يظهر له منها فى بلاد الروم ولد ذكر وكان مشيئة الله وإرادته أقوى وأقدر وأذن الله تعالى أن يظهر له ولدان ذكور ويكون لها أمرا مشهور ويحدث من بعد الأمور أمور وأرسل شيبوب إلى خلفها حتى

أن يقتلها وكان الله تعالى قدأراد سلامتها وقد ضربها شيبوب بالخنجر ولم تعمل ضربته فيها بالخنجر لجرحها وأخذها كوبرت ونزل بهافى المراكب وسافر بها إلى جزيرة الكافور ونواحيها واتفق أن عنتر سافر هو وهرقل ابن الملك قيصر إلى الكافور وزلمه البلور وقتل الملك الليلمان وكذلك ابنه سرجوان وملكوا ابنته الملكة مريمان وجرى له فى تلك الديار ماقدشرحناه من الكلام وأعطا لهذه الجارية مريم الزمام وسافر بها إلى جزيرة الواحات وملكها بعدما قتل الملك صافات وكانت غيبة عنتر عشر سنين معدودة وأشهراً معلومة مفهومة فوضعت مريم هذا الولد بعدمضيه إلى جزيرة الواحات وكان الملك كوبرت قد تخلف عن المسير معه ليستعد لهم بالعلوفات ويلحقهم بها إلى مدائن الواحات فولدت مريم هذا لولدوهوأسمر زائد السمار وكان يضرب لونه إلى احمرار (قال الراوى) فلما نظر الملك كوبرت إلى صورته نفر قلبه من رؤيته وقال لها يامريم أنا أبيض أشقر وأنت كذلك بهذا اللون وأبهر فرأين هذا الأسود وصل لك بحق المسيح إن لم تخبرينى وإلاقتلتك فقالت له ياملك اعلم أن هدا الولد من عنتر بن شداد الذى أنعم على وعليك بهذه البلاد فقال لها كوبرت صدقت فى قولك وأنا أعلم أنهم عليه غصبوك ولكن هذا الولد إن خليناه عندنا نصير به معيرة بين الملوك فقالت له كيف يكون التدبير فقال لها نقتله ونستريح ولوبنا من معيرته عند الكبير والصغير فقالت إن كان ولابد فامهل على حتى أرضعه وبعد ذلك أفعل ماتريد فإن قلبى ليس راضياً أن يرميه ولا يضيعه فى اليد فلعل قلبى بعدالرضاع يساره وعنه يرجع بجفوه (قال الراوى) هذا يجرى وصاحب الأمر يدبر الأمر بحسن الإرادة وهو الذى يكفل الولدفى بطن أمه إلى حين الولادة فأخذت الطفل إلى حجرها وألقمته ثديها ورضع وفتح لها عينه فوقعت الحنية فى قلبها عليه وكثر عليه تأسفها وزاد لأجل قتله لهفها وتناثرت دموعها على وجنتها وبكت بوجدها وحرقتها فنظر إليها الملك كوبرت وكان يحبها فتقدم إليها ولاعبها وزاد فى قربها وقال لها ما أبكاك ياملكة أوقاك الله تعالى كل بؤس وهلكة فقالت له اعلم أن بكائى على هذا الطفل الصغير وماعنده علم من التدبير وهو على كل حال ولدى وقطعة من كبدى وأنا ياملك مايهون على قتله من أجل أمرين أحدهما أنه كما تعلم ولدى وقلبى قد تعلق به والثانى أن عنتر بن شداد أمير بنى عبس وقردان رجع من جزيرة الواحات وعبر علينا فلايخفى عليه هذه الحالات وربما أخبره بذلك الجوار والخدام لي خذبه عنده وجهاوأنت أعرف الناس به من دون العبادفان قتل ولدى منه كان يخرب هذه البلاد ويسبى النساء ويقتل الأولاد وإن كان ولابد من قتله فاقتلنى أنا الأخرى قبله ولاترينى قتله (قال الراوى) ثم أنها بعد ذلك أكثرت من البكاء والأنين والاشتكاء وكان الملك كوبرت يحبها كما ذكرنا فى الاول فرحمها لمارأى دموعها تجرى غزار وخاف من عنتر ومعرفته

به أنه بطل كرار فأبقى على الطفل الآثار فأخذته مريم وسلمته إلى الدادات وأقامت له السرارى والجوارى المرضعات ولم يعلم بقصته أحد لا أبيض ولا أسود وكانوا لا يقولون إلا أنه الملك كوبرت ولم يزل عندها حتى مضى عنتر إلى ما كان فيه وقضى الأشغال وعاد من الحرب والقتال وكانت غيبته ثلاث سنين كوامل لأنه كان قد مضى وتركها حامل ولم يعلم بشىء من تلك الأمور ولم يدر ما هو فى الكتاب مسطور ولما رجع من سفرته كان الولد عندها وفى خبايا مدخور (قال الراوى) ولم يزل هذا الولد يكبر وينشى ويد القدرة تكتنفه كلما قام ومشى وهو يربى حتى ركب الخيل والجنائب وبقى حوله المماليك والبطارقة والحبائب وكل من يخدمه ويتقرب له ويسير فى خدمته ولا راعب ولم يزل فى ذلك الحال حتى مات الملك كوبرت وشرب كأس الوبال وشاعت أخبار موته فى تلك الديار والجزائر والمربيات فطمعت عليهم أهل جزائر الواحات وتجهز ملكها فى عالم عظيم وسار يطلب جزيرة الكافور وقلعة البلور وما حولها من الأقاليم ووصلت الأخبار إلى الملكة مريم فخافت من الحضار فاحضرت من أصحاب الملك كوبرت المقدمين الكبار وأعلمتهم بما كان من أهل جزيرة الواحات وما بلغها من المقال ثم أنها أخذت رأيهم فى أمر القتال فرأتهم كما تحب وترضى وهم لها طائعون ولقولها ممعون فأمرتهم أن يأخذوا أهبتهم إلى السفر وخرجت فى جيشها وعساكرها وهى على غاية من الحذر وأخرجت الأموال وأنفقت على الرجال واستخدمت الأبطال وكان ولدها الجوفران معها صغير ولكن همته عظيمة ونفسه نفس ملك كبير (قال الراوى) ولم تزل الجيوش متبارة وهى مع بعضها بعض وهى طالبة فسيح الأرض وهى سائرة طولا وعرض إلى أن وقعت العين على العين وهمت بالحملة على بعضها جميع الطائفتين وأراد أن يلتقى الجيشان فمنعتهم من ذلك الرهبان والقسوس ودخلوا بينهم بالصلح وطيبوا منهم النفوس ويستقر الأمر بينهما بأن الملكة مريم تحمل الأموال فى كل عام وأن يبطلوا الحرب والصدام ويكون حمل المال إلى الملك شمروط بن دامات الذى هو فى ذلك الزمان صاحب جزيرة الواحات فلما تم الأمر واستقر عاد الملك شمروط طالب بلاده وقد كثرت عشائره وأجناده وقد ضيق على الملكة مريم البلاد وقد دانت له العباد (قال الراوى) وقد نشأ الجوفران نشأة الفرسان وتفرس على ظهور الصافنات فى الميدان وعلم على الشجعان وجندل الأقران وارتفع ذكره فى بلاد الافرنج الخاص منهم والعام والقريب والدان وخافت منه جميع عبدة الصلبان وهابوه الملوك والسادات وحملوا إليه العقارات حتى لم يبق عليه إلا جزيرة الواحات (قال الراوى) ثم أن الملك الجوفران كان جالسا فى بعض الأوقات وإذا قد جرى بين يديه ذكر مدينة الملك صافات وأنه كان يحكم على مدينة الواحات ولما قتل دومات تولاها من بعده أبوه الملك كوبرت وقعد تحت حكمه سنين معدات ولما مات

تغلب عليهم الملك شمروط بن دامات وملكوا منهم غصباً بعدما كان فيها ثابتاً فأخذها بغير استحقاق قال فلما سمع الملك الجوفران هذا الكلام صار الضياء في عينيه ظلام وأمر في الحال بتجهيز العشائر وإخراج الدساكر وصار يفرق عليهم أموال وآلة الحرب والقتال بعد ما جمع الفرسان والأبطال وسار طالباً جزيرة الواحات ومن حوله الحجاب والسادات وهو في عزمة قوية وهمة زائدة فوصلت الأخبار إلى شمروط بأن الملك الجوفران واصل إليه وقام عليه فلم يعتن به ولا عنه سأل وأمر الآخر في عاجل الحال بتبريز العشائر وإخراج الدساكر وكان ذلك في أقل من سبعة أيام وكان ذلك من كثرة ما عنده من الخيرات والأنعام وسار بين يديه الأبطال والأقران ليلتقي بهم الملك الجوفران قال الراوي ولم يزالوا سائرين حتى التقت العشائر بالعشائر والدساكر بالدساكر وقد ملأوا الأرض طولا وعرض وأوسعوا في تلك الأرض فعند ذلك قاتلوا قتالا شديداً ما عليه من مزيد وتقابلت الشجعان وأوسعوا في الميدان وسالت دماء الأقران وصارت الأرض وردة كالدهان مما سال عليها من أدمية الفرسان وتقابلوا حتى جرى الدم وساح وتكسرت العدد والسلاح وتطاعنوا بالقنطاريات وتضاربوا بالصفاح وامتدت الجثث في البطاح وصعدت الفرسان بالارواح بعد ما كانوا بها شحاح وعدموا أيام السماح وتقدم الشجاع وطاح وجال الفارس الجحجاح وتاجر الجبان وطلب الهرب والرواح وتمنى أن يكون له جناح ولم يزالوا في حرب أكيد وطعن شديد يفر منه البطل الصنديد إلى أن فرق بينهم الليل ورجعت الرجال والخيل وانفصلت الطائفتان وتحارس الفريقان إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فعند ذلك ركبوا الجواد القداح وعولوا على الحرب والكفاح وقد جردوا البيض الصفاح هذا والملك الجوفران قد سطا على أعداه وبلغ منهم مناه والتقى بذلك شمروط في وسط المعمعة وهو ينكس الأبطال ويطعن في صدور الرجال طعنا يقصر الأعمار الطوال فحمل عليه حملة بطل قد لاقى الأبطال وقاسى الاهوال ولاصقا وضايقه وسد عليه طرائقه وضيق عليه الرباح والبطاح وصاح في وجهه أعظم صياح وضربه بسيفه وإذا برأسه عن جثته قد طار وجرى دمه على الأرض وساح وحمل بعد ذلك على صاحب العلم الأخضر والصليب الجوهر وضربه بالسيف على صدره وخرج يلمع من خرزة ظهره فوقع على الارض وقد مال العلم فأخذ الجوفران قبل أن يقع على الصحصحان وبعد ذلك صار يطعن به في صدور الفرسان ويرمي رؤسهم من على الابدان وحملت من خلفه بطارقته والشجعان وعاونوه على الحرب والطعان وكان لهم ساعة تقشعر منها الابدان وتعد من ساعات الزمان مما قد سال فيها من أدمية الفرسان هذا والعشائر لما نظرت إلى قتل ملكهم شمروط وقد صار مرمياً في الميدان علموا أن ما ليس لهم على الجوفران لا بحرب طاقة ولا بحربهم استطاقة

فولوا الادبار وركنوا إلى الفرار ومنهم من ترجل إلى الجوفران وطلب منه الأمان فأمر برفع السيف عنهم ولم يقتل واحداً منهم وقد ملكوا أموال الملك شمروط واثقاله ودخلت تحت طاعته جميع رجاله فعند ذلك فرق الملك الجوفران الخلع على الابطال وقسم عليهم تلك الأموال ووهبهم النوق والجمال وألف قلوب الرجال ورحل طالباً جزيرة الواحات وقد رفعت على رأسه الأعلام والرايات ودقت بين يده النواقيس بأصوات مرتفعات ولم يزل كذلك حتى وصل إلى جزيرة الواحات ودخلها فى يوم مشهور وقد زاد به الفرح والسرور بما ناله من تلك الأمور وترجلت بين يده عشائره وأرباب دولته ودخل القصر وجلس على كرسى مملكته وقد زادت فرحته وقعد بعد ذلك يزور فى تلك الاماكن والقصور وأخذه الفرح والسرور وطابت له تلك البلاد وانت له العباد فعند ذلك أرسل خلف والدته الملكة مريم فلما وصلت بين يديه فرحت له بما وصل إليه وما ناله من تلك النعم وكان الملك الجوفران يتفرج فى تلك الأيام فى قصر الملك اسكندر وهو يدور فى جوانبه وينظر ما فى المكان من عجائبه ومعه وجوه قومه وأصحابه وأمراؤه وحجابه ونوابه وكان الجوفران إتخذ له من جزيرة الواحات وزيراً عاقل وكان رئيساً فاضل فانتهى الملك الجوفران وذلك الوزير معه وهو يتفرج ويتأمل فى حيطانه ونواحيه وأركانه ولا يمر بمكان ولا بباب ولا بجدران إلا و يسأل الوزير عنه وهو يخبره بأموره وما كان منه وما زالوا ينتقلون حتى وصلوا إلى قبة الأقفال التى قدمنا ذكرها فيما سبق لما حصر أبو عنتر إلى ذلك المكان ولم يقدر على فتحها من دون الجماعة إلا عنتر كما اتفق لما وجد الفرس الذى هو ملك الجن مما كان فيه من القيود والأغلال وأعانه على أخذ ثار ولده الغضبان لما وقع له ماوقع من الجن من الحرب والقتال كما تقدم (قال الراوى) فلما وصل الجوفران إلى هذا المكان أمر بفتحه فى عاجل الحال فازالوا ما عليه من الأقفال وفتحوه ودخل الملك الجوفران لينظر من بعد فتحته ما قد تجدد فنظر إلى صورة راكبة على ظهر فرس أسود فحار الجوفران من أمرها وسأل الوزير عن تلك الصورة وسبب وضعها فأخبره الوزير بخبرها ثم أنه دخل مخدعاً من جملة المخادع فوجد فيه صندوقاً كبيراً ففتحه فوجد فيه ثوباً حريراً فى وسط ذلك الثوب لوح من ذهب وعليه نقوش وكتابة يكاد نورها يلتهب فقرأها الوزير فرأى فيها اسم يأتى هذه المدينة وأنها تفتح على يد فارس أشبه الخلق بهذه الصورة وهذا أحاديث عن الأقدمين منقولة ومخبوره (قال الراوى) ثم أن الوزير جعل يشرح للملك الجوفران ما كان من قديم الزمان وما جرى فى هذا المكان لعنتر وحديث هرقل ابن الملك قيصر وأخبره عن أصل مسيره إلى تلك الجزائر وكيف كان حديث كوبرت وقتل عنتر لعمة الخاجان وأيضاً ماسه سوبرته ونوبرته والملك [illegible] وكيف قتل بعده ابنه سرجوان وكيف تزوج هرقل بعد ذلك ابنته الملكة مريم

لما دخل إلى هذا المكان وكيف شد مع الملك قيصر وفعل تلك الفعلات وقتل الملك صافائق وملك جزيرة الواحات وكيف سار بعد ذلك إلى جزائر الأندلس وحدثه بكل ما جرى من تلك الحكايات الماضية قال فلما سمع الجوفران ذلك القول من الوزير قال له أيها الأب الكبير وهذا عنتر بن شداد أين يكون من البلاد حتى أنى أسير إليه وأقتله وآخذ منه بالثار وأكشف بقتله عن ملة النصرانية العار فقال الوزير أيها الملك هذا فى بر أغبر ومسلك وعر أغبر يقال له بر الحجاز وهو كثير الخطر صعب المفاز فقال له الجوفران والطريق من أين إلى تلك البلدان فقال له الوزير من بلد يقال لها دمشق الشام فقال الجوفران دمشق لمن تكون من الحكام فقال له الوزير هى من تحت حكم قيصر ملك الروم قال الراوى فعند ذلك حلف الجوفران وشدد فى الأقسام وقال وحق الإنجيل والصلبان ومارى حنا المعمدان لا عدت أشرب مداما ولا اتلذذ بمنام حتى أنى أخرب القسطنطينية وأقتل الملك قيصر وأملك الشام وأرحل بجيوشى بعدها إلى الحجاز وأقتل أهله بحد الحسام الصمصام واقتل هذا الذى ذكرتم لى أن اسمه عنتر بن شداد وآخذ بثار عمى ومن قتل له من الأولاد واهلك من لنا من الأعداء والحساد (قال الراوى) ثم أن الملك الجوفران لما فرغ هو والوزير من ذلك الكلام أمر جيشه بالرحيل ودق كاسات التحويل واخذوا أهبتهم فامتثلوا مقاله وما مضى على ذلك الأمر إلا مقدار عشرين يوماً حتى فرغ من جميع أشغاله وسار فى دساكره وأبطاله وسافرت والدته الملكة مريم فى صحبته وذلك خوفاً عليه وشفقة منها إليه ولكن لم تعلمه بشىء من قصته حتى تعرف آخر فعلته قال ولم يزل الجوفران سائراً إلى أن وصل إلى شاطىء البحر واطراف الجزائر ونزل فى المراكب بجميع ما حاز من تلك الدساكر وقد طاب لهم الريح بإذن العزيز القادر حتى وصلوا إلى ساحل طرابلس وطلعوا إلى تلك البرارى كما قدمنا ووصلوا إلى مدينة الشام كما ذكرنا وملكوا البلاد على حسب ما شرحنا وسارت الملكة حليمة إلى بنى عبس واستجارت بهم فأجاروها كما وصفنا وساروا فى صحبتها وجرى من الأمر والقصة ما قدمناه وعرف الجوفران أخته عنيترة والغضنفر وأنهم الثلاثة أولاد عنتر وعدنا إلى سياق الحديث والخبر قال الراوى ولما اجتمع الملوك فى السرداق عند الملك الجوفران وخلع عليهم الخلع الغالية الأثمان واركبهم الخيل البحرية التى لم يوجد مثلها عند الملك كسرى أنوشروان وعرفه أخوه الغضنفر بموتة أبيهم عنتر ثم أنه شرح له ما كانوا عليه عازمين وعلى أخذ ثاره قادمين فأتت إليهم حليمة واستجارت بهم فاجاروها وحكت إلى الملك الجوفران كيف أتوا معها فى صحبتها بنو عبس لأجل أن ينصروها وأخبرته بالقصة التى جرت وأيضاً سأل المقدمين عن أبيه عنتر فحكوا له ما وقع به من الأمر المنكر فعند ذلك حلف الجوفران وشدد بالأقسام وقال لآخذن عظام أبى وأتركها فى قطع قديم وأخيط عليها وأحلف أنه

ما أدفنه دون ما آخذ بثاره من سائر العرب الذين قتلوه وآخذ بثار بنى عبس من القبائل التى اجتمعت عليهم لما فقدوه قال فلما سمع الملك الغضنفر كلام الجوفران أخيه أمر باحضار الثوب الذى عليه دماء عنتر أبيه وكان دم عنتر من يوم أن قتل لا يفارقهم لا فى السفر ولا فى الحضر فعند ذلك أحضروه فى الحال بين يديه وهو فى ثوب اديم مخيط عليه فبكى الجوفران وتباكت الرجال من حواليه وصارت الرجال تقرباليه هذا وشيخ العرب دريد قد ناله أعظم منال وكذلك عمرو ذو الكلب فعل مثل ذلك الفعال فعند ذلك نهض الجوفران قائماً على رؤس الملوك والفرسان ونادى يا ملوك الزمان اشهدوا على أنى وحق مكون الأكوان وخالق الانس والجان لا بقيت أذوق الشراب ولا ألبس من الحرير أثواب حتى آخذ بثار أبى من جميع العربان وأول ما أبدأ بهؤلاء الذين يقال لهم بنو نبهان ثم أنه أشار الى شيخ العرب دريد بن الصمة دون من كان حاضراً فى ذلك المكان لما ظهر عليه من الكبر وعلو الشأن وقال له يا شيخ أكتب لى أسماء القبائل التى اجتمعت بعد قتل أبى على هلاك بنى عبس حتى أسير اليها وآخذ منها بالثار ولو صلت الى مطلع الشمس قال فعند ذلك ابتدأ الأمير دريد وجعل يذكر له القبائل ويخبره عنهم الفارس والراجل وأول ما كتب بنى جشم وهوزان ولم يكن فى ذلك الأمر متهاون لأنها كانت شاركت العرب فيما فعلت وكان دريد نهاها عن ذلك فما انتهت قال ولما فرغ الجوفران ودريد من كتابة القبائل ولم يفته منهم لا فارس ولا راجل فعند ذلك استدعى الجوفران بخازن السلاح فحضر الى بين يديه فأمره أن يعرض خزائن السلاح وقال ائتنى بالدروع السوابغ التى هى برسمى فاحضرت اليه وكانت مغموسة بالذهب الأحمر وقال لهم ائتونى بالدروع التى بخزانتى ففى عاجل الحال أحضرت فصار يأخذ منها درعا بعد درع ووجهه لذلك الفعل عابس وصار يتركها فى الخل فتصير سوداء مثل الليل الدامس وكذلك فعل بالخوذ وسائر الملبوس والزرد هذا كله يفعل والملوك شاخصة بأبصارها اليه ولم يقدر أحد ممن ينظر هذا الفعل أن يسأله عليه ثم أنه بعد ذلك دعا بالثياب الكتان المصبوغة بالأسود وفصل منها ثوباً وهاتم تكفى عرب البر والفدافد ثم أنه بدأ بنفسه وخلع ما كان عليه من الملبوس النفيس ولبس عوضاً عنه ثوباً خاماً أسود وعمامة سوداء وغير حالته حتى بقى فى حال مهول وحلف برب مكة والحجر الأسود أنه ما بقى يخلع لباس السواد حتى يأخذ بثار أبيه عنتر بن شداد قال فأول من وافقه على ذلك الغضنفر وأخته أم الزعازع عنيترة بنت عنتر ولبسا من السواد وتظاهروا كلهم بلبس الزرد ومن فوقه أثواب السواد وكذلك فعل ياسر بن ميسرة وابن مازن ليث الميدان وزيد بن عروة والديال بن الغضبان وكذلك فعل مثلهم عمرو ذو الكلب وابن مقرى الوحش سبيع اليمن وكذلك وافقهم الملك زهير ومن معه من بنى عبس الشجعان وتقدم دريد بن الصمة ليوافق القوم على ما هم فيه من تلك الفعلة فاقسم عليه الجوفران أنه

لا يفعل لا هو ولا بنو عمه شيئاً من ذلك الفعل وقال له يا أبا النظر أهل الميت أولى بالبكاء
ولا بهذا الفعل نريد منك جزاء ثم أن سائر الملوك وسائر الكبار والصغار لبسوا
السواد وتظاهروا بالحداد ثم أن الملك الجوفران نصب له بيتاً من الشعر الأسود الحالك
وبنو عبس وبنو قضاعة جعلوا مضاربهم كذلك وفعلت الافرنج جيوش الملك الجوفران
مثل ذلك وبعدها أقاموا على دمشق عشرة أيام وبعد ذلك عزموا على ذلك الارتحال فبينما هم
على ذلك الحال إذا بغبائر رومية قد طلعت وأعلام قيصرية قد بدرت وكانت هذه
الغبائر غبائر الملك هرقل بن الملك قيصر وكان السبب في مجيئه إلى هذا المكان عمرو بن
الحارث سيد بني غسان وذلك أنه صح عنده الملك الجوفران بن عنتر فارس بني عبس
وعدنان اصطلحوا وطابت قلوبهم بذلك لشأن ما نفذ على اجنحة الطير واعلم الملك قيصر
فحار قيصر هو وأولاده من ذلك الخبر وأخذه الوسواس والفكر لأنه كان هم على قلبه
هماً عظيماً بسبب الجوفران وظهوره من تلك الأقاليم فأنفذ ولده هرقل بهدية حسنة
للجوفران وأخيه الغضنفر لما سمع أنهما أولاد الأمير عنتر وانفذ إليهما وأمرهما بالمسير
إلى القسطنطينية ليكون عهداً بهما ويزيدهما من العطية قال فعند ذلك ركبت الملوك
والأمراء والفرسان إلى ملتقى الملك هرقل من أبعد ملاقاة مكان وترجلوا له وعظموه
ومشت بنو عبس بين يديه واحترموه وهم كأنهم الغربان السود فسألهم الملك
هرقل عن حالهم وما هم فيه من ذلك الشأن فعند ذلك أخبره الملك عمرو بن
الحارث بحالهم والإيمان التي حلفها الجوفران فتعجب من فعالهم وبعد ذلك نصب لهم
الملك عمرو سرادقاً عظيماً من الحرير المختلف الألوان وانزلهم بعد ذلك إلى الصبح
في الميدان ولما كان من الغد استأذن الملك هرقل في الدخول إلى البلد وكذلك الجوفران
وأخوه الغضنفر فأجابوه إلى ذلك ودخلوا دمشق وأدخلهم إلى القصر وهو لا تسعه الدنيا
مما حصل له من الفرح والسرور وبقي معهم الملك هرقل عشرة أيام وهم يرتعون في حلل
الافتخار والانعام وبعد ذلك أمرهم الملك هرقل بالمسير معه إلى مدينة القسطنطينية فأجابوه
بالموافقة على تلك النية ورحل معه من الشام أولاد أبي الفوارس عنتر وهم الجوفران وعنيترة
والغضنفر قال هذا والملك هرقل قد سير قدامه بشيراً يعلم أباه الملك قيصر فلما بلغ قيصر
ذلك الخبر فرح واستبشر وأمر بتزيين البلد وقد نادى المنادي في المدينة أنه لا يبقى أحد من
النساء ولا من رجال إلا ويطلع إلى لقاء الملك هرقل وفرسان الحجاز الأبطال وركب
أيضاً الملك قيصر في عساكره وخدامه وسائر خواصه ووزرائه وسار من البلد مسافة يوم كامل
وهو بتلك العساكر والجحافل حتى لاح لهم غبار الملك هرقل ومن معه من الفرسان وانكشف
عنهم الغبار وبانت العيان ونظر بنو عبس إلى رايات الملك قيصر والصلبان فأسرعوا إلى أن

تقربوا من الملك ودنوا من بعضهم الطائفتان فعند ذلك ترجل الملك قيصر وكذلك فعلت فرسان بني عبس مثل ما فعل وترجلت أمراء الفرسان والعربان وترجل الغضنفر وأخوه الجوفران وكذلك أم الوعازع وليث الميدان وياسر بن ميسرة والديان بن العضبان وكذلك شيخ العرب دريد بن الصمة وخفاف بن ندبه ودثار بن زرق ومن معهم من الشجعان وأقبل أكابر الجميع إلى بين يدى الملك قيصر ملك عبدة الصلبان وقبلوا رجله في الركاب وبدؤه بالسلام والخطاب إلا الملك الجوفران وأخاه الغضنفر فانهم لم يفعلوا ذلك الحال لأن أنفسهم أنفس الجبابرة من الملوك الأوائل غير أنهما بداه بأيديهما بالسلام فعند ذلك التقاهم أحسن ملتقى وتبسم في وجوههم وقد أخذه العجب من زيهم وملبوسهم وسال ولده هرقل عما هم فيه من ذلك السبب فأعلمه بما جرى منهم وما اتفقوا عليه فتعجب غاية العجب قال ولما فرغوا من السلام على بعضهم عادوا راجعين إلى القسطنطينية وقد انتشروا في فسيح تلك الأرض حتى أشرفوا على المدينة وأمرهم الملك بالدخول إلى البلد ليشرفوها وهم بتلك التجملات وتلك الزينة فابوا عن ذلك الشأن وقالوا يا ملك الزمان نحن علينا عهود وإيمان أننا لا ناوى إلى الجدران ولا نستظل بسقف ولا حيطان ولا نحضر شرب مدام ولا نفارق لبس الخام ولا نلتذ بمنام حتى أننا نأخذ من جميع العدى ثارنا بحد الحسام ونفنى جميع أعدائنا اللئام فقبل الملك قيصر عذرهم بذلك الشأن وأنزلهم في مرج على باب القسطنطينية وأخرج لهم الزاد والعلوفات وأقاموا مدة والملك كل يوم بنفسه يخرج ويزورهم وينزل عندهم في ذلك المرج ويسألهم عن أمورهم ويذكر لهم الأمور التي تشرح بها الصدور إلى أن كان آخر يوم حضر الملك قيصر وباسطهم بالحديث وقد زادهم في علو الشأن فعند ذلك نهض الملك الجوفران قائماً على قدميه دون كل الناس وقال للملك قيصر يا ملك الزمان أن أردت أن تنفذ من نوابك من تختاره إلى جزيرة الكافور وقلعة البلور وجزائر الواحات وأعمالها من تلك المقامات فافعل فليس لى حاجة من تلك البلاد وما بقى لى رغبة في سلطنة ولا حكم على أحد العباد ولا بقيت أقعد على فراق أخوتى وبنى عمى الذين ينفرج بهم همى وغمى قال ففرح الملك قيصر بذلك الكلام وأجابه إلى ذلك المرام وفي عاجل الحال أحضر لهم الأموال العظام والثياب الفاخرة التي يلبسونها حين يفرغون من ذلك الاهتمام ومدهم بالخيل المسومة والرايات والأعلام وانعم عليهم غاية الانعام ثم أن الملك قيصر قال للملك الجوفران أعلم أن جميع خزائنك وأموالك التي في البلاد فهى لك وإذا طلبتها أرسلها إليك وأنا وأولادى وسائر بلادى بين يديك ولا تبخل بشىء منها عليك قال فشكره على ذلك الجوفران وعنترة والغضنفر وسائر العربان ثم أنهم طلبوا الإذن في الرحيل فعند ذلك قال له الملك قيصر يا فارس الزمان دع كل شىء على حاله إلى أن تأخذ ثار أبيك وتواريه إلى ترابه وارجع إلى أهلك وبلادك لأنك

قد ملكتها بعد أبيك بقائم حسامك وما لنا إلا رضاك رحم الله أباك (قال الراوى) فشكره على ذلك الجوفران وقبل يده وأثنى عليه ثم أنهم طلبوا الإذن فى الرحيل فأذن لهم وأمرهم بسرعة التحويل فباتوا تلك الليلة إلى الصباح ثم اهتموا وعزموا على الرواح وساروا طالبين بلاد الشام وقد سار معهم هرقل بن الملك قيصر لأجل وداعهم ثلاثة أيام وبعد ذلك حلفوا عليه وردوه بالعنف والإرغام ولم يزالوا سائرين ليلا ونهاراً يقطعون تلك البرارى والقفار إلى أن وصلوا إلى دمشق الشام ونزلوا فى تلك البروج الفياحة واستقر بهم المقام وأخرجت لهم الملكة حليمة الإقامات والعلوفات وأنواع الطعام وأكرمتهم هى وأخوها غاية الإكرام وبعد ذلك أحضر الملك الجوفران ما تحت يده من العشائر وجهز أحوالهم بالسفر إلى ناحية بلادهم وأما كنهم وذلك المستقر ثم أن الملك الجوفران قال لوالدته الملكة مريم يا أماه هل تختارى معى السفر مع إخوتى عنيترة والغضنفر والا ترجعى إلى جزيرة الكافور وتقيمين على ملكك وما تحت يدك من الجيش حتى آخذ ثار والدى من العدو وأقر بعد ذلك وأهدى فقالت له يا ولدى وحق المسيح ليس لى على فراقك مصطبر لأنك أنت السمع والبصر ثم أنهما بعد ذلك عزما على المسير وسرعة التشمير إلى ناحية بلاد الحجاز لينجزوا ما هم عازمون عليه من أخذ الثار غاية الانجاز فعند ذلك تقدم الغضنفر بين يدى أخيه الجوفران قبل أن يركب وقدم له مركوب أبيه كوكب والمهر غيهب وقدم له الدرع الداودى والدرع المذهب وقال له يا أخى هذا مركوب أبيك وهذا سيفه الضامى وسلاحه وأنت أحق به منى لأنك أنت ولده الكبير وأنا الأصغر لأن أختى عنيترة قدمت لى ذلك وأنت أحق به منى فقال له الجوفران وحق من خلق الشمس والقمر وأنبع الماء من الحجر انى ما أركب جوادا أنت علوته ولا ألبس ثيابا لبستها ولا سلاحاً قد تقلدت به فما انت والله اخى ابن الأمير عنتر ابى ومشاركى فى حسبى ونسبى ثم ان الجوفران تقدم ومسك ركاب اخيه الغضنفر واقسم عليه برب الركن والحجر انه يركب كما امر وبعد ذلك ركب الجوفران الآخر وركب سائر العربان وبقية العشائر وساروا طالبين البر الأنفر وقد نشرت راية العقاب على راس الملك زهير وقد حفت به السعادة والخير وعاد عز ملك بنى عبس كما كان وصار اقوى واعظم صولة واثبت واعلى شأن وصاروا طالبين ارض الحجاز وذلك البر والمفاز لأجل اخذ الثار وكشف العار وعنيترة والغضنفر افرح الخلق بأخيهم الجوفران الذى ظهر أنه ابن ابيهم عنتر وساروا الثلاثة كل واحد منهم مقدم جيشه (قال الراوى) ولما تمادى بهم المسير افتكر عمرو ذو الكلب فى تقلبات الزمان وما يفعل بالإنسان وتذكر وأيضاً مصاحبته لعنتر وما كان فيه من ذلك الشأن وكذلك شيخ العرب دريد بن الصمة تذكر ما كان لعنتر عليه من الأيادى

ع الاحسان فتجددت عليهم الأحزان ولكن زادت أفراحهم بأولاد عنتر هؤلاء الثلاثة وسلامهم فرحهم عما هم فيه من الاضغان فعند ذلك حلف الملك الجرفران على شيخ العرب دريد بن الصمة أنه لا يتعب نفسه معهم لاخذ الثار بل يسير من ههنا إلى دياره والاوطان فعند ذلك أجابه دريد إلى ما أمر وترك عنده خفاف بن ندبة ودثار بن روق والعباس بن مرداس ومن معهم من الناس وساروا إلى دياره والآن أولاد عنتر جدوا المسير ليلا ونهار يقطعون البرارى والقفار والسهول والأوعار وقد اتفق بينهم الحال أنهم إذا عزموا على الحرب والقتال يجعلوا غزوهم على ديار بنى نبهان حتى يأخذوا منهم بثارهم ويقلعوهم غاية القلعان (قال الراوى) فبينما هم سائرون وفى سيرهم مجدون وإذا قد ظهر من بين أيديهم غبار حتى أسودت منه الاقطار وتكدرت تلك البرارى والقفار من أعظم ذلك الغبار الذى أذهل النظار وحير الافكار وأشغل الاسرار قال فتوقفت بنو عبس عن المسير فى ذلك البر والفدافد وقد اشتغلوا بذلك الغبار الذى أتى نحوهم وبعد ساعة انكشفت تلك الغبائر وتمزقت وإلى السماء تعلقت وبان من تحتها أسنة رماح اللمع وبيض تشعشع وصهيل خيولهم قد ارتفع فعند ذلك أشار الملك الغضنفر إلى عمه جرير وابن عمه الخذروف وقال لهما كشفا عن خبر هذا الغبار الطائر وذلك الجيش العابر وانظروا إلى أين هم قاصدون فى هذا القفار وهم واردون من أى ديار وعودوا إلينا بيقين الأخبار قال فلم تكن إلا ساعة من النهار حتى وصل إليهم الخذروف وعمه جرير وقد تحققا ذلك الجيش الكثير فوجدوهم كلهم سودان وكلهم من أولاد حام وهم دهم الألوان كأنهم الغربان فعند ذلك تبادر إليهما منهم جماعة كأنهم العقبان واحتاطوا بجرير والخذروف وأحضروهما بين يدى مقدم السودان والزنج والحبشان فناداهم حاجب الملك من تحت الرايات والاعلام وقال لهما إن الملك يقول لكما لا تخافا ولكما الامان والذمام إن صدقتما الكلام يا أولاد الأعمام وأخبرتموه عن هذا الجيش القادم من أرض الشام وإلى أين قصدهم والمرام ومن هو الحاكم عليهم فى النقض والإبرام فعند ذلك قال لهم جرير يا أولاد الخالة الكرام والله إننى أخبركم بالصدق فى الكلام وأعلمكم بأن هذا الجيش السائر من أكرم القبائل والعشائر وهم بنو عبس أصحاب العز والثناء والمفاخر والمقدم عليهم الفارس القسور والبطل الغضنفر ابن أبى الفوارس عنتر وأيضا قاتل الفرسان وعبيد الشجعان أخوه الملك الجرفران وأختهم أم الزعازع ولبوة الوقائع الضاربة بالحسام الذكر عنيترة بنت عنتر وكذلك مجندل الاقران والحائزون قصب الرهان الأمير ياسر وليث الميدان وأسد الفرسان والديال ابن الغضبان وأما سبب مجيئهم من أرض الشام وتلك البلدان فهو أنهم طالبون ثارهم من سائر العربان وقد جعلوا أول قصدهم إلى بنى نبهان (قال الراوى) فوالله ما أتى جرير على آخر ما أبدا من الكلام إلا وصرخة عظيمة قد بدت من تحت الاعلام

وفارس قد ترجل عن جواده من بين تلك الصفوف وسار على عجل حتى سار قدام جرير والخذروف ونادى وقال وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر إن هذا جرير أخو عنتر فعند ذلك حار جرير من معرفته وتعجب من أمره وقصته قال ثم أن المتكلم قال له يا فتى أما أنت جرير بحق اللطيف الخبير قال نعم وحق الرب القدير (قال الراوى) وكان هؤلاء السودان جميعهم قد ترجل وكل منهم عن جواده قد نزل كرامة لهذا الفارس الذى نزل فى الأول ثم أنه ناداه يا جرير ما أظنك حققت معرفتى فقال جرير لا والله يا مولاى إنى قد أشكلت على قصتك فقال له أنا الملك صفوان بن معدان صاحب بلاد السودان وأنا خالك وخال أخيك عنتر بن شداد وسبب وصولنا إلى هذه البلاد أنه قد وصل خبر أخيك عنتر إلينا وأخبار اجتماع العرب عليكم فصعب ذلك الأمر علينا ووصل بعد ذلك إلينا خبر عنيزة أم الزعازع وما فعلت من الوقائع وما تجمع عليها من العشائر كم أبادت من العساكر وظهور أخيها الملك الغضنفر وكيف أنه ظهر أنه ابن عم عنتر فلما سمعنا ذلك فما فينا إلا من فرح واستبشر ولعلنا بوجود هؤلاء النصر والظفر وأيضا قد وصلت إلينا الأخبار أنهم قد اجتمعوا وقصدوا أخذ الثار وكشف العار فسر فى ذلك فأتيت إلى معونتهم فى هذا الجيش الجرار وقد جمعت عشائرى وأجنادى وملوك أرضى وبلادى وقد أتيت بهم لأخذ ثار ابن أختى زبيبة وأمحو عنى ما نزل بى من المصيبة قال فعند ذلك فرح جرير الفرح التام لما سمع من خاله ذلك الكلام وقال له والله يا خال إنى أعلمك بشىء يزيد فرحتك وعلو شأنك وتزداد به يقينا وبرهانا وذلك أنه قد ظهر لأخى عنتر ولد يسمى الجوفران وقد صار ملكا من ملوك الزمان وقد ترك ملكه وما هو فيه من تلك الأيسار وأتى معنا يساعدنا على أخذ الثار وكشف العار قال فلما سمع الملك صفوان من جرير والخذروف تلك الأخبار أخذه الفرح والاستبشار وعاد جرير والخذروف على الآثار وهما كأنهما شعل النار حتى وصلا إلى بين يدى الملك الغضنفر وأخيه الملك الجوفران وأخبروهما بخبر أخوالهم السودان وقالوا لهما لقد عظمت أخوالكم وزادت أفراحكم وقد التم أما لكم بقدوم صفوان ملك السودان خالكم فها هو قد أتى إليكم يساعدكم على أخذ ثاركم فقال: الجوفران أوضح لنا عما معك من البرهان وبين لنا صحة هذا الكلام وأخبرنا بما جئت فيه والسلام فقال جرير اعلم يا ابن أخى أن هذا الجيش القادم هم أخوال أبيك عنتر والمقدم عليهم أخو ستك زبيدة أخت الملك الأكبر وهذا الملك صفوان بن الملك معدان وقد أتى فى عشائر السودان ليعينكم على أخذ ثاركم من العربان ثم أنه أخبرهم بالخبر وأطلعهم على ما خفى وما ظهر فما منهم إلا من فرح واستبشر وزاد ببنى عبس الفرح والسرور وتجارت الفرسان إلى بعضها مثل الطيور ووصلت عشائر السودان وترجلت الملوك للملك صفوان بن معدان وترجلت أيضا فرسان بنى عبس وعدنان واعتنقت بعضها بعضا الطائفتان وانتشروا فى فسيح تلك

الأرض والمكان (قال الراوى) هذا والملك زهير قد أقبل مثل الأسد الوثاب وعلى رأسه راية أبيه وجده العقاب وطلب أن يترجل فلم تمكنه عنيترة من النزول إلى صفوان ليكون ذلك أعلى له قدراً وأرفع شأن وكذلك الملك الجوفران لم يترجل لأنه جبار من جبابرة الزمان ونفسه نفس مرتفع القدر وكذلك أخوه الملك الغضنفر بل أقبلوا على بعضهم جميعاً وهم ركاب وسلموا على بعضهم سلام الأحباب للأحباب وضربت السرادقات والأطناب ونزلوا فيها وقد تذاكروا من قتل لهم من الأصحاب وعظم البكاء والانتحاب (قال الراوى) ولما قر بهم المقام أخذا فى الراحة ثلاثة أيام ثم أجمعوا أمرهم ورأيهم على المسير لأخذ الثار فقال الملك ما الرأى إلا أننا نسير إلى الديار حتى ننزل فيها ويقر بنا القرار وتستأنس الديار بالسكان وتجتمع فيها الخلان وينظرها ابن عمنا الجوفران وكذلك خالنا الملك صفوان بن معدان ويجتمع علينا أيضاً من بعد عنا من العربان فقال له سائر الملوك إن هذا هو الرأى والصواب والأمر الذى لا يعاب ووافقوه كلهم هذه المآرب رحلوا فى اليوم الرابع يقطعون البر والسباسب (قال الراوى) ولم يزالوا يقطعون الأودية والقفار ويجدون فى المسير ليلا ونهار حتى إنهم وصلوا إلى الديار ونزلوا فيها واستقر بهم القرار ونصب بنو عبس وعدنان البيوت الشعر التى اصطنعها لهم الجوفران وأنست تلك الديار بالسكان والأوطان بالقطان وصارت الديار أعمر عما كانت وأكثر رجالا وفرسان لأن قبيلة بنى عبس كانت عدتهم فى سالف الازمان أربعة آلاف عنان وكلما افتقد منهم واحد ينتشى عوضه من الشبان فلما انتهى بهم الامر إلى هذا الاوان اجتمعت فرسان بنى عبس الذين كانوا تفرقوا فى الجبال والوديان لما كانت اجتمعت عليهم قبائل العربان وفعلوا فى حقهم ما فعلوا من ذلك التشتت والهوان وقتل فى الملك المرة حصن بن حذيفة وابن أبى حارثة سنان لما كان أشار الملك قيس على بنى عبس بعرقبة الجمال وذبح الفصلان وخرجت بنو عبس وهجت فى الصحارى والوديان ولم يزالوا إلى أن أتى عليهم هذا الاوان وجلست إليهم تلك الملوك والفرسان وقد اجتمعوا من كل جانب ومكان وأقاموا تحت ظل الامير عنيترة والغضنفر والجوفران فكانت عدتهم ثلاثة آلاف عنان وبنو قضاعه أربعة آلاف من الشجعان والملك صفوان بن معدان فى خمسة آلاف من السودان واجتمع عليهم من أصدقائهم وحلفائهم أربعة آلاف عنان فصارت عدتهم ستة عشر الف حتى ضاقت بهم تلك الصحارى والوديان ونصبوا للملك الغضنفر وأخيه الجوفران على العلم السعدى راياتهم وصار لهم عز وشأن وقول وإمكان وأقامت بنو عبس تصنع الولائم ويرتفع فيها القائم والقاعد وقد أخلف عليهم الزمان عوضاً من عنتر بن شداد وصارت احسن ما كانت ابيات بنى قراد وانضاف إلى عنيترة الخذروف وجرير وزخمة الجواد وزيد بن عروة وسبيع اليمن بن حقرى الوحش وياسر وليث الميدان والديلمينى الغضبان وكان قد نشأ لغصوب ولد فى بنى

قضاعة يقال له أسد الفرسان وكان بطلا مداعسا وانضاف إلى عنيترة مع جملة الفرسان لأنه كان يعد بجماعة من الأقران وكان كل واحد من هؤلاء الفرسان بخيام ومضارب وخيل وجنائب وأموال ونعم وأصحاب وأحباب وكان بنو زهير قد انقرضوا ولم يبق منهم إلا زهير ابن قيس وكانت عنيترة توقره هي وأخوتها ولا يردون عليه كلمة واحدة ولا يعدوه إلا من الملوك الكبار مثل ما فعل مع أبيه قيس إذ كان يوقره غاية الوقار وأما بنو زياد فإنهم انقطعوا عن آخرهم ولم يبق منهم إلا ديار ولا نافخ نار ولم يبق منهم إلا الشمر بن زياد الذي قتل الحسين بن علي بن أبي طالب في أرض كربلاء ومات بدعوة كانت قد سبقت عليه من رسول الله ﷺ وكانت بالمعطش فصار يشرب كل يوم عشر راديات ولا يروى حتى انقطعت أمعاؤه وانقطعت بطنه ومات وشرب كاس الممات (قال الراوي) وبقيت هذه الثلاثة حماة لبني عبس وبني قضاعة ومن معهم من العرب الأمجاد كما كان أبوهم على أبي عبس عنتر بن شداد وقد دار بينهم الكلام والأمير الجرفران يسمع ما جرى على أبيه وعلى قيس وإخوته في بني نبهان والإعادة ليس لها إفادة وكان الذي يقص هذه الأخبار الأمير ورقة بن الملك زهير (قال الراوي) فلما سمع زهير قيس كلام عمه ورقه بكى بكاء شديداً فقالت عنيترة مالك أيها الملك لا أبكى الله عيناك ولا شمت عداك ولا الحساد وكيف تبكي ونحن حولك مثل الأساد وكلما لك من جملة الغلمان وكل فارس منا مقارم بجماعة من الفرسان فدع عنك البكاء والأنين والاشتكاء ومر بنا إلى بني نبهان حتى نأخذ بثار أبيك وأبي سيد الفرسان وأخلي ديارهم مثل أمس كان ثم أن عنيترة التفتت إلى خالها عمر وذو الكلب وقالت له يا خال خذ أهبتك إلى الطعن والضرب فعند ذلك قال الجوفران لعمه جرير أريدك أن تريني قبر أبي عنتر حتى أنظره وأشاهد مضجعه ومقبره فقال له جرير اتبعني وأنا أريديك ذلك ثم أنه صار قدامه والجوفران وأخوته من ورائه إلى أن وصلوا إلى قبر أبي الفوارس عنتر فعند ذلك نزل الجوفران عن ظهر جواده وقد أكثر من بكائه وتعداده وقال واحزناه عليك يا ولدي ليتك كنت بالحياة وتنظر إلى أخذ ثارك وتبصر ما يجري لهم ولكن وذمة العرب وشهر رجب والذي إذا طلب قلب لا آخذ ثار إلا وأنت تشاهد وتبصر حتى تنظر من ينصر منا ومن يخسر ثم أنهم ركبوا وعادوا إلى خيامهم فعند ذلك أقبلت عنيترة على أخيها الجوفران وقالت له ما الذي عولت لأنك أقسمت أن لا تأخذ لأبيك بالثار إلا وهو في جملة النظار فبين هذا الكلام وكيف أقسمت بتلك الأقسام فقال سوف ترون ما أفعل ثم صبر لثاني يوم وركب وسار وإخوته معه إلى ان وصل إلى قبر واخرته بة جبوى من فعاله فعند ذلك امر عمه جرير ان يحفر قبر ابيه فحفره وإذا بها عظام بالية فامر بنطع من الأديم وإن يدرج فيه عظام ابيه عنتر فساله إخوته من الخبر فقال لهم انا اريد ان اجعل ابى قدامنا على جمل وكلما قتل احد من الأعداء اعرضهم عليه وهو

يشاهد ذلك بعينيه فقالت عنيترة يا أخى هذه عظام بالية لا ندرى ما الخبر فقال وحق ذمة العرب إن لم تطاوعونى على ذلك قتلتكم وقتلت روحى بعدكم فعند ذلك سكتوا عن جوابه قال الراوى ثم أن عنيترة صرخت فى بنى قضاعة وقالت للخيل يا أرباب الخيل وأيضاً الجوزان صرخ بالعبيد فقدموا الجواد الندبة فركب وركبت لركوبه جميع الفرسان وساروا طالبين ديار بنى نبهان فقال والله لابد أن أشتت شملهم فى جنبات الفلا ثم سار بنو عبس وبنو قضاعة من ورائه وجدوا فى المسير من تلك الساعة وما زالوا سائرين الليل والنهار وهم يقطعون البرارى والقفار إلى أن وصلوا إلى أرض بنى نبهان وأخذوا اهبة الضرب والطعان وباتوا تلك الليل على رمل عالج ونيرانهم فى الرهايج إلى أن أصبح الله بالصباح فعند ذلك لبسوا آلة الحرب والكفار ولما تضاحى النهار وقاربوا المراعى والديار أخذت عنيترة معها ألف فارس وأغارت على أموال بنى نبهان وساقت كل ما هناك من الخيل والجمال وجميع ما نظرته أمامها ولم يبق إلا الحجارة الحصنى وكانت فى بنى نبهان خيول لا توجد عند سائر العربان وألقت عنيترة الضرب فى أقفية العبيد وقتلت كل بطل صنديد فعندها وقع الصباح فى بنى نبهان وقد ركب سائر الفرسان وفى أوائلهم المهلهل أبو زيد الخيل ومعه كل فارس قيل وكان أبو زيد الخيل ضعف ضعفاً شديداً وهو فى خال عنيد وكان بنو نبهان فى سبعة آلاف فارس وقتلت كل بطل مداعس وضربت عنيترة فيهم يميناً وشمالاً وقد أفنت الأبطال والرجال وحمته تلك الألف فارس كما تحمى اللبوة الأشبال وما زالت كذلك إلى أن أدركتها فرسان بنى عبس وبنى قضاعة وكانت لهم ساعة يا لها ساعة كشف الموت فيها قناعة بعد ذلك علا الغبار وعمل البتار وقل الانتصار هذا وعنيترة تضرب فيهم ذات اليمين وذات الشمال وحار الأبطال من قتالها ونزالها وقاتلت الفرسان وصبرت الأقران وقل الكلام وثقل اللسان ورأيت فرسان بنى نبهان من فرسان بنى عبس وقضاعة قتالاً ما نظروا مثله من فرسان ذلك الزمان وقد ملؤا من قتلاهم الميدان وحار من خمرة القتال مركان سكران وقضى عليهم بالفناء من لا يشغله شأن عن شأن الذى إذا قال للشىء كن فكان وتقهقرت بنو نبهان وقد لزمهم بنو عبس إلى ديارهم والأوطان وفعلوا فيهم كما تفعل النسور بالعقوب وقد إذاقوهم كأس الهوان ولم يزالوا إلى أن أظلم الظلام ومنعهم عن ضرب الحسام وقد افترق الجمعان وتحارس الفريقان وجمع المهلهل سادات قومه وأكابر عشيرته وقال لهم اعلموا أن هؤلاء بنى عبس كان اسمهم بين العربان فرسان المنايا والموت الزؤام وقد مات حاميهم عنتر وذاقوا بعد موته البلاء المنكر وهجوا فى البلاد وشمتت فيهم الحساد والآن قد انتشت فيهم هذه المقطوعة النخاع عنيترة التى قهرت كل بطل شجاع وقتلت كل قرم مناع وأسرت ذوا الخمار وعمته زرقاء اليمامة وقتلت سبيع الفلاء وردت بنى عبس إلى أرض الشربا وما كان تمرضنا لهم صواب وكانوا

اعنتر أربعة آلاف وهم الآن فى سبعة آلاف وفيهم عنيترة وعمر ذو الكلب وقناصة الرجال وزيد
ابن عروة وزهير بن قيس والخذروف بن شيبوب وجرير الذى ما له فى الأرض نظير وما لنا
أوفق من البراز لعلنا نلتقط فرسان الحجاز فلما سمع كبار العشيرة ما قاله المهلهل سيدى القبيلة
بقى كل واحد منهم فى حيرة فقالوا له أيها الملك من فى عشائرنا يقاتل عنيترة أو خالها عمرو
وزيد بن عروة وعنيبة بن حصن وزهير بن قيس وهؤلاء فرسان البيداء وشجعان الفلاه
ولولا أن يكونوا كذلك ما رجعوا إلى أرض الشربة والعلم السعدى وخافتهم جميع العرب
ولا قدر أحد منهم أن يعيد ولا يبدى فعند ذلك نهض من بين القوم شاب مليح الشباب اسمه
جابر بن وزر الذى قتل عنتر وقال للمهلهل يا سيدى بنى نبهان وحق ذمة العرب إلى غدا برز إلى بنى
عبس واقتل حاميتهم عنيترة كما فعل أبى بأبيها وأسكنه المقبره واقتل ابن عمها الخذروف وعمها
جرير ولا بد من قتل أخيها الغضنفر وافعل به فعلا منكر ولا أخلى من ذرية عنتر لا كبير
ولا صغير فلما سمع ذلك الكلام المهلهل فرح واستبشر وقال من تشبه بأبيه فما ظلم ثم أن القوم
تفرقوا للمنام إلى أن أصبح الصباح وركبت الفرسان واصطفوا فى الميدان فأول من برز
وطلب القتال وتقدم للحرب والنزال هو جابر بن وزر ونادى برفيع صوته من عرفنى فقد
اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفا أنا جابر بن وزر بن الأسد الرهيص فلا يبرز لى إلا عنيترة بنت
عنتر حتى أذيقها الموت الأحمر فما استتم كلامه حتى برزت عنيترة وسارت قدامه وقالت
ويلك يا كلبا أجرب وأخس من مد فى البيداء طنب أنت ممن يطلب فرسان العرب ثم أن
عنيترة حملت على جابر وكان من الفرسان المذكور والأبطال المشهورة (قال الراوى)
فما وقف جابر بين يدى عنيترة غير ساعة حتى صدمته الأسد وضربته بحسامها المهند
فوقعت الضربة على عاتقه طلع السيف يلمع من علائقه وسقط عن جواده إلى وجه الأرض
وسار يختبط طولا وعرض إلى أن فارقت روحه جسده وعنيترة واقفة عنده ولما مات طلبت
عنيترة البراز وسألت الإنجاز فلم يبرز إليها أحد لا أبيض ولا أسود فعند ذلك أشارت إلى
بنى عبس وبنى قضاعة بالحملة فحملت على بنى نبهان وعمل بينهم السيف والسنان والتقت الأقران
بالأقران والفرسان بالفرسان وما كنت إلا ساعة من الزمان حتى انهزمت بنو نبهان
وطلبت البرارى والغيطان وعمل فيهم الطعن بالسنان وما زالوا بنو نبهان هاربين وبنو عبس
لهم طالبين إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وردت بنو عبس وبنو قضاعة فى خيام
بنى نبهان وقد ملكوا المال والنوال والنوق والجمال والنساء والعيال وكان قد قتل من بنى
نبهان أربعة آلاف من الشجعان وكلهم أبطال وفتيان وجرح المهلهل جرحا وثيق وقد عدم
السعادة والتوفيق ولما أصبح الصباح نهبت بنو عبس وبنو قضاعة جميع ما كان فى ديار بنى
نبهان فى أقل من ساعة وما بقى غير بيت مقطوع ووتد مكسور وبقيت منازل بنى نبهان

خراب ومنازل البوم والعقاب قال الراوى ثم رحلت بنو عبس طالبين ديارهم وقد اشفوا غليلهم من أعدائهم وبردت عليهم نارهم وفضالة بن قيس راكب على جواد من خيل بنى نبهان ما يوجد مثله فى هذا الزمان وإلى جانبه عنيترة بنت عنتر وإلى جانبه الآخر عمرو وذو الكلب وزيد بن عروة وعتيبة بن حصن والخذروف بن شيبوب وجرير وهم راكبون على الخيول العربية وهم سائرون ومعهم من الأموال والغنائم ما سد الفضاء فرحين بما أعطاهم الرب القديم من النصر والظفر وما منهم إلا فرح واستبشر وقد هابت العرب فى عين بنى عبس وبنى قضاعة وخافت من عنيترة جميع العربان واذعنوا لها بالطاعة فعند ذلك دارت بينهم المشورة فى الكلام إلى أى عرب يقصدون أولا حتى يأخذوا منهم بالثار ويفنوهم بالصارم البتار ويفعلوا بهم كما فعلوا ببنى نبهان فاتفق رأيهم أن يجعلوا قصدهم إلى بنى حبهان ثم أنهم لم يزالوا سائرين وفى سيرهم مجدين حتى أنهم وصلوا إليهم وأغاروا عليهم وساقوا أموالهم من المراعى ولم يتركوا من رجالهم ساعيا ولا راعى فنفرت إليهم بنو حبهان وقد حققوا ذلك عيان وعرفوا أنهم من بنى عبس وعدنان فتقدمت بنو جبهان وفى مقدمتهم زيادة بن عامر الحبهانى الذى ماله فى زمانه ثانى فلما علموا أنهم من بنى عبس والمقدمين عليهم أولاد عنتر تقدمهم أم الزعازع عنيترة بنت عنتر وإخوتها الجوفران والغضنفر لأنهم قد شاع ذكرهم فى القبائل واشتهر فتلقاهم بنو جبهان بحد السيف ورأس السنان والغضنفر قد أخرج يده من جلباب درعه وهو يزعق يا لعبس يا لعدنان الثار الثار هذا يوم كشف العار والطعن بالأسمر الخطار قال الراوى ولما وقعت العين على العين وتقابل رجال الطائفتين انطبقت بنو عبس على بنى نبهان من غير كلام ولا أرزان فالتقاهم القوم بقلوب صلاب وأخذوا فى الطعان والضراب وصار الغضنفر يبرى الرجال هبرا ويجزرهم جزرا ويرميهم إلى الأرض خمسا خمسا وعشرا عشرا حتى فاضت الأرض بالدماء وامتلأت القتلى وكلما قتل قتيل ينادى يا لثارات بنى عبس فإنهم أفديهم بالروح وبالنفس والدماء تسيل من حسامه والأبطال ينهزمون من قدامه وكذلك فعل أخوه الجوفران وقد سطا على الفرسان وأهلك الأقران وأما أختهم عنيترة فكان لها هدير وزمجرة وكان ساعة عسر دزاع فيها من الشجعان يصره هذا وفرسان بنى عبس أحلوا بنى جبهان التعس والنكس وزيل الأمر كذلك حتى مضى النهار بابتسامه الضاحك وأقبل الليل بظلامه الحالك فعند ذلك افترق الطائفتان وابعدوا عن بعضهم الطعان وكان قد قتل من بنى جبهان ألف ومائة فارس من الفرسان وهزموهم بنو عبس إلى الخيام ولولا قدوم الظلام ما بقى منهم شيخ ولا غلام فعند ذلك تحارس الجمعان وأوقدوا النيران ولم يزالوا إلى أن أصبح الله بالصباح وركبت بنو جبهان وقد انتشرت فى الصحصحان من خوفهم من الهلاك والقلقان وركبت بنو عبس وبنو قضاعة ومن يقدمهم من الأبطال وقد استعدوا للحرب والقتال

وإذا بزائد من بنى جبهان قد برز إلى وسط الميدان واشتهر بين الفريقان وطلب البراز وسال لا مجاز وماتم كلامه إلا والغضنفر قد صار قدامه وحمل عليه حملة منكرة وصدمه صدمة مذعرة فتلقاه زائد فارس من بنى جبهان واقتتلا الاثنين فى الميدان وثار الغبار إلى العنان وأخذا فى أسباب الضرب والطعان ولم يزالا كذلك ساعة من النهار ثم ان الغضنفر طعنه بالاسمر البتار فخرج من ظهره سبعة أشبار فوقع عن ظهر جواده وقد عدم صلاحه ورشاده وانمحت منه الآثار وبعد قتل مقدمهم لم يكن لهم اصطبار ثبات ولا قرار بل حملت عليهم بنو عبس وحمل الجوفران كأنه الأسد الهدار وكذلك أخته عنيترة قد اقتحمت الغبار وأما ياسر فإنه مزق الدروع والمغافر وضرب فى القوم ضربا وافر وابن مقرى الوحش سبيع اليمن قد أنزل بهم المحن ونثر الرأس عن البدن وأما ليث الميدان فإنه خبل الفرسان وأباد الشجعان وسقاهم كاس الموت ألوان وأما عمر وذو الكلب فانه قد تجود للضرب والطعن وأدمى الصارم العضب وأما ثار بن روق فانه ساق الفرسان بين يديه سوقا وأى سوق وأما خفاف بن ندبه فانه أحل بالفرسان كل بلية ونكبة وأما الملك زهير فانه قد حمل عليهم سيف النقمة وأما ملوك السودان فانهم أحلوا بهم الذل والهوان فهنالك طارت النفوس وزعقت النفوس وتكاثرت الأبطال والليوث من كل بطل عبوس وليث شروس وكان وقتهم وقتا منحوس وتقاتلوا بالروح والدبوس ولم يكن غير ساعة حتى قتلوا من الأعداء الفا وأربعمائة قتيل والذين نجوا من الحرب والقتال تفرقوا من بين أيديهم فى بطون الأودية والجبال وبعد ذلك تقر رحالهم واتفقوا فى المقال على غزو بنى هلال فساروا اليهم وهجموا عليهم وأوصلوا الأذية اليهم وحمل الغضنفر فى أوائل القوم ينادى القوم ولا كل يوم فى مثل هذا اليوم يزول العتب واللوم والملك الجوفران صاح وبذل فيهم الطعن بالرماح وحمل زخمة الجواد وحملت معه فرسان بنى قراد فلله درهم كم أبروا كفوفا ومعاصم وافلقوا منا كف جماجم وكم أثاروا من غبار وقتلوا كل فارس كرار وكشف الغضنفر فى ذلك اليوم العار وأخذ الجوفران لأبيه عنتر بالثار وفعلت عنيترة فعل الجبابرة الكبار وقتلوا من بنى نمير الفين وستمائة فارس كرار فلم يكن لهم على قتالهم اصطبار فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وأخلوا منازلهم والديار وسار بنو عبس من ديار بنى نمير هذا ما أحاطوا بهم البلاء والتدمير ولم يزالوا سائرين فى ذلك السير الطويل حتى وصلوا إلى بنى هزيل فحمل عليهم الغضنفر الاسد الربباو ونادى على بنى عبس دونكم وهؤلاء الانذال ابذلوا فيهم السيوف الصقال فلما سمعوا من بنى عبس ذلك المقال أجابتهم الشجعان والابطال وحمل عند ذلك الملك الجوفران وكذا أخته عنيترة قاتلة الفرسان وحمل ياسر بن ميسرة وليث الميدان وسبيع اليمن والدبال بن الغضبان وحمل زخمة الجواد وحمل العباس بن مرداس وخفاف بن ندبة وثار

ابن زرق وقد ساقوا الأعداء سوق وأى سوق وأما دريد بن الصمة فانه فى هذه الوقعة ما كان حاضرا بل الغضنفر كان قد حلف عليه وصرفه وطيب خاطره وقال يا أبا النظر عد من هناك إلى ديارك وأوطانك لأنك قد لقيت من أمرنا ما كفاك فسار إلى دياره وترك عندهم خفاف بن ندبة ودثار بن روق والعباس بن مرادس وهولاء الثلاث كما ذكرنا كانوا من أقوى الناس فهنالك اختلط الجمعان وعمل السيف والسنان وحمل الملك الجوفران حملة الأسد الغضبان وضيق على الأعداء الميدان وأبلوا الأعداء بالذل والهوان فعند ذلك اشتد الحذر وصاح كل ليث قسور وعمل الحسام الأبتر والرمح الأسمر وطارت الروس مثل الاكر هذا وقد تصادمت الخيل وجرى الدم مثل السيل ولم يزل بنو عبس يقتلون فى بنى هذيل حتى قتلوا منهم ثلاثة آلاف قتيل ولما رأوا أن ليس لهم ببنى عبس طاقة ولا على حربهم استطاعة ولو من بين أيديهم الادبار وركنوا إلى الفرار فعند ذلك رجع بنو عبس عنهم وساروا طالبين ديار بنى زبيد فارتبكوا فى أمرهم وتجمعوا من كل قفر وبيد واجتمعت عليهم بنو طى وبنو مراد وقد ركبوا فى أوائلهم عمرو بن معديكرب البطل الجواد وهو فى أوائل الفرسان وعزموا على ملاقاة بنى عبس وعدنان لأنها كانت فرقة من بنى زبيد مقدن ثمانمائة فارس قصدوا إلى بنى عبس وقد تشاركوا فى دمائهم فلما أقبلت التقتهم بنو عبس فى ذلك اليوم بذلك الجمع من العرب والسودان وفى مقدمتهم أم الزعازع عنيترة قتالة الشجعان وأخوتها الغضنفر والملك الجوفران فعند ذلك احتاج عمرو أن يدافع عن نفسه وبنى عمه فعند ذلك برز إلى الصفين واشتهر بين الفريقين وقد طلب البراز وسائل الانجاز فبرز اليه الجوفران وقد انقض عليه بقلب من الحنق ملآن وتلاحما وتكافحا وتحاربا وتباعدا وتطاعنا وتضاربا وأخذا فى الكر والفر والصد والرد والهزل والجد والمطاولة والمجاولة وأوسعا فى الميدان وساقوا الجوادين حتى غابوا عن الأعيان واختلف بينهم طعنتان واصلتان فكان السابق بالطعنة الملك الجوفران فطعن عمرو فى جانبه فقلبه وقد بذل بتلك الطعنة دمه وكاد أن يعدمه روحه (قال الراوى) ولما رأت بنو زبيد إلى فارسهم وحاميتهم قد تمدد فى تلك المهاد أطلقت الاعنة وقومت الأسنة وقد داروا بالجوفران من كل جانب ومكان واشتغلوا عن أسر عمرو وخلصوه من بين يديه وقد نصحوا تلك الساعة فى الحرب والجلاد واركبوا عمرو على ظهر الجواد فاخذ عما ثانا وحمل على بنى عبس وعدنان فحملت أيضا بنو عبس وبنو قضاعة وكان قدام الفرسان الملك الجوفران وحملت أيضاً السودان وحمل الغضنفر قدام الاقران خوفا على أخيه من نكبات الزمان وحملت عنيترة مع جملة الفرسان وحمل عمرو ذو الكلاب وزين بن غروة وسبيع اليمل وياسر وليث الميدان والديال بن الغضبان وكان لهم ساعة من ساعات مزمان فأبادوا من بنى زبيد الرجال وأفنوا الأبطال وعطاة

الزلوال وسطت بنو عبس على بنى زبيد واحلوا بهم البلاء والتنكيل وصارت القتلى بين أطناب الخيام وقد سقوهم كاسات الموت الوان وخرجت المخدرات وقد تشتتن فى الفلوات وعلا منهم الانتحاب على من قتل لهم من الاصحاب وكان لهم ساعة يالها من ساعة وكان بنو زبيد قد بلوا بما لا يطيقوا له طاقة ولم يجدوا لهم على ملاقات فرسان بنى عبس استطاقة فولوا الادبار وركنوا إلى الفرار وخلفوا غنائمهم وأموالهم ونوقهم وجمالهم فعند ذلك الامر الجوفران برد النسوان والأطفال وأمر بسوق الاموال والجمال قال الراوى وكان الجوفران سيف بنى عبس والمشار إليهم فيهم فى ذلك الزمان وعنيترة هى فارسة الفرسان والغضنفر حاميتهم من عوارل الحدثان وهو المقدم على كل من لهم من الفرسان فهذا كله يجرى من هذا الأمر الذى تحرر وجرير الخذروف واقفان بالجمل الذى عليه عظام عنتر ويقولان له اسمع ياأبانا ما نقول لك وابصر ان كان لا يرضيك فعالنا فنحن نفعل مثلها وأكثر وهى عظام بالية لا ترد جوابا ولا سؤالا فعند ذلك يقولون أبونا مارضى بهذه الفعال ولم يقنع بمن قتل من الفرسان وهو إلى الآن لم يزل غضبان ثم يسيرون إلى غزاة العربان (قال الراوى) ثم أنهم بعد مافعلوا فى بنى زبيد تلك الفعال ساروا طالبين البرارى والجبال وقد تقدم الجوفران قدام الفرسان وهو بما فعله فرحان فأشار ينشد ويقول هذه الابيات :

إلا بلغ زبيدا وعمرو عنا	بانا كيف نفعل بالرجال
تركناهم على البيداء ترعى	ونسوتهم ترددن العوال
واردفنا الفوارس من زبيد	يجمعهم على ظهر الجمال
وعمرو قد تركناه جريحا	يمج نجيعة تحت العوال
ولولا الليل ماردت زبيد	إلى أبياتها يوم النزال

(قال الراوى) فلما فرغ الجفران من ذلك النظام ساروا يقطعون البرارى والاكام حتى وصلوا إلى ديار بنى همدان وأغاروا عليهم وانزلوا بهم الذل والهوان ولم يزل الغضنفر وعنيترة والجوفران يقتلون منهم الشجعان ويدمرون الاقران وكان لهم ساعات من ساعات الزمان فولوا الادبار وركنوا إلى الفرار وقد قتلوا منهم الفين فارس كرار وأغاروا من بعدهم على بنى جديلة وأحلوا بهم نوبة وبيلة وقاتلوا فيهم وأظهروا الحتوف حتى تثلمت فى أياديهم السيوف وتجددت المطامع وصمت المسامع هزا وفرسان بنى عبس صارت تضرب الاعداء الضرب الوجيع حتى أسالوا من الفرسان الدم النجيع وجندلوهم على الصعيد حتى أفنوا كل بطن صنديد وأغاروا على فرقة من بنى شيبان وانزلوا بهم الذل والهوان وطرحوهم على الصحصحان وقاتل فيهم الغضنفر وأخوه الملك الجوفران وعنيترة بمن معهم من الرجال والاقران وعملوا فيهم عمل النار فى الحطب وافتخروا بفعلهم على سائر العرب وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وفعلوا فى

حقهم فعالا ذميمة وأغاروا من بعدهم على بنى نمير وأنزلوا عليهم العذاب الأليم وتركوا فى ديارهم الآكل رمم وأحلوا بهم الوساس وقتلوا منهم ألفا وستمائة فارس ثم أنهم أغاروا على بنى معاقل وأحلوا بهم البلاء النازل ونظروا منهم العظائم حتى لطمت عليهم اللواطم وقد مددوا الرجال على التراب وقتلوا منهم الفا وتسعمائة من الأصحاب. وأغاروا بعد ذلك على بنى غيلان وأنزلوا بهم الذل والهوان وسقوهم من كاسات العذاب ألوان وقتلوا منهم الف فارس من الشجعان ثم أنهم أغاروا على بنى ضبية وأحلوا بهم الرزية وسقوهم من الموت شربة غير هنية وقتلوا منهم الفا والثمانة وأغاروا بعد ذلك على بنى ضبيان وشتتوهم فى البرارى والقيعان وقتلوا منهم الشيوخ والفتيان (قال الراوى) هكذا كان يجرى والجل الذى عليه عظام عنتر واقف فى الميدان وكلما قتلوا قبيلة تأتى اليه عنيترة وإخوتها الغضنفر والجوفران وينادون ياأبانا ها قد أفنينا العربان وأبدنا الفرسان يكفى ماترى يا زين الشجعان وإلا نعود على ما كنا عليه فلم ينطق بلسان لأنه عظام بالية من سنين وأزمان فيقولون أن أبانا لم يزل غضبان وأنه ما اشتفى قلبه من العربان إلى هذا الآن سيروا بنا حتى نفنى بقية العربان فهذا كله من جهل جاهلية العرب فى ذلك الزمان وما هم الوافى ضلال وعدم رشاد وطغيان (قال الراوى) ثم أنهم أغاروا على بنى فرع وأحلوا بهم الغم والفزع وفعلوا فيهم فعلا وبيل وقتلوا منهم ألفا وخمسمائة قتيل وبعدهم أغاروا على بنى يربدع وأخلوا منهم الأطلال والربوع لان عتبة بن شهاب مخلى عنهم وقال لهم أنتم حضرتم وقعة بنى عبس بجهلكم فحضروا أرواحكم لحربهم ولاقوا مبلاء الذى نزل بكم ثم أنزل عنهم فحملت عليهم بنو عبس وأحلوا بهم التعس والنكس وحملت أولادهم الغضنفر وعنيترة والجوفران وحمل عمرو وذو الكلب وبقية الفرسان وأنزلوا بهم الذل والهوان هذا وقد ضاقت على الاعداء المواضع وتركوا الطيور فى لحومهم روائع ومكنوا منهم السيوف البواتر وقتلوا منهم ألفين من الفرسان الاكابر ثم أنهم أغاروا على من بقى من بنى عامر وأداروا عليهم الدوائر ومكنوا منهم السيوف البواتر وقتلوا منهم الفا وأربعمائة ثم أنهم أغاروا على بنى بارق ومسكوا عليهم المضايق ومكنوا منهم الرماح الخوارق وبان الكاذب من الصادق ودار عليهم الدوائر ولم يدعوا منهم لابادياً ولاحاضر وقتلوا منهم ألف قتيل مشاهر ثم أنهم أغاروا على بنى ضرار وأخلوا منهم الديار فتلقتهم بنو سليم وبنو ضرار فى الف فارس من الابطال لله درهم من الرجال أقيال أجادوا معهم فى القتال واشتد منهم النزال وعظمت الاهوال فعند ذلك سالت الدماء من المناكب وحلت بهم المصائب ودارت على بنى سليم وضرار الدوائر والنوائب وتمكنت منهم المضارب ولم يبق منهم لاماش ولاراكب فلله در الامير الغضنفر وعنيترة والجوفران وعمرو وذو الكلب وياسر وليث الميدان وزيد بن عروة وسبيع اليمن وأسد الفوارس والديال

ابن الغضبان على ما فعلوا بالفرسان الأخيار من بنى سليم وبنى ضرار وقتلوا منهم ثلاثة آلاف قتيل من الرجال الأخيار وأغاروا بعد ذلك على بنى القين وأنزلوا عليهم العذاب المبين وقتلوا منهم ألفاً ومائتين (الأصمعى) وأبو عبيدة الراويان لهذا الكلام ولولا الإطالة لذكرت كل قبيلة بوقعتها وحربها وماجرى عليها من قصتها وكان عدد القبائل الذين أغاروا عليهم وأفنوا رجالهم وقتلوا أبطالهم قد بلغ مائة وسبعين قبيلة مامنهم إلا كل بطل ممارس قال ولما تسامعت بهم بقية القبائل وأنهم فعلوا بالعرب هذه الفعائل تعلقوا برؤس الجبال ومنهم من اختفى فى بطون الأودية الخوال ولما أشفوا الغليل وفعلوا بالعرب ذلك الفعل الوبيل عادوا راجعين إلى ناحية العلم السعدى وأرض الشربة ليجتمعوا بمن هناك من الأحبة والملك زهير بن قيس بين أيديهم كأنه الأسد الوثاب وقد انشرت على رأسه راية العقاب وإلى جانبه الأميرة عنيترة وإخوتها الغضنفر والجوفران وما منهم إلا كل ليث قسور وهم فرحون بالنصر والظفر وبين أيديهم حريو والخذروف وبقية الفرسان ومن خلفهم الملك صفوان ولم يزالوا سائرين والخيل بينهم تجرى حتى وصلوا إلى أرض الشربة والعلم السعدى ولما وصلوا إلى أرض الشربة واجتمع الأحباب بالأحبة فعند ذلك نزلوا فيها واستقر بهم القرار وأنست بهم الديار فعند ذلك بسطوا البسط والمفارش وجلسوا بالامضارب والخيام وأقاموا هناك خمسة أيام إلى أن خلا بالهم من الضرب والصدام فعند ذلك أمر الغضنفر والجوفران بحضور جماعة من العبيد الأعيان العارفين بمنازل العربان فحضروا فى عاجل الحال إلى بين يديه فأمر زيد بن عروة أن يكتب الكتب ويسلمهم إليهم وأمرهم أن يسيروا بها إلى قبائل العرب وحماتها الذين اشتركوا فى دماء بنى عبس يوم إقبالها وقد داروا عليها وأخذوا منهم بالثار وكشفوا ما كان عليهم من العار (قال الراوى) وكانت نسخة الكتب وما تقرر بأن أمر الملك الجوفران وأخوه الغضنفر وأختهم أم لوعازع عنيترة بنت عنتر وكذلك الملك زهير بن قيس مالك عبس المفتخر بأن يأتى المقدمون منكم والأبطال وكبار القبائل ويأتوا معهم بالنوق والجمال لأجل أن تنحر على قبر أبى الفوارس عنتر بن شداد وأن تسرعوا فى المجىء لأجل الفداء حتى تحضروا العزاء مع جملة من له من الأولاد ولا تعطوا تهاونا ولا احتجاجاً ولا بعاد وكل من تكبر على المجىء أو اعتذر فنحن نعود بالغزو عليه ونوصل الأذية إليه ونأخذ روحه من بين جنبيه وقد أنذرناكم ومن لا يصدق لا يسأل عما يجرى عليه (قال الراوى) لهذا المقال الذى ما يفعله إلا كل جاهل من الجهال ثم أنهم سيروا الكتب مع العبيد إلى سائر الحلل والقبائل وكلما وصل كتاب إلى قبيلة تجيب بالسمع والطاعة وترحل فى عاجل الوقت والساعة ويرحل أميرها فى كبراء عشيرته والمقدمين من قبيلته ووصلت الكتب إلى سائر القبائل ورجعت العبيد فى أيام قلائل فعند ذلك رحلت القبائل وهى طالبة أرض البشرية وتلك

"الأطلال وقد أكثرت فى صحبتها من النوق والجمال وجمعت من الهدايا والتحف العوال خوفا من أولاد عنتر بن شداد ومنهم من أتى محبة وودادا فكان أول من قدم عليهم دريد بن الصمة وفى صحبته جماعة من كل ليث ذو همة وأتى سبيع بن الحارث فى سادات بنى حمير وكل منهم يتقرب بالمجيء إلى أولاد عنتر وأقبل بنو عامر وبنو كلاب مع عامر بن الطفيل وأقبلت بنو نبهان يقدمها المهلهل وزيد الخيل وأقبل بعدهم الأمير عمرو بن معديكرب الزبيدى وأقبلت بنو شيبان يقدمها الأمير هانىء بن مسعود الكريم الآباء والجدود وأقبلت بنو يربوع يقدمها عتبة بن شهاب وأقبلت بنو ذهل وبنو مشاجع وبنو مذحج وبنو عاملة وبنو باهلة وبنو تميم وبنو قشير وبنو ضبية وبنو رياح وبنو شاح وبنو الطاح وبنو شمراح وصارت العرب تتلاحق بعضها البعض وتقصد أرض الشربة والعلم السعدى حتى ضاقت بهم تلك الأرض وانفرشوا فيها طولا وعرض وصارت كل قبيلة إذا قدمت وتوطنت تأخذ بنو عبس عددها وسيوفها وسائر رماحها وجميع سلاحها (قال الراوى) وكان هذا من جملة تدبير جرير والخذروف لأنهم خافوا عليهم من الأعداء إذا اجتمعوا انكثرتهم أن ينزلوا بهم الحتوف وبما على غفلة منهم يفعلون بهم فعلا يقعوا به فى المهالك وصاروا يأخذون سلاحهم ففرح الغضنفر والجوفران بذلك ثم أنهم أقاموا ألف فارس بالسلاح كل يوم بالنوبة تكون زاكبة خيولها مشهرة فى أيديهم السيوف والرماح قائمة فى الخدمة برسم حفظ القبيلة خوفا من المذمة والافتضاح كيلا يبدو من العرب أمر الأسور فتتعب من أجله القلوب والصدور وكانت فرسان بنى عبس الذين عليهم المعتمد لابسة سلاحها والزرد وسيوفها مشتهرة على ركبها فى الميدان مثل الغضنفر وعنيترة والجوفران وياسر وليث الميدان وأسد الفوارس والديال بن الغضبان وزيد ابن عروة وصبيح اليمن شجاع الزماد وعمرو ذو الكلاب فارس الزمان والملك زهير ملك بنى عبس وعدنان ومن يجرى مجراهم من الأبطال والشجعان وذلك كله لأجل احتقار العربان (قال الراوى) ولم تزل قبائل العرب تتواصل مدة عشرين يوما ثم انقطع المدد وقد علموا أنه لا يقدم عليهم أحد فعند ذلك شرعوا فى حفر قبر عنتر ودفنوا عظامه وواروه فى الحفرة هذا وقد تقدم قدام القوم الملك زهير بن قيس ونحر مائتى ناقة ولم يقل لالم ولا ايس ثم بكى بكاء عظيما بدمع مهطول وأنشد وجعل يقول .

أمن الحوادث والمنون الاروع	وأبيت ليلى كله ما أهجع
لازلت ذا حزن وأبكى عنترا	ولمثله تبكى العيون وتجزع
ولقد علمت بأن كل مؤخر	يوما سبيل الاولين سيتبع
حاد ابن شداد الكمى بنفسه	ولقد ترى أن العزى لاينفع
ياابن الكرام أولى المفاخر والعلا	قد كنت فى الفرسان سيفا يقطع

يا آل عبس اجمعوا ثم اندبوا | من كان يحمينا بأرض تفزع
يا آل عبس قد شفت بكم العدا | من بعد عنتره السكى الأروع
يا آل عبس احزنوا طول المدا | من أجل فارسنا الشديد الأشجع

(قال الراوى) ولما فرغ الملك زهير من أشعاره تأخر وقد بلغ من الأحزان كل اوطاره وتقدم من بعده دريد بن الصمة وقد مزق ثيابه وحثا التراب على رأسه وتصاعدت أنفاسه وكسر سيفه وقناته ونحر على قبر عنتر اثنين وخمسين ناقة وياحقه فى ذلك منها تهاون ولا اعاقة وتقدم عند القبر وبكى وأن واشتكى وجعل يقول صلوا على طه الرسول :

وهى جلدى من نوحة أى نوحة | لقد همام ضيغم ذا حمية
لفقد شجاع لو دعى سيدع | يصول على الأعداء بعزم وهمة
فيا مقلتى جودى عليه بحرقة | ولا تبخلى بل ساعدينى بدمعة
بكته ملوك الخافقين بأسرها | وعم الأسى والحزن كل البرية
وبيض الظبا والهند والورد الذى | تدرعه فى كل يوم كريهة
فقد مات مات الفخر والجود والعلا | لفقد الذى قد كان سامى العزيمة
أبا جوفران القيل صبراً لفقده | فحكم قضاء الله عند المشيئة
يعز علينا أن تعازى بسيفه | وسيد قوم كان عزى قبيلة
فلا زلت فى عز يدوم ونعمة | على حالة تعلوا على كل حالة

(قال الراوى) وما فرغ دريد بن الصمه من شعره حتى نهض له زهير بن قيس وشكره وأجلسه فى مرتبته وقام من بعده ذو الخار وقد باح بالأسرار ونحر من النياق مائتين وعشر أبكار بعد ما فرق ما عليه من الأطمار وكسر سيفه البتار وأجرى دموعه الغزار وتقدم إلى قبر عنتر وجعل يرثيه بهذه الأبيات :

أيا عين أبكى لعنتر بن شداد | بكا حزين غدا فى شجوه باذى
يا من رأى فارسا قد بت أرمقه | إذ مات ذو الأسد المعروف بالصاد
أبو الفوارس ليث الموت أخوه | قد كان حصنى وركنى عند أسدادى
جميع أهل رعاة الخيل قد علموا | زين القرين وخصم الظالم العادى
أيا زبيبة لا تخشى فكل فتى | يصير رهناً لأسياف وأسوادى
فلا وعينك ما أسلوك يا أملى | حتى أعود إلى رمس ابن شداد
والله لا زلت أبكى عنترا أبدا | ما سارت النجبا يحرى بها الحادى

(قال الراوى) وما فرغ ذو الخار من تلك الأشعار حتى تباكت الحضار وقام إليه الجوفرانه وأجلسه فى أعز مكان ونهض من بعده عامر بن الطفيل وكان تدقتل جلده والحيل وأجرى

دموعه كأنها السيل ونحر ثلثمائة ناقة وجمل وقد أراد التقرب إلى قلب أولاد عنتر بهذا العمل ومزق أثوابه وعلا بكاؤه وانتحابه وكسر سيفه وقناته وقد تغيرت من البكاء جميع حالاته وتقرب إلى القبر وجعل يقول :

دمع كما حكم التفريق مهتون	ومغرم قلبـــه بالبين محزون
ياقبر عنتر ها قد صح ما زعموا	مات الشجاع وأضحى وهو مرهون
وبلاه ويلاه يامولاى لو نظرت	عيناك عبدك لا دنيا ولا دين
مات الأمير ومات الجود واندثرت	عين الشجاع وعين الصدق مغبون
مات الذى لم تزل راياته أبدا	وسعده بلقـــاء العز مقرون
مات الذى كان من جود ومن كرم	كمثل من سبقوا والقلب محزون
أعــــز أبلج محمود علائقه	وعزمه المنتهى والوجه ميمون

(قال الراوى) فلما أتم عامر إنشاده حتى تقطعت القلوب والأكباد من كثرة البكاء والنواح والتعداد وقام إليه الغضنفر وأجلسه فى مكانه المعتاد وشكره وأثنى عليه وإذا بصوت قد أفزع الكبود فى بكاء له دمدمة ورعود وهو مسربل بأثواب سود دقتيبة القيام والقعود وإذا به هانىء بن مسعود الكريم الآباء والجدود وكان قد قدم ومعه مال معدود حتى ينحره على قبر عنتر الفارس المفقود ثم رعن ساعديه والزند ونحر ثلثمائة ناقة وخمسين قعود ومزق ثيابه وحثا التراب على رأسه وكسر قناته وسيفه وأشار يقول صلوا على طه الرسول .

عم المصاب وطاشت الأحكام	وتنكست لوفاته الإعـــلام
فقد كنت أرجو منك عنتر نظرة	فاذا دهت بوفاتك الأيام
يامن إذا جرت الملوك إلى العلا	فنصيبه التقـــديم والاعظام
يا واهب الآلاف مثلك لم نجد	أبداً وهل بجدى جداك كرام
يامن للعشائر والجيوش إذا انتخى	يوم الكريهة للكفاح حسام
من للكتائب والمواكب ناصرا	إذ صالت الإعداء وهو إمام

(قال الراوى) ثم قام من بعده الأمير عمرو بن معديكرب وقد أنشد أبيات تقتضى الحزن والحسرات وما بقى أحد فى ذلك اليوم من الفرسان الأجواد إلا ورثى الأمير عنتر بن شداد تقربا لقلب من له من الأولاد ولولا خوفنا من الإطالة وملال السامع من المقالة لشرحنا ما أنشدت العرب ومارثته به السادات من ذوى الرتب وكان منهم من أنشد ورثى حزناً ومحبة ومنهم من رثاه خوفا وفزعا مما صار لأولاده من الهيبة (قال الراوى) وبعد ماصار لهم من الاشجان قعدوا على بسط العزاء والأحزان والعرب تقدم عليهم من كل جانب ومكان وعنيترة والغضنفر والجوفران لا يقطعون التفجع والبكاء بلا صبر ولا سلوان فبينما هم فى

ذلك الشأن وإذا بغبار قد ثار وبعد ذلك انكشف النظار وبان عن فرسان كأنهم العقبان فلما عاينوا بنى عبس وعدنان وتلك العربان ترجلت فى عاجل الحال الفرسان وأسرعت نحو الغضنفر والجوفران وقبلوا الأرض بين أيديهم وسلموا عليهم وقالوا لهم يا ملوك الزمان قد ورد عليهم هرقل بن قيصر حتى يحضر عزاء والدكم عنتر سيد الفرسان قال وكان السبب فى قدومه إلى أرض بنى عبس وعدنان هو عمرو بن الحارث ملك بنى غسان فانه كان كل قليل يأخذ أخبارهم ويكشف آثارهم فسمع أنهم قد أفنوا العرب ونهبوا الفرسان وأطاعهم القريب والبعيد مما عاينوا منهم من ذلك الهول الشديد فعند ذلك أرسل أعلم الملك قيصر بجلية ما عنده من الخبر قال فلما سمع الملك قيصر ما صح له من أخبارهم أرسل ولده هرقل يعزيهم فى أبيهم عنتر ويهنيهم بأخذ ثأرهم بعد العزاء أن يخلع عليهم جميعاً على قدر أحوالهم وكل واحد منهم على قدره الكبير منهم بكبره والصغير بصغره فاجابه ولده بالسمع والطاعه وخرج بالخزائن والأموال من تلك الساعة واصطحب معه الرجال والهديات والجوارى الروميات والخيول العوال وكان ذلك شيئاً كثيراً مما يبهر البصر ويحير الفكر وسار ليلا ونهاراً إلى أن وصل إلى دمشق الشام وأقام بها أياما حتى استراح ورحل منها فرحل معه عمرو بن الحارث وتبطنا فى تلك البرارى والبطاح ثم سار إلى أن قربا من الديار وبانت لهما الآثار فأرسلا هذه الفرسان يخبروا بنى عبس بقدومهم قال ولما صح هذا عند الغضنفر والجوفران التقوا بملوك العربان وأمروهم بالركوب إلى ملتقى الملكان فركب شيخ العرب دريد بن الصمه وذو الخمار والعباس بن مرداس وعمرو بن معديكرب والأمير هانىء ابن مسعود وعتبة بن شهاب اليربوعى وكان قد أتى عقب الناس وركب أيضاً زيد الخيل وعامر بن الطفيل وركبت ملوك السودان وفى مقدمتهم خال عنتر الملك صفران بن معدان وسار إلى لقاهم حماة القبائل وفرسان العربان والتقت الفرسان بالملك عمرو بن الحارث وهرقل بن قيصر ودعوا لهما بطول العمر والبقاء واعتذروا لهم عن لسان أولاد عنتر ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى العلم السعدى ونزلت الجيوش ونزل الملك هرقل قريباً من قبر عنتر ومشى حتى صار واقفاً بجانب القبر واتكأ على جانبه وبكى لما وصل إليه أربعين ناقة كانوا قد ساقوها معهم لذلك ونحروها عليه (قال الراوى) ثم بعد ذلك بكى بكاء شديد وأقبل راجلا يمشى على وجه الصعيد ومن خلفه الملك عمرو بن الحارث فعند ذلك ... إليه الملك زهير والملك الغضنفر والملك الجوفران والأمير عمرو ذو الكلاب ... ابن ... و... وليث الميدان وجميع من كان حاضراً ومنهم من مشى والتقى بالملك هرقل إلى ... وقد أجلسوهم فى أعلى مكان وجلست بين أيديهم جميع الفرسان وأقاموا ذلك اليوم جميعهم يتحدثون فيما صار لهم من الشأن وما فعلوا فى غزو العربان قال ولما أصبح

الصباح وأقبلت عليهم العبيد والرعيان وأتوا إليهم من أبعد مكان وأخبروهم أن قد لاح لهم من الشرق غبار حتى سد الأقطار فأرادوا أن يرسلوا من يكشف لهم الأخبار وإذا بمائة فارس قد قصدوهم ولما تقربوا منهم تبينوهم فعرفوا أنهم من بني لخم وجزام وبني شيبان ومن ورائهم الملك المنذر بن النعمان فخرج إليهم الملوك والأمراء والفرسان وترجلوا إليهم وتلقوهم من أبعد مكان فعند ذلك أمروهم بالركوب مع جميع الفرسان والأمراء وقالوا لهم أركبوا وسيروا والتقوا بابن الملك كسرى قال وكان لمجيء هؤلاء الملكين سبب عجيب وأمر مطرب غريب وذلك أنه وصل إلى كسرى أخبار خارجي قد خرج على الدولة الكسروية وقد ملك البعض من البلاد الخراسانية فعند ذلك أحضر الوزراء والحجاب واستشارهم فيما يفعل من تلك الأسباب وكان يقال لهذا الخارجي بيرديك بن مردشان فما أشار عليه أحد بشيء إلا وزيره المويذان وقال له يا ملك الزمان اعلم أن ثبات ملك الأكاسرة كان من قديم العصر والأوان إلا أن أباك كان إذا عصت عليه العرب ردها بالعجم وإذا سطت العجم ردها العرب وأنزل بها النقم والرأي أنك تترسل إلى نائبك على العربان المنذر بن النعمان وتأمره أن يسير إلى سائر البلاد لا سيما وقد سمعنا أن عنتر بن شداد قد ظهر له ثلاثة أولاد فيهم أميرة تسمى عنيترة وقد فاقت على سائر الأقران وقهرت الأبطال وأحدهم يسمى الملك الغضنفر والآخر تسمى الملك الجوفران وقد تيسر الأمر وانقضى الشغل وهان فلما سمع الملك كسرى من وزيره ذلك القول والبرهان أمره أن يكتب إلى الملك المنذر بن النعمان أن يسير إلى أولاد عنتر عنيترة والغضنفر والجوفران وكل من في أرض الحجاز من الفرسان فلما وصل الكتاب إلى المنذر أمر برد الجواب بحسن الايراد بأن جميع فرسان الحجاز عند أولاد عنتر بن شداد ولهم مدة ثلاثة أشهر يعملون في عزاه وكل من في تلك البلاد توجهوا إلى النادي فلما وصل الكتاب إلى الملك كسرى وعلم بما تم من ذلك الأمر وما جرى قال وحق النار والنور وتربة جدي سابور يجب علينا أن نعزي غلماننا ونقيم بجاه أصحابنا لأن عنتر كان له علينا خدم كثيرة وعلى آبائنا فقال له الوزير هذا رأي صائب فعند ذلك أمر بتجهيز العشائر والكتائب ورسم لهم بالتشاريف والخيول الخاص والجنائب بمراكب الذهب لأجل أولاد عنتر وخلع خلعا كثيرة لأجل الفرسان ثم أمر ولده وكان يقال له جردبردباز يسير إلى الحيرة ويأخذ المنذر ويصير هو وإياه إلى بني عبس لأجل العزاء لأولاد عنتر ويهنيهم بأخذ ثارهم ويخلع عليهم الخلع السنية ويهنيهم بما ظهر لهم من علو المنزلة والشجاعة فعند ذلك أجابه بالسمع والطاعة تجهز ورحل من تلك الساعة وقد رفعت على رأسه الأعلام والرايات ودقت وبين يديه الطبول والكاسات ونشرت له الرايات والازدهارات ولم يزل سائراً حتى وصل إلى الحيرة وهو بتلك الصفات فخرج الملك المنذر إلى لقاه وقد دارت من حوله أكابر دولته وترحب كل به وحياه

ونزل عنده فى قصر المملكة وأقام فيه ثلاثة أيام والملك المنذر يبذله ولجيشه فى الضيافات والاكرام وبعد ذلك رحل طالبا أرض الحجاز ومنازل بنى عبس وتلك المفاز التى هى موصوفة بأرض الشربة والعلم السعدى ولم يزالوا فى سيرهم مجدين حتى قربوا من ديار بنى عبس وهم على ذلك المعنى وسبق المنذر إليهم وبشرهم كما ذكرنا فقامت الملوك والأمراء وساروا الجميع إلى ملتقى ابن الملك كسرى واقبلت الجيوش والعشائر من العرب والعجم لأنه فارس مقدم وملك محتشم (قال الراوى) فعند ذلك دقت الكوسات والطبول وانزعجت الأرض عرضا وطول وترجلت العالم واصطفوا صفين وتفرقوا فرقتين ثم ترجل الملك هرقل بن قيصر ومشى إليه الملك الجوفران وأخوه الغضنفر فعند ذلك حلف عليهم الملك هرقل أنهم لا يترجلون فابوا عن ذلك وحلفوا عليه أنه لا يسير إلى الخيام إلا وهو راكب معزة فيه وقبلوا يديه فانحنى ابن كسرى إليه وقبل رأس الجوفران وبين عينيه وبالركوب أشار إليه فعند ذلك ركبت الملوك والفرسان وساروا يمشون المكان وهم راكبون إلى جانب بعضهم فى تلك الفلوات والقيعان إلى أن وصلوا إلى أرض الشربة والعلم السعدى والملوك والأمراء والفرسان بين أيديهم ولا أحد منهم بعيد ولا يبدى قال وتقدم ابن الملك كسرى إلى أن وصل إلى قبر عنتر وترجل وكذلك ترجل ابن الملك قيصر وكل من حضر فى ذلك المقام وأمر ابن الملك قيصر أن يذبح على القبر ألف ناقة من النوق العصافيرية وأقبل بعد ذلك على بنى عبس وحياهم الكبير منهم والصغير وسعى إليه الملك زهير بن قيس على أقدامه وقبل الأرض بين يديه ومشى قدامه وكذلك الغضنفر والجوفران وبقية حماة القبائل والفرسان والتقوه بالرحب والسعة وأكرموه غاية الاكرام وما منهم إلا من سعى ماشيا على الأقدام بين يديه ونصبوا له كرسياً عاليا فجلس عليه وسائر الفرسان والأمراء واقفون بين يديه وسائر الملوك تتقرب إلى قلب أولاد عنتر بكل ما تصل إليه قال فعند ذلك نهض الملك المنذر على قدميه ومشى إلى عند قبر عنتر وأشار إليه وبكى بكاء شديداً ما عليه من مزيد وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

حل المصاب ففى الفؤاد راسا ... لرزيه قدمت وحل البؤسا
فقد الشجاع الليث عنتر يالها ... من نكبة وفجيعة زعكوسا
سل من مضى فلكم اسال مدامعا ... حزنا عليه وكم أذاب نفوسا
اسفى على من غاب عنى شخصه ... تحت الثرى فى مهمه مرموسا
بكت السماء لفقده ولموته ... دما واصبح عيشنا منكوسا
هوت النجوم الزهر عند مصابه ... والافق اظلم وانكسفن شموسا
والبدر منكسفا غدا فى تمه ... حزنا وقد امسى باعظم بؤسا

خلت المراكب والمراكب من فتى عبس وفارق ربعه المأنوسا
يا آل عبس قد فقدتم فارسا كم قد فتى جمعا وفك حبوسا
مردى الفوارس عند مشتجر القنا يوم النزال وقد أطاح رؤوسا
قد كان ليثا فى الحروب غضنفرا حامى العشيرة فارساً محروسا
ويل لعبس ما لقت من بعده ذلا ونهباً من ليوث شوسا
قد طال ما صان الحريم من العدا من بعد ما تركوا الديار هموسا
أرداهموا بحسامه وسنانه وسقاهمو بالسمهرى كؤوسا
قد كان ذا رأى مصيب راشد ومقامه بين الرجال نفيسا
فلا بكين على ما هب الصبا بمدامع تجرى وترى العيسا

(قال الراوى) فلما فرغ المنذر من ذلك الشعر والنظم قام إليه شيخ العرب دريد بن الصمة والأمير هانىء بن مسعود وجماعة من الفرسان وأجلسوه إلى جانب ابن كسرى فى أعلى مكان وإلى جانبه الآخر الأمير هرقل بن قيصر والغضنفر والملك الجوفران ثم أنهم بقوا على ذلك مدة أيام وهم فى أكل طعام وشرب مدام وخيرات وانعام ثم أن ابن كسرى أمر باحضار الخلع ليخلع على فرسان العرب فلما حضرت خلع على الملك زهير خلعة سنيه وعممه بعمامة حزكوفية واركبه على جواده بمركب ذهب كذلك دريد بن الصمة لأجل كبره وتوقيره ولأجل تقدمه على الفرسان وخلع على الملك الغضنفر والملك الجوفران وكانت خلعا بالذهب حسان ثم أرسل إلى أختهم الأميره عنيترة خلعاً سنية غالية الأثمان لأنها كانت منعزلة فى غير ذلك المكان وكذلك أمها الهيفاء قناصة الرجال لأنهما كانت مجتمعتين مع المالكتين أم الغضنفر والجوفران اللتين هما كانتا نساء عنتر فى قديم الزمان وقد طوق الملك الجوفران بطوق من الذهب وبعد ذلك خلع على ملوك العرب وخلع على كل فارس منتخب ولم يدع أحدا من الأمراء ولا من الفرسان حتى شرفه بذلك التشريف وخلع عليهم الخلع الحسان قال ولما كان بعد ثلاثة أيام أمر هرقل بن قيصر باحضار الخلع الحسان وما كان أتى معه من الانعام وخلع على ملوك بنى عبس وقد ابتدأ بالملك زهير والغضنفر والجوفران وبعدهم خلع على بقية الفرسان وعلى ملوك العربان وعلى حماة الجيش وكبراء العشائر على حسب التدريج من الشجعان وكذلك أرسل إلى الأميرة عنيترة خلعة سنية غالية الأثمان وأنفذ لها خلع كثيرة لتخلع على من عندها من النسوان مثل أمها الهيفاء وضرتها بنت أخى الملك قيصر وكذلك أم الملك الجوفران وكل من عندهم من النسوان التى لملوك العرب والفرسان ففعل الملك هرقل كما فعل ابن كسرى أنوشروان وزادهم على ذلك أضعافا لأجل ما بينهم من المعرفة من قديم الزمان وأيضا فعلت نوابهم ما قدروا عليه من الإحسان وهما المنذر بن النعمان والملك عمرو بن الحارث

الغسانى فاستبشرت بذلك جميع العربان ارجال منهم والنسوان وفرحت بذلك جميع الشجعان وخلعوا عنهم ثياب الاحزان وكان لهم على ذلك عشرة أيام وقد استغنت من كثرة الاموال الفرسان ورتعت فى تلك النعم الامراء والعبيد والغلمان والشيوخ والشبان ونضوا الرزاء ومضى كأنه ما كان وتفرقت بعد ذلك الجموع كأنهم لم يكونوا فى ذلك المكان قال وبعد ذلك أحضر ابن كسرى إلى بين يديه الغضنفر والجوفران وأظهرها على أمر الخارجى الذى خرج على أبيه من أرض خرسان . قال لهم إذا أرسل إليكم لا تتخلوا عنه أنتم ومن تقدروا عليه من العربان فأجابوه بالسمع والطاعة هم ومن معهم من الفرسان ثم رحلت الملوك كل واحد طالب أرضه ومن له من الاطلال وأيضا حماة القبائل وما تحت أيديهم من الابطال وبقيت بنو عبس هادئين السر مستريحين من القتال مدة أيام وليال وهم فى الولائم يرتعون وقد خافتهم جميع من بعد منها ومن اقترب وعاد عزهم قوى ما كان وأخلف عليهم الزمان بأولاد عنتر وهم عنيترة والغضنفر والجوفران وقد صارت بنو قراد أحسن ما كانت على أيام حاميتهم عنتر بن شداد وكذلك لاجل خلفته لهذه الثلاثة الاولاد الابطال الشداد وأقاموا على ذلك الحال مدة من الزمان وهم فى أمان واطمئنان وبعد ذلك اشتاق الملك الجوفران إلى بلاده وما له من الاوطال وكذلك والدته زادبها الهيمان لانهما أعجبها ذات الفلا فقضوا أشغالهم وأرادوا السفر فشاوروا فى ذلك إخوته عنيترة والغضنفر فما قدر واحد منهم يعارضه فيما أمر فعند ذلك أراد الغضنفر أن يفعل كما فعل أخوه ولما خطر ذلك الخاطر الذى به قد خطر شاور والدته فى ذلك فكانت إليه أسبق وبه أسر لانها قد اشتاقت إلى أرضها وبلادها وقد أخذها القلق وكانت إلى وطنها أشوق فاتفق الامر على ذلك الحال وفى ساعة الحال أمروا بإحضار النوق والجمال وحملا أموالهما ومتاعهما وما لهما من الاثقال بعد ما شاوروا الملك زهير فلم يتعرض لهما بحال من الاحوال (قال الراوى) ثم أنهم صاروا وقد خرج إلى وداعهما جميع من الحلة من الرجال وسائر الابطال وسار والوداعهما ثلاثة أيام وبعد ذلك وقف أولاد عنتر فى ذلك البر والاكام وحلفوا على بنى عبس وردوهم إلى ديارهم والمقام لان آخر الوداع الرجوع والمفارقة بعد الالتمام وصار كل منهم فى طريق منازله والاطلال وعادت بنو عبس طالبين ديارهم الرجال منهم والابال ولكنهم لم يمروا على حلة إلا نهبوها ولا أموال إلا كسبوها إلى أن اجتمع معهم غنائم كثيرة وكانوا يفعلون تلك الفعال فيمن تبقى من أعدائهم ويرونه فيه الصواب والحيرة ولم يزالوا سائرين وهم يقطعون البرارى والقفار إلى أن قربوا من الديار ونزلوا وباتوا على بعض الغدران والانهار وقد وكلوا بالغنائم التى غنموها أربعمائة عبد من العبيد الذين لبنى عبس وعدنان وأيضا جماعة من بنى قضاعة الشجعان قال ولما نزلوا فى تلك الارض واستقروا الاكل الطعام مع بعضهم بعض واستراحوا إلى الصباح فعزموا بعد ذلك

على السفر والرواح فافتقدت العبيد الموكلون بالخدمة جواد الملك زهير فما وجدوه والا عرفوا من اخذه فقدفقدوه فهاج الجيش واندهل كل احد وتحير فقال الملك زهير والله لقد تم علينا ما يتم على الحضر فقالت عنيتره أيها الملك لاتحزن ولا يأخذنك من ذلك فكر فوحق خالق الخلق ومنبع الماء من الحجر فالذى اخذ الجواد لو طار فى السهل والوعر لاذيقنه الموت الاحمر فعند ذلك نهض جرير وقال للملك زهير لا تحزن فما خليك تورحل من هذا المكان إلا وجوادك تحتك فأما ان اتيه به وبمن اخذه فيكون بسعادتك وبختك ثم ان جريراً تحزم وتعمم وكذلك فعل الخذروف الآخر تعمم وتحزم ثم ان جريرا قال لعنترة يا ابنة الأخ لا ترحلوا من موضعكم حتى آتيكم بالجواد وبمن اخذه ولو طفنا سائر البلاد ثم انه اخذ معه ابن اخيه الخذروف وسار طالبا الاودية والاوعار وهو مثل الطير إذا طار وإلى جانبه الخذروف وكل من رآهم لا يظن انهما من الاانس بل انهما من الجان لانهما كانا ليسا لهما مناقى وساروا يستقصان الآثار ويقتفيان الاخبار ليلا ونهارا مدة ثلاثة ايام ولما كان فى اليوم الرابع ظهر لهما اثر جواد طالب صوب ديار بنى ضمرة فلما نظر جرير والخذروف ذلك فرحا وعلما انها عليهما سفرة مباركة قال فعند ذلك جدا فى المسير وغدوا غدوا يعجز عنه الطير الذى يطير وإذا بفارس سائر امامهما فلما نظر وتبعاه واخفيا حسهما إلى ان مضى من الليل الاكثر وقد كل ذلك الفارس من المسير والسفر ونزل على بعض الغدران وهو قد امن من نوائب الزمان وعلق على جواده وقد اطمأن قلبه وفؤاده فعند ذلك وثب جرير والخذروف إلى جواده وإذا به جواد الملك زهير والسلال الذى اخذه قاعد على جانب الغدير وهو يغسل فى يديه ورجليه وله وجه مثل القمر المنير فتبيناه وإذا به شاب اسمر اعطر كانه فلقة قمر لا نبات بعارضيه فعند ذلك لاحت من السلال التفاتة فنظر جرير والخذروف وقد رمقهما بعينه فطار الشرر من منخريه ووثب على قدميه قائما واخذ خنجره بيده وحمل على جرير والخذروف وقلبه عليهما ملهوف (قال الراوى) هذا والخذروف وجرير لما نظرا إلى ذلك السلال انه قد طلبهما قد اخذاهبتهما للهجوم عليه ووصول الاذية إليه واخذ جرير عن يمينه والخذروف عن يساره وكل واحد منهما يجتهد فى قتله ودماره فلما نظر السلال ذلك الحال علم انه فى مقام الخطر مع هؤلاء الابطال فقال السلال فى نفسه لابد ان اخذه معهما فى القتال إلى ان يصبح الصباح ويبين الاودية والبطاح وانهزم من قدامهما واطلب الرواح وإن نصرت عليهما اكن من الرجال الاوقاح ثم ان السلال خرج عن الاثنين واوسع فى الميدان وجمعهما بين يديه مثل العصافير إذا طردتهما العقبان واخذوا الضرب والطعان وصار يهمز قدامهما مثل همزات الغزال وكلما طلبه جرير بضربة لم يجد له خيال وكلما طلبه الخذروف ليضربه لم يجده قدامه ولا رأى من لهما مثال فحار الاثنان فى

سب السلال وهجم عليه هجمة أسد الدحال وانقض عليه كما ينقض الجارح على الحمام وكان مرادهما أن يسقوه كاس الحمام ولما نظر السلال الغدر من الاثنين خرج من بينهما أسرع من لمحة العين وطلب متسع الفضاء وطار بالخافقين فلم يروا أثر غبار وقد اختفى فى أقل من ساعة من الأبصار ولم تدركه اعين النظار فحار الخذروف وعمه جرير من ذلك الحال وقال ما هذا إلا من الجن وما هو ابدا من الرجال فقال الخذروف لعمه جرير والله ياعم ما هذا من بنى آدم بل هذا بلاء مبرم فوحق بارىء النسيم وموجد الأشياء من العدم لاسمعت ولارايت مثل هذا فيمن مضى وتقدم وما بقى فى الأمر إلا ان نأخذ جواد الملك زهير ونعود به إلى صاحبه لأنه عنده اعز من اهله وقرابته وهو عنده غاية مراده ويكمد اعداءه وحساده فلما سمع جرير كلام ابن اخيه رآه صواب وامر لا يعاب فقال له نعم ما قلت ياابن الأخ ثم انهما رجعا إلى الجواد وهو واقف يعلك فى لجامه وقد انحل حزامه فشدا عليه سرجه وسارا به معهما من وقتهما وساعتهما ولم يركب احد منهما بل سارا مشاة والخذروف ماسك الجواد وقد اتعبه من المسير فى البرارى والوهاد ولم يزالا سائرين ليلا ونهارا مدة ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع طلع عليهما غبار حتى سد الأقطار (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الغبار ان السلال الذى سرق الجواد من جيش بنى عبس وبنى قضاعة وطلع فى اقل من ساعة كان هو السلال الذى يقال له عمرو ابن امية الضمرى وكان قد نشأ فى بنى ضمرة ولم يعرف له اب وكان قد انتشى فى بيت عطارد ملك بنى ضمرة وكان عنده بمنزلة عظيمة ولما انتشى وكبر خرج نارآ محرقة وصاعقة مبرقة لا تخمد له نار ولا يعد له على عيار وهو فحل جسور وليث صبور ومقدم على الأمور لا يهاب الرجال ولا يبالى الأبطال قال وكان هذا الجواد الذى تحت فضلة كان أخذه من بنى نبهان من خيل المناهل وكان قد وصف بين يدى عطارد سيد بنى ضمرة وكان لا يتغافل عنه مرة بعد مرة وكان اسم ذلك الجواد الهطال وكان لا يوجد مثله فى سائر الأطلال ولما اعيت عطارد الحيل فى اخذ ذلك الجواد امتنع الرقاد ووعد السلالين بالأموال والنوق والجمال فسارت إلى بنى نبهان الرجال فما نال أحد منهم منال ولا بلغ مراد من كثرة العبيد المتولية خدمة ذلك الجواد وقد تعبت السلالون والقصاد وسمع عمرو بن امية ذلك الكلام من الرجال والنسوان والأبطال بأن ملك القبيلة لم يلتذ بطعام على ذلك الجواد فلما سمع ذلك دخل على عطارد وقبل الارض بين يديه فضحك فى وجهه وسلم عليه وقال له ما جاءك ياامير عمرو فقال له ايها الملك بلغنى من بعض الرجال ان فى قلبك اثر من الجواد الهطال فقال الملك عطارد صحيح ما سمعت وانا قد حرمت لذة الطعام وامتنع من جفنى لذيذ المنام فقال له الملك الهمام وحق من حلل الحلال وحرم الحرام أنا آتيك بالجواد ولو أن حوله قوم ثمود وعاد فقال له عطارد وحق ذمة العرب كنت أشاركك فى مملكتى وأقاسمك فى نعمتى فلما

سمع عمرو ذلك الكلام تحزم واستعد فى عاجل الحال وضرب له لثام وخرج من قدام الملك وشق بين المضارب والخيام ولما توسط البراطع يجرى مثل ذكر النعام وبقى سائراً يقطع البرارى والآكام مدة خمسة أيام وفى اليوم السادس وصل إلى ديار بنى نبهان ونزل على بعض الغدران وأقام ينتظر قدوم الليل وفروغ النهار فالحق بحلس الاغبار من قدامه قد علا وسد الأقطار وأظلم منه ضوء النهار وكان ذلك الغبار غبار بنى عبس وبنى قضاعة وقد وصلوا إلى ديار بنى نبهان فى تلك الساعة لأنهم بعد ما ودعوا الأمير الغضنفر والجوفران وعادوا راجعين عطفوا على بنى نبهان وكسروهم وقتلوا الرجال منهم وسبوا النسوان ونهبوا العبيد والغلمان وأخذوا المال والخيل والجمال ووقع فى قسم الملك زهير الجواد الهطال فجعله له مركوب وفرح به ونال المطلوب وكان الذى أتى به عنيترة نذت عنتر لانها رأته جوادا ما ملك مثله كسرى ولا قيصر فلما أخذ زهير الجواد نال غاية القصد والمراد وساروا بعد ذلك طالبين الديار والأوطان فتبعهم عمرو بقوة جنان ولم يزل تابعهم ثلاثة أيام ولما كانت الليلة الرابعة شق عمرو بين المضارب والخيام وتخطى رقاب العبيد والخدام إلى أن وصل إلى المضرب الذى فيه الجواد فرأى حوله خمسة وعشرين عبد أنجاب فذبح منهم عشرة وهم الذين كانوا نائمين فى الطريق وأعدمهم الساعدة والتوفيق أوسحب الجواد وتخطى به المضارب والخيام إلى أن صار خارج البيوت وهمز الجواد فطار به كأنه هبوب الرياح ولم يزل سائرا إلى أن أصبح الله بالصباح وقد أمن على نفسه طول النهار فى تلك البطاح إلى الليلة الثانية وكذلك الليلة الثالثة ثم لحقه جرير والخذروف وهو على ذلك الحال وقد نزل على الغدير يستريح من المسير وجرى لعمرو ما جرى مع الخذروف وجرير وكان قد قرب من ديار بنى ضمرة فسار عمرو ساعة من النهار حتى وصل إلى الديار وأوقع النفير وحثهم على المسير وسمع عطار ملك القبيلة بما جرى لعمرو من التعسير فصاح الخيل يا أرباب الخيل العجل العجل قبل حلول الأجل فما كانت إلا ساعة حتى ركبت فرسان بنى ضمرة وركب معها عطارد وسار فى خمسة آلاف فارس ما منهم إلا كل مدرع ولابس وساروا يجدون المسير خلف الخذروف وجرير مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع لحقوا جريرا والخذروف وهما نزول على بعض الغدران وهما يظنان أنهما نجوا من نوائب الزمان فلما نظروا إلى الخيل دارت بهما من اليمين إلى الشمال وأحاطت بهما الأبطال فى ساعة الحال لم يتم لهما مراد بل إن القوم أسروا الخذروف وعمه جريرا وأخذوا منهما الجواد وأقام بنو ضمرة ذلك اليوم ولما كان عند الصباح ركب الملك عطارد ودارت من حواليه بنو ضمرة الأقران وساروا طالبين ديارهم والملك عطارد فرح بأسر جرير والخذروف وأخذه الجواد وهو كأنه ملك الدنيا بطرفيها واحتوى على كل من

فيها وشد جرير والخذروف على جوادين بالمرض وساروا يقطعون الأرض ليلا ونهارا إلى إلى الديار ونزلوا قربهم القرار وقد ربط الملك عطارد جرير والخذروف فى بعض الخيام ووكل بهم العبيد والخدام وأقام فى الشد ثلاث أيام ولما كان فى اليوم الرابع دخل عليهما بعض النساء وبينهن واحدة كأنها البدر التمام مليحة القد والقوام (قال الراوى) ولما دخلت المضرب الذى فيه جرير والخذروف ورأتهما فى ذلك الحال وتبينت وجه الخذروف لحقها الانذهال وتساقطت دموعها بالانهمال وأرمت روحها عليه وقبلته بين عينيه وغشى عليها فعند ذلك ضمها الخذروف إلى صدره وتبينها وإذا هى زوجته التى كان تزوج بها فى ديار بنى سعد لما أغار روضة بن رميم على بنى ضمرة وأخذ الخذروف أمية بنت الملك عطارد كما ذكرنا فيما تقدم وكيف أغار بنى ضمرة على بنى سعد وأخذ عطارد ابنته وكيف هرب جرير والخذروف والتقوا ببنى عبس وكانت أميه حملت من الخذروف ولما صارت فى ديارها وفى قرارها ما مضت عليها غير أيام قلائل حتى وضعت أمية غلاما ذكر كأنه فلقة قمر فأحبه الملك عطارد لأنه ابن ابنته واعتنى فى تربيته إلى أن انتشى ودب ومشى وخرج نارا محرقة وصاعقة مبرقة وكانه ساعى معدوم فى زمانه وكان فارس خيل وخائض الليل سلالا محالا وإذا ركب ظهر الجواد يقهر الأبطال وإن طلبته الخيل لم يلحق له غبار ويسبق فى جريه الطيران إذا طار أو قام إلى أن سمع جده عطارد بالجواد الخطال وغلب فى سله كل سلال وسمع عمرو بذلك فسار وأخذ الجواد من بنى عبس لما نهبوا بنى نبهان وسار جرير والخذروف فى طلب الجواد وأخذوه من عمرو ثم لحقوهما فى الطريق أعدموهما السعادة والتوفيق وساروا بهما إلى ديار بنى ضمرة وسمعت أمية بذلك فأخذت معها ثلاث جوار ودخلت على الخذروف وجرير فلما عرفته وقع بها الاندهاش والتحير وعرفته معرفة خبير فوقعت على صدره وقطعا الخذروف فى أمره وحين عرفها الخذروف قال أنت أم عمرو فقالت نعم أنا زوجتك وعمرو ولدك وهو منك وأنت منه ثم أنها خرجت من وقتها وساعتها ودخلت على أبيها وعرفته بالحال وقد شكت إليه ما عندها من البلبال وكان أبوها قد علم أنها تزوجت فى بنى سعد بالخذروف ولكنه لم يعرفه فى تلك الأيام وكانت لما ولدت عمرو وكبر أخبرت أن أباه مات فى بعض الغزوات وكانت أمه تخاف أن تعرفه بأبيه فيخلبها ويمضى إليه وتبقى طول عمرها محسورة عليه فكتمته أمرها إلى أن جرى ما جرى للخذروف وأتى إلى ديارها فهاج عشقها وبلبالها وقد ذكرنا فيما تقدم أنها أحبت الخذروف محبة عظيمة ولما سمع أبوها بكلامها بعث فى الحال خلف عمرو وقص عليه ذلك الأمر وقال يا ولدى أن هذا الذى عندنا أسيرهو أبوك والثانى عمه وهما من أفخر العرب حسبا ونسبا هذا الخذروف بن شيبوب أخو عنتر الذى مات وذكره باق ما بقيت الشمس والقمر فلما سمع عمرو ذلك الكلام من عطارد انذهل وتحير وخرج طالبا المضرب

الذى فيه الخذروف وقد فرح واستبشر ولما دخل عليه ورأى أباه وقع على صدره وقد حار الخذروف فى أمره وبعد ساعة أتت العبيد والخدام ومعهم الخلع والإنعام وقد حلت العبيد الخذروف وعمه جرير وقد لحقهم من ذلك الأمر التحير هذا وقد أركبوهما على ظهور الخيل ومشى عمروف ركاب أبيه الخذروف وقلبه فرحان ملهوف ومازال كذلك إلى أن وصلوا إلى مضرب الملك عطارد فخرج بنفسه وتلقاهما ولما رأى جرير والخذروف إلى ذلك الحال ترجلوا وعتنقوا ببعضهم البعض ودخل بهم إلى المضرب وأجلسهما إلى جانبه وقد وقفت فى الخدمة أهله وقرائبه وعملوا الولائم ورتع فيها القاعد والقائم وكان عمرو بن أمية الضمرى ساعى ركاب رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو ينسب إلى أمية لأن أباه ما رآه إلى أن كبر وكان اسمه بين السعاة عمرو بن أمية الضمرى يعنى يعرف بنى ضمرة وأقام جرير والخذروف عندهما ثلاثة أيام وهو فى نعيم زائد وعيش راغد وبعد ذلك اشتاق جرير إلى أرض الشربة والعلم السعدى فقال لابن أخيه الخذروف يا بنى أنا اشتقت إلى الديار فقال له الخذروف يا عم أنا كل يوم عندى يقوه بعام وحق الملك العلام ثم أن الخذروف دخل على أمية زوجته بنت الملك عطارد وكان أبوها أنزلها هى وبعلها فى أعز مكان وجعل لها مضارب وخيام وخيولا وجمالا وعبيداً وخدام ونوقاً وفصلان وبقى الخذروف كأنه ملك من ملوك الزمان ولما دخل على زوجته وأعلمها أنه اشتاق إلى أهله وعشيرته وأنه يريد أن يسافر هو وعمه جرير فقالت له زوجته وأنا أروح معك إلى أهلك ووطنك وأعلم الخذروف ولده عمرو بذلك فقال له يا أبت أنا ما بقى لى صبر على فراقك وبقيت كل ساعة أشتاقك (قال الراوى) فلما سمع الخذروف ذلك الكلام من ولده وزوجته خرج من عندهم وأعلم عمه جرير وقال له يا عم أنا شاورت زوجتى وولدى على السفر والمسير فقالا إنا معك نسير ففرح بذلك القول جرير وقال له يا ولدى لا بد لنا أننا نشاور صهرك فى ذلك فقال الخذروف الليلة أخلى ابنته تشاوره فى ذلك الحال ولما كان عند المساء أقبل جرير إلى مضربه وسار الخذروف إلى عند زوجته وقال لها هل أعلمت أباك عن حال السفر فقالت له نعم وقد قلق لأجل فراقك وتحير وقال لى يا ابنتى أنا أعلم ان بعلك فارس الخيل وخائض الليل وكذلك بنو عمه بنو عبس الفرسان الكرام الذين تسميهم العرب فرسان المنايا والموت الزؤام وما منهم إلا كل فارس همام وبطل ضرغام لاسيما وقد سمعت انه قد انتشى فيهم لعنتر بنت اسمها عنيترة وقد قهرت الشجعان واذلت الأبطال والفرسان واعادت ملك بنى عبس مثل ما كان فاختار زوجك ان يأخذك معه فاهلا وسهلا وقلبى يكون عليك فى امان إذا كنت فى ديار بنى عبس وعدنان وقد اذن لى ابى معك فى السفر والمسير ولا بقى هناك عاقة ولا تقصير (قال الراوى) فلما سمع الخذروف من زوجته ذلك الكلام حصل له فرح واتسع صدره وانشرح وقال يا امية يكون

السفر بعد ثلاثة أيام لأنى لاجل الوطن قد حرمت المنام فقالت زوجته ما بقى لك أبداً عاقة وإن اشتهيت يكون السفر فى هذه الساعة ثم أنها قامت من وقتها وساعتها ودخلت على أبيها وأعلمته بذلك (قال الراوى) فأمر العبيد بالتجهيز إلى ديار بنى عبس وعدنان فأخذت أهبتها وبعد ثلاثة أيام عزموا على الرحيل وخرج الملك عطارد بنفسه وقد حمل جهاز بنته على ستين جملا وجعلها على هودج عظيم من العرعر ومعها اثنا عشر جملا تحمل فوقها البنات والجوار والخدام والأحرار وأرسل معها ألف فارس ما منهم إلا كل مدرع لابس ومعها خمسمائة من النوق والجمال وثلثمائة من خيل وبغال وأربعون جارية وخمسون عبدا وكان لعمرو مقدار ألف مائة ناقة ومائة عبد وخمسين جارية خلاف ما ذكرنا لأميه وسار الملك لوداع ابنته وقد ركبت لوداعها أهله مع عشيرته وشدوا الأحمال على الجمال وساروا مدة ثلاثة أيام وليال ورحلوا على الملك عطارد وردوه إلى دياره بعد ما ودع ابنته وابنها الخذروف وجرير عمه وساروا طالبين أرض بنى عبس وقد طلب لهم المسير والخذروف فرحان بما أعطاه الملك المنان الذى يشغله شأن عن أن وصلوا إلى الديار فلما رأى بنو عبس ذلك الغبار الذى قد سد الأفق والأقطار من كثرة الخيل والبنات والعبيد والأحرار ظنوا أنه من بعض الأعداء فاعلموا فضالة والأميرة عنيترة بذلك فصرح زهير فى بنى عبس فما مكنته عنيترة من ذلك بل قالت له يا ملك ما هذا صواب فلا تضيع هيبة الملك بل أنا أركب وأكشف له الخبر فان كانوا أعداءنا أفنيناهم وإن كانوا أصدقاءنا فيا بشراهم فلما سمع فضالة هذا الخطاب رآه فى غاية الصواب أن عنترة ركبت فى عاجل الحال وركب كوبها ألف فارس من الشجعان (قال الراوى) لهذه السيرة الحجازيه العجيبة وما سارت غير ساعة واحدة حتى التقت بعمها جرير وقد تقدم ليعلم بنى عبس بما وصل إليهما من النعمة والمال والجمال وغير ذلك نال فلما وقعت عينه على عنيترة وقربت منه عرفته وترجلت فى الحال ونزلت عن جوادها ونزل هو الآخر أيضا عن جواده واعتنق الاثنان وسلما على بعضهما بعض وما افترقا حتى وصل إليهما الخذروف وما معه من ذلك المال الممدود والتقت الرجال بالرجال والأبطال بالأبطال وسلموا على بعضهم البعض وترجلوا على وجه الأرض وغادوا بعد ذلك إلى ظهور الخيل ولم يزالوا سائرين إلى أرض الشربة والعلم السعدى وكانت عنيترة أرسلت بعض العبيد ليعلم الملك زهير (قال الراوى) فركب الملك فى ساعة الحال والتقاهم فى أطراف البيوت فتذكر جرير ملتقى الملك لأخيه فقال سبحان الحى الذى لا يموت ودخلت القوم إلى داخل المضارب وقد آمنوا من النوائب والتقت الأحباب بالأحباب وأولمت بنو عبس الولائم ورتع فيها القاعد والقائم وخافتهم جميع البلاد وساروا أحسن ما كانوا فى أيام عنتر بن شداد وأحبوا ذكره بعد ما مات وشاع ذكر عنتر بكل المحلات وصارت عنيترة تركب فى

خدمتها مثل جرير والخذروف وعمرو بن أمية المعروف وبقيت سائر الرجال والنساء إليه تشوف لاجل ما فيه من البهاء والجمال وقد افتتن بحسنه النساء والرجال وصار يركب لركوب عنيترة اربعة آلاف فارس من بني قضاعة وعمرو يركب في ألف فارس من بني ضمرة ورحلت من عندهم العربان وقد آمنوا من صروف الزمان وقعدوا في ديارهم وقد قرارهم وداموا على الافراح والمسرات واغتنام اللذات (قال الراوي) ولما رحلت العرب وأقامت بنو عبس في ديارهم جرير لعمرو اعلم يا بني أني كبر سني ومرادي اسير إلى مكة المشرفة وأزور البيت الحرام واجدد عهدي برسول الله ﷺ فقال عمرو وانا اسير معك ثم أن عمرو استأذن اباه في المسير مع عمه جرير فأذن له في ذلك قال الراوي فسار الاثنان إلى ان دخلا الى مكة فوجدوها قائمة على قدم وساق وقد زادفيها الارعاد والابراد ونظروا إلى جميع غزيرة فسألوه عن سبب الموجب لذلك فقيل ظهر بمكة رجل اسمه محمد ﷺ يدعي النبوة وقد قام عليه اهل مكة وقريش ونفروا عن بكرة ابيهم ومرادهم ان يسيروا إلى عند حبيب بن مالك يشكون له من امره فقال جرير لعمرو سر بنا معه حتى نراه ونعلم السبب وننظر ما يجري له مع العرب فنفروا بجملة من نفر وطلع اهل قريش وهم غارقون في السلاح (قال الراوي) وكان السبب في ذلك ان رسول الله ﷺ قبل ان ينزل عليه الوحي في الفلاة كان يتعبد في غار حراء إلى ان بلغ اربعين عاما ونزل عليه امين الوحي سيدنا جبريل عليه الصلاة والسلام فعلمه اول آية نزلت في القرآن العظيم وهي اقرا باسم الذي خلق فقال لست بقارىء فقال إن سبحانه وتعالى ارسلك رحمة للعالمين وانت رسوله الامين وانا جبريل وان الله تبارك وتعالى يأمرك ان تبلغ قومك وتنذرهم انه يتركوا كل معبود من دون الله تعالى فان كل معبود من دون الله تعالى باطل (قال الراوي) فرجع النبي ﷺ وجميع ما يمر عليه من حجر ومدر وشجر ورمل الجميع يقولون الصلاة والسلام عليك يا رسول الله فيلتفت فما يرى غير المذكورين فرجع الى بيت خديجة الكبرى رضي الله تعالى عنها واخبرها بذلك فقامت وراحت الى خالها ورقة بن نوفل وكان على دين خليل الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان حكيما عارفا فحكت له على ما وقع لرسول الله ﷺ فقال لها يا خديجة ان كان ذلك وقع له فانه هو الرسول الاعظم النبي المكرم المنتظر في جميع الكتب وبشرت به جميع الاخبار فاول من آمن به من النساء خديجة بنت خويلد وصدقت برسالته واول من آمن به من الشيوخ سيدنا ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه واول من آمن به من الصبيان سيدنا على بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه واول من آمن به من العبيد بلال بن حمامة وكان اصله عبدا لامية بن خلف راس الكفار فلما علم باسلام بلال صار يعذبه بعد ما يكتفه في رمضاء مكة فيمر عليه ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فيسمعه يقول الله احد فيقول له

فيه يا بلال إن لم ترجع عن هذا الكلام وإلا أجعلك مطروحا بالأحكام فلما سمع أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ذلك الكلام توجه إلى سيده أمية بن خلف وقال له إلى متى تعذب هذا المسكين فقال له أعطنى عبداً من عبيدك وخذه وكان عند أبى بكر الصديق عبد زنيم وهو على كفره مقيم فلم يسلم أبداً فدفعه إليه وأخذ بلالا عوضه وأعتقه وكان مؤذن رسول الله (ص) وكان ذا صوت حسن هذا وقد أقام رسول الله (ص) ثلاث سنين وهو يعرض نفسه على قبائل العرب من الموسم إلى الموسم ويقول هل فيكم من يحمى ظهرى حتى أبلغكم رسالة ربى فيأبون عن ذلك فأنزل الله عليه وأنذر عشيرتك الأقربين (قال الراوى) فجمع النبى (ص) عشيرته وعمومته ودعاهم إلى عبادة الملك الديان وترك ما هم عليه ما هم عليه من عبادة الأصنام والأوثان فشاع ذلك الكلام كله بمكة المشرفة وأظهروا له العداوة والحقد والحسد قال أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه بينما أنا ذات يوم من الأيام خارج من شعب بنى مخزوم إذ لقينى أبو جهل بن هشام لعنة الله فقال لى يا عتيق إن صاحبك محمد أجمع قومه وعشيرته وأهله وقرابته ومن يتبعه من احبته وليس يقول إنى سيد وأمير حتى ادعى النبوة وقال إنى نبى مبعوث من إله السماء وحق اللات والعزى والهبل الكبير الأعلى لئن دام على قوله هذا ليكونن ذلك وبالا على قومه وعشيرته وكل من يتبعه (قال الراوى) فعند ذلك قال أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يا أبا الحكم إنى منذ أمس ما رأيته فقال له اريد منك أن تمضى إليه وتقول أن يرجع عن هذا الكلام وإلا فقد دنا وباله وقرب دماره وإنى قد أضمرت له العداوة فقال أبو بكر ها أنا أروح إليه قال ثم إنى سعيت إلى أن اتيت إلى دار خديجة بنت خويلد فأتيت وطرقت عليهم الباب فقالوا من بالباب فقلت أبو بكر فاسرعوا وفتحوا الباب فدخلت عليهم وإذا أنا برسول الله (ص) وعنده عمه أبو طالب والفضل بن العباس وجماعة من كبراء قومه وباقى عمومته فسلمت على النبى (ص) وعلى الجماعة الحاضرين وجلست وجعلت أحدثه بما سمعته من أبى جهل بن هشام لعنة الله فوثب أبو لهب وقال لاخيه العباس ما جلوسك هنا قم وخذ متاعك وادع مالك لأنى أرى أنه ستثور فتنة عظيمة كبيرة يكون لها صياح شرقا وغربا (قال الراوى) فلما سمع رسول الله (ص) قول عمه أبى لهب والعباس أطرق إلى الأرض وقد نزل عرقه على جبينه كاللؤلؤ المنتظم فقالت خديجة رضى الله عنها لا تغم نفسك أنت تعلم أن خزائنى مملوءة من الأموال فقم الآن وشدد عزمك وانفق على الرجال واجمع الأبطال وقاتل من يعاديك فقال أبو بكر هذه أموالى وما أملكه الجميع بين يديك وبحكمك أنا وأهلى وعشيرتى تحت طاعتك فقال لهم النبى (ص) جزاكم الله خيراً اعلموا أنى منتظر أمر ربى عز وجل (قال الراوى) فبينما هو يحدثهم إذ هبط عليه المطوق بالنور جبرائيل عليه الصلاة والسلام فوقف له فى الفضاء والهواء وكان النبى (ص) إذا نزل عليه

الوحى يتطاول عنقه ويشخص بصره وتقع عمامته عن رأسه وأرداءه عن منكبيه لأن جبرائيل عليه السلام ربما يهبط عليه فى الصورة التى خلقه الله فيها فنزل عليه مرة وقد نشر أجنحته وعمت أنواره الخافقين فحل عليه هيبة من ذلك من هيبة الله تعالى فناداه السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد ربك يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك جل جلاله وتقدست أسماؤه يا حبيبى يا محمد وصفوتى من بين خلقى ما خلقت خلقا أكرم منك على ولا أفضل منك ولا أجل منك أتفزع من مخلوق مثلك وأنا الله الذى لا إله إلا أنا خلقت جميع الخلق ورزقتهم ولو شئت هديتهم أجمعين فلا تحزن ولا يدخلك رعب وعزتى وجلالى وارتفاعى فى علو مكانى لأمهدن لك ولأنصرنك ولأدخلن لك العقبى حتى يدين بدينك العرب والعد والحر وأخبرك بأن قريشاً لا بد أن يخرجوك من مكة ويستعينوا عليك بالعرب ويأتوا بحبيب بن مالك بن صعصعة وإنه سيقدم إلى مكة فى عشرين ألف عنان وسيدعو بك إليه فاذا دعاك فاخرج إليه من غير جزع ولا فزع فانى سأجعل لك آية عظيمة ومعجزة تفتخر بها على كل من آمن بك وتيمك وتفضل بها على سائر أهل مكة ويتم فخرك ويعلو قدرك وإنه سيقدم ومعه ابنته سطيحة وأنها بلا يدين ولا رجلين ولا سمع ولا بصر وتكون براءتها على يديك وانه قد زوجها الملك من ملوك الأرض يقال له عياض بن مرة وأنه قد حمل إليها مهرها ألف ناقة وألف حجرة وألف حصان وألف عبد وألف جارية غير الأموال والأثاث وأن ابن مرة قد طالبه بها ويريدان يزفها عليه ويعلم أنها سطيحة بلا يدين ولا رجلين ولا سمع ولا بصر منذ خلقت وقد قال نفسه إنى أريد أن أحملها إلى الكعبة وأطوف بها سبعة وأفيض عليها من ماء زمزم وانظر للكعبة نذرا إن عادت خلقاً طويا وكان منذ خطبت بما طل زوجها ويده ويسوفه ويمينه وقد قال فى نفسه أريد أن أحضرها إلى محمد بن عبد الله وأقول له إن كنت نبياً حقا ورسولا أمينا وقولك صدقا فاسأل الملك العلام أن يردها خلقا سويا كسائر النساء فان فعل ذلك آمنت بك وصدقت برسالتك ودعوت قومى إلى إجابتك وكنت لك عونا على كل من خالفك فاذا سألك فأجبه وعده بقضاء حاجته وسل ما شئت فان ربك قريب مجيب قال النبى ﷺ يا أخى يا جبريل ألا تقدر أن تهبط على فى غير هذه الصورة فقال له جبرائيل عليه السلام ففى أى صورة تريد أن أهبط عليك فقال له رسول الله ﷺ فى صورة رجل من أصحابى فقال له جبرائيل عليه السلام أنا أهبط عليك فى صورة دحية ابن خليفة الكلبى وكان دحية حسن الوجه ذا شعر حسن ووفرة جميلة وهو رجل تام الطول حسن الوجه قال فتهلل وجه النبى ﷺ فرحا وسرى عنه الوحى ولم يخبر أحداً من أصحابه بما أخبره به جبرائيل عليه وخرج أبو بكر رضى الله تعالى عنه ويده فى يد عمر بن الخطاب ويد عمار بن ياسر رضى الله عنهم فقال عمار لأبى أما تفتح اليوم حانوتك فقال لا والله ما ذا تطيب

نفسه أن يبيع أو يشترى حتى ينظر ما يكون من أمر قريش مع رسول الله ﷺ قال فلما كان من الغد ركبت مشايخ قريش ورؤساؤهم فى مائة وسبعين ألف سيد يقدمهم أبو جهل لعنة الله وبين أيديهم العبيد بالسيوف الهندية والدرق البجاوية والرماح الخطية ومن ورائه الموالى على النجب السباق والخيول العربية العتاق وقد حملوا على المطايا الماء والزاد وهم فى أحسن زينة وأكمل عدة وأجل سلاح فساروا حتى قدموا على بدر وإذا بالملك حبيب بن مالك وهو نازل على ماء بدر وقد طبق الأرض ذات والعرض وهو جالس بالخيم ومن حوله السادات والفرسان فلما نظر إليهم عرفهم حق معرفتهم واقسم وقال وحق اللات والعزى ما قدمت مشايخ قريش وساداتهم بالدساكر والصفوف إلا وهم فى مقام عظيم وخطب جسيم وحق الإله العظيم ما الفوا الألوف واستمدوا بالدساكر والصفوف إلا على محمد بن عبد الله ثم أن القوم لما عبروا فى الجيش تخطوا بين الخيم وساروا إلى بساط الملك حبيب ووقفوا على باب المضرب واستأذنوا عليه فى الدخول فاذن لهم فدخلوا على الملك حبيب وهو غارق فى لبس الديباج الأخضر وهو جالس على كرسى من العرعر مصفح بالفضة البيضاء والذهب الأحمر وعلى جسده حلل من الحلل النفيسة لبس الملوك الكبار وهو عظيم البأس شديد المراس عالم فاهم أديب لبيب وكان رجلا طويلا وبطلا نبيلا وكان قد دخل فى دين اليهودى وجادلهم ودخل فى دين النصرانية وجادلهم ودخل فى دين المجوس وجادلهم ودخل فى كل دين وقرأ فى سائر العلوم والحكمة والبيان وكان فصيح اللسان واسع العينين فنظر إلى سادات قريش وهم يخطرون فى حللهم ويجرون حمائل سيوفهم فرحب بهم وقال أهلا وسهلا بسادات الحرام وأرباب الحطيم وزمزم وخير الأمم فيما ذا قدمتم وأى شىء طلبتم فلكم الإكرام والاحترام والاعظام قال فلما سمعوا كلامه وفهموا نظامه قام إليه أبو جهل لعنة الله وقال له أيها الملك الكريم والرئيس العظيم اعلم أن الدين القويم هو دين اللات والعزى وما كان عليه أباؤهم الأولون وماله ناصر غيرك وما بقى من ذريته جدهم سوى المعاذ والملاذ لأنك تعلم علما يقينا إننا أصحاب البيت الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام وأن أباق أهل العز والشراف ولرفعة والصلف ونحن بحقهم عارفون ولقدرهم مبجلون وقد ظهر فيهم غلام يتيم كفله جده عبد المطلب فلما مات كفله عمه أبو طالب وأنه من حين انتشا فينا صار يكفر بآلهتنا ويهزأ بنا وبدينا ولقد كنا نكف عنه أذيتنا حفظا لأهله وعشيرته فطمع فينا بالمحال وهو يجتهد على هذه الفعال حتى أنه يجزو قال إنى مبعوث ورسول مرسل قد أرسلنى إله السماء والأرض إلى سائر المخلوقات من أسود وأبيض وأحمر وحر وعبد وأننا نراه فى كل وقت يشخص ببصره إلى السماء ويرتعد وتأخذه رجفة فظن أنه به جنون فنسأله عن ذلك فيقول إن جبرائيل الروح الأمين يغشانى فاحتار عقلنا فى ذلك وما قد نحن جئنا إليك قاصدين وبك مستجيرين وإليك مستندين والذى

نريده منك أن تدخل مكة وتنزل الأبطح وتجمع مشايخ قريش ورؤساءهم وتحضر بني هاشم وتأمر بإحضار هذا الغلام وتجادله بين العرب فإننا نعلم أنه لا يصل إلى علمك ولا يثبت لحجتك فإذا وقف بين يديك وصمت عن جوابك القياه من بيننا وقتلناه فإن طائفة من الناس كبيرة قد صبوا إليه ودخلوا في دينه وإننا قد أحضرنا حلوف المسك والزعفران مع ماء الورد والمسك والعنبر والكافور لوجوه خيلكم وقد أحضرنا الرماد والبول والفحم والسخام لمن دخل في دينه وتبعه فإن ذلك مما يزيدهم عاراً قال فلما سمع الملك حبيب هذا الكلام أجابهم إلى ما طلبوا وضمن لهم ما أرادوا ثم أنهم أقاموا عنده في ضيافته ثلاثة أيام وهم في أكل طعام وشرب مدام فلما كان في اليوم الرابع أمر جيشه بالرحيل وخيامه بالتحويل وساروا مجدين إلى أن وصلوا إلى مكة المشرفة وأشرفوا على الأبطح ونظروا إلى تلك القباب والهوادج ولاحت لهم الأعلام والأهبة والعدد الملاح واللمعان والزرد والخود والسلاح والخيل الملاح والجنائب تزف زفاً والفرسان من فوق متونها صفاً صفاً وقد كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه خرج ذلك اليوم إلى مكة ومعه المغيرة بن شعبة وأبو عبيدة عامر بن الجراح وكان رضي الله عنه خبيراً بالرجال والسادات عارفاً بالبطون والفصيلات فكان إذا نظر إلى الفارس عرفه وعرف ما يريد ويعرف سائر الأعلام والرايات وإذا رأى ذلك يقول هذا فلان وهذا فلان وهذه راية فلان وهذا علم فلان ابن فلان ولما نظر القباب والهوادج وكثرة الرجال تميز الجميع فوجدهم عشرين ألف فارس غير الرجالة هذا وقد أقبل الملك حبيب كما تقدم بالأبطح وركز رايته ونصب سريره وجلس عليه وجيوشه وأربابه دراته حواليه ولما علمت قريش بقدومه سارت إليه من كل شعب وواد وانتشر في البر مثل الجراد أو السيل إذا انحدر على الواد فسلموا عليه فردوا عليهم السلام وقربهم وأدناهم إلى أعلى مقام وأجلسهم بجانبه في صدر الديون وقال هل بقي من أهل مكة أحد لم يحضر هذا المحضر فقال أبو جهل لعنه الله لم يبق إلا بنو هاشم وبنو عبد المطلب فإنهم تخلفوا استكباراً على الملك فقال حبيب لقريش أمضوا وأصبحوا على ابن أبي طالب وأخبروا قومكم وعشيرتكم بقدومنا فسار إليه أربعون سيداً من سادات قريش وهم المشار إليهم فيهم راكبين على خيولهم وهم في همة ورياسة وسطوة وحماسة فلما وصلوا إليهم ترقوا الباب فخرج إليهم أبو طالب وفتح الباب ولما نظرهم قال أهلاً وسهلاً بالأحباب ما شأنكم وما أتى بكم وما حاجتكم فقالوا له أجب الملك حبيب بن مالك أنت وإخوتك وأصحابك ومن يلوذ بك من أحبابك فقال حباً وكرامة ودخل إلى منزله ودعا بثيابه فلبسها وتزين بها فكان منها قميص آدم عليه السلام ثم استدعى بعمامة إسماعيل عليه السلام وحلة إبراهيم الخليل ونعل سليمان ابن داود عليه السلام ثم طلب إخوته كانوا عشرة وهم العباس وحمزة وعجيل وعكرمة والحرث وعقيل وأبو لهب وعلي وجعفر

أولاد أبى طالب فلما حضروا عنده أخبرهم بما أمر الملك فقالوا الله سر بنا إليه ولما أقبلوا على الأبطح كان مقدمهم أبو طالب ومن حوله من أخوته وأولاد عمه وعشيرته وقد حفتهم السكينة والوقار والهيبة والأنوار وارتفع مجدهم وعلا قدرهم فلما أتوا إلى الأبطح قامت لهم العرب على الاقدام وفرجوا لهم عن طريقهم ما بين الخيام حتى وصلوا إلى الملك حبيب وطلبوا الإذن فى الدخول فاذن لهم فدخلوا وسلموا عليه وأحسنوا وتكلموا فابلغوا وافصحوا فردوا عليه السلام بعد ما أقام لهم على الاقدام وأجلسهم بجانبه ولما استقربهم الجلوس وكانوا بأحسن زينة وملبوس ابتدأهم الملك حبيب بالكلام وقال يابنى هاشم أن جميع العرب لم تنكر شأنكم وفضلكم وإحسانكم وأن الملوك بكم تستجير فى كل أمر عسير ويفتخرون بفضلكم وكرمكم إذا مسهم التقصير وإن أكابرهم ورؤساهم قد اجتمعوا إلى وقصوا قصتهم وهم يشكون من ابن أخيكم الذى ظهر فيكم وهو يزعم أنه نبى مبعوث ورسول رب السماء وأن الأنبياء والمراسلون يأتون بالعلامات والبراهين ويظهرون الدلائل والمعجزات ويكونون دالين على الخير للخير مخبرين ويجب على ابن أخيكم أن يأتى بالمعجزات فى هذا المحضر حتى يشهد له العرب من البدو والحضر ان كان ذلك له قوة قبل أن يتكلم ويدعى النبوة فاذا نظرت العرب إلى معجزاته ودلالاته صدقوا قوله واتبعوه وصاروا حوله وإن كان مجنوناً أو كذاباً فليجب عليكم أن تأخذوا عنه حاء أو ترجموه عن جنونه وتمنعوه عن مراده وتعلموه أن هذا شىء لا يتم على العرب ولا على سائر أهل الرتب من ذرية إبراهيم الخليل فانى وحق الخليل قد منعت العرب عن قتله وعن تبديد شمله وذلك حذراً من سفك دمائهم وترميل نسائهم وحفظا لكم وإكراماً لانسابكم وقدماء أسلافكم وفضلكم وحسن أوصافكم وأما ما انشأ هذا الغلام عند غيركم من الاقوام وهو يكفر بآلهتكم العظام ويسب آباءكم الكرام ويهزأ بكم وينهاكم عن عبادة أصنامكم لرأيتم ما يجرى عليه وكنتم تسارعون بالاذية إليه وتسعون فى إهلاكه وتدميره فالواجب عليكم وعلى كباركم أن تحسنوا بين العرب الذين بجواركم وترضوا الناس ما ترضون لانفسكم ولا تنكروا فضل رحامكم وانسابكم فأجابه أبو طالب وقال أيها السيد الكريم أن ابن أخى لم يأتنا كرها ولا جبراً وإنما قال لنا يابنى عمى وأهلى وقومى يجب على ان انصحكم اعلموا أنى قد جئتكم بآية من ربكم واضحة ودلالة ظاهرة وهو أنى ادعوكم إلى عبادة رب العالمين ألا تنظرون إلى السماء كيف رفعها وإلى الارض كيف سطحها والليل والنهار كيف خلقهما والشمس والقمر كيف أدارهما والنجوم والسحاب كيف سيرهما ومع ذلك أنى أقسم عليك أيها الملك بآبائك الكرام وأجدادك العظام أن تسأل الله رب عما يعرفون منه من محاسن الصفات وما كانوا يسمعونه من

صغره إلى كبره وما ينقلون لك عنه فعند ذلك سأل الملك حبيب العرب فقالوا له نعم صدق ابن عبد مناف أننا عيناه من صغره الصادق الأمين فلما سمع أبو طالب كلامهم فقال يا ملك الذى من صغره يسمونه الصادق الأمين كيف يكون فى كبره كذا بأمهين فقال الملك حبيب هذا شىء لا يتفق ولا يكون وأنى أحب أن أراه بالعيون وأسمع كلامه وأحقق واسمع ما يقول إن كان عاقلا أن مجنون فقال أبو طالب أرسل إليه حاجبا من حجابك يدعوه إليك بين الأصحاب فاذا حضر فاسأله عن ذلك الارتياب فهو يرد ذلك الجواب ولا يعجز عن الخطاب فدعا الملك بحاجب من حجابه وقال له امض إلى دار خديجه بنت خويلد وقف بالباب وأطرقه فاذا أجابك أحد غير محمد فقال أنى أريد محمداً فاذا خرج إليك فقال له أن عمك عند الملك حبيب ويدعونك تحضر عندهم فى الحين قريب وأن الملك حبيب أراد أن ينظر إلى شخصك وأوصافك ويسمع كلامك وإنصافك فنهض من بين الجماعة أبو جهل ابن هشام لعنه الله وقال أيها الملك لا ترسل إليه الأجما كثير أخشى إذا لم يأتوا به طوعا يأتوا به كرها فقال له حمزة والعباس وسائر أعمامه ويلك يا عادم السياسة ومستهجنا بالرياسة ترى أن مخافة تكون عليه ونحن متقلدا بسيوفنا وإن لم يأت فى هذه الساعة مع الجماعة طوعا فمن يقدر أن يأتى به كرها ونحن له سيوف قاطعة وأسنة لامعة وأسود مانعة وأنه الساعة لا بد أن يحضر قاصر كلامك وإلا يطل أرغامك بما يظهر لك قدام الملك حبيب وقدام أصحابه فقال الملك لحاجبه امض لما أمرتك فركب الحاجب فرسه وسار إلى نحو خديجة بنت خويلد وتلك الديار فلما وصل طرق الباب طرقا خفيفا فطلت اليه جارية من جوارى خديجة فنظرته وعادت إلى النبى ﷺ وقالت يا مولاى أن رجلا كهلا له وجه يضىء ولباسه حسن وهو يدق بالباب فقال سيد الأحباب امضى اليه واسأليه ما حاجته فخرجت إليه الجارية وسألته فقال لها قولى لمحمد يرينى وجهه فرجعت الجارية وأخبرت النبى ﷺ بما قاله الحاجب فوثب عليه الصلاة والسلام وفتح الباب فلما رآه الحاجب حصل له ارتياب وخفق قلبه وطار لبه وطاش عقله وزاد رغبه فثنى رجله من اشكاب وترجل عن دابته ومسك أذنه وتقدم إلى النبى ﷺ وأخذ يده فقبلها وقبل صدره فقال له النبى ﷺ روح وريحان وكرامة ورضوان فقال له الحاجب ياسيدى أجب عمومتك فان عند الملك حبيب بن مالك وأنه قد أحب أن يرى جمالك وينظر حسن وجهك وبهاك ويسمع إلى حسن كلامك وألفاظك ويتمنى منك الرضا فقال ﷺ سمعا وطاعة وحبا وكرامة لله عز وجل ثم أن النبى ﷺ دخل منزله ولبس أثوابه التى كانت جعلها له خديجة وهى قباطى بيض من قباطى مصر وتعمم بعمامة وكان النبى ﷺ يطيب لحيته وعوارضه لأن رائحته كانت أزكى من كل طيب بل كان يأخذ المسك والعنبر ويضعه فى مفرقه وجميع شعر رأسه وتردى برداء مليح فى غاية الرقة هذا وخديجة

رضى الله تعالى عنها انظر إليه ودمعتها قد بلت خدودها رقية عليه وزينب ورقية وأم كلثوم يبكين لبكائها بكاء غير مكتوم فهبط الأمين جبريل عليه الصلاة والسلام فى الصورة التى خلقه فيها رب الأنام وبيده حربة الغضب ولها شعبتان عجب شعبة فى المشرق وشعبة فى المغرب ونادى وهو نازل من الهواء السلام عليك يا أحمد يا محمد يا خير مولود وسيد المرسلين أن الله سبحانه وتعالى يقرئك السلام ويقول لك وعزتى وجلالى ما أرسلت إلى قوم أفضل منك ولا أكرم منك ولا أحب الى منك وإنك أنت نبى الرحمة وأمتك المرحومة ها أنا معك من عن يمينك وعن شمالك ومن فوقك ومن تحتك وعزتى وجلالى لا يخلو منى مكان ولا تتكبر على إنسان امض إلى هذا الرجل من غير فزع ولا جزع ثم أمر الله سبحانه وتعالى الملائكة أن يسيروا حول النبى ﷺ فقالوا سمعا وطاعة فسمع النبى ﷺ كلام الملائكة الكرام ونظروا اليه وهو البدر التمام يتلألأ وجهه نورا ويتبسم سرورا وأوحى الله سبحانه وتعالى الى أن انكسف فى وجه حبيبى محمد فانكسفت ولما فى وجهه نور حتى علم اهل مكة ولم يبق منزل ولا علو إلا ودخل به هذا النور واوحى الله تعالى الى الكمال والبهاء والضياء والسناء والعز والفخر والوقار ان اسعوا بين يدى حبيبى محمد ﷺ ثم صار ﷺ ونوره يزيد عن نور الشمس والقمر وجبريل عن يمينه والملائكة يسيرون عن يساره ويقفون لوقوفه ويهللون بالتسبيح والتقديس حامدين شاكرين لله رب العالمين وما زال ﷺ سائرا حتى دخل الكعبة وصلى ركعتين فى مقام الخليل عليه الصلاة والسلام وخرج من الباب المعروف بباب النبى ﷺ فنظر الأبطح وهو مزدحم بالخيل والرجال فعظم ربه ذو الجلال والاكرام وكان لم يبق فى مكة أحد إلا وسلك هذه المسالك وقد خرج حبيب ابن مالك لينظر ما يتم بينه وبين ابن هاشم وما يجرى من هذه الامور العظام وكان الملك حبيب جالسا على سريره العرعر واكابر قريش بين يديه والعشائر جميعا حواليه فى عشرين ألف غضنفر وكلهم قيام ينظرون قدوم النبى ﷺ وقد سبقت الأنوار وعمت جميع الحضار وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه بين يديه ولما وصل الى القوم جعل يخترق صفوفهم ويتخطى ألوفهم فهابوه ورهبوه تكريما له وتعظيما رقامت اليه قريش اجلالا له وتفخيما فلما رأى الملك حبيب هذا الشان وما كان من القوم وما فعلوه عند اقبال النبى ﷺ فى هذا اليوم تعجب فى نفسه وقال ان هؤلاء القوم أتتى سلاستهم الكرام وأشرافهم العظام وهم جميعا يشكون من هذا الرجل العظيم ويعتدون عليه التحليل والتكريم ومنهم جماعة يسبونه ويؤذونه ولما حضر فيهم رأيتهم يوقرونه وهذه الأشياء والله من علامات النبوة لا محالة ومن دلائل الهداية والرسالة وأنا أشهد أنه نبى حقا ورسول صدقا ثم إن الملك حبيب احضر له كرسيا من الذهب الأحمر مرصعا بأنواع معادن الجوهر ليجلس عليه النبى

(ص) فدفعه بيديه الشريفة وأبى أن يجلس عليه وجلس على الأرض وقال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال الملك حبيب فى نفسه وهذه دلائل أخرى وهذا التواضع وجلس النبى (ص) بجانب الملك حبيب فشخصت إليه الأبصار وسكنت الحركات والاثار ونزلت الهيبة على النبى (ص) والوقار فابتدر الملك حبيب بالكلام إليه وقال يا أبا القاسم وما كان على وجه الأرض من يكنى بهذا الكنية إلا هو (ص) فانه سمى محمداً وكنى بابى القاسم ولا يجوز لآخر أن يكنى بهذا الكنية إلى يوم القيامة وكذلك عتيق كنى بأبى بكر ولقب بالصديق وكذلك على رضى الله تعالى عنه كنى بابى تراب ولقب بحيدرة الكرار وألقابه كثيرة مذاهم أن حبيب بن مالك قال يا أبا القاسم أعلم أن هؤلاء الشيوخ من أهل مكة سادات قريش ذكروا عنك أنت تقول أنك نبى مبعوث بالحق ورسول أرسلك ربك إلى كافة الخلق من بدو وحضر وفرس وديلم وترك وعجم هل هذا صحيح عنك فقال ﷺ نعم أرسلنى بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فقال حبيب أعلم يا محمد لكل نبى معجزة وحجة وبرهان وآيات تدل على صدقه حتى يجب به الإيمان فأما نوح عليه السلام فانه بعث إلى أهل الأرض وكانت آيته السفينة وصالح إلى الملك جريح وكانت آيته الناقة وإبراهيم بعث إلى النمرود وكانت آيته النار وموسى بعث إلى فرعون وكانت آيته العصا وعيسى كان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى باذن الله فان أنت أتيت بآية كما أتى الأنبياء من قبلك كنت من الصادقين وتمسك بحبالك فقال ﷺ أطلب ما شئت من الدلائل فربى على كل شىء قدير فقال له حبيب أطلب منك أن تسأل ربك أن يرد الليلة الصاحية ظلمة ويجعلها ذات كنادس ... الات بعضها فوق بعض من كل ناحية إلى الصباح لا يكاد مخلوق ينظر إلى ضوء مصباح ثم تصعد إلى جبل أبى قبيس ... تنادى القمر ويكون فى تمامه وكماله ثم إنك تأمره أن يركض فى السماء ركضاً بليغاً من مطلعه إلى أن يقف على سطح الكعبة ثم يطوف بها سبعاً ويسجد فى مقام الخليل إبراهيم ثم تأمره أن يقبل عليك ويقف بين يديك ويكلمك بكلام فصيح عربى مبين لا يشكل على إنسان ويسمعه القاصى والدان ويسلم عليك ويشهد أنك نبى حقاً ورسول صدقاً أرسلك الله تعالى كافة ثم يدخل فى زيقك ويخرج من ذيلك ويعود ثانياً ويدخل فى زيقك ويخرج من كمك الأيمن بنصفه ومن الكم الأيسر بنصفه ثم يمضى نصفه إلى المشرق والنصف الثانى إلى المغرب ثم يعودان راكضين فى السماء كركض الجوادين المسرعين ثم يلتقيان فيصيران بدراً كاملاً مستنيراً كما كان فى ليلة تمامه وكماله فقام أبو جهل لعنة الله عند تمام كلام الملك حبيب وجعل يشير إليه بكمه وهو يقول لله أحسنت أيها الملك الكبير والمولى المشير والسيد الخطير فقد أفرحت القلوب وفرجت الكروب إذ أنت طلبت من محمد بن عبد الله مالا يقدر عليه لا هو ولا كل أبويه فقال ﷺ

اجلس يا كاتب قومه وأخس عشيرته ثم أقبل على حبيب وقال له اطلب منى أقوى من ذلك فان ربى على كل شىء قدير فقال الملك حبيب يا محمد لقد طلبت منك مافيه بلوغ المنى للسائلين ونيل الحكمة للمعتبرين قال فاتم هذا الكلام حتى هبط جبريل عليه السلام وقال يا محمد الله عز وجل يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك سل الملك حبيب عن ابنته السطيحة فأقبل ﷺ على الملك وسأله عنها فقال ومن أعلمك بهذا فقال جبرائيل عليه السلام فقال حبيب يا محمد أيقدر ربك أن يعيدها خلقا سويا فقال نعم إن ربى على كل شىء قدير وقد وعدنى أن يعيدها فتكون أحسن نساء قومها وأجلهن وأكملهن فقال له إن فعلت ذلك أمنت بك وأقررت برسالك وأدعو قومى إلى إجابتك وأكون داعيا لطاعتك فعند ذلك وثب ﷺ وصلى ركعتين ودعا الله سرا بينه وبينه وبعدما سلم فات اليمين وذات الشمال وبعد ذلك قال للملك قم الآن وادخل إلى بنتك وانظر ماذا صنع المولى بها الملك حبيب فدخل إلى ابنته فوجدا بنته قائمة على أقدامها وهى كالقمر المنير زائدة المحاسن والأوصاف مسترسلة الشعور سالمة الأطراف وهى تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ فعندها خرج أبوها مسرعا وأتى إلى النبى ﷺ وجعل يقبل رأسه ويديه وأسافل قدميه وقال له يا رسول الله أمهلنى حتى تظهر معجزاتك التى طلبتها وبعدها أسلم أنا وقومى على يديك ولكن أوعدنى فى أى وقت يكون له ذلك فقال له ﷺ كون ذلك عند غياب الشفق وسواد الأفق وأنى ما وعدت وأخلفت قط ثم قام عليه الصلاة والسلام وسار إلى منزله وتبعه أهله وعشيرته وأعمامه وأبو بكر الصديق أمام القوم تفرق الناس عن رسول الله حتى خرج من الأبطح ومازال سائرا إلى أن وصل إلى الدار ودخل على خديجة فوجدها راكعة لله وساجدة وأدمعها تجرى فقال لها لا تبكى يا خديجة فما هذا الخوف والقلق أتظنين أن الله عز وجل يسلمنى إلى عدوى كلا بل أنا الظافر وعدوى قاهر وبعد ساعة دخل عليه أبو الصديق وهو مندهش فقال له ياسيدى يارسول الله لاشك أنك قد عاينت هذا الجيش وكثرة العشائر وأنه لم يبق سيد فى قومه ولا أمير فى عشيرته إلا وقد حضر وشهد عليك بما ضمنت فهل تقدر أن تظهر لهم ماقالوه وطلبوه فإنه أمر عظيم فقال ﷺ ياأبا بكر طب نفسا وقر عينا إن ربى على كل شىء قدير فقال له عمه أبو طالب ياسيدى يارسول الله أسألك بالله لا تفضح هذه الشيبة فتصبح ذليلة بعدما كانت عزيزة ولا تفضح قومك ل أهل مكة وقبائل العرب فتصير فيهم شهرة ومسبة وقال عمه العباس يا ابن أخى يا محمد اتق الله فينا وفى أهلنا يا محمد احفظنا واحفظ علينا عرضنا فقال لهم النبى ﷺ اسكتوا ياقومى وعشيرتى ويا أهلى ويا أعمامى فانى ما أيست من رحمة ربى ثم قام إلى محرابه وجعل يناجى ربه وهو ساجد راكع فهبط جبريل عليه السلام وقال يا محمد ارفع الآن رأسك إن الله عز وجل يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك وعزتى وجلالى لم أخلق

خلقا أكرم على منك ولا خلقت شمساً ولا قمراً ولا ليلاً ولا نهاراً ولا فلكاً دواراً إلا كرامة لك يا محمد وعزتي وجلالي إني قد أمرت القمر بالطاعة لك من وقت أن خلقته وكونته ثم أن جبرائيل عليه السلام قال وها أنا يا أخي يا محمد واقف عن يمينك والحربة بيدي فخذها فخذ الك وعصاك تمحوته بها كما محوته أول مرة وكان شمساً فصار قمراً فقام صلى الله عليه وسلم ودخل مقام الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام وصلى فيه ركعتين ثم أنه دعا ربه وصعد إلى جبل أبي قيس فعند ذلك نادت العرب جميعاً وقالوا يا محمد قد أقبل الليل وغاب الشفق فمتى تظهر لنا معجزاتك فقال لهم حتى أصلي العشاء الأخيرة وأقضي فرض ربي عز وجل فلما صلى صلاة العشاء وفرغ من صلاته نادى في أهل القبائل وسائر المحافل والجحافل النازلين بالمناهل وكان صلى الله عليه وسلم معه أربعة رجال من بني هاشم وهم عمه حمزة والزبير وطالب وعقيل أخوه وقيل إن طالباً معدود بعقنب والعقنب يحسب بعشرة آلاف رجل قوية من الرجال العتية وأنه كان يلقاهم وحده ويكون راجحاً عليهم ويبلغ منهم ما يريده ويخرج منهم وهو سليم وكان الزبير أيضاً سيد بني هاشم فلما نشأ على كرم الله وجهه أغمد سيفه بجميع الأسياف وقد أعطاه الله من القوة والبأس والهيبة والوقار ما لا مزيد عليه ولا يعرف له عيار وكان هؤلاء الأربعة الذين ذكرهم محتاطون بالنبي صلى الله عليه وسلم خوفاً عليه من الأعداء المبغضين ولما أن كان وقت صلاة العشاء أذنوا بها وصلوا الجميع ولم يكن يومئذ بمكة من يوحد الله مع النبي صلى الله عليه وسلم غير هؤلاء الرجال كانوا يعبدون الله سراً فنادى عند ذلك حبيب ابن مالك وقال يا أبا القاسم قد صليت العشاء الأخيرة فاظهر الآن ما قلته من الكلام وما ضمنته لنا من هذه العظائم حتى نصدقك جميعاً ونؤمن بك وبرسالتك ونقر بفضلك وتشملنا بركتك وتثبت عندنا مقالتك وتأتي بحجتك فمد النبي صلى الله عليه وسلم يديه الكريمتين وبسطهما ورفع طرفه إلى السماء وقرأ ما تيسر وابتهل إلى الله عز وجل فأوحى الله تبارك وتعالى إلى الملك الموكل بالظلام ان يخرق مقدار سم الخياط فخرج الملك ذلك فاسود منه وجه الأفق وجميع الطرق وقد اظلم المشرق والمغرب وعم الظلام الروابي وسائر الآكام والبر والبحر وسائر السهل والوعر وما بقي أحد ينظر شيئاً حتى باطن الكف وقد خمدت النيران واظلم الخافقان فصاحت العرب بأجمعهم وقالوا يا محمد يا أبا القاسم اجرنا من شدة الظلمة فأشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى القمر بيده وقال له بأعلى صوته السلام عليك أيها المخلوق المطيع الدائر في الأفلاك السريع اعلم انني اشهد انك آية من آيات الله عز وجل وعلامة بينة فأظهر لنا الآن ما فيك من المعجزة ومن الكرامة التي لمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب نبي الله ورسوله فما اتم النبي صلى الله عليه وسلم كلامه حتى رأوا القمر قد استنار واتسع وهبط وارتفع ثم انه جعل يركض في السماء مثل الجواد العربي وما زال يركض حتى وقف على الكعبة شرفها الله ثم انه كرر راجعاً إلى جهة النبي صلى الله عليه وسلم ووقف بين يديه يهتز ساعة ثم انه اسلم على النبي صلى الله عليه وسلم بلسان فصيح طلق وكلام مليح غير مغلق وقد سمعت

الناس جميعاً مقالته وما أحد منكم ينكر معرفته وهو يقول السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد السلام عليك أبا القاسم السلام عليك يا حبيب الله أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً رسول الله ثم أنه بعد ذلك الكلام انقض ودخل زيقه وخرج من زيله وعاد ثانياً ودخل في زيقه وانشق نصفين فخرج نصفه من كمه الأيمن وخرج نصفه الثاني من كمه الأيسر ثم طلع كل نصف من جهة شرقاً وغرباً ثم ركض كل نصف في السماء مثل الجواد العربي ثم اجتمع النصفان على بعضهما وسار اقمراً منيراً كاملاً مستديراً ثم نادى ثانياً بكلام فصيح أفصح من الأول وقال أشهد أنك حبيب رب العالمين وأفضل الأنبياء وجميع المرسلين والشافع لأمتك المذنبين وأنت ذخر للعاجزين والفقراء والمساكين فيا سعد من تبعك وأطاعك ويا شقاوة من عصاك وخالفك وقد فاز بالرضا والرضوان الذي من عرفك ثم ارتفع إلى مكانه ووقف في محله الجليل فقال الناس لأبي جهل لعنه الله أما تنظر لهذه المعجزات الباهرات والآيات العظيمات فكيف تمادى مثل هذا وهذه الفعال فعاله وهذه الأقوال أقواله وهذه الأحوال أحواله فقال لهم أبو جهل اللعين إن هذا لسحر مبين وإما حبيب مالك فإنه قال للعرب الكرام ومرا جتمع في هذا المقام هل بقي لكم على أبي القاسم حجة أخرى أما أنا فقد آمنت به وبرسالته وصدقت بنبوته وأنا أقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ وأسلم في ذلك اليوم سبعون ألفاً وثمانون رجلاً ووقعت المشاجرة بينهم وبين أبي جهل وأصحابه وجردوا السيوف وكادت الحروب أن تقع بينهم فقال لهم النبي ﷺ يا بني هاشم ويا بني عبد الله اعلموا أني قد بعثت بالرحمة ولم أبعث بالسيف والفتنة فسكنوا انفوسكم وأخلاقكم وكل من أطاع الله ورسوله يترك من يده السيف والرمح ومن خالف الله ورسوله يفعل كما يشاء ويا قوم امتثلوا إلى أن يظهر لهم الحق المبين فسكنوا لما سمعوا قول النبي ﷺ ثم أنهم انفصلوا من ذلك اليوم وكل منهم قد رجع إلى موطنه ومضى حبيب بن مالك إلى منزله بعد أن سلم على رسول الله ﷺ وزف ابنته على عياض بعد أن أخذ عليه شرط الإيمان والدخول إلى دين الإسلام فوافقه على ذلك وأخذوا في إصلاح حالهم فهذا ما كان منهم وأما النبي ﷺ فإنه رجع إلى منزله ودخل على خديجة بنت خويلد وأبو بكر الصديق بين يديه فلما وصل إلى منزله تلقته خديجة رضي الله تعالى عنها من باب الدار وقبلت صدره ويديه وقالت له ياسيدي إنني رأيت لك معجزة أخرى فقال وما هي قالت لقد خاطبني هذا الجنين الذي أنا حاملة به فقال لها سيدنا حمزة ما الذي خاطبك به فقالت يا ابن الأطيبين كنت قلقة فناداني وقال لي ما هذا الجزع والقلق وبعلك محمد حبيب الله ورسوله وصفيه وخليله وهو المنصور المؤيد على أعدائه قال فتبسم ﷺ من كلامها وقال إن الله تبارك وتعالى ما أعطى نبياً معجزة إلا وقد اعطاني مثلها وخصني بها وكذلك اخبرني بها جبرائيل عليه السلام بأن هذا الجنين الذي خاطبك وانت حامل به هي ابنتي

وأن الله عز وجل سماها فاطمة الزهراء وهذا ما انتهى إليه من معجزاته ﷺ في انشقاق القمر وقيام السطيحة لسيد مضر عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وأنشد بعضهم يقول:

ألا يا معشر الإسلام يهنيكم الاشرى ... نبيكم شق الإله له البدرا
قد امتحنوه الجاهلون بجهلهم ... أرادوا به كيداً فأعقبهم خسرا
وأوحى له الرحمن أن سطيحة ... بدار أمير القوم فادع لها تبرا
فقام رسول الله صلى وقد دعا ... وقال أيا من علم السر والجهرا
إلهي إلهي قومها فأصبحت ... كعادتها تمشي سويا على القبرا
فقامت بإذن الله تزهو كأنها ... هلال مضيء كامل حسنه بدرا
وإخواننا في الدين قد آمنوا به ... إماماً أميناً صادقا ناطقا جهراً
وقد كان هذا من ألست بربكم ... سعيد وفي الدنيا شهيدون في الاخرى
وهذا أبو جهل اللعين بجهله ... رأى معجزات المصطفى ظنها سحراً
وقد قال عنه أن هذا لساحر ... وأسرارهم لا تستطيع له أمراً
وصاروا عليه حادقين صدورهم ... وصلى عليه الله أعلى له ذكراً
فكم ناله من ربه من كرامة ... فكانت له فتحا وآخرها نصرا
وكان إمام المرسلين وكهفهم ... وأولاهمو فخراً وأعلاهموا قدرا
وأرحمهم قلبا رؤفا بقومه ... إذا أظهروا غيظاً يصاحكهم بشراً
وفي يوم بدر والحديبية التي ... أتى مدحهم في الذكر مذ شاهدوا بشرا
وقد بايعوا المختار عهدا مواقيا ... له واشترى الرحمن من مشتاقهم طرا
وأولاهموا دار السلام فهم بها ... نعيم مقيم لا تجوع ولا تعرى
وأعداؤهم في النار طرا وكلما ... أتت أمة للنار تلعنها الاخرى
وأمته في الحشر تحت لوائه ... فلا يمسهم برد ولا تشتكوا حرا
ويدعون بالتسبيح والحمد والثنا ... فشكر همو حمد وحمدهموا شكرا
وتفرح أصحاب النبي إذ غدت ... تسير مع المختار في جمعهم طرا
ومن غاب منهم يذكر بحمله ... ويسجد تحت العرش سجدته الكبرى
ويكفيه فخرا إذ يقول أنا لها ... ورؤية الرحمن في ليلة الاسرى
ويشفع في كل العصاة ولم يدع ... سوى مشرك بالله يتبعه الكفرا
عليه صلاة الله ثم سلامه ... سلاما زكيا فائقا رائقا عطرا
مدى مدة الدنيا وما دام أهلها ... وإن زالت الدنيا فما دامت الاخرى
كذا الآل والاصحاب ما الشمس أشرقت ... وما دامت الظلماء يعقبها الفجرا

(قال الاصمعي) ولما انتهى الأمر من انشقاق وآمن من آمن بسيد البشر قال جرير لعمرو بن أمية الضمري أنت أبصرت المعجزات وبعينك رأيت وقد عرفت طريق الهدى فإذا شئت اهتديت فهل أنت على ما عزمت عليه من الدخول فى دين الإسلام فقال له عمرو نعم رضيت بذلك وارتضيت فقال جرير وأنا كذلك ثابت عليه وعنه لا أحيد ثم أنه أخذ عمرا فى يده وساروا من وقتهما وساعتهما ودخلا مسجد النبي ﷺ فوجده بين أصحابه وهو البدر بين الكواكب فسلما عليه وقال يا رسول الله قد جئنا إليك لندخل فى دين الإسلام ونبلغ المطالب بين الأنام وكل منا لا يقبل ملام فتبسم النبي ﷺ لهما وقال أهلا وسهلا ومرحبا بمن يصير أخا لنا فى الاسلام ويعرف الحلال من الحرام ثم مد يده ﷺ ووضعها فى يد جرير ويد عمرو بين أيديهم وقد أسلم جرير وعمر وفرح النبي ﷺ لذلك الأمر ثم أن النبي ﷺ قال يا جرير من هو اليوم ملك بنى عبس وعدنان فقال يا سيدى هو فضالة بن مالك بن زهير فقال أن فضالة من أصحابنا ولنا زمن ما رأيناه وهو من أحبابنا ثم أنه سأل وقال له ومن هو حامية عبس اليوم فقال يا رسول الله هى بنت أخى عنتر واسمها عنيترة واسم أمها الهيفاء وتكنى بقناصة الرجال أخت عمرو ذو والكلاب القضاعى وأن بنت أخى عنيترة الآن فى شجاعة قوية وفروسية حرية ومروءة أبية وفى حمية وأى حمية فقال له النبي ﷺ تقدم عندى يا أبا الأفراح لأن فيك الخير وقد بان لى من فعالك النجابة وقد جعلتك من سعاة المسلمين وقد جعلت عمر وهذا ابن أخيك مقدما على جميع سعاتى لأنى سمعت عن عجائب فى السعى والشطارة والشجاعة والقوة وهو من بعض صفاته ثم مد يده الكريمة ﷺ ومر بها على جسد جرير فازداد بذلك قوة وشطارة وانبساطا واشتد على السعى جلادة واكمد بذلك مبغضيه وحساده وصار جرير يغدو مثل الجواد السارح والطير البارح وأقام بمكة وعمرو ابن أخيه وهما ملازمان الركوع والسجود فرحا برؤية سيدنا محمد الذى هو فى جميع صفاته محمود ونسيا أهلهما والجنود قال الراوى فهذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من حديث الخذروف بن شيبوب فإنه كان مقيما عند بنى عبس هو وزوجته أمية أم عمرو بنت عطارد أمير بنى ضمرة وكان قد سافر ولدها عمرو وصحبة عمه إلى مكة كما ذكرنا فطال غياب ولدها عنها وشكت ذلك وبان هذا الأمر منها وذكرنا أن من شدة فرح جرير وعمرو بدين نبى الهدى لم يقدرا أن يفارقا رؤية وجه النبي ﷺ اليوم أو غدا وكانا فى كل ساعة ينظران إلى وجه المظلل بالغمام وقد رسخ فى قلوبهما حب الاسلام وانساهما ذلك أهاليهما والقرائب وسائر عشائرهما والحبائب وأقاما فى أهنى عيش وسرور ولذة وحبور بلغ منهما طلبه ومناه وشكر على ذلك مولاه (قال الراوى) ولما زاد بأمية زوجة الخذروف الفراق والنكد والحسرة على الولد واشتد الأمر بها شكت إلى بعلها الخذروف غياب ولدها

عمرو وصار فى قلبها لهيب النار وصارت تبكى الليل والنهار (قال الراوى) فلما رأى الخذروف منها ذلك أخذه عبيده الذين أتوا مع زوجته أمية وتجهز للسفر إلى مكة شرفها الله تعالى وجد وسار وتبطن فى البرارى والقفار ليلا ونهارا مدة خمسة أيام وفى اليوم السادس أشرف الخذروف على مكة ودخل واجتمع بولده عمرو وبعمه جرير وشكا لهم شوقه اليهما بعد ما سلم عليها وقد لام عمه جريرا وولده على كثرة الغيبة وكيف طول أمية على غياب ولدها بالحسرة والخيبة فقال له جرير يا ابن الأخ قد أشغلنا عنكم الدخول فى دين الاسلام والنظر إلى وجه المظلل بالغمام ومشاهدة زمزم والمقام وكل من أسلم فاز بالجنة دار السلام ويبقى فى النعيم الأكبر والعز الأوفر والرأى عندى يا ابن الأخ انك تبادر الدين القويم والصراط المستقيم والفضل العظيم (قال الراوى) فلما سمع الخذروف مقال جرير وفتحت فى وجهه أبواب السعادة والتيسير وانشرح صدره للاسلام بلا تعسير وقد اشتاق إلى رؤية المظلل بالغمام البشير النذير وبعد ما كان عمى عن ذلك عاد بصير وباتوا تلك الليلة والخذروف يهتف بالإسلام فى يقظته والمنام ومازال كذلك إلى أن انفجر الصبح بالإبتسام وقام جرير والخذروف وعمرو وقصدوا مسجد رسول الله ﷺ ودخلوا عليه المسجد وسلم جرير على رسول الله ﷺ فتقدم عمرو بن أمية الضمرى وقال له يا رسول الله هذا أبى الخذروف قد جاء اليك وهو على دين الاسلام ملهوف فقال له رسول الله ﷺ مرحبا به يا عمرو (قال الراوى) فتقدم الخذروف واسلم على يدى النبى ﷺ وشاهد وجه المظلل بالغمامة وشرح الله صدره للاسلام وأضاف النبى ﷺ الخذروف إلى سماته وانزله فى بعض أبياته وقال لعمرو بن أمية الضمرى ولد الخذروف يا عمرو أنت المقدم على جميع السعادة فأمر أباك أن يسير إلى بنى عبس ويأمرهم بالقدوم إلى ليسلموا على يدى وكذلك عنترة تكون من جملة المهاجرين إلى الدخول فى دين رب العالمين فقال عمرو لرسول الله ﷺ نعم ما قلت وما به علينا أشرت ثم أن عمرو أمر أباه أن يسير إلى بنى عبس ويميل قلوبهم إلى الإسلام (قال الراوى) فسار الخذروف طالبا أرض الشربة والعلم السعدى وبقى جرير حتى يرسله النبى ﷺ لبعض قبائل العرب وبقى عمرو بن أمية الضمرى مقدم السعاة وسار كلما طلب رسول الله حاجة يرسله فيها حتى افتخر على أبناء جنسه (قال الراوى) وأما الخذروف بن شيبوب فانه سار حتى وصل إلى أرض الشربة والعلم السعدى ودخل إلى زوجته أمية وطمن فيها على ولدها عمرو وحكى لها على ما صار لهم من الامر وعن إسلامه هو وجرير وولدها عمرو وقال لها أنا ما جئت إلا لكى آخذك واسير إلى مكة ونقيم فيها باقى اعمارنا بما لنا وعيالنا وجمالنا ونوقنا ومتاعنا فعند ذلك فرحت أمية بذلك الكلام وأكثرت الضحك والابتسام وقالت له نعم ما فعلته

بدخولك فى دين الإسلام واسلمت من وقتها وساعتها وفرح الخذروف بتلك الهداية والانابة واجتمع بابنة عمه عنيترة وحكى لها على ما جرى له من الأمور العظام ودخوله فى دين الاسلام وأعلمها باسلام جرير وإسلام عمرو وإسلام جميع العرب وأنهم قد أتوا من كل قفر وسبسب إلى خدمة النبى ﷺ المنتسب والرسول المنتخب صاحب الحسب والنسب وانه قد أطاعته رباب المعالى والرتب وفرحوا باسلامهم على يد خير الانام عليه أفضل الصلاة والسلام (قال الراوى) وقد علم بذلك فضالة وعمرو وذو الكلب وعتيبة بن حصن ومالك وزخمة الجواد ومن بقى من أعمام فضالة الأمجاد ومن جماعة بنى عبس وبنى قراد الاجواد (قال الراوى) ولما سمعوا بحديث الاسلام من الخذروف بن شيبوب مالت إليه منهم القلوب واجتمعوا بعنيترة واستشاروها ليعرفوا رأيها وقالوا لها ياأم الوعازع ولبوة الوقائع ما عندك من الرأى وبماذا تأمرينا فقالت لهم الرأى عندك أننا نسير إلى حضرة هذا النبى العربى وهو أجل نبى وأعلى مطلبى فعند ذلك قال فضالة بن قيس بن زهير وعتيبة بن حصن بن مالك وزخمة الجواد وورقة وجماعة قليلة من بنى عبس الذين حضروا بمكة فى أول الأمر وكتموا إسلامهم كما ذكرنا فيما تقدم فلما تحقق الخبر من الخذروف وارتضت عنيترة دين الاسلام قالوا لها والله ياأميرة نحن على دينه من مدة طويلة وأيام ممدودة ولنا زمان نكتم أمرنا فوافقينا على ذلك لننجوا من الشرك والمهالك فلما سمعت عنيترة ذلك مال قلبها للاسلام واشتاقت للنظر إلى وجه المظلل بالغمام فعندها أجابتهم فى الوقت والساعة وفرح بذلك الجماعة وأسلم عمرو وذو الكلب وأخته قناصة الرجال وأسلم أكثر بنى قضاعة واسلمت بنو عبس عن بكرة أبيهم وأسلم معهم جماعة من بنى غطفان وفرسان كثيرة من بنى ذبيان أسلم فى تلك الساعة خلق كثيرة وقد عولوا الجميع على المسير (قال الراوى) فبينما هم كذلك وإذا هم بجرير قد أقبل من نحو البر أسرع من الطير الذى يطير وأقبل على بنى عبس وهو ينادى البراز البراز أيها الأخيار إلى مكة والاسلام على يد المختار صاحب المعجزات والأنوار فهو سيد زمزم والمقام والمشاعر العظام والبيت الحرام (قال الراوى) فلما سمعوا قوله عرفوه الجميع الرفيع منهم والوضيع (قال الراوى) وكان السبب فى مجئ جرير إلى أرض بنى عبس هو حديث عجيب وأمر مطرب بديع غريب وذلك ان رسول الله ﷺ كان قد أرسل جريرا إلى بعض قبائل العرب لكى يدعوهم إلى لاسلام ويأمرهم أن يحضروا كلهم إلى عند زمزم والمقام وليعرفوا الحلال من الحرام فسار جرير من وقته وساعته وطاف فى قبائل العرب وشوقهم إلى نظر النبى المنتسب والرسول المنتخب وسار إلى بنى هوزان وجشم وسليم وصار العباس بن مرداس السلمى طالب بنى عبس ومعه خفاف بن ندبه ودثار بن ورق وأما دريد بن الصمة فانه أبى أن يسير معهم لما سبق له من الشقاوة وقال أكون شيخ العرب من بعد منها ومن اقترب وأحول

عن مذهب العرب فهذا لا يكون أبدا ولا يشمت بى أحد من العدى وكان قوله هذا لأجل شقاوته وعمى قلبه لأن الله تعالى قد أضله وجعل النار مستقره ومهوطنه وموطن كل من طاوعه على كفره وجهله (قال الراوى) هذا ولما سار جرير يطالب قبيلة بنى عامر لم يجبه أحد منهم ولا تبع مقاله لأننا قدمنا ذكر كفر عامر بن الطفيل وكيف أنه طالب قتل النبى ﷺ ودعا ﷺ عليه ومات عامر لعنه الله وجعل النار مثواه (قال الراوى) ثم سار جرير بعد ذلك من ديارهم يريد بنى عبس لأنهم قد قربوا منه ومازال كذلك سائرا حتى أتى فى ذلك الوقت الذى أسلم فيها الجماعة ولما وصل جرير إلى بنى عبس وجد عندهم العباس بن مرداس السلمى ودثار بن زروق وخفاف بن ندبة وكانوا قد سبقوه إلى بنى عبس واستبشرت بنو عبس لما نظروه وفرحوا به غاية الفرح واتسع صدر كل واحد منهم وانشرح واعلم بنو عبس وبنو قضاعة جريرا أن سائر العرب أسلموا الجميع الرفيع منهم والوضيع (قال الراوى) فعند ذلك أخبروا جريرا أن الخذروف أخبروهم عن الاسلام وأنهم ففرح جرير بذلك وأثنى عليه وقال لهم جرير خذوا أهبتكم الآن للمسير وسرعة التشمير فعندها أخذ الجميع أهبتهم للسفر وكل منهم قد فرح واستبشروا وأقاموا يجهزون حالهم ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع استقبلوا الطريق وما بقى لهم عائق يعيق ولم يبق فى العلم السعدى وأرض الشربة لا ديار ولا من ينفخ النار وساروا الجميع طالبين مكة والخذروف قد شد لزوجته أمية على بعض الجمال هودج وهو بالزينة يرهج وقد دارت بالهودج العبيد والغلمان والخدم وكل فارس محتشم والخذروف راكب على جواد أدهم أدق أرخم بغرة كالدرهم وفى خدمه جماعة من عبيده وكذلك ركب جرير على جواد أحمر له غرة كأنها كوكب الصبح إذا أسفر فقال جرير والله ما أركب على جواد وأنا فى خدمة رسول الله ﷺ وسيد العباد الهادى إلى طريق الرشاد فقال له الخذروف يا عماه اركب إلى أن تصير بالقرب فتقدم أمامنا واعلم رسول الله ﷺ بقدومنا قال الراوى فاستحسن جرير ذلك من الخذروف بن شيبوب وركب ذلك الجواد وسار جميع بنى عبس بالأموال والعيال والنياق ومازالوا سائرين حتى وصلوا إلى رسول الله ﷺ وسمعوا منه ما أتى به من الأحكام وهو يبين لهم الحلال من الحرام وسمعوا ما يقول من الأقوال وهم قيام خاضعون بين يدى رسول الله ﷺ فى مكة المشرفة حماها الله تعالى وزادها حرمة وإكرام فنظروا إلى الأصنام وقد اندثرت والأوثان قد رمت فعندها دخلوا فى الاسلام رغبة فيه وأحبوه غاية المحبة وكان رسول الله ﷺ فى المسجد الحرام جالسا بين أصحابه كأنه البدر بين الكواكب وكل أحد منهم إليه وهو له طالب فى تقبيل أياديه راغب فتبسم النبى ﷺ وفرح بإسلامهم وقد جددوا إسلامهم وأظهروه بين يديه وأسلم فى ذلك العباس بن مرداس السلمى وخفاف بن ندبة ودثار بن زروق وجميع من وصل من بنى

عبس وعدنان وبني قضاعة الشجعان وأسلمت عنيترة وجددت إسلامها هي وخالها عمرو ذو الكلاب وأمها وأعمامها وتعجب رسول الله ﷺ من عظم صورتها وكثرة هيبتها مع ما سمع عنها من قوتها وشجاعتها وفروسيتها وبراعتها فتبسم النبي ﷺ في وجهها وقال يا عنيترة إن قاتلت في الاسلام مثل ما كنت تقاتلي في الجاهلية ضمنت لك على الله الجنة فقالت يا رسول الله وحرمة دين الاسلام لأقاتلن بين يديك قتالا تقصر عنه الأوهام وتعجز عنه جميع الأنام فدعا لها رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام وقال لها بارك الله فيك يا أم الزعازع وتوالت فتن الكفرة اللئام في سائر المعامع وضربت بنو عبس خيامهم في مكة في المنزل المعروف بهم طول الزمان وأقاموا في أمان واطمئنان هذا والخذروف قد نظر إلى ابنة عمه عنيترة بعين المحبة فأرادوا زواجها وقد زاد فيها رغبة وأي رغبة ولما زاد به الأمر وهو من مزيد شوقه إليها والعشق يتلظى على الجمر وأراد أن يتزوج بها على زوجته أمية قصد إلى زهير ابن قيس وأعلمه بذلك القصد وقال له يا ابن العم أريد منك أن تخطب لي عنيترة بنت عنتر لأنني قد اشتهيت ذلك قبل أن أموت وأقبر فقال له زهير السمع والطاعة ولا بد أن أدعوها إلى وأشاورها في هذه الساعة فقال له جرير أيها الملك امض أنت إليها واخطبها ورغبها (قال الراوي) فعند ذلك قام زهير ودخل على عنيترة من وقته وساعته وشاورها في زواجها بابن عمها الخذروف وأعلمها على زواجها بالخذروف فقالت له أيها الملك المفضال معاذ الله أن أتزوج أبدا ولو شربت كاس الردى ولا أشمت بي العدا (قال الراوي) فلما سمع الملك زهير ذلك من عنيترة لم يرد عليها جوابا ولا خطابا وخرج من عندها وأعلم الخذروف بذلك فزاد به الأمر وعلم أنه هالك لا محالة ويدنو منه العمر فقام من وقته وساعته ودخل على النبي ﷺ وقبل يديه وسلم عليه وعلى كل من كان حواليه وقال رسول الله اريد أن أتزوج بابنة عمي عنيترة على سنة الاسلام فانني يا رسول الله بها مستهام زائد الغرام فقال له رسول الله ﷺ ما في الحلال من عتب ولا رهبانية في الاسلام ثم أن رسول الله ﷺ أنفذ خلف الأميرة عنيترة عبده بلال بن حمامة يدعوها إليه فسار بلال في الوقت والساعة ودخل عليها وبدأها بالسلام فردت عليه التحية والاكرام فقال لها أيها الأميرة أن النبي ﷺ يدعوك إليه وأن تحضري بين يديه فقالت له سمعا وطاعة لله ولرسوله ﷺ ثم أنها أقبلت تهرول نحو المسجد وبلال خلفها وهي أمامه وما زالت عنيترة سائرة إلى أن وصلت إلى النبي ﷺ وسلمت عليه وقالت له السلام عليك يا صاحب المعجزات ويا من أنزلت عليه الآيات فقال لها رسول الله ﷺ وعليك السلام ورحمة الله وبركاته اجلسي يا أم الزعازع ولبوة المعامع فجلست عنيترة واستقر بها الجلوس فقال لها النبي ﷺ اعلمي يا عنيترة أنه لا رهبانية في دين الاسلام واريد أن تقبلي مني نصيحتي وتتزوجي بابن عمك الخذروف قال له

فلما سمعت عنيترة ذلك استحلت من رسول الله ﷺ وقالت يا رسول الله افعل ما تحب وتختار
فلست أخالف لك أمراً أبداً يا صاحب الأنوار قال فتبسم النبي ﷺ ودعا بالخذروف
وزوجه بابنة عمه عنيترة على سنة رسول الله ﷺ وفرح بذلك الخذروف غاية الفرح واتسع
صدره وانشرح وعمل الخذروف الولائم وأكل منها القاعد والقائم وزفت عنيترة على
الخذروف وحظى منها بذلك الحسن والجمال والبهاء والدلال (قال الراوى) وأما أمية والدة
عمرو فانها أقامت بعد زواج الخذروف بعنيترة سبعة أيام وهى مريضة من الغيرة وتوفيت
إلى رحمة الله تعالى على دين الاسلام واستمرت بنو عبس وعدنان بمكة حول النبي ﷺ
وما عادوا رفعوا لهم راية فى البر أبداً ولا أقاموا عمداً ولا ضربوا لهم وتداً وكانوا يحضرون
الغزوات مع المسلمين فى سائر الأوقات ثم هاجروا مع النبي ﷺ إلى المدينة الشريفة ولما
فتحت مكة رجعوا إليها وأقاموا فيها (قال الراوى) وأما الأمير عمرو ذو الكلب فانه طلب من
رسول الله ﷺ الاذن فى المسير إلى دياره والأوطان لينظر أهله والخلان فأذن له بذلك
وسار عمرو ذو الكلب ومعه بنو قضاعة الأبطال بعد ما ودع عنيترة وبنى عبس وسار بمن معه
قبل طلوع الشمس وهو طالب بلاد الشريف وسار سيراً عنيف وقد كساه الاسلام خلعة
التشريف وأما قناصة الرجال فانها أقامت مع ابنتها عنيترة فى بقية بنى قضاعة الأبطال تحضر
الغزوات وتصلى الصلوات المفروضة مع الجماعات وقد حسن إسلامها وأكثرت من صومها
وقيامها (قال الراوى) ورزق الخذروف من عنيترة خمسة أولاد فى دين الاسلام اسم أحدهم
شيبوب والثانى عمرو وثالثهم الحطال ورابعهم ميسرة وخامسهم غصوب وكل واحد كأنه
ريح الهبوب أو كالماء إذا اندفق من ضيق الأنبوب وإذا ركب جواداً يقاتل قتال الأسد الوثوب
ويناضل مناضلة النمر الصوب وقد تلوا مع والدتهم عنيترة فى الاسلام وأقاموا كذلك مدة
من الزمان وعدة من الأيام وهم يقاتلون فى ركاب سيد الأنام ورسول الله الملك العلام ساقى أهل
الكفر كاس الحمام صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام ما غرد القمرى وما ناح الحمام ثم توفى
جرير فى بعض الغزوات وأقام الخذروف بعده مدة سنة ومات وقد حزنت عليه عنيترة حزناً
عظيما وكانت تقاتل مع النبى ﷺ فى سائر الغزوات وتطلب الشهادة فى سائر الأوقات وما
زالت كذلك إلى أن قتلت فى غزوة الأحزاب وماتت شهيدة على السنة والكتاب وبلغ ذلك
رسول الله ﷺ فحزن عليها وقال زملوها فى ثيابها لتلقى الله وهو عنها راض يوم القيامة لأنها
قد فازت بكل الكرامة وسار عمرو بن أمية الضمرى مقدم سعاة رسول الله ﷺ وهو
الحاكم على إخوته من أبيه أولاد عنيترة وكل منهم له صولة ومقدرة وصارت بقية بنى عبس
تقاتل مع رسول الله ﷺ فى سائر الغزوات إلى أن قتل الملك زهير بن قيس فى بعض الغزوات
وقتل ابن حصن فى غزوة تبوك ولما قتل زهير تأمر بعده ولده ياسر وكان قد رزقه من امرأة

تزوج بها فى الإسلام من نساء المهاجرين والأنصار فرزق منها ياسر هذا وقد حكم على بنى عبس ومن ابقى منهم وأقام كذلك مدة خمسة أعوام وقتل ببعض الغزوات وخلف ياسر ولداً اسمه عمار بن ياسر العبسى وهو من جملة الصحابة المذكورين (قال الراوى) وأما قناصة الرجال فإنها أقامت بعد ابنتها ثلاثة أعوام وماتت على دين الإسلام ودفنت فى بطحاء مكة بقرب البيت الحرام (قال الراوى) فهذا ماجرى هونا من الكلام (وأما) ما كان من عمرو ذو الكلاب فانه مسيره من مكة إلى بلاده بثلاثة أعوام اشتاق إلى أرض زمزم والمقام فسار بمن معه من بنى قضاعة إلى أن وصل إلى مكة المشرفة شرفها الله تعالى وطلب منازل بنى عبس فلما أقبل عليهم سلموا عليه وقبلوا يديه وقد سمع به أولاد عنيترة فأتوا أيضاً إليه وسلموا عليه وبل شوقه بهم وبكوا على والدتهم عنيترة بكاء شديداً ماعليه من مزيد وكذلك بكى على أخته قناصة الرجال والماشى عمرو ذو الكلاب غليله من البكاء سار إلى المدينة المنورة ودخل على رسول الله ﷺ إلى أن قتل عمرو ذو الكلب فى بعض الغزوات وقضى نحبه ومات وقد مات أيضاً منهم جماعة وبقى من بنى عبس وبنى قضاعة بعض جماعة وصار الحاكم عليهم الأمير عمار ابن ياسر بن زهير بن قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن بغيض بن عيسى بن غيلان (قال الراوى) وقد صار عمار بن ياسر بن زهير هو الحاكم على الجميع الرفيع منهم والوضيع وأولاد الخذروف الخمسة الذين هم من عنيترة قد صاروا كبراء بنى عبس وعمرو بن الخذروف وهو ابنه من أمية المشهور بأنه عمرو بن أمية الضمرى فانه كان رأس القوم وكبارهم والحاكم على بنى عبس وأميرهم وكان الأمير عمار بن ياسر يستشيره فى كل الأحوال وتستشيره أيضاً سائر الأبطال وقد كثر الإسلام واشتهر الإيمان ونكست الأصنام وبان الحلال من الحرام وصار عمرو بن أمية الضمري عند رسول الله ﷺ فى أعلى مكان وهو المقدم على سائر السعاة والفرسان وأما الأمير عمار بن ياسر فقد صار من كبراء الصحابة وممن يشار إليه وكل من كان من بنى عبس من زمن الجاهلية فانه قد اتبع دين الإسلام وتركوا ما كانوا عليه من الضلالة ومن فعل الحرام وتركوا أيضاً شرب المدام ثم تقلبت بهم الدهور والأيام حتى شربوا كاس الحمام بعد أن نالوا مانالوا من العز والنعمة والقوة والثروة والجد والرفعة وقد من الله سبحانه على من بقى منهم بالدخول فى دين الإسلام حيث ظهرت بعثة أنوار سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فسبحان من لا تغيره الليالى والأيام ولا مرور الشهور ولا توالى الأعوام ولا يغفل ولا ينام وهو الذى يحيى العظام ويجرى الاقلام وهو الذى خلق الشمس والقمر والليل والنهار وفجر الأنهار وأنبت الأشجار وخلق الوحوش والأطيار وكل شىء عنده بمقدار العالم بما كان وما يكون الذى أمره بين الكاف والنون وبقدرته سقى القرون الماضية كاس المنون وأدار عليهم من الموت كئوس الفناء وأبادهم كغيرهم ممن صاروا سيراً وأنباء وتفرد سبحانه وتعالى بصفة

القدم والبقاء (قال الناقل) لهذه الروايات والفنون فقد رأيت من سير الأولين وأخبار المتقدمين وما نقل عن القرون الماضين ما فيه عبر لأولى الألباب وحكمة بالغة يدرى المتدبر بها عين الصواب وقد تمت هذه السيرة العنترية كاملة القوافى الشعرية منسجمة النثر خماسية الشعر فكاهية الاخبار بديعة الآثار اللهم صل على سيدنا محمد كما أمرتنا بالصلاة عليه وسلم على سيدنا محمد كما أمرتنا بالسلام عليه يارب العالمين اللهم احشرنا فى زمرته واجعلنا ممن فاز بمتابعته واهتدى بشريعته واقتدى بصحابته واهتدى بسنته اللهم أوردنا حوضه وأرنا وجهه ولا تحرمنا شفاعته واجمع بيننا وبينه فى مستقر الرحمة والرضوان برحمتك يا ذا الجلال والإكرام (قال المؤلف) لهذه السيرة الحجازية وهو الاصمعى رضى الله عنه كان الفراغ من تأليفها يوم الجمعة المبارك فى أواخر جمادى الثانية سنة ٤٧٣ من الهجرة النبويه فى أيام الخليفة أمير المؤمنين هرون الرشيد العباسى وقد أرشدنى إلى تأليفها رغبة فى سماع قولها ونثرها ونظمها وقد جمعت ما عندى من الاوراق مما سمعته من سيرة عنتر ابن شداد المشهور فى سائر الافاق وأضفت إليه ما رأيته بعينى ورتبت القوافى على بعضها بحسن نظام من غير زيادة ولا نقصان وانتقيتها من زبدة الكلام وهذه السيرة الحجازية قد رويتها بروايات قوية عن الحزة وعن أبى طالب وعن عمرو بن معد يكرب الزبيدى وعن حاتم طى وعن امرئ القيس الكندى وعن هانيء بن مسعود وعن جارم المكى وعن عبيدة وعن عمرو بن ود العامرى وعن دريد بن الصمة وعن عامر بن الطفيل فإنه بعد عنتر تناولت أفعاله على ألسن العرب فالذى رأيته وسمعته ضربت أكتبه عندى بالاوراق من أشعار ومن أفعال والذى ما رأيته ولا سمعته فهو ترتيب القوافى بعضها والله أعلم بالصواب .

تمت


Bibliotheca Alexandrina
0694710